

بجته التأليف والترجمة والنشر

الكوز في الفلسفة

لأرسطوطاليس

يتلوه كتاب " في ميليسون وفي إكسينوفان وفي غرياس "

ترجمها من الإغريقية الى الفرنسية وصدرها بمقدمة في تاريخ الفلسفة الإغريقية
وعلق عليهما تعليقات متتابعة

بارتلى ساتهليز

أستاذ الفلسفة الإغريقية في "كلية دي فرنس" ثم وزير الخارجية الفرنسية

ونقلها الى العربية

احمد لطفي السيد

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٣٥ - ١٩٣٢ م

الكوز والفلسفة

لأرسطوطاليس

يتلوه كتاب " في ميليسوس وفي إكسينوفان وفي غريغياس "

١٠٤

ترجمهما من الإغريقية الى الفرنسية وصدرهما بمقدمة في تاريخ الفلسفة الإغريقية
وعلق عليهما تعليقات متتابعة

بارتلى ساتهليلير

أستاذ الفلسفة الإغريقية في "كلليج دي فرنس" ثم وزير الخارجية الفرنسية

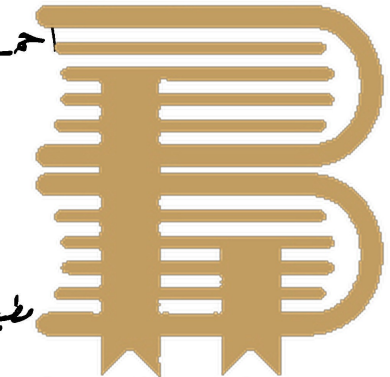
شبكة كتب الشيعة ونقلهما الى العربية

احمد لطفي السيد

49543

طبعة دار النشر المصرية بالقاهرة

١٩٣٢ - ١٣٥٠ م



فيلسوفان

كتاب الكون والفساد

مقدمة المترجم

بارتلمى ساتهيلمير

صفحة

(أصول الفلسفة الإغريقية)

هذان الكتابان اللذان جمع بينهما في هذا السفرهما حملة على مدرسة إبليا التي هي من أقدم مدارس الفلسفة اليونانية — مهد الفلسفة هو في مستعمرات شواطئ آسيا الصغرى : طاليس وفيثاغورث وإكسينوفان ... الخ ؛ وسابقوهم الحقيقيون بالإجماع : هوميروس وسافو ... الخ — علم الفلك والرياضيات والتاريخ والطب ... الخ — الاتحادات الثلاثة : الأبوليون في الشمال ، واليونان في الوسط ، والدوريون في الجنوب — جملة الحوادث الكبرى التي تدخل في أمرها الفلاسفة من طاليس الى ميليسوس من السنة ٦٢٠ الى السنة ٤٣٠ قبل الميلاد — حرب يونيا مع ليديا ومع مملكة الفرس — الوسائل المادية التي كانت عند الأقدمين لكافة المؤلفات — الكتب من طاليس الى زمن أرسطوطاليس — شهادات هيرودوت وطوكوديدس وإكسينوفون وأفلاطون وأرسطو — الاستعمال العام لورق البردي المصري — صنع الورق على قول بلاين — رسائل شيشيرون — إيضاح هذه الحوادث — ورق البردي المحفوظ في دور الآثار عندنا (فرنسا) — محابر وأقلام الكتابة التي يرجع تاريخها على الأقل الى نحو خمسة وعشرين قرنا — أولية الفلسفة اليونانية — كونها لا تدين بشئ للشرق — المقارنة بينها وبين الفلسفة الهندية — خلاصة القول على مدرسة إبليا — المعنى الحقيقي لنظرية الوحدة ١

الكون والفساد

الكتاب الأول

صفحة

- الباب الأول — الموضوع العام لهذا الكتاب — مبحث المذاهب السابقة — آراء مختلفة — تخيص نظريات انكساغوراس ولوكيس وديمقريطس — نقض خاص لمذهب أمبيدقل — الاستشهاد ببعض أبياته — المعاني المختلفة التي يحمل عليها كون الأشياء تبعاً لما يسلم به من الوحدة أو التعدد العناصر الأولية ١٠٧
- الباب الثاني — عدم كفاية نظرية أفلاطون — عود على نظرية ديمقريطس ولوكيس — نظرية جديدة على كون الأشياء وفسادها — النمط المتبع — أهمية مسألة الذرات — رأى ديمقريطس ولوكيس — رأى أفلاطون في كتابه طيمائوس — خطأ هؤلا وهؤلا — وجوب الأخذ بملاحظة الأحداث على الأخص — فضل ديمقريطس من هذه الجهة — أفكار في قابلية الأشياء للقسم — يمكن افتراض القسمة لا متناهية — صعوبات هذه النظرية — صعوبات ليست أقل خطراً من نظرية الذرات — نقض هذه النظرية — المعنى العام الذي يحمل عليه كون الأشياء ١١٥
- الباب الثالث — في الكون المطلق وفي فساد الأشياء — صعوبة هذه المسئلة — الكون والفساد الإضافان — النمط الذي يتخذ في هذا البحث — شواهد من كتاب الحركة — أبدية الكائنات وتعايقها المستمر — تبادل الكون والفساد — تمييز لفظي مهم — استشهاد بـبرمينيد — الفرق بين الكون المطلق والكون الإضافي — فروق الفساد باعتبار هذين الوصفين — الرأى العام في هذا الموضوع — في أن شهادة الحواس تعطى أكثر مما تستحق — توضيحات مختلفة — طريقة فهم أبدية الظواهر ١٢٨
- الباب الرابع — فصول الكون والاستحالة — تمييز الموضوع ومحمول الموضوع — حد الاستحالة — أمثلة مختلفة — حد الكون المطلق وأمثلة متنوعة — آخر المقارنة بين الكون والاستحالة ١٤١
- الباب الخامس — نظرية النمو — الفروق بينه وبين الكون والاستحالة سواء في موضوع النمو أو في الكيفية التي يحصل بها النمو — نقله الشيء إلى غير المحسوسة — صعوبة إدراك من أين يأتي النمو في الجسم — كل أجزاء الجسم تنمو دفعة واحدة — الشروط الأصلية للنمو هي ثلاثة — المغاراة بين النمو والاستحالة — نظرية جديدة للنمو — تمييز ما بالفعل من ما بالقوة — يلزم أن ما بالقوة يحقق حتى يوجد النمو — علاقة العنصر الجديد الذي يحدث نمو الجسم بالجسم النامي ١٤٤

صفحة

الباب السادس — الفعل المتكافئ للعناصر بعضها في بعض — في اختلاطها — رأى
ديوجين الأبلوني — لأجل إدراك أن العناصر تفعل أو تتفعل بعضها ببعض يلزم توضيح
ما يعنى بتماسها — المعانى المختلفة لهذه الكلمة — الفرق بين الحركة والفعل — المحرك غير
المتحرك لاحاجة به ضرورة الى مس الشيء الذى يحركه — الشيء المحرك يمكن ألا يمس
شيئا هو أيضا في نوبته — آخر نظرية التماس ١٥٩

الباب السابع — نظرية الفعل والانفعال — آراء الفلاسفة — ديمقريطس هو الذى
أجاد فهم هذا الموضوع — سبب خطأ الفلاسفة — الشبه لا يمكن أن يقبل أى فعل
من الشبه — العلاقة الضرورية بين الفاعل والمنفعل — الشبه والفرق بينهما — توفيق
رأين متعارضين في تمييز لفظي — المشابهة بين الحركة وبين ظاهرى الفعل والانفعال —
المحرك الأول يمكن أن يكون غير متحرك — الفاعل الأول يمكن أن يكون كذلك لانفعلا —
ختام نظرية الفعل والانفعال ١٦٦

الباب الثامن — نقض النظرية التى تفرض أن الفعل والانفعال يحدثان في الجواهر
المادية بالمسام — رأى الفلاسفة القدماء — استشهاد من أمبيدقل — لوكيس
وديمقريطس هما أقرب الى الحق — وحدة الموجود محال وكذلك ثباته — غرائب ضلالات
الفلاسفة القدماء — عرض نظرية لوكيس — عرض نظرية أمبيدقل — مواطن
الاتفاق والاختلاف بينها وبين نظرية لوكيس — استشهاد من طيماوس أفلاطون —
مقارنة بين أفلاطون ولوكيس — اعتراضات على نظرية أفلاطون وعلى نظرية الوحدة
ونظرية الذرات — استحالة قبول وجود الذرات وفهم من أين جاءت الحركة — الرؤية
من خلال الأوساط تصير غير قابلة للإيضاح — خاتمة نقض النظرية التى تفسر بواسطة
المسام الفعل والانفعال في الأشياء ١٧٥

الباب التاسع — تفاصيل جديدة على نظرية كون الأشياء وعلى خواصها الفاعلة والقابلة —
الأفعال التى تحصل عند التماس وعلى بعد — توضيح ديمقريطس غير الكافي — تحوّل
أشكال الأجسام اذ تتغير بالحال دون أن تتغير بالمكان — خاتمة نظرية الفعل والانفعال ١٨٨

الباب العاشر — نظرية الاختلاط — من الفلاسفة من أنكر أن الأشياء أمكنها أن تختلط
فيما بينها — إبطال هذه النظرية — المعنى العام لشروط الاختلاط — التابع المختلف
للأجسام المختلطة — الفرق بين الاجتماع وبين الاختلاط الحق — لكى يوجد اختلاط
بين الأشياء يلزم أن يوجد بينها تجانس بل شئ من التناسب — النقطة من التبيد في كمية
من الماء — سهولة الاختلاط أو صعوبته تبعاً للتخالف في طبع الأشياء وصورتها —
خاتمة نظرية الاختلاط ١٩٢

الكون والفساد

الكتاب الأول

صفحة

الباب الأول — الموضوع العام لهذا الكتاب — مخص المذاهب السابقة — آراء مختلفة — مخص نظريات انكساغوراس ولوكيس وديمقريطس — نقض خاص لمذهب أميدقل — الاستشهاد ببعض أبياته — المعاني المختلفة التي يحمل عليها كون الأشياء تبعاً لما يسلم به من الوحدة أو التعمد العناصر الأولية ١٠٧

الباب الثاني — عدم كفاية نظرية أفلاطون — عود على نظرية ديمقريطس ولوكيس — نظرية جديدة على كون الأشياء وفسادها — النمط المتع — أهمية مسألة الذرات — رأى ديمقريطس ولوكيس — رأى أفلاطون في كتابه طيموس — خطأ هؤلا وهؤلا — وجوب الأخذ بملاحظة الأحداث على الأخص — فضل ديمقريطس من هذه الجهة — أفكار في قابلية الأشياء للقسمه — يمكن افتراض القسمه لا متناهية — صعوبات هذه النظرية — صعوبات ليست أقل خطراً من نظرية الذرات — نقض هذه النظرية — المعنى العام الذي يحمل عليه كون الأشياء ١١٥

الباب الثالث — في الكون المطلق وفي فساد الأشياء — صعوبة هذه المسئلة — الكون والفساد الإضافان — النمط الذي يتخذ في هذا البحث — شواهد من كتاب الحركة — أبدية الكائنات وتعاقبها المستمر — تبادل الكون والفساد — تميز لفظي مهم — استشهاد ببرمينيد — الفرق بين الكون المطلق والكون الإضافي — فروق الفساد باعتبار هذين الوصفين — الرأى العام في هذا الموضوع — في أن شهادة الحواس تعطى أكثر مما تستحق — توضيحات مختلفة — طريقة فهم أبدية الظواهر ١٢٨

الباب الرابع — فصول الكون والاستحالة — تميز الموضوع ومحمول الموضوع — حد الاستحالة — أمثلة مختلفة — حد الكون المطلق وأمثلة متنوعة — آخر المقارنة بين الكون والاستحالة ١٤١

الباب الخامس — نظرية النمو — الفرق بينه وبين الكون والاستحالة سواء في موضوع النمو أو في الكيفية التي يحصل بها النمو — نقله الشيء النامي غير المحسوسة — صعوبة إدراك من أين يأتي النمو في الجسم — كل أجزاء الجسم تنمو دفعة واحدة — الشروط الأصلية للنمو هي ثلاثة — المفارنة بين النمو والاستحالة — نظرية جديدة للنمو — تميز ما بالفعل من ما بالقوة — يلزم أن ما بالقوة يتحقق حتى يوجد النمو — علاقة العنصر الجديد الذي يحدث نمو الجسم بالجسم النامي ١٤٤

صفحة

الباب السادس — الفعل المتكافئ للعناصر بعضها في بعض — في اختلاطها — رأى
ديوجين الأبلوني — لأجل إدراك أن العناصر تفعل أو تتفعل بعضها ببعض يلزم توضيح
ما يعنى بتماسها — المعانى المختلفة لهذه الكلمة — الفرق بين الحركة والفعل — المحرك غير
المتحرك لاحاجة به ضرورة الى مس الشيء الذى يحركه — الشيء المحرك يمكن ألا يمس
شيئا هو أيضا في نوبته — آخر نظرية التماس ١٥٩

الباب السابع — نظرية الفعل والانفعال — آراء الفلاسفة — ديمقريطس هو الذى
أجاد فهم هذا الموضوع — سبب خطأ الفلاسفة — الشبه لا يمكن أن يقبل أى فعل
من الشبه — العلاقة الضرورية بين الفاعل والمنفعل — الشبه والفرق بينهما — توفيق
رأى بين متعارضين في تمييز لفظي — المشابهة بين الحركة وبين ظاهرى الفعل والانفعال —
المحرك الأول يمكن أن يكون غير متحرك — الفاعل الأول يمكن أن يكون كذلك لانفعلا —
ختام نظرية الفعل والانفعال ١٦٦

الباب الثامن — نقض النظرية التى تفرض أن الفعل والانفعال يحدثان في الجوهر
المادية بالمسام — رأى الفلاسفة القدماء — استشهاد من أميدقل — لوكيس
وديمقريطس هما أقرب الى الحق — وحدة الموجود محال وكذلك ثباته — غرائب ضلالات
الفلاسفة القدماء — عرض نظرية لوكيس — عرض نظرية أميدقل — مواطن —
الاتفاق والاختلاف بينها وبين نظرية لوكيس — استشهاد من طيماوس أفلاطون —
مقارنة بين أفلاطون ولوكيس — اعتراضات على نظرية أفلاطون وعلى نظرية الوحدة
ونظرية الذرات — استحالة قبول وجود الذرات وفهم من أين جاءت الحركة — الرؤية
من خلال الأوساط تصير غير قابلة للإيضاح — خاتمة نقض النظرية التى تفسر بواسطة
المسام الفعل والانفعال في الأشياء ١٧٥

الباب التاسع — تفاصيل جديدة على نظرية كون الأشياء وعلى خواصها الفاعلة والقابلة —
الأفعال التى تحصل عند التماس وعلى بعد — توضيح ديمقريطس غير الكفاي — تحوّل
أشكال الأجسام اذ تتغير بالحال دون أن تتغير بالمكان — خاتمة نظرية الفعل والانفعال ١٨٨

الباب العاشر — نظرية الاختلاط — من الفلاسفة من أنكر أن الأشياء أمكنها أن تختلط
فيما بينها — إبطال هذه النظرية — المعنى العام لشروط الاختلاط — الفاعل المختلف
للأجسام المختلطة — الفرق بين الاجتماع وبين الاختلاط الحق — لكى يوجد اختلاط
بين الأشياء يلزم أن يوجد بينها تجانس بل شئ من التناسب — النقطة من التبيد في كمية
من الماء — سهولة الاختلاط أو صعوبته تبعاً للتخالف في طبع الأشياء وصورتها —
خاتمة نظرية الاختلاط ١٩٢

الكتاب الثاني

- الباب الأول** — نظرية عناصر الأجسام — عددها — شاهد من أميدقل — المادة ليست منفصلة عن الأجسام كما هو في طياوس أفلاطون فيما يظهر — نقض هذه النظرية — إنها حقة بجزئها باطلة بالجزء الآخر — شاهد من المؤلفات المختلفة السابقة — نظرية جديدة على المبادئ العنصرية للأجسام — طبعها وعددها ٢٠١
- الباب الثاني** — حدّ الجسم كما تعرفه لنا حاسة اللمس — تعديد الأضداد الأصلية التي يعرضها الجسم المحسوس باللمس — فصول هذه الأضداد — الفعل المتباين للبارد والحرار والجانف والسائل — علاقة جميع الفصول الأخرى بهذه الفصول الأربعة الأصلية ... ٢٠٦
- الباب الثالث** — تراكيب العناصر بين بعضها والبعض — ليس منها إلا أربعة لأن الأضداد خارجة عنها — نظريات سابقة على عدد العناصر — پرمينيد — أفلاطون — أميدقل — طبع العناصر المختلفة — الأمكنة المختلفة التي تشغلها في الأين ٢١١
- الباب الرابع** — نظرية تبدل العناصر بعضها ببعض — فصول العناصر فيما بينها يمكن أن تكون أكثر أو أقل عددا — سهولة التبدل وصعوبته — أمثلة مختلفة بحسب تجاور العناصر أو البعد بينها في النظام الذي هي مرتبة به وبحسب تماثل كفيات العناصر أو تقابلها — خاتمة الجزء الأول لنظرية التبدل المتكافئ بين العناصر ٢١٥
- الباب الخامس** — بقية نظرية تبدل العناصر — من المحال ألا يوجد إلا عنصر واحد منه تأتي كل العناصر الأخرى — في هذا الافتراض قد تحصل استحالة العنصر الوحيد ولكن لا يحصل البتة كون حقيق للعناصر المختلفة — شاهد من طياوس لأفلاطون — عرض جديد للطريقة التي بها تتغير العناصر بعضها الى بعض — يحصل التبدل بسرعة متناسبة مع وجود كيف مشترك — نسبة العناصر الأطراف بعضها الى بعض ونسبة العناصر الأوساط — الحدود الضرورية لهذا التحول — لا يمكن التمشي الى اللانهاية في أى واحدة من الجهتين — البيان الحرفي لهذا المبدأ ٢٢٠
- الباب السادس** — إبطال نظرية أميدقل على مقارنة العناصر بينها سواء بالنسبة الى الكم أم بالنسبة الى الأثر والتناسب — في مذهب أميدقل نمو الأشياء يرجع الى مجزئ جمع — إنه لا يفسر أيضا كون الأشياء ، بل أخضعه لسلطان المصادفة ، ولا علة للحركة الأصلية ولا طبع النفس الحقيق — شواهد مختلفة من شعر أميدقل ٢٢٧
- الباب السابع** — بقية مذهب أميدقل — متى أنكر أن العناصر يمكن أن تتغير بعضها الى بعض فلا يمكن توضيح تكون الجواهر العضوية المختلفة — شاهد من أميدقل — صعوبة توضيح تكون الجواهر المختلفة ليست أقل عظما متى سلم بأحدية المادة — تعيين نظرية جديدة فيها تكون الأضداد هي التي يفعلها المتكافئ تكون جميع جواهر الطبيعة ... ٢٣٤

صفحة

الباب الثامن — التركيب العام للأجسام المختلطة — يوجد في كلها من الأرض ومن الماء اللذين هما عنصران ضروريان — وفيها أيضا من الهواء ومن النار وهما ضئلا العنصرين الأولين — ظاهرة التغذية التي يستشهد بها سندا لهذه النظرية — كيف أن النار هي العنصر الوحيد، من العناصر البسيطة، الذي يغذى نفسه ٢٣٩

الباب التاسع — الهوى والصورة — المبادئ الأولى للأشياء — ضرورة مبدأ ثالث وهو العلة المحركة — إبطال نظرية المثل على نحو ما عرضها أفلاطون في الفيديون — إن المثل لا يمكن أن تفسر كون الأشياء — إنها لا تكون — يرى أن طائفة من الأشياء تتكون تحت أعيننا بعلة أخرى — إبطال النظرية التي تفسر كون الأشياء بحركة المادة — المادة قابلة لا فاعلة — أمثلة مختلفة مستخرجة من طرائق الفن ٢٤٢

الباب العاشر — كون الأشياء وفسادها هما متصلان كالحركة ويتعلقان بالثقل الدائرية للعالم — ضرورة حركتين — الثقل الدائرية المائلة تسد هذه الضرورة — انشطار الكون والفساد الطبيعيين — المدة الدورية للكائنات — فعل الله — القوانين الثابتة التي وضعها في أبدية الأشياء — النظام العجيب للعالم — تغير الأجسام إنما هو الذي يحفظ مدهتها — المحرك الأول غير المتحرك هو المبدأ الوحيد للحركة العالمية — اتصال الحركة يتعلق باتصال المتحرك... .. ٢٤٧

الباب الحادى عشر — نظرية تعاقب الأشياء الأبدى المنتظم — على أى مقدار يكون تدخل الوجود — الأشياء الواجبة والأشياء الممكنة — الوجود المطلق — الوجود الإضافى — علاقة الواجب والأزلى — كون الأشياء لا يمكن أن يكون أبديا إلا اذا كان دائريا — ترتيب الأشياء العجيب — الحركة الدائرية للفلك الأعلى تنظم كل الحركات السفلى، حركة الشمس، وحركة الفصول وكل الحركات الأخرى — أبدية الأنواع — فناء الأشخاص المتعاقب — أزلية بعض الجواهر — خاتمة الكتاب ٢٥٤

تحقيق — على الكتاب الموسوم "في ميليسوس وفي إكسينوفان وفي غريغياس" ٢٦١

في ميليسوس وفي إكسينوفان وفي غرغياس

مذاهب ميليسوس

- صفحة
- الباب الأول — الموجود هو أزلى غير متناه واحد ولا متحرك — أركان الوحدة وتناجها — الاختلاط — ظاهر الأشياء هو ضد الوحدة — الحذر الذي ينبغى أخذه من شهادة الحواس — ردود على نظرية الوحدة وعلى اللاأدرية — الآراء المضادة لهذا المذهب — شواهد من هيزيود وبعض فلاسفة آخرين ٢٨١
- الباب الثاني — تمة تنفيذ ميليسوس — ردود على مبدأ أنه ليس شيء يأتي من لا شيء — تولد الأشياء وكونها بعضها من بعض على التكافؤ — نظريات أميدقل وأنكساغوراس وديموقريطس وپرمينيد وزينون — شواهد من شعر أميدقل وهيزيود — الموجود ليس ضرورة واحدا أزليا ولا متناها ٢٨٨

مذاهب إكسينوفان

- الباب الثالث — نظرية إكسينوفان في حق الله — الأزلية — القدرة — أحدية الله — يجب أن يتصور كأنه فلك — الله منزّه عن الحركة والسكون ومنزه عن أن يكون متناها أو لا متناها ٣٠١
- الباب الرابع — إبطال نظريات إكسينوفان — استشهاد من ميليسوس — كيف ينبغى أن يعنى بقدرة الله — الله ليس فليكا — إنه لا متناه — وحدانية الله ليست منافية لكونه متناها — في نفي الحركة عن الله — في الحركة التي يمكن تصورها في حق الله — استشهاد من زينون ٣٠٥

مذاهب غرغياس

- الباب الخامس — النظريات الثلاث الأصلية لغرغياس: على الوجود، وعلى امتناع العلم، وعلى نقل العلم — على النظرية الأولى يجمع غرغياس بين الآراء السابقة — ميليسوس وزينون — بسط مذهب غرغياس في امتناع الوجود والمعدم على السواء ٣١٤
- الباب السادس — نقض نظرية غرغياس الأولى — شاهد من ميليسوس وزينون — الموجود واللاوجود لا يشتهان . والحركة هي ممكنة — شاهد من مقالات لوكيبس — نقض نظرية غرغياس الثانية على امتناع العلم . ونقض النظرية الثالثة على امتناع نقل العلم بعد كسبه — إيذان بأن نظريات الفلاسفة القدماء ستدرس بعد دراسة خاصة ٣١٧
- قطع من ميليسوس ٣٢٥
- تحليل نظرية غرغياس لسكستوس أمپيريكوس ٣٣٢

مقدمة المترجم

بارتلمى ساتتهيلير

(أصول الفلسفة الإغريقية)

هذان الكتابان اللذان جمع بينهما في هذا السفرهما رحلة على مدرسة إيليا التي هي من أقدم مدارس الفلسفة اليونانية — مهد الفلسفة هو في مستعمرات شواطئ آسيا الصغرى : طاليس وفيثاغورث وإكسينوفان ... الخ وسابقوهم الحقيقيون بالإعجاب هوميروس وسافو ... الخ — علم الفلك والرياضيات والارنج والطب ... الخ — الاتحادات الثلاثة : الأيوليون في الشمال ، واليوتان في الوسط ، والدوريون في الجنوب — جملة الحوادث الكبرى التي تدخل في أمرها الفلاسفة من طاليس إلى ميليسوس من السنة ٦٢٠ الى السنة ٤٣٠ قبل الميلاد — حرب يونيا مع ليديا ومع مملكة الفرس — الوسائل المادية التي كانت عند الأقدمين لكثابة المؤلفات — الكتب من طاليس الى زمن أرسطوطاليس — شهادات هير ودوت وطوكوديدس وإكسينوفون وأفلاطون وأرسطو — الاستعمال العام لورق البردي المصري — صنع الورق على قول بلاين — رسائل شيشيرون — إيضاح هذه الحوادث — ورق البردي المحفوظ في دور الآثار عندنا (فرنسا) — محابر وأقلام الكتبة التي يرجع تاريخها على الأقل الى نحو خمسة وعشرين قرنا — أولية الفلسفة اليونانية — كونها لاتدين بشيء للشرق — المقارنة بينها وبين الفلسفة الهندية — خلاصة القول على مدرسة إيليا — المعنى الحقيقي لنظرية الوحدة .

جمعت عمدا بين هذين الكتابين في هذا السفر لأنهما ، كما يظهر لي ، يعبران كلاهما عن أفكار من قبيل واحد . ففي أولهما يعني أرسطو بإيضاح كيف تكون الأشياء وكيف تنتهي ، خلافا لمذهب وحدة الوجود ولا تغيره . وفي ثانيهما المناقشة بعينها موجهة مباشرة الى ممثلي مدرسة إيليا : إكسينوفان ومؤسسها ، وميليسوس حافظ مبادئها حتى العهد الذي قام فيه سقراط يبدل بالتردد القديم فلسفة جديدة حاسمة . فالفكرة في الكتابين متماثلة ، ولا فرق بين أحدهما وبين الآخر إلا في الشكل فقط . فهنا توضيح عام لمبدأ ، وهناك نقض خاص للمبدأ المناقض . وسنعود بالاختصار

في آخر هذه المقدمة الى تقدير قيمة هذين الكائين اللذين يستأهلان أن يُعرفا أكثر مما هما الآن . ولكنى أُرغب بدياً في أن أبين بقدر ما أستطيع من البيان ماذا كانت الحركة الفلسفية التي شاطر فيها إكسينوفان وميليسوس ، سواء في إحداثها أو في آتباعها .

إكسينوفان وميليسوس كلاهما من الأسماء البعيدة القدم . ومن الصعب لأؤل نظرة الاقتناع بأن درسهما يبعث اهتماماً جدياً هذه الأيام . هذان الفيلسوفان كانا يعيشان في القرن الخامس أو السادس قبل الميلاد . وعلى هذا المدى فليس إلا التنقيب وحده ، فيما يظهر ، هو الذي ما زال يوليها العطف الذي انقضى زمانه ، ويستقصى مذهبهما المنسية منذ زمان بعيد . لست أقصد في الحق الى انتقاد التنقيب ، ولكنى أدرك ما يثير نأثره من التحامل البادر عند ما يتوغل في درس تلك الأزمان البعيدة إذ تتعدم المراجع الوثيقة فلا يبقى لنا من أعيانها إلا آثار لا صور لها . على أنى في هذا الموطن أكثر مما في سواء أسأل أن يصغى الى التنقيب لحظة . فان الموضوع الذي يحاوله فيما يتعلق بإكسينوفان هو موضوع من أهم موضوعات تاريخ العقل البشرى وأكثرها حيوية .

إنه ليس أقل من أن يكون ميلاد الفلسفة في هذا العالم الذى نحن منه .

أما من جهة الفلسفة الشرقية فاننا لا نعرف ، بل ربما لن نعرف أبداً من أمرها شيئاً معيناً بالضبط فيما يخص بعصورها الرئيسية وانقلاباتها . فان أزميتها وأمكتتها وأهلها تكاد تعزب عنا على سواء . إنها مستعصمة دون إدراكها ، مدعاة للشكوك لما يفشاها من كثيف الظلمات . حتى لو عرفنا منها هذه التفاصيل مع الضبط الكافي لما أفادنا ذلك إلا من جهة إرضاء رغبتنا في الاطلاع دون أن يتصل بنا أمرها كثيراً . إن الفلسفة الشرقية لم تؤثر في فلسفتنا . ومع التسليم بأنها تقدمتها في الهند وفي الصين وفي فارس وفي مصر فاننا لم نستعز منها كثيراً ولا قليلاً . فليس علينا أن نصعد اليها لنعرف من نحن ومن أين جئنا . والأمر على الضد من ذلك مع الفلسفة الإغريقية ،

إننا بها نتصل بالماضى الذى منه خرجنا . وعلى الرغم من عمالية الكبرياء التى هى فى الغالب جانبية الكفران يجب علينا ألا ننسى أبدا أننا أبناء إغريقيا . إنها أمتنا فى جميع أمور العقل تقريبا . فلئن ساءلنا أوائلها فإنما نسائل أصولنا . فن طاليس ومن فيثاغورث ومن إكسينوفان ومن أنكسأغورأس ومن سقراط ومن أفلاطون ومن أرسطوطاليس الينا لا يوجد إلا فرق الدرجة . نحن جميعا فى طريق واحد مستمر من قرون عديدة، ومتصل بلا انقطاع لا يتغير اتجاهه، بل يصير على مرور الزمان أكثر طولاً وأبهى جمالا . والظاهر أننا لا نخجل من الانتساب الى أمثال هؤلاء الآباء . وكل ما علينا هو أن نبقى حقيقين بنوتهم بأن ندرج على سنتهم .

قد أمكن القول، لامن غير حق، بأن الفلسفة ولدت مع سقراط^(١) . والواقع أن لهذا الرجل العجيب من المقام ما يسمح بأن يسند إليه هذا الشرف العالى، بأن يقرن اسمه بهذه الحادثة الكبرى . ولكن سقراط بتواضعه المعروف ما كان ليقبل هذا الحمد، فانه كان يعلم أكثر من كل إنسان أن الفلسفة قد كانت تنشأ من قبله بنحو قرنين إلى أن جاء فأفاض عليها قوة وجمالا لم يفارقها بعده . لم يكن مولد الفلسفة فى آتينيا بل فى آسيا الصغرى ، لأنه يجب تأخير هذه الحادثة مائتى عام انى الوراثة تقريبا، إلا أن تمحى من التاريخ تلك الأسماء العظام الأولى التى ذكرتها . إن التقدم الذى افتتح سقراط بابه لم يكن إلا استمرارا لا ابتكارا وإبداعا .

كل الأصول غامضة بالضرورة . يجهل المرء نفسه دائما فى أول الأمر . وإن تعترف سنة هذه القرون الأولى مقرون بالشك الذى يلحق أيضا الحوادث ذاتها التى مرت كأنها غير محسوسة . ومع ذلك اذا لم يلتزم هنا الضبط غير الممكن فان أوائل الفلسفة اليونانية يجب أن تظهر لنا أجلى من أن يدعو للشك فى أمرها سبب محسوس .

(١) راجع مقدمة تاريخ الفلسفة لفكتور كوزان فى الدرس الثانى من دروس سنة ١٨٢٨ والتاريخ

كان طاليس من ملطية، وقد حقق التاريخ وجوده في جيش أحد ملوك ليديا نحو آخر القرن السادس قبل المسيح. وبعده بقليل جاء فيثاغورث الذي بعد أن عاد الى وطنه سموس إثر سياحات طويلة فتر منه اتقاء لظلم بوليقراطس الذي كان يضطهده، وذهب يحمل مذهبهم على الشطوط الشرقية لإغريقيا الكبرى إلى سيارس وقروطن. أما إكسينوفان فإنه لأسباب أشبه بالمتقدمة نزع عن كولوفون. ولما أجمع ببعض المهاجرين من فوكاية، الذين هم بين أنياب الأخطار قد وجدوا آخر الأمر موئلا على شواطئ البحر الترهيني في إيليا (هيلا أو فيليا)، أسس في هذه المدينة الحديثة العهد وقتئذ مدرسة شهرت ذكراها.

أصرف القول الآن الى هؤلاء الثلاثة العظماء الذين كانوا جميعا رؤساء مدارس خالديات، وإن كالا نعرف منها إلا الشيء القليل: مدرسة يونيا، ومدرسة فيثاغورث، ومدرسة إيليا. وعمما قريب أستطيع أن أضم الى هذه الأسماء طائفة من أسماء آخر، لا يستطيع تاريخ الفلسفة أن يغفلها كما لا يستطيع إغفال الأولى.

ولكني، لا لشيء غير الفكرة في أمر طاليس وفيثاغورث وإكسينوفان، أشعر بأمر يسترعى نظري، إنهم ثلاثتهم من هذا الجزء من العالم الهليني الذي يسمى آسيا الصغرى وإنهم تقريبا متعاصرون. إن ملطية التي هي في القارة، وسموس في الجزيرة التي بهذا الاسم، وكولوفون في شمال إيفيزوس بقليل، تكاد لا تتجاوز الأبعاد بينها خمسة وعشرين فرسخا.

على هذه المسافة الضيقة وفي وقت واحد تقريبا تجدد الفلسفة مهدها المجيد. لكيلا نخرج من هذه الحدود في المكان والزمان والموضوع نضيف الى هذه الثلاثة الأسماء: طاليس وفيثاغورث وإكسينوفان، أسماء أنكسيمندروس وأنكسيمينس اللذين هما أيضا من ملطية، وهيرقليطس الذي هو من إيفيزوس، وأنكساغوراس من كلازومين غربى أزمير قليلا في خليج هيرموز. وأذكر اسم لوكيبس وديموقريطس اللذين ربما كانا من ملطية أيضا أو من أدير مستعمرة طيوس، واسم ميليسوس

الذى هو من سموس كفيثاغورث . وفوق ذلك أضيف الى هذه الأسماء أسماء بعض الحكماء الذين هم أقل استنارة من الفلاسفة ولكنهم ليسوا أقل منهم احتراماً . فمنهم بطاقس من ميثيلين فى جزيرة لسبوس وهو رفيق سلاح للشاعر ألقايوس فى محاربة الطغيان ، وقد نادى به مواطنوه ديكاتوراً عليهم فابث فيهم عشرة أعوام يعمل صالحاً ثم نزل عن الديكتاتورية . ومنهم "بياس" من "پريلنة" الذى اوتبع الاتحاد اليونانى ما قدمه له من النصيح لنجا كما ذكر هيرودوت . ومنهم ايزوبس الذى أقام طويلاً فى سموس ثم فى سرديس عند كرىزوس ، ذلك المولى الفريجى الذى لا ينبغى للفلسفة أن تنسى ذكره فى عداد ذويها ، والذى لم يستنكف سقراط من أن ينظم حكاياته شعراً^(١) .

وأذكر كذلك أسباسيا من ملطية التى حدث عنها أفلاطون فى كتابه المينكسين ، والتى كانت تتحدث الى سقراط ، والتى كانت تعطى لپيركليس دروساً فى البلاغة كانت تؤلف منها أحيانا الخطب السياسية ، والتى خصص لها رفائيل محلاً فى مدرسته الآتية .

من ذلك يرى أن تيديمان الأريب كان محققاً حين كنى آسيا الصغرى بـ "أم الفلسفة ووطن الحكمة"^(٢) . هذه الأحداث القليلة التى جئت على ذكرها والتى يمكن أن يضاف إليها كثير من أمثالها كافية فى إثبات هذه الحقيقة . منذ الآن متى عرض حديث منشأ الفلسفة فى عالمنا الغربى — بالمقابلة للعالم الآسيوى — عرفنا لمن هو ذلك المجد ، وإلى من يجب أن يسند عدلاً .

يكفى قيل من النظر للعلم بأن من الممتنع أن تنمو الفلسفة بذاتها وحدها . من البديهى أن جميع عناصر العقل يجب أن تبلغ نماءها قبل التأمل . لأن التأمل المرتب على نمط معين لا يظهر إلا متأخراً وبعد سائر الملكات الأخرى .

(١) فيدون لأفلاطون ترجمة فكتور كوزان ص ١٩١ و ١٩٣ .

(٢) تيديمان (روح الفلسفة النظرية) سنة ١٧٨١ ج ١ ص ١٣٩ النسخة الألمانية .

وليس بي حاجة إلى التبسط في بيان هذه الحقيقة المشاهدة في الأمم وفي الأفراد على السواء . وأقتصر على أن أقرر أن مجرى الأمور في آسيا الصغرى لم يكن مختلفا عنه في غيرها . فان الفلسفة على هذه الأرض المخصصة لم تكن نبئا منفردا ولا ثمرة غير منتظرة . وقليل من الكلمات يكفى في التذكير بأنها كانت هي المنطقة المهمة لهذا الإنتاج الشريف . وما على إلا أن أسرد أجمل الأسماء وأحقها باعتراف الناس .

في رأس هذه الطائفة اسم هوميروس الذى ولد وعاش يقينا على شطوط آسيا الصغرى وفي جزرها قبل الميلاد بنحو ألف عام . وماذا عسى أن أقول في قصائده وكيف أوفى عبقريته مدحا وثناء . كل ما أقرر أن هوميروس لا يقصر أمره على أنه أكبر الشعراء بل هو أعمقهم فلسفة . وإن بلدا ينتج باكرا أمثال تلك البدائع لحقيق بأن ينتج بعد ذلك عجائب العلم والتاريخ .

بعد هوميروس أقص نبالينوس الإيفيزوسى الذى هو حربى مثل طورطائس والذى شهد وقت إغارة القميريين وشدا بها في شعره . ثم ألكان السردى الذى حق له أن يعلم لقدمونيا وطن لوكورغس ويبرها على ما بها من جفاء . وأرخيلوخس الباروصى وألقابوس اللسبوسى ذى الرابة الذهبية كما قال هوراس . وسافو الميتيلينية أو الإيريزية التى لا يكاد يستحق أحد الثناء أكثر منها إلا هوميروس^(١) . ثم ميمترميس الأزميزى شاعر انتصارات يونيا على الليديين . ثم فوكليديس الملطى الذى حمل الشعر قواعد الأخلاق . ثم أنا كريون الطوسى . وقريب من الشعراء تربندرس اللسبوسى مبدع الموسيقى وواضع طرائقها الثلاث الأصلية : الليدية والفريجية والدورية . ويمكن أن نضيف الى هؤلاء أريون الشاعر الذى هو من لسبوس مثل تربندرس .

(١) ر . كتاب فيلين على عبقرية بندارس ١٠١ وما يليها . ر . أيضا تاريخ الآداب الإغريقية

الذى ألفه أوتفريد مولر . ترجمة إيليراندج ١ ص ٢١٨ وما يليها .

ذلك في الشعر . وكَم الى جانب الشعر من الكنوز التي لا تقل عنه في نفاستها وان قلت عنه في البهاء : علم الفلك والجغرافيا أبداعهما أنكسيمندروس وسكولا كس من كاروندا على خليج يسوس . والرياضيات التي أبداعها فيثاغورث وتلاميذه أسلاف أرسطارخس السموسى معلم أرخميدس وهيبارخس الرودى . والتاريخ أبداعه إكسنطس السردى وهيكاتيوس الملقى وهيلانيكوس الميتلينى ، وعلى الأخص هيرودوت الهاليكارناسى الذى لقب منذ زمان طويل أبا التاريخ . وبودى لو أعطيه لقباً آخر لو وقفت الى لقب أجمل من هذا وأدخل منه فى الحق . والطب انتقل من جزيرة سموس الى كورينا وقروطن ورودى وكينيدس قبل أن يقتر قراره فى قوص بفضل بقراط الذى لا يقل عظما فى فنه عن هوميروس فى شعره . وفن عمارة المدن أبداعه هيروداموس الملقى الذى كان مع ذلك كاتباً سياسياً حلل مؤلفاته أرسطو فى كتابه " السياسة " (ك ٢ ب ٥) . وفن الحفر والصب أبداعهما تيودور السموسى ابن روكوس . وفن التعدين أبداعه الليدون ... الخ .

أقف هنا لكيلا نجاوز بهذا التعديد الخاف أبعده مما ينبغى . ولكنه يجب التنبيه الى أن هذا الحصب البالغ حد الإعجاز لم ينه بانقضاء تلك الأزمان التي ذكرناها . فان تيوفراسط هو من ايريزا ، وأيقور ربى فى سموس وكولوفون ، وزنون نخر الرواق ولد فى كتيون من قبرص ، وايفورس من كومة ، وتيو بومبس من شيوز ، وبرهاسيوس وأپيلس من إيفيزوس وكولوفون ، وإسترابون من أماسية على البحر الأسود) مستعمرة إحدى المدن اليونانية من الشاطئ الغربى لآسيا الصغرى ... الخ الخ .

تلقاء هذا المجد السامى الذى لم يحه ما ظهر بعده لا يسعنى إلا أن أقف مأخوذاً أتساءل : هل عرف الناس أن يوفوا هذه العبقرية وهذا الكمال وذلك الإبداع حقوقها من الإعظام ؟ لا أظن ذلك . وتلك فى رأينا داعية الى تعديل تاريخ هذه

المستعمرات الإغريقية من آسيا الصغرى في بعض أجزائه على الأقل . تلك المستعمرات التي ندين لها بكل شيء . ولكنني إذا قريت هذا العمل وحاولت هنا عجالة فذلك لأرفع ظلما مرت عليه القرون لضيق دائرة موضوعي ، بل ليحسن فهم الناس لتلك الحركة الخارقة للعادة والتي هي فذة في تطور العقل الانساني ، ولأبين حق واضعي الفلسفة وآباء العلم .

لذلك أعرض ، دون مجاوزة الحدود المشروعة ، ماذا كانت هذه المستعمرات التي نزلت من إغريقيا على شواطئ آسيا الغربية قبل المسيح بأحد عشر أو اثني عشر قرنا ، وماذا كانت الحوادث السياسية الرئيسة التي اعتورت تلك الأصقاع مدة قرنين اثنين من عهد إكسينوفان الى ميليسوس ، ومن طاليس الى حرب بيلوبونيز . وسنرى أن فلاسفتنا أخذوا بقسط وافر من هذه الحوادث بل صرفوها في بعض الأحيان مع أنهم في الغالب كانوا لختها صابين .

وإني راجع في كل ما أقدم من القول الى هيردوت وطوكوديدس وإكسينوفون وما حفر على رخام پاروص أورخام آرونديل^(١) .

كانت المستعمرات الإغريقية على شواطئ آسيا الصغرى مقسمة الى ثلاثة أجناس متميزة تؤلف اتحادات منفصلة : الأيوليون في الشمال ، واليونان في الوسط ، والدوريون في الجنوب . يقطن هؤلاء وهؤلاء أوطانا متقاربة المساحة . فأما الأيوليون الذين هم أول من هاجر من الوطن الأصلي المشترك فانهم حطوا رحالهم واستوطنوا آسيا بعد فتح طروادة بقرن تقريبا إذ طردوا من بيلوبونيز عند إغارة الهيرقليديين . وأما اليونان فقد جاءوا بعدهم بأربعين سنة تقريبا . وأما الدوريون فكانوا آخر المهاجرين .

(١) من بين المؤرخين الحديثين أستند على الخصوص في تاريخ إغريقيا الى ج جروت الذي هو أتم

كان الأيوليون الذين هم أقل الشعوب الثلاثة شهرة وأضعفها امتيازاً يقطنون اثنتي عشرة مدينة^(١) وهي كومة فريكيون، ولاريسا فريكيون، ونيونتيكوس، وطمنوس، وكيلا، ونوسيون، وإيفيروسا، وبيطاني، وأيغاي، ومورينا، وغروناي، وأزمير. ولكن هذه المدينة الأخيرة قد نزلت من أيديهم وأضيفت إلى الاتحاد اليوناني بفضل الذين نفوا من كولوفون والتجؤوا إلى أزمير واستولوا عليها في غفلة من أهلها. وقد ضاع من أيدي الأيولين أيضا بعض المدن الأخرى التي أسسوها على جبال إيذا. وكان لهم خارج القارة خمس مدائن بجزيرة لسبوس، وواحدة بجزيرة طنطوس، وأخرى في مجموع الجزر الصغيرة التي كان يطلق عليها اسم مائة الجزيرة منذ زمان هيرودوت. ولم يكن للمدائن الأيولية من الاسم إلا الخمول. وكانت أرض أيوليس أحسن من أرض يونيا ولكن جؤها كان أقسى من جؤها الأخرى خصوصا في سرعة القلب.

وأما اليونان فكان لهم اثنا عشرة مدينة كلها على التقريب مشهورة. وهي: ملطية وميوس وپريندة في قاريا، وإيفيروس وكولوفون وليبيدوس وطبوس وكلازومين وفوكاية في ليديا وإروطراي على اللسان الذي يكونه جبل ميماس. وكان لهم جزيرتان: سموس في الجنوب، وشيوز في الشمال. ومن الغريب أن اليونان كان لهم أربع لهجات متباينة جد التباين: لهجة سموس وكانت لا تشابه واحدة من الثلاث الأخرى، وملطية وميوس وپريندة كان لها ثلاثها لهجة واحدة. ولابدن الست الأخرى لهجتها، وكان أهل شيوز وإروطراي يتكلمون بلسان واحد.

أما الدوريون الذين جاءوا بعد الآخرين فكان قرارهم في الجزء الجنوبي، وليس لهم إلا ست مدن نزل عددهم إلى خمس بعد قليل، وهي: لندوس، وباليسوس، وكاميروس في جزيرة رودس، وقوص، وكنيدس، وهاليكارناس. على أن هذه المدينة

(١) أتبع في ذكر هذه المدن الترتيب الذي وضعه هيرودوت. ولكن أخذنا من الجنوب إلى الشمال

يجب أن ترتب هكذا: طمنوس، نيونتيكوس، لاريسا، كومة، أيغاي، مورينا، غروناي، بيطاني، كيلا، ولا يعرف مكان الأخيرتين.

الأخيرة قد عززت عن الاتحاد الدوري عقابا لها على أن أحد أهلها كان أتهم باتهاك بعض الحرمات المقدسة .

كل واحد من هذه الاتحادات الصغيرة كان له معبد جامع مشترك يجتمعون فيه : فللدوريين معبد طريوبيون ، ولليونان معبد نبتون هاليكوني على رأس موكالي في مواجهة سموس تقريبا، وفي هذا المعبد كان يجتمع مجلس الاتحاد اليوناني المسمى بانينيون والذي كان يرأسه دائما شاب من شبان بريئة . ولا يعرف بالضبط معبد الأيوليين . كانت هذه المعابد لإقامة الأعياد الدينية عادة، غير أنهم في الظروف الخطيرة كانوا يتداولون فيها في أمر أخطار الحلف وفيما يمس منافعهم الكبرى .

لم تك هذه المستعمرات لتشغل جغرافياً إلا مساحة ضيقة . فلو أن شمرة المدائن والممالك كانت تقاس بمقدار امتدادها لظلت هذه المستعمرات مجهولة في التاريخ، فإن مساحة المستعمرات الأيولية واليونانية والدورية لا يكاد يتجاوز مجموعها ٧٠ فرسخا في الطول على ١٥ أو ٢٠ فرسخا في العرض، أى أقل من ثلاث درجات في خطوط الطول وأقل من درجة في خطوط العرض . ومساحة لسبوس خمسة عشر طولا على خمسة عرضا . وسموس لا يبلغ محيطها ٣٠ فرسخا . وشيوز أكبر منها قليلا .

ومن الطبيعي أن أهتم بأمر اليونان أكثر من الآخرين ، فإنهم كانوا أكثر نشاطا وحثقا في الملاحة والتجارة والسياسة والفنون والعلوم والآداب . ومن الأهم كثيرة العدد من كان أثرهم أقل ألف مرة من أثر اليونان .

لما ترك اليونان أشاية الواقعة شمال پيلوبونيز على خليج كريسّا كان لهم فيها اثنا عشرة مقاطعة أو مدينة . واستصحابا لتذكار وطنهم الأول لم يشاءوا ان يؤسسوا في آسيا من المستعمرات عددا أكثر مما كان لهم في إفريقيا . ولما طردهم الدوريون الذين أغاروا على پيلوبونيز من الشمال اجتازوا برزخ كورنتة واحتموا الى أجل ما على الأقل في أطيقا، وهي الملجأ العادي لجميع المنفيين كما نبه إليه طوكوديدس

في مقدمة تاريخه . وعمّا قليل ضاقت أطبقا القليلة الخصب ذرعا بأهلها وأضطّر نازحو أشاية الى البحث عن ملجأ آخر . وصادف وقتئذ أن قدروس مات ميتة الأبطال دفاعا عن وطنه ، ولما ألقى نظام الملوكية لم يتيسر لأبنائه أن يقيموا في بلد انقطع فيه رجائهم من ميراث أبيهم ، فرأسوا المهاجرين في هجرتهم . فأما نيلاؤس فولّى وجهه شطر ملطية ، وأما اندركلوس فاتجه الى إيفيزوس . ولو صدّقنا رخام پاروص لقلنا إن نيلاؤس هو الذى أسس المدائن الاثنتى عشرة اليونانية وأسس رابطة اتحاد تحت ظل الدين هى البانيونيون الذى لم يكن بعد من القوة على ما كان يرجو مؤسسه .

يظهر أن المهاجرين الذين اقتفوا آثار ابني قدروس كانوا خليطا ولم يكونوا من صميم اليونان كما يمكن أن يظن . فإن الذين أتوا من أشاية الى أطبقا اختلطوا فيها بأجناس مختلفة مختلطة جدّ الاختلاط ليس بينهم وبين اليونان جامعة مشتركة بل لا يشابه بعضهم بعضا ، انما كانوا أبانطة من أوبويا ، ومنجيين من أرخومنوس ، وقدميين ودريوبيين وفوكيين ومولوس وأرقديين وبلاسيجة ودورين من أبيدورس وطائفة من أجناس أخرى . وكان كل هؤلاء الرّحل يعامل بعضهم بعضا على حدّ المساواة ، ومع ذلك كان اليونان الذين هم من نسل شيوخ آتينا يعتبرون أشرف هذا الخليط وإن كان ذلك لم يستتبع أية مزية عملية . وإن تلقيهم بلقب "اليونان" كان في ذلك الحين وفيما بعده أيضا قليل الرفعة ، فكان الآتينيون ينجلون منه ، وكان الملطيون في أوج قوتهم يحبون أن ينفصلوا من بقية هذا الاتحاد الذى كان دائما قليل الاحترام . وأما اليونان فكانوا من جهتهم أيضا يفخرون بأصلهم و يقيمون مثابرين الأبتوريا الآتينية ، تلك الأعياد الخاصة بالعائلة و رابطة الأخوة الشعبية التى كانت موجودة في آتينا ، ماعدا أهل كولوفون وإيفيزوس فإنهم حرّموا على أترقيل حرام ارتكبهوه .

لم تكن المهاجرة هينة ولو أنه كان يرأسها أبناء ملك . فلم يحمل المهاجرون الى ملطية معهم نساءهم واتخذوا زوجات بالإكراه ، بل عمدوا الى القاريين فذبّجوا منهم

الآباء والبعول والأولاد ، واستحيوا النساء واتخذوهن زوجات لهم ؛ ولكنهن
انتقمن لأنفسهن فأقسمن الأيمان على ألا يطعمن مع غاصبين طعاما ولا يدعونهم
أزواجا حتى لا يُدْفَنهم حلاوة هذا الدعاء ؛ واستنت بناتهن هذه السنة مع أزواجهن
عدة أجيال .

والواقع أن البلد الذى احتله المهاجرون كان محظا قبلهم زمانا طويلا . فقد كان
فيه ، غير أهليه ، خليط من البلاسجة والتوكريين والموصيين والبيثونيين فى الشمال ، ومن
الفريجيين والليديين والمايونيين فى الوسط ، ومن القارين والليليج... الخ فى الجنوب .
وكان هؤلاء قبائل منقسمين على أنفسهم أكثر مما هو الشأن فى الإغريق ، ولو أنهم كانوا
يقربون القرايين بالاشترك ؛ مثال ذلك قراينهم الى "مولاسا" فى معبد "المشترى"
القارى . فى أوائل الأمر لم تكن الممالك التى كمملكة ليديا قد اتخذت نظمها بعد .
ولو أن الليديين لما زحزحوا بعد ذلك الى الوسط نشروا سيادتهم بادئ الأمر على تلك
الجهات الى الشواطئ ، وبعثوا منهم طوائف المستعمرين الى إغريقيا الكبرى والى
أمبريا وعلى شواطئ البحر الترهينى . وأما الموصيون الذين كانوا الى شمال ليديا
وغربها فكانوا أنزع هذه الأمم الى الحرب . والفريجيون الذين هم أكثر توغلا
فى الجهة الشمالية من هؤلاء كانوا يُثرون من تربية القطعان ، يبيعون من أصوافها
وأجبانها ولحومها المملحة بأثمان عالية جدا فى أسواق ملطية . وكان الليديون
مشتغلين على الأخص بصناعة المعادن ، لأن نصف أرضهم بركانية تخرج الذهب
والفضة والحديد والنحاس ... الخ . وكانت أخلاق الفريجيين والليديين أخلاق تهيب
وحياء ، ومن بلادهم يأتى أكثر العبيد .

ومع أن اليونان جاءوا الى آسيا بالبحر فلم تكن تظهر عليهم المهارة فى فن الملاحة .
وعلى قول طوكوديدس لم يكن تفوق البحرية اليونانية حقيقة إلا تحت حكم
قيروش وابنه قمبيز ؛ ومع ذلك فقد كان شأنهم أن أقبلا بجد على أن يتلقوا دروسا
عن الكورنتيين الذين كانوا وقتئذ أعلم الناس بإنشاء العمارات البحرية وانتفعوا بتلك

الدروس . على أنهم قد ألبأهم الحاجة منذ بداية أزمانهم الى التزام الشواطئ في ملاحظتهم . كانت هذه المدائن التي تستجلب كل شيء من داخلية البلاد لا تستطيع أن تحصل على الثراء إلا بتجارة كبرى في الصادرات والواردات . فكانت كبنوك ومراكز معاوضات بين الأهالي والبلاد التي كان يأتي منها الأجانب . فلم يمض على هذه المدائن زمان حتى ظهرت ثروتها على صورة رائعة . ولما أزدحمت بالسكان وفاضت بالثراء استطاعت أن تنشئ أساطيل قوية ، وعمرت كل شواطئ البحر الأبيض المتوسط شمال إفريقيا حيث كان لصور وسيدون من قبل منشآت في إغريقيا الكبرى وصقلية وفي بلاد الغالة وفي أسبانيا أمام عمدهيرقليس وفيما وراءها ، وعلى الأخص في القسم الشمالي لبحر أياغى وفي هيلسبنتس ، والبروبونتيد ، بل في البحر الأسود الذي كان يسمى وقتئذ " البحر " ، حتى لقد قيل إن ملطية وحدها كان لها خمس وسبعون أو ثمانون مستعمرة .

هذا البناء الأول للمستعمرات الإغريقية بأسيا الصغرى ، وعلى الخصوص المستعمرات اليونانية ، غير معروف إلا قليلا مع أنه استمر على الأقل ثلاثة قرون أو أربعة ؛ فإن التاريخ لم يتدئ حقا إلا حين دخلت المدائن الهلينية الحرب مع المملكة الليدية أي حوالي القرن الثامن قبل الميلاد ، أعنى من عهد حكم المرمادة .

روى هيرودوت على طوله تاريخ جوجيس الذي ارتقى عرش ليديا بقتله قندولس ملكها . وهذه الحكاية ليس عليها إلا مسحة الصدق وان كانت ليست مطابقة لرواية أفلاطون التي هي بالبداهة أسطورة . فإن غضب الملكة زوجة قندولس وغدر جوجيس عشيقها ليس فيه شيء من المستحيلات . وأما حكاية الخاتم فليست إلا أسطورة عامية وجدت بعد ذلك بكثير على صورة أخرى في "ألف ليلة وليلة" . ولقد حدث أرخيلوخس وهو معاصر لقندولس وجوجيس عن ذلك العسكري الذي صار ملكا وعن إقدامه وظفره في إحدى القطع الشعرية

(١)

التي كان لا يزال يقرؤها هيرودوت. وقد انتهت بموت قندولس العائلة الليدية الأولى التي تدعى أنها سلالة هيرقليس، والتي دام ملكها خمسمائة وخمسة أعوام مدة اثنين وعشرين جيلا من عهد نصف الإله الذي وصلها بنسبه كبريائها. وكان جوجيس هو أول الدولة الثانية دولة المرنادة.

افتتح جوجيس في أول القرن السابع قبل الميلاد عهدا جديدا، إذ أخذ يغير على المدائن الإغريقية ملطية وأزمير وكولوفون. وربما كان الحامل له على ذلك أنه أراد أن يبرر اغتصابه للملك ومطاعة لبعض الضرورات السياسية، في حين أن ليديا كانت وقتئذ بينها وبين الإغريق، خصوصا إغريق القارة، علاقات أقرب ما تكون إلى السلام.

وقد كان جوجيس، كسائر الإغريق في آسيا وفي غيرها، يعتقد وحى دلفوس ويخضع له. ولما كان محاطا بالمكاييد من كل ناحية منذ تبوئه العرش، وخائفا من سخط الليديين الذين كانوا شديدي التعلق بالملك الذي ذبحه، أراد أن يدخل الإله في قضيته، فاستشاره وقدم إليه الهدايا الغالية. وقد أقر الإله هذا الغاصب القاتل على عمله. ولكن بوثيا كاهنة دلفوس كانت قد أنبأت بأن عائلة هيرقليس سوف ينتقم لها من شخص الولد الخامس من ذرية جوجيس. وكان هذا الخليفة الخامس هو كروزوس السيئ البخت المشهور بمصائبه أكثر من شهرته بكنوزه التي تضرب بها الأمثال. ولكن لم يك جوجيس في أوج ملكه ولا الليديون في سخطهم ليعبثوا بإنذار الكاهنة، وملك ذلك العسكري الزاني القاتل ثمانية وثلاثين عاما آمنا مطمئنا ما عدا حروبه مع مدن الشاطئ. والظاهر أن ملطية وأزمير وكولوفون سآمت له وخضعت لسلطانه.

وقد حكم أردوس خلف جوجيس أكثر منه أيضا أي مدة تسعة وأربعين عاما. فاستولى على بريينة وهاجم ملطية بلا جدوى لأنها استطاعت رد هجماته. وخلفه ابنه سدواتيس، فلم يمكث على العرش إلا اثني عشر عاما ومات، وكانت سنوه

(١) ر. هيرودوت ك ١ ب ١٢؛ وأنلاطون، الجمهورية ك ٢ ب ٦٩ ترجمة فكتور كوزان.

الست الأخيرة كلها مشغولة بحاربة ملطية كما كان يفعل أبوه . ولكن هذه المدينة التي لم يكن يستطيع أن يأتيها من البحر نجحت في الدفاع عن نفسها ، على رغم أن عدوها كان يهلك حرثها كل سنة وكان دائما على قدم الاستعداد ليكرر هجماته المخربة . وفي كل مرة حاول اللطيون الحرب في العراء كانت هنيمتهم أمرا مقضيا . وقد مزقهم العدو كل ممزق مرتين على أرضهم في ليمنيون وفي سهول مياندروس حيث صادف منهم غفلة وسوء احتياط .

وقد واصل أليات بن سدواتيس محاربة مدينة ملطية خمس سنين ، وكان يظن وقوعها في يديه بالقط وشيكا لولا أنه استشار وحى دلفوس ، كما كان يفعل أجداده ، بفتح لعقد الصلح معها . وساعد على ذلك مهارة طراسوبولس طاغية ملطية وقتئذ . إذ أنبأه جلية الأمر صديقه برياندروس بن كوسيلوس طاغية كورنتا ، فأخفى عن سفير ليدا حقيقة الحال السيئة التي وقعت فيها المدينة من جراء الحصار ، وأوهمه أن في باطن أسوارها من الأرزاق والذخائر ما لم يجتمع لها مثله من قبل . وبذلك آخذ أليات بما خبره به سفيره المخدوع وأمضى عهد ملطية في حين أنه لم يكن بينه وبين الاستيلاء عليها إلا القليل . وقد استمر هذا السلام الذي يرجع الفضل فيه الى الوحى ودهاء طراسوبولس زمانا طويلا . ووات أليات بعد أن حكم سبعة وخمسين عاما حكما مملوءا بالاضطراب . وفي هذا الزمن لم يقطع صلته الحسنة بكاهنة دلفوس . وقد اعتراه مرض طالت مدته ، فلما برئ باستشارة الوحى قدم الى إله دلفوس كأسا جميلة من الفضة قاعدتها من الحديد فنية الصنع صاغها جلوكوس الشيوزى مخترع ذلك النمط الحديث الذى بالغ الناس فى الإعجاب به .

لم تكن حرب ملطية هى الوحيدة التى أجاج نارها أليات ، بل استولى على أزمير مستعمرة كولوفون ، وهاجم مدينة كلابزومين الواقعة على مسافة قليلة الى الغرب فى الخليج بعينه ، ولكن كلابزومين ردتها عنها وحملت خسائر عظيمة . غير أن أليات أهم التوفيق وخدم آسيا كلها خدمة حقيقية بأن حول قواه الى محاربة القميريين

الذين استولوا في عهد جدّه أردوس على تلك الولايات الآمنة المخصصة . فإنهم لما طردهم السيتيون الرّحل من مواطنهم اضطروا الى التزوح جهة الجنوب ونفذوا من قوقازيا وولّوا وجوههم جهة الغرب وجازوا هالوس وتقدّموا الى قلب آسيا الصغرى ، وكانوا قد دخلوا سرديس عاصمة ليديا على حين غفلة من أهلها وأحرقوها إلا القلعة القائمة على صخرة شاهقة يجرى من تحتها نهر يكتول فهى وحدها التى استعصت عليهم ، ثم ردّوا عن المدينة بعد ذلك ولكنهم ظلوا يهدّدون الأمن : يخيفون السابلة وينهبون الأماكن المجاورة ، حتى طردهم أليات من آسيا الصغرى ودرّهم الى الشرق وقذف بهم بين الأجناس السامية التى كانت حدود أوطانها تنهى الى هالوس . ومن يومئذ يظهر أن علاقته بهم صارت من السهولة والعطف بمكان .

لكن هذه العلاقات التى كانت بين ليديا وبين السيتين هى التى جرت على آسيا الصغرى جيوش الميديين ثم جيوش الفرس الذين هم أشدّ بأسا . فإن فصيلة من السيتين لما طردوا من إقليمهم القاسى المناخ هبطوا الى أرض ميديا فى الشمال الغربى من نهر الفرات ، فأحسن كواكراريس ملك الميديين وفادتهم ؛ ولم تقتصر حفاوته بهم على أن مكّن لهم فى وطنه ، بل دفع اليهم صبيانا من الميديين ليعلموهم لغتهم وليتعلّموا فى مدرستهم فن الرماية . ولكن بعض هؤلاء المتوحشين المقترين من ملك ميديا غاظهم منه شدّة فى قول وجهه اليهم ؛ فشفوا غليل صدورهم من هذه الإهانة بأن قتلوا الصبيان الذين هم فى رعايتهم واحتموا بمعية أليات ليتقوا شرّ العقاب الذى كانوا يتوقعون . فطلب كواكراريس تسليم الجناة وأبى ملك ليديا تسليمهم . ومن ذلك قامت بين الليديين والميديين حرب لم تحبّ نارها خمس سنين أو أكثر . وهذا السبب كان تافها جدا ، بل يظهر أن الخلاف قام على سبب آخر ، لأن الملكتين متجاورتان ؛ والاحتكاك بين أمم ما زالت متوحشة مثار خلاف لا يتقّى .

هنا أستوقف النظر لحادثة فى غاية الخطر من حيث تاريخ تلك الأمم ومن حيث تاريخ علم الفلك ومن حيث تاريخ الفلسفة جميعا : كانت تلك الحرب

في سنتها السادسة والتى الجمعان وجنودهم على أشد ما يكون التحام بين المحاربين ،
 وإذا بالشمس قد كسفت فغشيم ليل مظلم اضطهرم الى وقف القتال . ليس
 في هذه الحادثة ما يبعد احتمال وقوعها ، وليس من الغريب أن تأخذ ظاهرة من
 هذا النوع بالعقول مأخذا عميقا . غير أن هيرودوت الذى حفظ لنا ذكرها زاد
 على حكايتها أن طاليس الملطى كان قد تنبأ بهذا الكسوف الشمسى ونبأ اليونان به
 وبالسنه التى يقع فيها^(١) .

لا شبهة لدىّ في رواية المؤرخ تلك التى قد أفسحت من البحث محلا لنظريات
 كثيرة على غاية الخطورة . فقد بحث العلماء أخيرا في حساب هذا الكسوف
 بالآلات الفلكية التى بين أيدينا الآن والتى تكاد تكون معصومة من الخطأ رجاء تعيين
 تاريخ صحيح ثابت بين تلك الروايات المختلطة المشكوك فيها ، ولكن لم يمكن الإجماع
 على أمر علمى محض ولا الاهتداء الى الغرض المطلوب . فإن الأب يتوقد حسب
 أن هذا الكسوف ينبغى أن يكون قد وقع في السنة الرابعة من الأولمبياد الخامسة
 والأربعين ، يعنى السنة ٥٩٢ قبل الميلاد . وأما سان مارتان الذى هو آخر من عُني
 بهذه المسئلة فإنه وجد أن كسوفاكليا يرى في هالوس حيث ملقى الجيشين لا يمكن
 أن يكون إلا في ٣٠ سبتمبر سنة ٦١٠ ق م (ر . ر) مذكرات مجمع الرسوم الخطية
 والفنون الجميلة - السلسلة الجديدة - الجزء ١٢) وإذا يكون الفرق بين التقديرين
 ثمانية عشر عاما . ويمكننى أن أسرد آراء آخرين من المؤلفين الحديثين ليسوا أقل اختلافا
 من السابقين . أما بلاين عند القدماء فإنه عين هذا الكسوف بغاية الضبط في السنة
 الرابعة من الأولمبياد الثامنة والأربعين وفي السنة ١٧٠ من تأسيس روما^(٢) . وهذا
 التوافق المشكوك في ضبطه بين التاريخين يجعل ذلك الكسوف في سنة ٥٨٠ تقريبا .
 ولست أريد الدخول في هذه التفاصيل لأنى لأتطلع الى إمكان الفصل فيها وإستجلاء

(١) هيرودوت ك ١ ب ٧٤

(٢) بلاين . التاريخ الطبيعى ك ٢ ب ٩ ص ١٠٦ طبعة وترجمة ليرى .

غوامضها، بل أقف عند حدّ الرجاء في أن علم الفلك يستطيع أن يضع رأيا قاطعا في هذه المسئلة التاريخية .

أما المسئلة الأخرى التي أثارَت هذه الحادثة نائرتها فهي : أيكون من الممكن أن طاليس حسب حقيقةً هذا الكسوف وتنبأ به كما سمع بذلك هيودوت؟ شك المؤرخون الحديثون في ذلك . وفي هذه الأيام أنكر ج . جروت أن العلم كان وقتئذ من التقدّم بحيث يسمح بنبوءات مثل هذه وحسابات علمية الى هذا الحدّ . لا أبغى أن أعارض هذا المؤرخ وهو حجة ، ولكنني أنبه إلى أنه يؤخذ من رواية هيودوت عنها، صادقة كانت أو كاذبة، أنه في زمانه أي بعد طاليس بقرن تقريبا كان الناس يعتقدون إمكان حساب الكسوف . هذا وحده يكفي في إثبات أن العلم كان متقدما الى قدر الكفاية فإن مثل هذا الفرض يشهد بتقدّم هو غاية في الحدّ لأنه لأجل أن يقبل العامي إمكان حساب الكسوف ويصدّقه ويتحدّث به لا بد من أن يكون العلماء قد وفّوا الموضوع بحثا . ومما لاجدال فيه أيضا أن شهرة طاليس بين تلك الشعوب كانت من الرفعة بحيث إنهم نسبوا اليه من غير تردّد هذه المعجزة العلمية . ولقد قرر بلاين أن هيبّارخس الرودسي أمكنه أن يضع فهرسا لكسوف الشمس وخسوف القمر مدّة ستمائة عام . وفي زمن هذا الكاتب الروماني لم تكن الحسابات الفلكية لتخطئ مرة واحدة . حتى قيل : ” إن هيبّارخس كان يحضر مداولات الطبيعة “ . وكان هيبّارخس بعد طاليس بأربعمئة عام تقريبا . وربما كانت المسافة بين علم أحدهما وعلم الآخر متناسبة مع المسافة الزمنية بينهما ؛ لأنه ليس في يوم واحد يمكن الوصول الى نتائج علمية مضبوطة الى هذا المقدار . فلست أرى من المستحيل في شيء أن طاليس في عهد أليات قد فتح باب علم بلغ به هيبّارخس هذه الغاية البعيدة سنة ١٥٠ قبل الميلاد .

أعود الى ما كنا فيه :

بعد قليل عقد الصلح بين اللبيين والميدين بوساطة سونيزيس ملك كيليكيا ولا بينيوس ملك بابل . وزف أليات ابنته زوجة الى أصطياغ بن كوا كزاريس ، وأقسم الطرفان على احترام المعاهدة . واتباعا لعرف هذه الشعوب قد فصد سفراء الصلح من الجانبين أذرعهم ومص كل فريق من دم الفريق الآخر . ولكن هذه المحالفة التي عقدت على أكل ما يمكن من الإخلاص كانت طائر نحس على ليديا ، إذ جرّتها الى حرب جديدة انكسرت فيها وفقدت وجودها .

ذلك أنه لما مات الملك أليات خلفه ابنه كريزوس الذي قدر عليه أن يكون آخر ملك لجنسه وحققت بذلك نبوءة هاتف دلفوس . وكان كريزوس هذا الذي صار اسمه مرادفا للغنى أميرا من خير الأمراء المتنازين . ومع أنه كان شديد الإعجاب بكنوزه الوراثة التي جمعها أجداده الميرقليون والميرناديون لم يكن رجلا مترفا ولا ضعيفا كما يبدو للذهن عادة ، فيما كاد يلى الملك حتى فكر في أن يتم عمل أسلافه ويخضع نهائيا جميع المدائن الإغريقية على الشاطئ ، فتجنّى عليها بعقل مختلفة حقا أو باطلا بادئا فتحه بإيفيزوس ، وعمما قريب أخضع الى سلطانه كل المستعمرات إذ قهر يونيا وأيولس جميعا . ولكن كريزوس أحس أنه لم يصنع شيئا ما دامت الجزر خارجة عن قبضة يده ، فجهز أسطولا ليجاوز عليه بجيشه البحر ، ثم عدل عن هذه الغزوة التي هي قليلة الجدوى عند أمة كالليدين بنصيحة بياس الپريني ، وفي رواية أخرى بنصيحة بطاقس الميتليني ؛ إذ جاء الحكيم الى سرديس فسأله الملك عن ماجريات الحال في اجزائر ، فأجاب بياس : ” إن أهل الجزائر يتأهبون لمهاجمة سرديس في عشرة آلاف فارس “ . فأجاب كريزوس : لتشأ السماء أن يركبوا هذا الشطط . فقال الحكيم : ” أيها الملك لك الحق أن ترغب في أن أهل الجزر يرتكبون خطأ كهذا ، ولكن ما ظنك بما سيقولون من جانبهم عند ما تأتيهم الأنباء أنك تفكر في غزوهم من طريق البحر ؟ “ . ففهم كريزوس الدرس على مرارته ، وقنع بأن عقد عهد مخالفة ومودة بينه وبين يونان الجزر .

لما أرتاح كريزوس وأطمأن من هذه الجهة بحث في بسط سلطانه الى جهة الشرق وفي آسيا الصغرى ، وعمما قليل وضع يده على جميع الشعوب النازلة إلى هنا من نهر هالوس دون ماوراءه ، وهم الفريجيون والميزيون والمارياندينيون والخالوبس والبفلاغونيون وتراقيون وبيثينيا والقاريون والجمفيليون حتى الدوريون واليونان والأبوليون . ولم يفلت من قبضته إلا كيليكيا وليكيا في الجنوب . وكان نهر هالوس هو أحد الثلاثة أو الأربعة الأنهر التي تحدّد هذه البقاع المسماة آسيا الصغرى وترويهما ، فهو ينبع من جبال إرمينية ويسير من الشرق الى الجنوب الغربي وينفجر على نحو زاوية قائمة لیتجه من الجنوب الى الشمال فيصب في البحر الأسود شرقي سينوب وطن ديوجين . وبعد نهر هالوس ثلاثة أنهر أخر عظمة النفع لتلك الجهات لتقاسم بينها شبه الجزيرة ، جارية كلها الى الغرب وصابة في البحر الأبيض المتوسط يوازي بعضها بعضا تقريبا ، وهي المياندرس الذي يصب في خليج ملطية ، والقواصترس في خليج إيفيزوس ، والهرموز في خليج أزمير الى الشمال الغربي قليلا . وكان لكريزوس أن يفخر بأنه تفرد بالملك في آسيا الصغرى ، وأنه وصل بالملكة الليدية الى حد من رفاهة العيش وقوة البأس لم يكن لها مثله من قبل . ولكن ذلك هو في الواقع كان السبب في خرابها .

في هذه الأثناء حصلت تغيرات وأقلابات عظيمة في الشرق وفي البلاد المجاورة للمملكة الليدية المترامية الأطراف . فان قيروش خرب مملكة أصطياغ صهر كريزوس ، وقهر ملوك آشور ، وعاهد ملك هرقانيا ، وفكر في مهاجمة ليديا التي كان يظهر عليها أنها كانت متحدة مع أعدائه . وبعد أن بسط سلطانه على جميع البلاد شرقي نهر هالوس لم يكن هناك محل للتأخر عن عبور ذلك النهر ؛ كذلك لم يكن لقوة الفرس الهائلة مدفع عن أن تمتد الى البحر وأن تفتح شبه الجزيرة وكل ماتحويه من الشعوب سواء في ذلك البرابرة والإغريق . ولقد أدرك كريزوس للحين خطر الموقف الذي يتهدده ، فلما علم بهزيمة أصطياغ استكمل عدته للحرب بقدر ما يستطيع .

فما كاد يتعزى عن موت ابنه الذى قتل فى حادثة فى الصيد، حتى عزم على أن يقف تقدم الفرس بأن يحالف إغريق الشواطئ وجميع إغريق بيلوبونيز والغرب . ولهذا الغاية أرسل بادئ الأمر يستشير الوحي ليحصل على تأييد الآلهة والاعتقاد العام . وذهبت وفوده فعلا الى دلفوس ودودون ، الى أباس فى فوكيدا ، الى غار طرو فونيوس ومعبد انفياروس ومعبد البرنثيد على مقربة من ملطية ، بل الى معبد المشترى آمون نفسه . وكان كرزوس يريد أن يضع لهم بادئ الأمر أسئلة يختبر بها صدقهم ثم يستفتيهم بعد ذلك بصورة منظمة فى المسئلة الكبرى مسئلة الحرب مع الفرس التى كانت تقلق باله . فوجد أن هاتئ دلفوس وانفياروس أكثر إخلاصا ، فحمل إليهما الهدايا الباهرة التى يمكن قراءة وصفها التفصيلى فى هيرودوت الذى رأى بعض هذه النفائس الغالية فى المحارب . وعند ما قدم ملك ليديا تلك الهدايا الثمينة استشار الهاتفين فى أمر الحرب فكان جوابها مبهما كله تورية ، إذ قالا : ” اذا اشتبك كرزوس فى الحرب مع الفرس خربت مملكة عظمى “ . أيهما ؟ أدولة الفرس أم دولة ليديا ؟ لم يقل الإلهيان بالتعيين ولكنهما نصحا لكرزوس أن خير وسيلة أن يتخذ حلفاء ونصراء من أقوى الشعوب الإغريقية . فعاود كرزوس هاتف دلفوس فى هذه النقطة فعين له الهاتف اللقدمونيين من الجنس الدورى والآتينيين من الجنس اليونانى ، يعنى الهليدنيين والبلاسية ، فأوفد سفراءه الى الأجزاء المختلفة لبلاد الإغريق يخطب ودهم فلم يجب دعاءه إلا اللقدمونيون الذين هم مائون إليه لخدم أذاها لهم قبل ذلك . أما بقية الإغريق ، وعلى الخصوص الآتينيين ، فلم يدركوا حقيقة الخطر المقبل ولم يجيبوا داعى ملك ليديا . واستجد كرزوس ، على ما يقول سيروبيديا ، حتى بأهل مصر . ولكن من المشكوك فيه أن مصر وجهت لمساعدته مائة وعشرين ألف مقاتل كما يروى الرجل الطيب إكسينوفون .

ولقد أول كرزوس جواب الهاتف لمصلحته خطأ وأغار على كبادوس من أرض ميديا التى افتتحها قيروش قبل ذلك بقليل ، وكان من الضرورى له أن يعبر

نهر الهالوس وهو في هذا المحل واسع المجرى، ووقع بذلك في صعوبة كبرى لم يتغلب عليها إلا بجندق طاليس الذي كان قد تبع الجيش الليدى في عدد غير قليل من مواطنيه؛ فانه اصطنع جسرا عريضا فصل النهر الى عدة فروع سهل اجتيازها . تلك هي الرواية التي وصلت الى هيرودوت في حدائثه عهدها . ولكن هيرودوت يظهر عليه أنه يعتقد أن الجيش عبر النهر بالبساطة على قناطر لم تنشأ في رواية العامة إلا بعد هذه الواقعة بزمان . ولما عبر كزيوس النهر استولى على المنطقة التي كانت تسمى بطيريا وحرّبها . سارع قيروش الى لقاء الغائرين بجمع جيوشه ومن انضم إليهم من أهل البلاد، وإمكن قبل أن ينازل الليديين أرسل الى اليونان يستميلهم الى التخلي عن جيش كزيوس ، ولكن اليونان بقوا على عهدهم مع كزيوس لاعتقادهم أن خيانة مخجلة لا تأتي إلا بالعار المجتذ من كل منفعة، لأن الإغريق لا يستطيعون أن يقفوا وحدهم في وجه الفرس اذا سقطت ليديا في يده كما كانوا يتوقعون . وإن هزيمة عامة لكل أجناس الإغريق خير من العار ما داموا مصرّين على ألا يسلموا بلادهم الى الفرس لأوّل وهلة . ولما آلتقى الجمعان في سهول بطيريا شرق هالوس جرت بينهم حرب طاحنة استمرت نهارها طول اليوم الى المساء لم يظهر فيها نصر نهائى لأحد الفريقين على الآخر .

ولكن أضرارها كانت على كزيوس أكبر، لأن جيشه مع بسالة قواده كان قليل العدد جدّا بالنسبة الى الجيش الآخر . ولما رأى قيروش ما مس جيشه من القرح لم يشأ أن يبدأ بالقتال في اليوم التالى، فانتهاز كزيوس تلك الفرصة لتقهقر الى سرديس وعزم على أن يبلغ من الدفاع عنها غايته .

ثم استنجد حلفاءه وأما زيس ملك مصر ولا بنطوس ملك بابل واستنفر لقدمونيا لنصرته، واعتمد على أنه متى اجتمعت له هذه القوى كلها يجتدد الكرة على جيوش قيروش في الربيع القادم، وجعل ميعاد حلفائه ونصرائه على تمام خمسة أشهر من يوم الدعوة في عاصمة ملكه . ولقد أصاب كزيوس الحكمة في دذه التداير ، ولكنه ارتكب خطأ جمّا في صرف جنوده ظنا منه أن قيروش لا يستطيع أن يطلع

على سرديس بجنده الذى نال منه القرح ما نال . وقد خاب ظنه لأن قيروش احتفظ
بجنوده وسار بهم بعد أن أخذوا قسطا من الراحة الى ليديا، فلم يلبث أن نزل السهل
الفسيح القائمة فيه مدينة سرديس .

أما كزيوس وإن كان قد أخذ على غرة فانه لم تتحلل عزيمته بل اعتمد على
ما هو مشهور عن أهل ليديا من الإقدام خصوصا ذائب فرسانهم ، فإنهم كانوا
مقطوعى النظر لمهارتهم فى سوس الخيل وفى حسن استعمالهم الرماح الطوال التى
كانوا يعتقلونها . ولكن قيروش من جهته قد فكر فى تقليل قيمة تفوق فرسان
العدو، فسار فى مقدمة جيشه جماله كلها التى لم تعتد خيل ليديا رؤيتها ولا رأيتها
بفخمت وصعبت رياضتها ، فترجل الليديون وأبلوا على الرغم من ذلك بلاء حسنا ،
لكنهم بعد التهام هائل انهزموا فلم يجدوا لهم موقلا إلا أسوار مدينتهم .

لما رأى كزيوس أنه محصور بجنود منصوره تجل إلى حلفائه وعلى الأخص
اللقدمونيين ، لكن هؤلاء بعد أن تاهبوا لنصرته حسب نص المعاهدة جاءهم نبأ
سقوط سرديس عنوة فى يد قيروش بعد حصار دام أربعة عشر يوما ووقوع
كزيوس فى الاسر . لما وقع ملك ليديا التمس فى أيدي أعدائه مثقلا بالسلاسل
وحكم عليه بأن يحرق حيا هو وبعض أبناء العائلات الكبرى الذين كانوا معه
وسعرت له النار وكادت تصل الى جسمه ، رق له قلب قيروش وأخذته الرحمة على
هذا الملك البأس الذى كان يحتمل تصارييف القدر بالرضا والتسليم ، والذى كان
فى هذه اللحظة الرهيبة يذكر نصيحة سولون له حينما وفد عليه وأقام فى معيته . وكانت
سنة كزيوس وقت وقوعه فى الأسر تسعة وأربعين عاما حكما منها أربعة عشر عاما
منذ وفاة أبيه ، وبقى بعد ذلك زما طويلا فى معية قيروش مرافقا ومعيناه فى غزواته .

إن تاريخ سقوط سرديس ليس أقل اضطرابا من تاريخ كسوف طاليس .
وأخذا بما على رخام باروص تكون سرديس سقطت فى السنة الثالثة من الأولبياد
التاسعة والخمسين أى سنة ٥٣٧ قبل الميلاد . أما فريريت فإنه يقول إنه وقع

في سنة ٥٤٥ هـ أخذنا بشهادة سوسيقراط الذي استشهد به ديوجين اللايرثي في كتابه "حياة بيرياندر". وأما فولني فإنه أخره إلى سنة ٥٥٧ في كتابه "أخبار هيرودوت". وعلى كل حال فإن هذا التاريخ على خطره محوط بالشكوك، ولا يزال محلا للتحقيق. لما غلب الليديون على أمرهم أحست المدائن الإغريقية خطر مركزها، فعرض الأيوليون واليونان الطاعة على الشروط التي كانت بينهم وبين كيزوس، فرفضها قيروش مزدرىا بإياهم، وذكر اليونان إعراضهم عنه حين خطب ودهم قبل ذلك ببضعة أشهر؛ فلم يبق لهذه المدائن إلاخوض غمار الحرب بعد ذلك الرفض المهين، فدُعيت ندوتهم (الپانيونيون) وحضرها أهل المدائن كلها إلا الملطيين الذين كانوا اتخذوا للحرب عدتها من قبل، ولكن حظ الجميع منها لم يكن أحسن من حظ مملكة ليديا.

من المحتمل أن يكون هذا الحين هو تاريخ النصيحة التي قدمها طاليس للاتحاد اليوناني، فإنه لبعصره بالعواقب آرتأى ألا يكون للمدن اليونانية إلا جمعية واحدة تعقد في طيوس، لتوسط مركزها، على أن تحتفظ كل مدينة بنظمها الخاصة، لأنهم متى اجتمعت قواهم كانوا بالضرورة أقدر على مقاومة عدوهم المشترك، فإن الاتحاد وحده هو الذي ينجيهم ما دامت المنازعات الداخلية هي التي أضعفتهم. ولكن هذا الرأي السديد لم يكن ليطاع فيهم مع أنه لم يجئ بعد الأوان؛ فإن حال اليونان لم يكن بعد من السوء بحيث لا يمكن إصلاحه. ولقد نصح لهم طاليس بعد ذلك نصيحة في وقت أشد حرجا فلم تقابل إلا بما قوبلت به سابقتها من الإعراض. ثم نصح لهم بعد ذلك بياس الپريني أحد أعضاء الندوة (الپانيونيون) أن يترك اليونان جميعا آسيا ويتخذوا أسطولا كبيرا يركبونه الى "سردينيا" حيث يؤسسون جمهورية قوية. وأبان لهم بياس أنهم إن بقوا في آسيا لا يستطيعون أن يحموا حريتهم. يرى هيرودوت أن اليونان لو كانوا قتزروا هذا القرار الباسل لصاروا أسعد الشعوب الإغريقية كلها، ولكنهم قنعوا بمفاوضة الأيوليين ليرسلوا سفراء الى إسبرطة يطلبون باسمهم وباسم اليونان إعانة الجمهورية بإياهم.

لم تشأ جمهورية إسبيرة أن تمدهم بقوة حقيقية، بل أرسلت رجلا ثقة من رجالها يقال له "لقرين" الى سرديس يطلب الى الفاتح ألا يسىء الى أية مدينة إغريقية ويهدده بسخط لقدمونيا . غير أن قيروش الذى ما كان يعرف الى ذلك الوقت ما هى إسبيرة ، أخذ يسأل بها وأعان — وهو هازئ بهذه الشعوب التى يخالها متأثة فى أمورها — أنه أولى بها أن يشغلها الخطر المحدق ببلادها عن الخطر الذى يتهدد يونيا . فى هذا الوقت دعا قيروش اختلاف الأحوال فى بابل وبكتريان والساسيين بل وفى مصر أيضا ، الى التعجل بالسفر من سرديس الى إقبطان، وخلف على المدينة فارسيا يدعى طابالوس ، وجعل على نقل الكنوز التى جمعها ملوك ليديا منذ عدة قرون ليديا يقال له بكتياس .

انتهز بكتياس غيبة قيروش فى حصار بابل ، ووضع يده على الكنوز التى أؤتمن على نقلها ، وانبذ بها مكانا بعيدا على الشاطئ ، ودعا اللذين الى الثورة والانتفاض على قيروش ؛ وألف بالمال جندا ساربه الى حصر مدينة سرديس التى كان يحمها طابالوس . ولكن هذه الثورة لم تلبث حينما حتى جاء مزاريس أحد قواد قيروش بالمدد، واضطر بكتياس الى الهرب والاحتماء فى "كومة" . فلما طلبه مزاريس هم الكوميون بتسليمه اليه بنصيحة داتف البرنشىد، لولا رجل شجاع منهم يقال له أرسطوديقوس حمى التزبل ونجّاه من الهلك واستحجّب عصيان الإله على انتهاك حرمت الضيافة فى حق مستجير . ونجا بكتياس الى ميتلين حيث عادت لأهل كومة نحوتهم ، وأرادوا هم أيضا حمايته . غير أن هذا السبي الحظ قد أخذه الشيزيون بالقوة من معبد مينرفا وسلموه الى الفرس ، لأن قيروش أمر بأن يحضر لديه حيا . وقبض الشيزيون ثمنا لهذا العار مقاطعة أطرنة الواقعة فى ميزيا تجاه لسبوس ، ولكنهم لم يسعدوا فى هذه الأرض التى امتلكوها بذلك الثمن الخجل ، فقد أكد هيرودوت أنه مرّ زمن طويل على أهل شيز لا يستطيعون أن يقربوا للآلهة قربانا ولا أن يضحوا بشيء مما كان يأتهم من غلة ذلك البلد الملعون .

قسا مزاريس في التنكيل بالذين خرجوا على الملك في ثورة بكتياس ، وكتب الرق على سكان پرينة و باعهم بالمزاد ؛ ونحرب بلا رحمة سهول مياندرس جميعها وأباحها لتهب عسكره ؛ ولكن منيته صادفته أثناء هذا الانتقام . ولقد أراد الفرس هذه الفظائع أن يغفلوا أيدي المغلوبين عن الثورة ، ولكن إغريق الشاطئ ومستعمرات أيولس ويونيا ودوريدا لم يخفهم ذلك بل أخذوا عدتهم واستجمعوا بأسهم الى حرب غير متعادلة القوى ولا ملحوظ في نتيجتها الا الفشل والخذلان .

بذلك يتدئ العهد الثالث والأخير لتاريخ الإغريق في آسيا الصغرى ؛ فان العهد الأول لبث من وقت نزوحهم اليها الى حكم جوجيس غاصب ملك ميديا ، وهو أطولها ، لأنه لا يقل عن ٥٠٠ سنة . والثاني الذي كان مملوءا بالتنازع بين مدائن الإغريق ومملكة ليديا ، ويمتد الى هزيمة كزيوس وسقوط سرديس . ولم تكن قوة ملوك الليديين تلقاء قوة الفرس شيئا مذكورا ، لأن الفرس كانوا أمة حرب . ملكت جزءا عظيما من آسيا ، وتقدموا تقدما كبيرا في فنون الحرب بفضل قيادة قيروش .

أما الذي خلف مزاريس على التنكيل بالثائرين واستمرار الفتح فهو رجل خليق بكل أنواع الفظائع واقتراف الدنيا يقال له هر بنغوس اشتهر بعمل مقطوع النظر في الخسة حتى في معرض دنايا البلاط الفارسي ؛ ذلك أن "أصطياع" ملك الميديين ، كان قد أزعجته رؤيا ، فكلف هر بنغوس أمينه أن يحتمل لقتل الولد الذي ولدته حديثا ابنته مندان من قبيز ، وكان هذا الحفيد المقصود بالوقعة هو قيروش ، فقبل هر بنغوس هذا الأمر ، ولكنه لم يشأ أن يقتل الصبي بيده ، فوكل ذلك الى راع أخذته الرحمة من توسلات زوجته ، فاستبدل صبيه الذي ولد ميتا بالذي دفع اليه ليقتله ، ودخلت هذه الحيلة على هر بنغوس ؛ فلما استكشف "أصطياع" خفية الأمر وعلم بكل ما جرى كظم غيظه ، ولكنه انتقم من هر بنغوس شر انتقام ؛ فأمر بقتل ابن هر بنغوس سرا ، ودعاه الى طعام قدم اليه فيه لحم ابنه فأكله ثم أمر فأحضر رأس الغلام ويده وقدمت أثناء المأدبة تحت غطاء الى هر بنغوس ؛ فلما

كشفت عنها الغطاء رأى هذا المنظر الفطيع فلزم السكنينة؛ فسأله "أصطياغ" في ذلك فقال: إنه تعترف اللحم الذى أكله ولا يسعه إلا الثناء على الملك على ما تفضل به .

ومع ذلك فإن هربغوس قد أصر على الانتقام من "أصطياغ" بأن يثقل عرشه من تحتها، فخرّص قيروش سراً على العصيان . ولم يصادف هذا الأمير الشاب عناء فى حمل الفرس على نبذ نير الميدين الثقيل . ولقد بلغت العناية "بأصطياغ" أنه لما جاء حفيده على رأس الجيش الفارسى أمر على الجند هربغوس الذى كان قد نكل به ذلك التنكيل، فلم يلبث هذا الأخير أن خانته وانخزل بالجيش؛ وقهر قيروش "أصطياغ" ولم يقتله بل تركه يعيش فى الخزى . وسقطت مملكة الميدين بعد أن أقامت ٣٢٨ سنة من ديجوسيزين فراورط . وبقي هذا القسم من آسيا من يومئذ تابعاً للفرس الذين لم يحتفظوا به إلا أقل من تلك المدة حتى سقطت مملكتهم باغارة إسكندر .

ذلك هو هربغوس الذى رمى به قيروش مدائن الإغريق ليخضعها .
ولقد عُنيّت بذكر هذه التفاصيل على شهرتها لأين أى الأمم وأى الأخلاق
سيكون ليونان الشاطئ علاقة بها .

أخذ هربغوس يتكر طرائق لفتح المدائن؛ فكان كلما وصل مدينة أحاط بها ثم حفر حولها خندقاً يحصر أهلها فيضطرهم الى التسليم . فبدأ بمدينة فوكاية، تلك المدينة التى كان لها اسم كبير فى ذلك العهد التى تمنا بوجه خاص جد الأهمية، لأن أحد فلاسفتنا اكسينوفان كان بها منذ نفى من كولوفون وهرب مع مواطنيه على الشواطئ البعيدة لبحر طرهينيا . ولقد كان أهل فوكاية أول من أزمع السياحات الكبرى المقرونة بالأخطار من جميع الجنس الهليني، فانهم أول من علم الناس ما هو البحر الأدرىاتيكى وبحر طرهينيا وإبيريا وطورطيس، تلك الأصقاع السحيقة فى حدود الأرض وراء عمد هيرقليس؛ وهم الذين حوّرُوا طريقة صنع السفن فرغبوا عن السفن الغليظة المستديرة إلى سفن ذات خمسين صفاً من المجاذيف . وهى المسماة «البانيكوتور» . ولما كان لأهل فوكاية صلات مودة ومعاملة

ببلاد طورطائيس عرض عليهم أرغانتونيوس ملك هذه الجهة أن يهاجروا إليه إذا شاءوا أن يتركوا يونيا عند ما هدد الفرس مدينتهم . ونظرا إلى أنهم لم يكونوا قد عزموا على الهجرة بعد ، أعطاهم حليفهم الملك مباغا عظيما من النقود ليساعدهم على إقامة سور منيع حول مدينتهم ؛ فأقاموا هذا السور الواسع الامتداد من أحجار كبيرة محكمة الرصف جدا .

وقف هرېفوس أمام هذا الحصن العظيم الذى لم يستطع النفوذ منه إلى داخل المدينة ، وبقى محاصرا لها حتى أرهق أهلها إرهاقا ، ثم عرض عليهم عرضا يوافقهم وهو أن يهدموا جزءا من الحصن الأمامى تحمله الفرس إشارة الى أن أهل المدينة أطاعوا فطلب إليه الفوكيون الذين أعياهم الحصار جوابا على هذا العرض هدنة يوم واحد ، وأن يتعد الجيش الفارسى عن مراكزه ، فأجابهم هرېفوس إلى ذلك مع توقعه ما سيحصل ؛ فأعتم الفوكيون هذه الهدنة ، وحملوا على السفن نساءهم وأولادهم وجميع ما يستطيعون حمله خصوصا الأمتعة المقدسة التى جمعوها من المعابد ، وسافروا إلى شيوز ، فلما جاء الفرس فى اليوم التالى وجدوا المدينة خلوا ليس فيها أحد من أهلها .

كان الفوكيون قد رغبوا بادئ ذى بدء فى أن يشتروا من أهل شيوز الجزر التى تسمى اينوزوس ، لكن هؤلاء قد رفضوا الصفقة حتى لا يخلقوا لأنفسهم مزاحمين لا يستهان بأمرهم على مرافق التجارة ؛ فاضطر الفوكيون الى أن يوجهوا سفنهم نحو جزيرة قورسقة (المسماة وقتئذ سيرنى) حيث أسسوا فيها قبل ذلك منذ عشرين عاما مدينة « علاية » بإشارة الهاتف ، ولكنهم قبل أن يذهبوا الى هذا المنفى النهائى رجعوا الى فوكاية على غرّة من حرسها الفارسى وذبحوهم ، ومع ذلك فان هذا العمل الجرىء لم يمكنهم من البقاء فى وطنهم القديم بل ارتدوا الى أسطولهم . وليثبتوا أنهم لن يتركوه ألقوا فى البحر كتلة من الحديد وأقسموا ألا يعودوا قبل أن تطفو هذه الكتلة الثقيلة على سطح الماء . وعلى رغم هذا القسم زين لنصف النازحين أن ينزلوا الى البر ويدخلوا فوكاية ، وأما النصف الآخر الذى

بترقيسمه فقد اعتمد على الأبيقى تحت نير المتوحشين الذى لا يطاق، وأبحروا الى قورسقة، فدخلوها آمين وأقاموا كما يشتهون فى سكينه مدّة خمسة أعوام مع مواطنيهم الذين سبقوهم اليها قبل ذلك بسنين طوال . ولكن أهل طرهينيا وقرطجنة هاجموا الفوكيين، إما حسدا من عند أنفسهم، وإما اضطرارا للكسب وجبا فى السلب والنهب . ولم يكن لدى الفوكيين إلا ستون سفينة ضدّ مائة وعشرين لخصومهم، ولم يتر لهم ذلك التردد فى منازلهم، بل ذهبوا يبحثون عن عمارات خصومهم فى بحر سردينيا، وتحترسوا بهم وطلبوهم للقتال، ولكنهم خسروا فى هذا الظفر ثلثى سفنهم فرجعوا نَحْجِلين الى "علاية"، واحتملوا عائلاتهم وأموالهم ليلجئوا الى موئل آخر آمن من هذا. والظاهر أن جزءا من هؤلاء المهاجرين قد وقع فى يد الطرهينيين والقرطجنيين فقبضوا عليهم وذبحوهم، وذهب الجزء الآخر الى رغبوم فى صقلية، ومن هناك اتجهوا الى الشمال وأسسوا على أرض أوترى مدينة كانت تسمى فى زمن هيرودوت "مدينة هيللا" وهى المعروفة بمدينة إيليا الشهيرة بمدرستها الفلسفية التى شيّدت فيها بعد تأسيسها بقليل .

فى نحو هذا الحين لجأ اكسينوفان الى إيليا هاربا من كولوفون التى وقعت فى قبضة الفرس، وانضم الى الفوكيين الشجعان الذين كانوا مثله يكرهون العبودية . من الواضح أن ماورد فى شعر اكسينوفان خاصا بإغارة الفرس الذين ما زال يسميهم الميديين، إنما يراد به واقعة هربفوس تلك لا حرب الميديين، كما ظنّ ذلك أحيانا . وقد يظهر أن تأسيس إيليا الذى شدا به اكسينوفان كما شدا بتأسيس كولوفون كان فى سنة خمسمائة وست وثلاثين أو خمسمائة واثنين وثلاثين قبل الميلاد، بل قد يكون أدنى من ذلك . وعلى كل حال فانه قبل إغارة مردونيوس وداتيس على بلاد الإغريق بثلاثين سنة على الأقل . وليس عندنا ما يفيد أن اكسينوفان عاش الى ذلك الوقت .

(١) ولقد جلا الشك فى هذه النقطة فكتور كوزان . راجع القطع الفلسفية والفلسفة القديمة طبعه

ولسنا نرى فيما حفظ لنا التاريخ من التفاصيل ماذا جرى على كولوفون بخصوصها، وهي من ليديا كمدينة فوكاية، ولكن المفهوم ضمنا هو أنها وقعت فيما وقعت فيه فوكاية، وأن أهلها الذين لم يقبلوا حكم المتوحشين ركبو البحر ليلجئوا الى جهات أكثر طمأنينة . حق أن هيرودوت لم يذكر بعد أخبار الفوكيين إلا أخبار أهل طيوس الذين فعلوا مثل ما فعل أولئك، فحملوا ما قدروا عليه في سفنهم وقصدوا تراقيا حيث أسسوا مدينة أبدير، وقد كان سبقهم في الهجرة الى تلك البلاد أحد مواطنيهم المدعو كلازومين . أضاف هيرودوت الى هذا أن بقية مدن يونيا خضعت لحكم الفرس بعد مقاومة عنيفة . ولا مانع من افتراض أن إكسينوفان كان أحد هؤلاء الأبطال الذين أمنى عليهم المؤرخ، والذين لم يلقوا قيادهم الى الفرس إلا بحكم الضرورة . إلا الملتطين وحدهم فانهم اتفقوا مع قيروش كما ذكر آتفا، وبذلك احترم هربغوس حياتهم اكتفاء بما شئت وأذل من سائر يونان القارة . وأما أهل الجزائر فانهم بوضعهم كانوا في مأمن من الغارة، لأن الفرس لم يكن لديهم بعد أسطول يطولون به الجزائر ويلقون على أهلها نير العبودية . وأما يونيا وأيوليس فانهما أطاعتا غاية الطاعة حتى جند منهم هربغوس حين مشى الى قاريا التي وقعت في قبضته بعد قليل . وأما الكنيدون فانهم حاولوا الدفاع بالاسراع في قطع البرزخ الذي يصلهم بالقارة، ثم بدا لهم أن يستسلموا الى الفرس أخذاً بنصيحة كاهنة دلفوس . وأما البيدازيون من ضواحي هاليكارناس فانهم قاوموا حتى حين ، ولكنهم قهروا كما قهر الليقيون الذين أبلوا بلاء حسنا في الدفاع عن وطنهم . وبذلك تم النصر لقيروش ، وكان يستطيع أن يغتبط وهو سائر الى إخضاع بابل بأن كل آسيا الدنيا ملك له الى البحر . كانت جزيرة سموس وقتئذ أقوى الجزر ذات مركز سام بما لها من الروابط بإغريقيا وبمصر . وبينما كان قبيل المفتون ابن قيروش يغزو مصر ليقضى على نفسه فيها كان بوليقراطس يحكم سموس ، وقد مكّن له فيها بحسن إدارته وقلة تحزجه ومبالاته ، حتى جعل الجزيرة من الرضاء محسودة الوفير من كل نظائرها . وكان من أمره أنه أقام فيها ثورة انتهت باستيلائه فيها على السلطان هو وأخويه ينتنوت

وسيلوسون ؛ إذ أقسم الإخوة الثلاثة حكم المدينة لكل منهم قسم معلوم . ولكن بوليقراطس لم يلبث أن تخلص من أخويه إذ قتل أحدهما وشرّد الثاني وخلص له الحكم وأطاعه أهل المدينة . وقد أراد أن يثبت لنفسه الملك المفضوب فارتبط بأمازيس ملك مصر ، وتبادل وإياه الهدايا النفيسة . ولم يمض عليه حين حتى نبه ذكره ، وعمت شهرته بلاد الإغريق ، وكان سعيد الطالع موقفاً في مشروعاته إلى غاية المنى ؛ وكان أسطوله مؤلفاً من مائة سفينة من ذوات الخمسين صفاً من المجاذيف ، وكان يبلغ عدد رماته وخدمهم ألفاً .

ولم يكن مع ذلك ليرعى لحيارته حرمة بل كان يضرب عليهم الإتاوة بغاية الحرأة ، وكان من مبادئه السياسية ألا يُبقي حتى على أصدقائه متى قضى الظرف إلا أنه كان يعوّض عليهم بعد ذلك . وكان قد غزا عدّة جزر حوالى سموس ، بل عدّة مدن في القارة . ولما ساعد اللبوسيون اللطيين عليه حاربهم وقهرهم في وقعة بحرية ، وسخر جميع الأسرى مصفدين بالأغلال في حفر الخندق العميق الذي كان يحيط بأسوار المدينة . وكان من نتائج ظلمه أن بعض أهل سموس هجروها من هول ما يلقون من الجور واستجاروا بإسبرطة ، فأبحر إليه اللقدمونيون في أسطول قوى ، وحاصروا المدينة أربعين يوماً ، ولكنهم ارتدوا على أعقابهم بفضل بأس بوليقراطس أو بفضل ماله . وبقي هذا الطاغية مستبداً بالحكم مهيب الجانب لا يُغلب على أمره ، حتى إن من لم يريدوا من السموسيين الاستسلام لمظالمه لم يكن لهم وسيلة إلا الهجرة بعيداً عن ملكه إلى حيث ينزلون منزلاً يرضونه . ولم يكن ليأمن على نفسه الطوارئ بذلك الخندق العميق الواسع ، بل اتخذ نفقا تحت الجبل سلك فيه إلى المدينة ماء غدقا ، وبني رصيفاً شاهقاً متقدماً في البحر ، جعل به المرفأ أكثر ملاءمة لرسو السفن ، ثم بنى معبداً اشتهر بأنه أكبر المعابد المعروفة . وقد ذكر أرسطوطاليس أيضاً هذه الأعمال العظيمة التي عملها بوليقراطس .

وكان هذا الطاغية محباً للآداب والفنون ، ويقال إنه أول من أنشأ مكتبة . وكان مثل ذلك في تلك القرون زخرفاً نادراً ، كانت مصر وحدها هي صاحبة الإبداع

فيه . وكان يؤوى إليه الشعراء ، وكان أنقريون الطيوسى بعض جلسائه ومادحيه .

في صدد الكلام على عهد طغيان بوليقراطس هذا، ينبغي أن نورد خبر الصلات التي كانت لفيثاغورث به والتي لدينا عنها معلومات مضبوطة، فان يَمبليك وفرفر يوس وديوجين لايرث يلتقون في هذه النقطة، وليسوا بالضرورة إلا صدى كثير من المؤلفين الذين هم أقرب عهدا بزمن فيثاغورث وكتبوا ترجمته مثل أرسطو كسين الموسيقى تلميذ أرسطو وأبلانيوس الصورى وهرميب وديوجين وأنتيفون ... الخ . كان فيثاغورث بن مَنيرأرخس يدلى بأمه إلى أكبر عائلات سموس، ويمكن أن يتصل نسبه بأبى مؤسس المستعمرة ، ويظهر أن أباه قد جمع مالا وفيرا من تجارة القمح وكان صوريا على رأى بعض المؤرخين، وطرهينيا على قول البعض الآخر . وكان يستصحب ابنه معه في سياحاته منذ حداثته ، فطاف الصبي مع أبيه تلك البلاد التي عُني بدرسها بعد ذلك ؛ فلما صار في سنّ التعلّم ، ورأى أبوه فيه مخايل وعليه سيما النجابة ، وصله بأعلى الرجال امتيازاً في زمنه : طاليس — على ما يقال — وأنكسيمندر وأنكسيمين الملطى وفِرقليد السيروسيّ . وقد عرف فيثاغورث فينيقيا وهو شاب إذ صحب أباه إليها . ولما أراد السفر الى مصر زوّده بوليقراطس بكتاب توصية الى أمازيس، وذلك يثبت أن رأى فيثاغورث في بوليقراطس وقتئذ على الأقل لم يكن كراهيه فيه بعد ذلك .

لم تكن مدّة إقامة فيثاغورث بمصر محل اتفاق في التاريخ ، فن مترجميه ، مثل يمبليك ، من حددها باثنين وعشرين عاما وإن كان ذلك قليل الاحتمال . لما أسر عسكري فيثاغورث سيق الى بابل، وهناك اتصل بالمجوس كما اتصل بكهنة مصر مدّة إقامته بها، إذ كان محل إعجاب بذكائه ورجاحة عقله وحسن روايته . ولما رجع الى وطنه وهو متقدّم في السن، أى كانت سنّه ستا وخمسين سنة على قول يمبليك، فتح فيه مدرسة . وظل السموسيون الفخوريون بمواطنهم يعقدون مداولاتهم السياسية قرونا عدّة بعد

ذلك في مجلس نصف حلقى مسمى باسم فيثاغورث . وقد قال أرسطوكسين : إن فيثاغورث لما ترك سموس فرارا من ظلم بوليقراطس لم يكن يتجاوز من العمر أربعين سنة ؛ وربما كان قوله أوجه ، لأنه أقرب عهدا الى هذه الأحداث من يميلك ، ومن المحتمل أن يكون أعلم بها منه ما دام أنه تلميذ أرسطو الذى كان يشتغل كثيرا بفلسفة فيثاغورث . وأما شيشيرون فانه ذكر في كتابه "الجمهورية" : أن فيثاغورث وصل الى إيطاليا فى الأولمبية الثانية والستين أعنى فى سنة ٥٢٨ قبل الميلاد، أى فى السنة التى جلس فيها طرخان العظيم على العرش . ولما كان شيشرون (على لسان سيديون) يقصد الى تصحيح خطأ تاريخى شائع . فمن الراجح أنه يعرف حق المعرفة صحة ما ذكر وأنه غير مخطئ .

ومهما تكن حياة فيثاغورث محجوبة عنا مع ما كان من اشتغال كثير من الكتاب الأقدمين بها ، فالظاهر أن من المحقق أنه هاجر من سموس المحرومة الحرية ليجد بلدا فى إغريقيا الكبرى لا تشمئز فيه نفسه من مشاهد الظلم ويستطيع أن يتمتع فيه بالاستقلال الذاتى الذى كان فى حاجة إليه . وكذلك فعل إكسينوفان فى نحو هذا الزمن ، إذ كان يفتر من اضطهاد الفرس الذين كانوا أشد ظلما من طغاة الإغريق . كان ذلك هو الحظ المشترك لأمثال هؤلاء ؛ فليس من السهل أن يبقى المرء وطنيا أو فيلسوفا نيوا بحمل الضغط الذى يأتیه أمثال أولئك الأسياد . وعلى ذلك حمل فيثاغورث الى قروطون والى سيباريس مذاهب عجيبية فيها بلا شك شىء من الديانات الشرقية التى اتصل بأهلها ، ولكنها حقيقة باحترام كل من يحبون الحكمة والانسانية . ولم تصل إلينا مذاهب فيثاغورث إلا عن طريق الوسطاء ، إذ لم يجتمع لنا شىء من مؤلفاته الكثيرة التى وضعها فيما يظهر على ما يقول هيلير قليطس ، والتي مع كون فيلولاوس أذاعها لأول مرة بعد ثلاثة أو أربعة قرون من وضعها كانت يطلبها أفلاطون بأعلى ثمن .

(١) ديوجين اللايرثى . حياة فيثاغورث ف ٦ ك ٨ ب ١ . وان الرسائل بين أنكسين و فيثاغورث ربما لا تكون متحلة . ديوجين اللايرثى فيما كتبه عن حياة دينك الفيلسوفين .

أما بوليقراطس الذى شاطر فى أسباب تعليم فيثاغورث فإنه لقي حتفه على أسوأ ما يكون بعد سنين قلائل من اعتزال الحكيم سموس التى صارت أحط من أن تكون وطناله ، ذلك بأن أورطيس الذى رسمه قيروش مرزباناً على سرديس حاول أن يوسع سلطان الفرس ويدخل الجزائر تحته ، فعزم على أن يوقع بالطاغية الذى أتى سموس الواقعة أمام حكومته قوة ومنعة ، فأرسل الى بوليقراطس سرّاً رسولا يخبره عنه بأنه مهتد شخصياً بغضب قميز البالغ حدّ الصرع ، وأنه يريد أن يودع ماله مكاناً أميناً ، ويرجو السيد أن يقبل إيداعها عنده ؛ ولكيلا يتظن في قوله طلب إليه أن يرسل ثقة له ليريه خزائنه المملوءة بالذهب المضروب ، على شريطة أن يبقى نصف المال للرزبان والنصف الثانى يكون لبوليقراطس ينفقه على مشروعاته الواسعة المدى إلى حدّ فتح إفريقيا كلها .

لم يطق شره بوليقراطس صبراً ، فأرسل أمين أسراره مندر يوس الى "سرديس" ليحقق خبر كنوز أورطيس الذى خدع الرسول وأراه صناديق مملوءة حجراً مغطاة سطوحها بالذهب ، فرجع الرسول إلى سيده وقزله ما رأى ، ففرح بوليقراطس وعوّل على أن يذهب بنفسه لإحضار الذهب ؛ وعبثاً حاول أصحابه وعائلته منعه ، حتى لقد كان منه أن هتد آبنته بالآيزوجها إلا بعد زمن طويل حين تشبث بمنعه وقت ركوبه الفلك . ومضى وفي صحبته عرافه المدعو هيل الذى لم يصل علمه الى كشف هذه الأحبولة . فلما وصل الى حيث ينتظره أورطيس أمر الغادر بالقبض عليه وصلبه . ومع أن هيرودوت لم يكن به مظنة ضعف للطغاة ، فإنه رثى لحال بوليقراطس الذى كان من العبقريّة والسؤدد بحيث لا يستحق هذه الميتة الشنعاء . وكان فى معية بوليقراطس فى هذه السفرة المشؤومة ، غير ذلك العزاف المغفل ، ديموكيد الطبيب الشهير من قروطون الذى وقع هو أيضاً بهذه الأحبولة فى الرق ، ثم دعى بعد

ذلك بقليل الى بلاط دارا ليعالجه من آلتواء مفصليّ أصابه ، وذلك حين أمر دارا مهلك المجوس بقتل أورطيس لارتكابه فظائع لا مصلحة في ارتكابها^(١) .

لما خلت سموس من بوليقراطس لم تستأخر عن الوقوع في قبضة الفرس ، لأن الطاغية لما ذهب الى حيث لقي حتفه كان قد خلف على الجزيرة أخاه مندريوس الذى هو أقل كفاية من أن يلى الحكم ، وجاءت جنود أوطانيس المرزبان الحديد تحت قيادة سيلوسون أخى بوليقراطس الذى نال حظوة عند دارا بسبب أنه عرفه في مصر حيث منفاه ، فهرب مندريوس وترك الجزيرة ، فتولى أخوه شاريلاموس قيادة الحامية ، وبعد مقاومة عنيفة سقطت الجزيرة في أيدي الفاتحين ، ودخلها سيلوسون فوجدها خلواً من سكانها .

ولما انتصر دارا على بابل بفضل إخلاص زوبيروجه قواه الى محاربة السيتين ، فصنع له مندر وكليس المهندس السموسى القنطرة المشهورة التى عبر عليها جيشه بغاز البسفور ، وهى قنطرة من المراكب لم يكن طولها أقل من أربع غلوات أى نحو ٨٠٠ متر . ولا بد أن يكون اتخاذ مثل هذه القنطرة من أصعب ما يكون ، وكانت واقعة ، على رأى هيرودوت ، بين بيزنطة وبين معبد قائم على مصب البسفور . ولكى يخلد هذا الملك العظيم ذكرى هذا العمل أغدق على المهندس السموسى نعمه ، وأقام عمودين على جانبي الشاطئ كتب عليهما باللغتين اليونانية والآشورية . وقد رسم مندر وكليس في معبد چونون لوحة تمثل القنطرة وجيوش الفرس تعبر فوقها تحت نظر دارا جالسا على عرشه . وقد شفع دارا جيشه البرى بأسطول عظيم يقوده اليونان والأيليون وفريق من أهل هلسبون ، وأمر الأسطول أن يدخل البحر الأسود ، ثم يدخل مجرى الدانوب ونهر الإستر ، ويقم قنطرة على النهر في محل تفرعه الأول الى عدّة فروع . واتجه دارا بجنوده في البر من تراقيا الى تلك

(١) السنة ٢٣٠ من تأسيس روما أو ٥٢٣ قبل الميلاد على رأى بلاين ك ٣٣ ب ٦ ص ٤٠٣

النقطة، وكانت عدة جنوده البرية سبعمائة ألف مقاتل وعدة سفن أسطوله ستمائة سفينة، وكانت هذه الجيوش البرية والبحرية مؤلفة من جميع الأمم التي تشملها مملكة الفرس المترامية الأطراف من شواطئ آسيا الصغرى الى الهندوس .

وتقدم الملك العظيم، على بعد الشقة وصعوبة المسالك، في طريقه بين تلك الأمم الجافلة التي كانت تولى الأدبار أمامه وتستدرجه شيئا فشيئا الى مفازاتها الواسعة وتلك المهامه التي لا تجاز، كما وقع في أيامنا هذه لفتاح آخرليس أكثر منه بصرا بالعواقب ولا أقل منه نحسا في الطالع . وقد عني دارا في انتصاراته الموهومة بأن يقيم في طريقه أعلاما وأعمدة نقش عليها بالعبارات الفخمة: «إخضاع الجيئين» . وكان يبنى آثارا سهلة البناء، فانه أمر بأن يليق كل جندي من جيشه العرمرم وهو سائر حجرا في مكان معين، فيجتمع من هذه الحجارة أكمة عظيمة يخيل أنها هرم . ولقد وجد جيش دارا حتى في هذه المجهل بعض آثار النفوذ الإغريقي، فان أولئك الرجل الذين كانوا يعبدون «ذالمكسيس» الذي كان، كما يقال، عبدا لفيثاغورث بن منيزارخس في سموس، والذي بعد أن صار حرا وغنيا عاد الى موطنه بشتات من المدينة الهلينية إذ نقل اليهم شيئا من عقائد سيده العالم . غير أن هيرودوت لم يقبل هذه الرواية وردها بأن «ذالمكسيس أو غيليزيس» كان أقدم من فيثاغورث بكثير، وأن فيثاغورث أعجب بحكمته العالية . ولكن تلك الرواية المشهورة مهما كانت كاذبة تدل على الأقل على ما لاسم الفيلسوف من الاحترام منذ تلك الأزمان، فإليه تنسب الثقافة الأخلاقية والإصلاح الموفق الذي وإن لم يتم كان سببا في التهذيب من حال أهل تراقيا المتوحشين .

على أن دارا لما وصل إلى المحل المعين على نهر الدانوب، وجد اليونان نفذوا أمره بإقامة قنطرة المراكب، كما أقاموا قنطرة البسفور . ولما عبر الجنود النهر أراد دارا رفع القنطرة حتى يتبعه الإغريق في غزوته، ولكن قويس رئيس

الثالثة كان لحسن الحظ أسد رأيا من الملك ، فانه وصل إلى اقناعه ببقاء القنطرة لأنها طريقه الوحيد عند التقهقر، وعلى ذلك أمر دارا اليونان أن ينتظروه ستين يوما فان لم يعد في هذه المدة هدموا القنطرة وسافروا .

حدث ما كان سهلا توقعه ، فان جيش دارا بعد أسفار نحو الشمال متعبة عديمة الفائدة اضطر إلى أن يعود خاسرا تاركا مرضاه وجرحاه . وكانت حاله حال ذلك الجيش العظيم لسنة ١٨١٢ الذي كان في تلك البلاد تقريبا يقاتل أولئك الأعداء أنفسهم الذين خدعوه الخديعة عينها . ولما انتصر السيتيون على دارا من غير حرب تقدموه إلى قنطرة الدانوب ، وكان دارا سيلاقي مالاقي نابليون في عبور نهير بيريزينا لولا أمانة الإغريق الذين وكل إليهم حراسة القنطرة ، فان السيتيين حرضوهم على كسرهما قائلين : إن ميعاد الستين يوما قد مضى ، وإنهم قد أوفوا بعهدهم . وقد نصح لهم ملتباد الآتيني الذي كان قائد أهل شرسنيز وهأسبون وطاغية عليهما والذي صار بعد ذلك فاتح مرطون، أن يهدموا القنطرة وينسحبوا الى بلادهم وبذلك يهلك الجيش الفارسي ويسترد اليونان حريتهم، وكانت نصيحته ستجد آذانا صاغية، ويكون لها من الأثر ما لم يكن لاغراء السيتيين ، لولا أن اجتمع رؤساء اليونان وقضروا بناء على رأى هستيا الملطى أن ينتظروا دارا ويخلصوه . وكان مع هستيا من رؤوس اليونان سطرابطيس الشيوزى وأوسيز السموسى ولوداماس الفوكى . وكان أرسطاغوراس الكومى وحده رئيسا للأبوليين . ولم يكن الوفاء بالعهود هو الذى حمل أولئك الرؤساء على هذا القرار الغريب ، بل هى المصلحة الشخصية ، فان هستيا لم يصادف عناء فى إنقاع زملائه الذين مصلحتهم كمصلحته بأنهم إذا فقدوا تأييد الفرس لهم لم يلبث واحد منهم سييدا على مدينته التى يحكمها ، بل إن الأمة متى تخلصت من حكم الأجنبي تسارع الى حكم الديموقراطية ، وتحرم رؤساءها الحاليين كل سلطان عقابا لهم على قبولهم المزايى التى خصهم بها الملك الكبير . وقد رجح لدى الرؤساء هذا رأى وأمكن لدارا، وقد اقتضى السيتيون أثره ، أن يفتر منهم بعبور النهر .

ما ذا كان عساه أن يقع لو أن اليونان كسروا القنطرة وهلك بذلك دارا وجنوده ؟ تكون داهية دهياء على مملكة الفرس من غير شك ، ولكن هذه الضربة مهما كانت خطورتها لا تكون هي القاضية ، لأن هنزائم مرطون وسلامين وپلاتة لم تكن لتكفي لهذا الغرض . حقا ربما كانت يونيا تستطيع أن تنتفس من ضيق الخناق بعض الزمن وتسترد استقلالها ، ولكن إغارة جديدة أ كثر حدّة بالضرورة من سابقاتها ترجعها الى الخضوع . فلم يكن حان الوقت لسقوط الفرس الذين كانت أمتهم وقتئذ في قوّة الشباب وطور النمو الأول ، ولكن هذا لا ينفي الإجماع عن أنانية الرؤساء اليونان فانهم كانوا يستطيعون البقاء على عهد دارا بأسباب أشرف من الأسباب التي اتخذوها .

لما وصل دارا الى سستوس ركب البحر الى آسيا وخلف مغباز على الجنود في أوروبا ، وليفتح تراقيا ومقدونيا . وبعد قليل دعى مغباز الى صوص ، وكذلك هستيا الذي ظهر أن من عدم التبصر تركه وحده في تراقيا ، حيث أقطعه دارا إقطاعات واسعة في مرسيئة جزاء له على خدمته .

ولقد منيت بلاد اليونان بجهد جديد ومصائب جدد لتخمر في باطنها ، فان هستيا لما ترك ملاطية نزل عن السلطة الى أرسطاغوراس صهره وابن عمه ، بغاء الى هذا الأخير بعض المنفيين من نكسوس يستنجدون به ، وأحس من نفسه قلة الحول في أن يقوم بمشروع فتح نكسوس وحده ، فرجع في الأمر الى أرتافرن أخي دارا ومرزبانه على سرديس وجميع تلك الجهات التي هي أول مرزبانية في المملكة ، فطمع أرتافرن في الاستيلاء على نكسوس وما يليها من مدن السكلاد وحصل من دارا على الاذن بتسيير مائتي سفينة تحت تصرف أرسطاغوراس ، ولكن الشقاق قد دبّت عقاربه بين الأحلاف فاستطاعت نكسوس أن تدافع عن نفسها وأن تصدّ هجمات محاصريها وتردّهم بالخيبة بعد حصار أربعة أشهر ، وعلى ذلك لم يوفق أرسطاغوراس الى تحقيق شيء مما وعد به مرزبان سرديس ، فخاف من ذلك على سلطانه الخاص ، وعقد

العزم على ألا يكون نصف مذنب فغلظ ذنبه ، وأوقد نار ثوزة صريحة دفعه اليها أيضا سلفه هستيا الذي كان لا يزال في صوص عند الملك الكبير، ولكي يجذب قلوب الملطيين اليه نزل عن حكومة الطغيان ، ورتب بدلها حكومة الشعب ، ودعا المدائن اليونانية الأخرى الى العصيان، فاستجابت لدعائه وطردت جميع الطغاة الذين نصبوا عليها تصيبا .

ان ما أتاه أرسطاغوراس من الإقدام الكبير كان بعد استشارة أصحابه . فأما هيقات الملطى المؤرخ فكان رأيه ألا يوقدوا نار الحرب في الحال وليس لديهم المال الضروري ، فلما لم يستطع الإقناع برأيه ألح في وجوب توجيه كل قواهم نحو البحر، بفكرة أنهم فيه أقدر على الهجوم منهم في البر ، ولهذا الغاية نصح بأن يأخذوا جميع أموال كريزوس التي جمعها في معبد البرنشيدي ، ولكنهم أصموا آذانهم عن الاستماع لهذا الرأي السديد ، وأصرروا على الثورة على أى حال . وكان أرسطاغوراس يشعر تماما بضعف يونيا فذهب إلى أسبرطة ليتخذها حليفة له .

واقصد عني أرسطاغوراس ايزيد كليومين ملك أسبرطة علما بحقيقة مشروعاته بأن يبين له في أثناء المفاوضات مواقع البلاد التي كانت موضوع الحديث وهي ليديا وفريجة وقبادوس وفارس ... الخ . بينها له مرسومة على صحيفة من النحاس حملها معه ، وكان وقتئذ من أحدث ما يكون رسم خريطة جغرافية . ويظهر أن أنكسيمندروس هو صاحب هذا الاختراع البديع ، ولكن كليومين لم يفه إلا بسؤال واحد : "ما هي المسافة بين بحر يونيا وبين المحل الذي يقيم فيه الملك ؟" فأجابه ببساطة : "مسير ثلاثة أشهر" وكان ينبغي لأرسطاغوراس أن يحسب وقع هذا الجواب في نفس رجل أسبرطى ، لأن كليومين بعد أن سمع هذا الجواب أمر نزيهه أن يبرح لقدمونيا قبل غروب الشمس ، ورفض مع الازدراء المال الذي حمله إليه ليحاول إغواءه به . وكان ما قاله أرسطاغوراس عن المسافة حقيقة واقعية ، فان هيرودوت قد عدد بالضبط والعناية المائة والإحدى عشرة محطة الواقعة على الطريق

الجميل الذى أنشأه دارا من سرديس إلى صوص على نهر كواسب أو كراسو البعيد جدًا من مدينة بابل نحو الشرق . فكان ١٣٥٠٠ غلوة أو ٤٥٠ برزنج والسبرنج هو فى المتوسط ٣٠ غلوة أو بعبارة أخرى ٦٠٠ فرسخ، فكان لا بد للقيام بمشروع ضخم كهذا عبقرية اسكندر ومائتا عام حرب على مملكة الفرس الضخمة ، ولم يكن لكليومين من خلقه ولا من زمانه ما يميزه على معاناة أمثال هذه المشروعات .

لما فشل أرسطاغوراس فى أسبرطة قصد آتينا لأنها صارت شيئاً فشيئاً أقوى مما كانت عليه منذ قلبت طغيان البيزستراتيين، وأخذت ترسل السفراء إلى أرتافرن مرزبان سرديس حتى لا يصغى إلى مزاعم هيبياس الذى التجأ إليه . ولما لم ينجح أرسطاغوراس فى استمالة كايومين، ونجح فى استمالة سكان آتينا، وعدتهم ثلاثون ألفاً — كما ذكره هيرودوت بعبارة مأثوا التهم ، إذ ذكرهم بأن ملطية كانت مستعمرة لاجدادهم — فقرر أن يرسلوا إلى يونيا عشرين سفينة لنصرتها . وكان ذلك — كما رواه أيضاً هيرودوت ، بداية الحرب التى فيها ابست الجمهورية حلال الفخر بتخليص الإغريق والتى فيها لاقت دولة الفرس هزائم قاسية كانت طلائع لخرابها العاجل . وقد حمل أرسطاغوراس البيون أيضاً على الثورة، وهم أولئك الذين أخرجوا من ضفاف إستريمون إلى فريجة بأمر دارا ، وهربوا منها إلى شيوز وسافروا من شيوز إلى لسبوس ومنها إلى دوريسكوس ومنها عادوا إلى بلدهم الأصيل .

لما وصلت السفن العشرون إلى إيفيزوس وانضم إليها خمس سفن أخرى من إريتريا لاقوا إخوة أرسطاغوراس يقودون جند ملطية لأن أخاهم أقام بالمدينة يباشر بنفسه حركة التعبئة وقد ترك الجيش البرى الأسطول فى مياه إيفيزوس وتقدم هو على ساحل "فايستر" ييوس خلال طمولوس حتى وصل إلى سرديس، فأخذها من غير حرب تذكر وحرقتها بغاية السهولة ، لأن سطوح منازلها مغطاة بالقصب اليابس . ولم يتمكن أرتافرن إلا من الاستعصام هو وجنوده بالقلعة . وقد انزعج الفرس والليديون لما رأوا المدينة غنيمة النار، ولكنهم استجمعوا شجاعتهم وخرجوا إلى المحاربين وثبتوا

أمامهم حتى اضطروهم الى التقهقر نحو الشاطئ ، ونهض الفرس المرابطون على الهالوس الى المعركة فلم يجيدوا اليونان في سرديس فاقتفوا آثارهم الى ايفيزوس حيث نالوا منهم نيلا في واقعة كبرى .

ولقد أخذ اليأس من الآتئين كل مأخذ من جراء هذه الهزيمة فانسحبوا على رغم رجاء ارسطاغوراس وإلحاحه ، ولكنه هولم ييأس . بل اعتمد على جنوده الخاصة وعلى مساعدة مدن هلسبون وقاريا وجزيرة قبرص العظيمة وإذ ذاك كان أونيزيلوس طاغية سلامين منتقضا على الفرس .

لما علم دارا بما أتاه الآتئين من المشاطرة في إحراق سرديس أقسم أن ينتقم منهم ويحزيهم على هذه الاساءة شر الجزاء ، وأرسل هستيا بديا ليعيد اليونان الى الطاعة بفضل دسائسه ، ولم تكن مع ذلك أحوال اليونان بخير . بل إن قبرص سلمت بعد مقاومة شديدة ، وقاريا التي كانت نائرة ردت الى الطاعة وكلازومين سقطت في قبضة أرتافرن وأوطانيس ، وكذلك سلمت كومة أوليد ، فلم يستطع ارسطاغوراس احتمال هذه الخيبة فانزوى في مرسين بلد حميه هستيا . وكان هيكاط الملطي يرى أن الأوفق لهم اللجوء الى جزيرة ليروس حيث يمكنهم البقاء حتى يعودوا الى ملطية في الوقت المناسب . ولما سافر ارسطاغوراس الى تراقيا قتل أمام قلعة وهلك جيشه .

ولم يكن حظ هستيا بأحسن حالا من ذلك فان أرتافرن تظن في أمره ، واطلع على دسائسه ففر بعد عناء من سرديس الى جزيرة شيوز فانتبذوه بفكرة أنه صنعة الفرس ، ولكنه بعد ذلك كسب جاذبيتهم بأن أظهرهم على مافعل لاقامة ثورة اليونان فحملوه الى ملطية حيث قابله أهلها بفتور ، لأنهم بعد أن نالوا حريتهم كانوا يخشون أن يعيد اليهم أيام طغيانه ، ولما نفى من وطنه حصل من أهل لسبوس على بعض السفن يطوف بها جهة بيزنطة ينهب أموال الذين لا يريدون أن ينضموا اليه .

أخذت العاصفة التي أثارها ثورة ارسطاغوراس تهمي على رأس يونيا التي لم تنتهقر أمام هذا الخطر المزيج . انعقد البانيونيون وقرر الحرب ؛ ولم تكن هناك

فكرة في حرب برية فلم يؤلف جيش ما وعوّلت ملطية على أن نتفرد بحماية أسوارها التي يهددها العدو، ولكنهم رتبوا أسطولا عظيما تجتمع سفنه في لادى وهى جزيرة صغيرة قبالة ملطية، فاجتمعت اليه السفن من كل ناحية حتى إن الأيوليين أرسلوا سبعين سفينة فكان الملطيون ومعهم ثمانون سفينة في الجناح الأيمن جهة الشرق، وكان مع الپرينيين اثنتا عشرة سفينة، ومع الميونتين ثلاثة، ومع أهل طية سبع عشرة، ومع الشيزوزيين مائة سفينة، ومع الاريتريين ثمان، والفوكيين ثلاث فقط كالميونتين، وكان مع أهل سموس في آخر الجناح الأيسر الى جهة الغرب سبعون سفينة، فكان هذا الأسطول الكبير العدد فى طاقته أن يقاوم حلفاء الفرس الذين هم الفينيقيون والقبارصة والصقليون والمصريون، ولكن تسلس الشقاق بين اليونان، وحققت بعضهم على بعض حتى يوم الواقعة فلم يتناصروا كما ينبغي. وكان السموسيون واللسبوسيون أول من فز من حومة القتال. وبكاد الشيزوزيون أن يكونوا وحدهم هم الذين صلوا سعير الحرب وقاموا بواجبهم ولكنهم كانوا أضعف من ألا يهزموا. وختمت الحرب بهزيمة تامة. وكان دينيس رئيس الفوكيين بطلامغوارا، وكانت عزيمته بحيث يضمن الظفر لو أطاعوا أمره، فلما انهزم لم يجد مناصا من الهرب على شواطئ فينيقيا، ومن هناك الى صقلية حيث يشن الغارة على القرطجينين والطرهينيين. بعد هزيمة لادى حوصرت ملطية برا وبحرا فأحسنّت الدفاع عن نفسها، ولكنها أخذت عنوة بعد حصار مهلك، فذبجت رجالها وسبيت نساؤها وأطفالها، وسبق بهم أرقاء بأمر دارا الى مصب نهر دجلة، واحتل الفرس المدينة والسهل الذى يحيط بها وأعطوا بقية ما كان يتبعها من الأرض الى بيدازى قاريا. أما آتينا التى تخاذلت عن ملطية وتركتها، فانها أملت لمصائبها التى هى نذير بمصائب أدهى وأمر. ولقد صاغ هذه الواقعة المحزنة الشاعر المأساوى فرينشوس فى رواية تمثيلية أبكت جميع شهود تمثيلها، فحكم على الشاعر بتغريمه ألف درهم ومنعت الرواية منعاً باتاً. ثم قصد الفرس جزيرة سموس فلما رأهم أهلها ومعهم أقيس بن سيلوزون طاغيتهم القديم الذى كان نفاه أرسطاغوراس فتفرسوا ماسيتزل بهم القدر فاستجوبوا

الرحيل من أوطانهم على أن يحتملوا ظلمه مرة أخرى ، فهاجروا من جزيرتهم الى قَلْقَطَة حيث كان يدعوهم الى صقلية أهل زنكل . وكان السموسيون هم وحدهم اليونان الذين هاجروا هذه المرة هم والملطيون الذين استطاعوا أن يفتروا من المذبحة . ودخل أقيس سموس تحت حماية الفرس الذين آستثنوا معابد هذه المدينة وحدها من الإحراق اعتدادا بجميل السموسيين الذين تحاذلوا عن اخوانهم يوم لادى .

وقد حاول هستيا أن يقاوم من جديد بعد أن أنضم إليه بعض اليونان والأبوليين ، ولكنه قُبض عليه قرب أطرنة في ميزيا وسبق إلى أرتافرن في سرديس فقتله صلبا وأرسل رأسه مصبرة بالملح إلى دارا في صوص .

ولما قضى الأسطول الفارسى فصل الشتاء في ملطية فتح جميع الجزر شيوز ولسبوس وتندوس ... الخ في حين أن الجيش البرى يستكمل فتح جميع المدائن الإغريقية .

ولقد كان لانتصار الفرس نتائج فظيعة ، كما أئذ الفرس بذلك قبله بست سنين حين بدأت ثورة أرسطاغوراس ، فإنهم كانوا يذبجون الرجال ويخصون أجمل الفتيان ويرسلون أجمل الفتيات الى صوص ، ويحرقون المدائن وما فيها من المعابد ليتقموا لحرق معبد سيبيل إلهة سرديس . وفي أثناء ذلك كان أرتافرن عامل أخيه دارا يدخل في إصلاح الشقاق بين اليونانيين ، وكان يضرب عليهم الجزية التي بقى مقدارها ثابتا لم يتغير إلى زمن هيرودوت أى بعد ستين سنة ، ثم أخذ مردنيوس صهر دارا قيادة جيش جرار في البر والبحر وسار به في يونيا يقيم حكومة شعبية متجها الى أوروبا يعاقب آتينا وإريتريا على مساعدتهما في عصيان مستعمرات آسيا الصغرى . فأما إريتريا فقد أسلمها بعض الخونة فقهرها داتيس ، وحرقت معابدها وصفد رجالها في الأغلال يساق بهم أرقاء الى صوص . وأما آتينا التي هتدها الخطر بعد إريتريا بأيام فانها اقتحمت الحرب وحدها هي والپلاتيون اقتحام الأبطال ، وصدت الغازين في مَرطون . وعلى ذكر مَرطون أمسك عن القول لأنى لا أقصد رواية عجائب

الشجاعة والوطنية . وما ذا أنا قائل في الوطنية ! آتينا التي سيكون من أمرها أن تنير العالم بذكائها قد خلصته وقتئذ بعزيمتها التي لا تترعزع ، فإذا كان قدر للفرس أن ينتصروا ما كان عسى أن تصير إليه المدينة الغربية؟ وما ذا يكون مصير أوروبا؟ الله وحده يعلم ذلك ولكن آتينا تستحق اعترافا أبديا بجيائها . وقد صيرت مرطون بلوغ الطرموفيل وأرتيميزيوم وسلامين وبلاتنه وميكال تجاه سموس من الممككات . وكان أول شرط لقهر المتوحشين هو عدم الخوف منهم ، ذلك هو السنة الحسنة التي استنتها يونيا والتي أخذت بها آتينا في هذا الظرف أمام خطر مزيج . لقد افتدنا مدينة مينرفا (آتينا) من الاستعباد الأسيوي منذ اثنين وعشرين قرنا . نحن الذين نعرف اليوم آسيا بعلاقة أننا نمدها نستطيع أن نرى أكثر من اغريق ملتياذ وطمستوكل من أية هاوية انتشلونا . ونستطيع أن نحلف كما فعل ديمستين بأسماء الأبطال شهداء مرطون .

في كتاب هيرودوت ينبغي أن تقرأ هذه الحكاية الخطيرة على بساطة في سردها كتبها بعد الواقعة بأقل من ثلاثين سنة ، وإنه ليخاطب في أولمبيارجالا أخذوا بحظ من ذلك الانتصار ومن الحوادث التي كان يمكن أن يكون هولها شاهد عيان . فلا أريد أن أكرر ما حدث به ذلك المؤرخ الشريف من سيرة المجد ، ولكن لي بعض كلمات على يونيا لا تمشي بالحوادث إلى العهد الذي كان فيه ميليسوس آخر من علم من فلاسفتنا في سموس مذاهب مدرسة إبلي .

لما قهر اليونان اضطروا الى أن يخدموا سادتهم ويتبعوهم في حروبهم ضد إغريقيا ، ففي سلامين كان من سموس اثنان من قواد الأسطول الفارسي : طيومستور بن اندروداماس وفيلاقس بن هستيا ، وقد أبليا بلاء حسنا ضد سفن لقدمونيا حين كان الفيديقيون يحاربون سفن آتينا ، ولكنه مهما كان لإغريق آسيا الصغرى من العمل في تأليف جزء عظيم من أسطول دارا وإكراركسيس ، فانهم لم يكونوا إلا ليربصوا الفرصة المناسبة للعصيان . بعد هزيمة سلامين جاء أسطول الفرس

يقضى الشتاء في كومة وفي سموس بعد أن وصلت الملك المغلوب ومعيته . فلما جاءت السنة التالية حضر الأسطول الإغريق تحت قيادة ليوتيجيدس ملك أسبرطة يبحث عن أسطول الفرس في مياه آسيا الصغرى أظهرت له جميع مدائن الشاطئ والجزر استعدادها لمظاهرتة والعصيان على الفرس ، وعلى الأخص جزيرة سموس ، فانها كانت تتهب شوقا إلى خلع طيومستور الذى رماهم به المتوحشون طاغية عليهم . فأرسلت لهذا الغرض رسلا إلى ليوتيجيدس سواء فى أسبرطة أو ديلوس ، ليؤكدوا له استعدادها . وربما كانت هذه المخبرات هى التى قوت رئيس الإغريق على الحضور لمهاجمة الفرس فى موضعهم ، ولمكن المتوحشين منذ الدرس القاسى الذى تلقوه فى سلامين لم يكونوا ليجرءوا على اقتحام حرب بحرية . وقد أذنوا للأسطول الفينيق أن ينسحب ، ولم يكذبى معهم إلا يونان وإغريق من الشاطئ ، فغيروا مركزهم من سموس الى ميكال حيث جزوا سفنهم إلى البر وأحاطوها بسور يصح أن يكون خط دفاع ، وإلى جانبها جيش مؤلف من ستين ألف مقاتل تحت قيادة تجران الذى عهد إليه إكزاركسيس فى المحافظة على يونيا . وكان الفرس يظنون أنهم من موضعهم هذا فى حصن حصين . ولزيادة الحيلة قد نزعوا السلاح من أهل سموس الذين كانوا يتهمونهم بأن لهم ضلعا مع ليوتيجيدس والذين كان منهم أن افتدوا بمالهم أسرى آتينا وردوهم إلى وطنهم ، وفوق ذلك فقد كلف الفرس الملتين بحماية الطرق المؤدية إلى قم ميكال ، وعلى ذلك لم يكن لديهم أدنى ريب فى أن يصدوا من حصنهم كل هجمة عليهم من العدو ، ولكنهم مع ذلك قد أهلكهم الآتينيون والقورنتيون بفضل شجاعتهم و بانتفاض أهل سموس وأهل ملطية ، فدمر جيشهم تدميرا ، وقتل قائده تجران وحرقت أسطولهم ورجع الإغريق ظافرين من هذه الموقعة مثقلين بالغنائم .

كانت يونيا قد تخلصت من حكم الأجنبي بعد واقعة ميكال ، ولكن هل تستطيع أن تقوم قائمتها بنفسها وتدفع عنها حنق المتوحشين متى تركت الى قواها وحدها ؟ . كان من المشكوك فيه أن لها طاقة على المقاومة ، فاجتمع القواد فى سموس وتداولوا فيما اذا كان الواجب على اليونان أن يهجروا نهائيا سواحل آسيا الصغرى

ويلتجئوا الى قسم من إغريقيا يعين لهم ، فعارض الآتينيون جدّ المعارضة في هذا القرار مع أنه كان من الميسور تعويض اليونانيين على حساب الخونة الذين كانوا قد تخاذلوا عن الدفاع في القضية العامة عند الغارة الميدية . وأما البلوبونيزيون فانهم انضموا الى هذا الرأي من غير مشقة ، ووقف الأمر عند عقد معاهدة محالفة مع السموسيين والشيزيين واللبوسيين وجميع الذين شاطروا في الظفر . وقد كان الجيش الفارسي قد التجأ الى سرديس حيث كان أكراركسيس باقيا منذ رجوعه المنجل ثم تركها تّوا الى صوص ليستر عاره ويكظم غيظه . ولما أصبح الأسطول الاغريقي سيدا على بحر إيجه كله لايهاب فيه عدوّا رجع الى جهة بيلوبونيز سائرا على امتداد كل الشواطئ حاملا من أبيدوس بعض بقايا قنطرة اكراركسيس المشهورة لجعلها في المعابد تذكارا لذلك الانتصار .

لما أمنت يونيا شرغارات الفرس أخذت تعمر ما تحترّب ووضعت نفسها تحت حماية آتينا التي تربطها بها تذكارات الماضي ومنافع الحال وضعا تاما بقدر الإمكان، وبهذه المثابة تحزبت يونيامع آتينا ضدّ اسبرطة التي كان ملكها ليوتيجيدس وبوزانياس موضعا للتظنن فيما يتعلق بعلاقتهما مع المتوحشين . لقد كانت آتينا قوية جدّا في البحر بحيث تستطيع أن تقدّم ليونيا مساعدة عاجلة مفيدة في حين أن اسبرطة لا تستطيع أن تقدم هذه المساعدة ولو أرادتها . من أجل ذلك أخذ اليونان بحظ عظيم في اتحاد ديلوس وشاطروا بمقدار وافر في النفقات العامة التي أنفقها الحلفاء للتحصن من هجوم المتوحشين كرة أخرى ، وكان ذلك على أثر حوادث بلاطة وميكال أي في نشوة الاستقلال المسترّد وبحبوة الثقة المتبادلة (نحو سنة ٤٧٧ قبل الميلاد) .

ولكن آتينا كان من شأنها أن جاوزت في استعمال السلطان الذي أوتيته عفا فحزت على نفسها الغيرة والأحقاد التي سببت بعد ذلك حرب بيلوبونيز في وقت كان عدوهم المشترك لا يزال فيه بقية . وأخذ سلطان آتينا ، كما نبه اليه أرسطو،

يثقل على نفوس حلفائها الذين هم مساوون لها لا رعاياها ، وبخاصة أهل نكسوس وطاشوز الذين عوملوا معاملة قاسية ظالمة (٤٦٧ - ٤٦٥) ولم يكونوا ليستسلموا الى غطرسة الآتينيين في أوامرهم . غير أن الأسطول الآتينى وهو مؤلف من مائتى شرع كان يخر دائما على شواطئ آسيا عزيز الجانب مهيبا من الأسطول الفينيقى الفارسى الذى هرب أمامه حتى بلغ مياه النيل . كانت تلك خدمة حيوية ليونيا . من أجل ذلك كانت يونيا من جانبها تتسامح في كثير من الامتحان الذى كانت تجنيه عليها حليفها القوية في مقابل هذه الحماية المستمرة التى تنالها . والظاهر أن اعترافها بجميلها كان الى الغاية القصوى حين رأت أن استقلالها مضمون بمعاهدة استكرهت آتينا على عقدها الملك الكبير بعد عدة انتصارات داوت الهزيمة التى وقعت في مصر (٤٥٥ قبل الميلاد) . وهذه المعاهدة التى يرجع الفضل في نصوصها الى دهاء سيمون وأعماله في قبرص ، كانت تنص على أن فارس تترك شواطئ آسيا الصغرى التى يقطنها الإغريق حرة تمام الحرية فلا تضع عليهم جزية ولا تدنو بجنودها الى خط على مسافة معلومة من الشاطئ ، وفي مقابل ذلك يتعهد الآتينيون وحلفاؤهم ألا يغزوا بعد الآن قبرص ولا صقلية ولا فينيقيا ولا مصر . وقد أرسل الإغريق سفراء الى صوص حيث صدق على المعاهدة وكان قلياس هو الممثل لآتينا (نحو ٤٤٩ قبل الميلاد)^(١) .

صارت جمهورية آتينا وقتئذ في أوج قوتها ، فانها كانت على رأس اتحاد بحرى تكاد تنصرف فيه على هواها ، مؤيدة بطائفة من الأحلاف في القارة ، سيدة على مستعمرات عديدة على جميع سواحل بحر إيجه وعلى الهلسبون وبحار الإغريق ، يضطلع بأعبائها رجل مثل پيريكليس . فهى لذلك كانت تتطلع الى بسط سلطانها المطلق على جميع الجنس الإغريقى . وهذا الطمع هو الذى أعمها وذهب بها . من بين حلفائها كانت سموس وهى أشدهم بطشا وكانت تحتفظ هذه الجزيرة الكبيرة تلقاء آتينا بنوع من المساواة فى المعاملة قد لا يأتلف وما تضمه الجمهورية من مشروعات بسط سلطانها ،

(١) ألح جروت لإلحا شديدا في بيان الأهمية الكبرى لهذه المعاهدة . (تاريخ الإغريق ج ٥

حدثت شجار قليل الخطورة بين سموس وبين ملطية بشأن أرض بريين الصغيرة جرت إلى المداخلة الآتية فان الجمهورية قد دعت الفريقين إلى التقاضى أمامها . وكانت سموس تخشى تحيز بيريكليس للملطية التي هي وطن أسپاسيا فرفضت قبول هذا التحكيم المريب فأرسلت آتينا لفورها أربعين سفينة لإرغام سموس على الطاعة ، فقلبت حكومتهم من الأوليغارشية إلى الديموقراطية ، وأخذ خمسون من أعيان الأهالي وعدد مثله من أبناء العائلة الرفيعة رهائن وضعوا في جزيرة لمنوس . وبقيت حامية في سموس لتحقيق نظام الحكومة الجديدة (نحو ٤٣٩ قبل الميلاد) .

كان هذا التصرف من جانب آتينا فظيما فقبول بمثله لأن منفي سموس ذهبوا إلى يسوتيس مرزبان سرديس يستجدونه فأمدتهم ببعض مقاتلين فقصدوا سموس وعدتهم سبعائة رجل ، وأنقضوا على حرس الجزيرة الآتيني بياتا وأسلموهم إلى يسوتيس . وفي الوقت عينه كرة رابحة مثل الأولى على جزيرة لمنوس ردت إليهم رهائهم ، وفوق ذلك تحالفوا مع بيزنطة التي تكاد تكون مثلهم في التبرم بحكومة آتينا ، وكان ذلك مفيدا لهم . كل هذا إنما هو خطر جدى يتهدد الجمهورية ، فلو احتملت عصيان سموس لذهب ذلك برأسها وبسلطانها الذي كانت تؤيده هدنة الثلاثين عاما التي عقدت قبل ذلك ببعض سنين مع اسبرطة عدوها الوحيد المريب ، لذلك عقدت آتينا العزيمة على التنكيل بسموس تنكيلا يمنع سواها من أن يهيم بتقليدها . ستون سفينة أرسلت سراجا إلى الناشرين انفصل منها ست عشرة إما لمراقبة الأسطول الفينيقي على شطوط آسيا ، لأن يسوتيس لا يفوته أن يضعه تحت تصرف الناشرين ، وإما ليأتي بالمدد من جزيرتي شيبوز واسبوس اللتين بقيتا تحت الطاعة ، وإلكن من الجائر عليهما أن تقلبا ظهر المحن . وبقى الأربع والأربعون سفينة أمام سموس تحت قيادة بيريكليس أحد القواد العشرة السنويين الذين من بينهم سوفكل الشاعر الذي نشر " أنتيجون " السنة الماضية . ومع أن الموسوسيين كانوا يتوقعون هذا الهجوم ، فانهم كانوا ذهبوا لمحاصرة ملطية ، وكانوا عائدین إذ آلتوا مع بيريكليس

بالقرب من جزيرة تراچيا ، ومع أنه كان لديهم سبعون سفينة من بينها عشرون تحمل رجال حرب فان بيريكليس لم يتأخر عن منازلهم وأتصر عليهم ، وعوّضت خسارة سفنه بالمدد الذي جاءه وقدره أربعون سفينة جاءت من آتيننا وخمس وعشرون من لسبوس وشيوز اللتين قدّمتهما باخلاص .

وقد تلت الواقعة البحرية واقعة برية ، إذ نزل الآتيينون الى الأرض ، وأتصروا على الثائرين وأسرعوا في إقامة أسوار عالية تحصر المدينة من ثلاث جهات في حين أنها مضيق عليها من جهة البحر أيضا تضيق . وفي هذا المركز الحرج تثنى السموسيين أن يرسلوا خمس سفن تحت إمرة استيزاغوراس يستعجل الأسطول الفينقي الذي كانوا أحوج ما يكونون إليه . وليتدارك بيريكليس خطر تجمع هذا الأسطول أسرع بستين سفينة مما معه أمام سموس متجها الى قونوس في قاريا حيث كانت هي موطن الاجتماع كما كان يقال . فلما بعد بيريكليس نرحج السموسيون مستقتلين ، ولم يكن خط دفاع الآتيينين قد تم بعد فانهزموا وخربت بعض سفنهم ودارت عليهم الدائرة في البر والبحر ، ولكن نجاح السموسيين لم يكن ليثبت مدّة فان بيريكليس لما رجع بعد غيبة أربعة عشر يوما غير مجرى الحال ، ولكن في تلك المدّة كانت المدينة قد استطاعت أن تدخر الزاد وفيرا وأستعدت لمقاومة حصار جديد . عاد الحصار كما كان وقوى الحصار البحري بستين سفينة جاءت من آتيننا وثلاثين من لسبوس وشيوز فكادت تكون عدّة مجموع السفن مائتي شرع تحيط بسموس .

في هذه الحادثة نال ميليسوس القدح المعلق في الوطنية وسعد الطالع ؛ إذ كان على رأس الأسطول والجيش فانهز غيبة بيريكليس وحرك حمية مواطنيه بغاية الاقدام وكسب الظفر الذي تكلمنا عنه آنفا . ويظهر على قول بلوتارخس في ترجمة بيريكليس مستندا الى أرسطو : أن ميليسوس هزم بيريكليس نفسه في واقعة بحرية أولى ، غير أن طوكوديدس الذي شهد هذه الوقائع لم يقل شيئا من ذلك فتكون هذه الرواية محال للشك ؛ ومع ذلك فان النجاح الأول لميليسوس لم يكن من شأنه أن يخلص

وطنه، فإن بيريكليس لما جاءه نبأ هزيمة جيشه عجل الى سموس فخرج ميليسوس للقائه، ولكنه انهزم في حرب برية، ويمكن أن يكون هزم أيضا في واقعة بحرية. وقد استمر الحصار على أضيق مماكن. وبقيت سموس وفيها ميليسوس تقاوم تسعة أشهر، لأن بيريكليس كان أحب اليه أن يأخذها بالأناة حتى مع إنفاق المال والزمان من أن يسفك الدماء الآتية.

فلما جاء السموسيون على آخر زادهم سأموا ودك بيريكليس أسوارهم وأخذ سفنهم واضطروهم الى دفع نفقات الحرب التي قدرت كجأ قيل بألف طالنطن، أى خمسة ملايين من الفرنكات في زمننا، فدفعت سموس على الفور جزءا من هذا المبلغ الطائل وقتئذ، وتعهدت بدفع الباقي مؤمنا عليه برهائن قدموها. ويقال إن بيريكليس أبدى في هذا الظرف ما تشعرت له الأبدان من الفظاعة في معاملة بعض الأسرى الذين ماتوا تحت العصا بعد تعذيب عشرة أيام، ولكن الذى روى هذه الفظائع مؤرخ متأخر من سموس وهو دوريس في عهد بطليموس فيلادلفوس. ولا شك فى أن روايته تشف عن الحقد الوطنى، فان بلوتارخس زيف هذه الرواية التي لم يجد لها أصلا فى طوكوديدس ولا فى أرسطو ولا فى إيفورس وهم الذين استرشد بمؤلفاتهم فى ترجمة بيريكليس.

يظهر أن آتينا كانت تعلق أكبر أهمية بقمع ثورة سموس، لأن مثلها من شأنه أن يفتندى. فاذا قلد سموس غيرها تداعت مشاريع الجمهورية الآتية رأسا على عقب. من أجل ذلك قوبل هذا الظافر فى آتينا عند عودته إليها بأجل مظاهر التعمس، وأقيمت حفلات المآتم الفاخرة لشهداء هذه التجربة ووكلت المحكمة المقدسة أمر تأبينهم الى بيريكليس. ليس لدينا نص هذا التأين، ولكننا يمكن أن نأخذ عنه فكرة من التأين الذى نقله لنا طوكوديدس من حيث المعانى على الأقل، ذلك التأين الذى أقيم لشهداء حرب البيلوبونيز، فان بين الحربين علاقة مشابهة، لأن كليهما فتنة داخلية تمزق وحدة الإغريق. وقد قوبل مدح شهداء حرب سموس

بغاية الحفاوة ، فان بيريكليس لما نزل عن منصة الخطابة قامت اليه النساء جميعهن متأثرات بالاعتراف بفضله يعاقنه ويتوجنه بالأزهار والعصائب ، كما كان يصنع بالمصارع المتصر في حفلة الألعاب العمومية ؛ إلا امرأة واحدة لم تشرك الجماعة في ذلك الإعجاب المجمع عليه ، تلك هي إيلينس أخت سيمون الذي كان زمنا طويلا منافس بيريكليس وأقبلت عليه تقول له : ” حق إنها أعمال مجد حقيقة بهذه الأكاليل ! ولقد أضعنا رجالنا لا في حرب الفينيقيين أو الميديين ، كما فعل أنخي سيمون ، ولكن في تخريب مدينة مخالفة تدلى بأصلها الينا وجعل عاليها سافلها“ .

لم يكن هذا الانتقاد إلا مصداق الحقيقة ، ولكن الظافرين قد كانوا سكارى بجرة الظفر . ولم يكن حظ سموس إلا نذيرا بما غيبه القدر لكثير من المدائن الإغريقية الأخرى في الحرب الكبرى التي كان يتوقعها بيريكليس . والظاهر أنه هو أيضا كان متأثرا بنجاحه الى حد لا يأتلف مع اعتدال أخلاقه المعروف . فاذا صدقنا فيه الشاعر يون الشيوزى لحسبنا بيريكليس يفخر بأنه فاق أغامنون الشهير الذي قضى عشر سنين في فتح مدينة أجنبية ، مع أنه لم يقض إلا تسعة أشهر للاستيلاء على أكثر المدائن اليونانية مالا وأعزها نفرا ، ولكن كلمة بيريكليس هذه إنما نقلها صديق لسيمون خصمه فهي بذلك بعيدة الاحتمال ، لأن كلمة كهذه تخرج من فم رجل سياسة لاتعد إلا غشما ، إنها نخر شخصي سيء الذوق ومعاجرة في غير موضعها موجهة للخلفاء ، ولكن مهما كان انتقاص هذا الشاعر له حقا أو باطلا ، فانه كاف في الدلالة على ماعلقته آتيننا من الأهمية على هذه الحرب قصيرة العمر غزيرة الدماء . وعلى رأى طوكوديدس الذي هو مؤرخ شاهد عيان أن السموسيين لو كانوا انتصروا في هذه الحرب لأخذوا من آتيننا سيادة البحر ، فكانت هذه الحرب على ما هي محل للأسف حرب موت وحياة بالنسبة للجمهوريتين . فلما خضعت سموس رغم مقاومة ميليسوس العنيفة لم يبق لآتيننا شيء تخشاه الا شرّ نفسها ، وذلك نوع من الخطر تلهو عن الشعور به المدائن كما تلهو عنه كبرياء الأفراد .

لا أريد أن أجاوز بهذه الاعتبارات التاريخية الى أبعد من ذلك بل يظهر لي أنها على إيجازها كافية لأن تكشف بوضوح عن حالة الوسط الحقيقي الذي نشأت فيه الفلسفة والذي عاش فيه الأعيان الذين نشغل بأمرهم وعملوا أعمالهم . وإني ملخص أبرز رسوم هذه اللوحة التي رسمتها لانعاش حياة تلك الأزمان أو بعض أجزائها على الأقل .

أجل ظهرت الفلسفة لأول مرة في آسيا الصغرى قبل الميلاد بستة أو سبعة قرون ، انها المستعمرات الاغريقية التي خرجت من يونيا بيلوبونيز، وهي التي أشعلت هذا المصباح في أقطار نصف متوحشة ونقلته الى آتيننا حيث كان الاستعداد للانتفاع به تاما، فان أنكساغوراس الكلازوميني عاش مع سقراط، وسقراط هو أب لأفلاطون، ويمكن أن يقال إنه أب لأرسطو أيضا، ولكن قبل أرسطو وقبل أفلاطون وقبل سقراط كانت بذور الفلسفة مبدورة على أرض أخرى، وكان من اللازم أن تنقل الى أطيقا حيث تؤتى ثمراتها. نعم إن الفلسفة كانت مسبوقه هناك كما هو شأنها في كل ناحية بالشعر، فان هوميروس أنشد من قبل أن يفكر فيثاغورث بأربعاة أو خمساة عام، ولكن العلم بجميع صوره : الفلك والرياضيات والطبيعة والتاريخ والطب، كل ذلك تبع الفلسفة وناصرها، لأن الفلسفة هي التي نفخت روح الحياة في كل هذه الفروع وأكسبت بها قوى جديدة .

في وسط المنازعات المدنية والحروب الأجنبية والتجارة والصناعة والملاحة الى الجهات السحيقة والوقائع والأخطار المتنوعة ، في وسط حروب الأبطال التي كان يذكي ناراها فئة قليلة من الرجال الأذكياء الأحرار على دولة نخمة، في وسط كل ذلك يجب أن يوضع مهد الفلسفة الخاشع المجيد . لم يكن هاجر فيثاغورث وإكسينوفان الى شواطئ إيطاليا وإلى إغريقيا الكبرى إلا سخطا على الطغيان أو الاضطهاد . وما لقتحت إيطاليا إلا بهذين الأستاذين اللذين جاءها من الشاطئ الآخر للبحر، ولكنها لم تثمر لأن النبات الغريب لم يحد فيها الأغذية الضرورية

لنضجها . فكان أن ترجع الفلسفة الى منزلها الأول الذى منه درج أوائل المهاجرين لتكسب فيه صورتها الحقيقية وتكتسى ثوب جمالها وتستوفى قسطها من العظمة وحقها من الاستقلال الذى كللها به استشهاد أهلها . غير أن هذه الفلسفة ذاتها مهما دعا الظاهر الى أنها ابتدعت فى إفريقيا أفلا يكون من المحتمل أن تكون اقتبست الشرارة من قبس الاختلاط مع جيران إفريقيا ؟ فان طاليس قد عاش مع الليديين ، وأصل أجداده من فينيقيا . وفيثاغورث الذى يمكن أن يكون هو أيضا من أصل فينيق زار حقيقة سوريا ومصر وكلمة ماذا تعلم هناك ؟ وماذا جلب منها ؟ أو بعبارة أخرى بماذا تدين الفلسفة الإغريقية جدة فلسفتنا وأم غربنا للعالم الشرقى ؟ هل من عليم يحل هاتين المسئلتين ؟ هل العقل اليونانى بل العقل الغربى اقترض شيئا ما من العقل الشرقى العتيق ؟ هذه أيضا مسألة مظلمة على ما لدينا من النور الحديث ، وسأحاول الجواب عليها بعد ، غير أنى بادئ ذى بدء أبغى تكلمة لما سبق أن أثير مسألة أقل بسطا ولو أن لها أهميتها وفائدتها فإنها مع قلة تسديدها جوهرية .

نحن نعرف فلا سفتنا ونعرف بعض الحوادث الرئيسة فى حياتهم . نعرف بعض مؤلفاتهم إن لم تكن لدينا كلها . وإذا كان هوميروس هو وحده الذى وصل إلينا كاملا تقريبا بفضل أفلاطون فقد كان يمكن أن يصل إلينا الآخرون اذا لم تكن المصادفة أهدمت تأليفهم التى هى مستودعات أفكارهم . إذا فقد كتب الأقدمون ! ومن ذا الذى يجعل ذلك موضعا للشك ! هذه النظرية التى أقرها هنا ليست قاصرة على ما يتعلق بطاليس وفيثاغورث وإكسينوفان ومعاصريهم ولكنها تنسحب أيضا على من قبلهم وعلى من بعدهم الى مسافات طويلة ، كيف خرجت من أيدي مؤلفيها تلك المؤلفات التى هى الآن تحت أيدينا كاملة أو آثارا ناقصة ومخرومة . وعلى أى مادة كتبت باديء الأمر وماذا كانت وسائط الكتابة فى عهد إكسينوفان بل فى عهد ليكورغوس أو هوميروس ؟ ولأجل أن يكون بحثنا فى حدود وضعية ضيقة

تساءل كيف كانوا يكتبون في المستعمرات الإغريقية بآسيا الصغرى في حاجات تجارتهم النشطة ومقتضيات سياستهم المعقدة الحازمة وشعرهم الحادّ وعلمهم العجيب وبالجملة في سائر حاجات عيشة اجتماعية راقية مليئة بالأعمال .

أظن أننا الآن نبحث نجيب على هذه المسئلة بطريقة قاطعة واضحة تمام الوضوح . ولكن قبل أن نقول كلمتنا في هذا اللغز نرى من الحسن تقديم حوادث مسلم بها لنبين أن استعمال الكتابة قبل الميلاد المسيحي بسبعة قرون في آسيا الصغرى بل في فارس نصف المتوحشة كان من الانتشار والسهولة على ما هو عليه عندنا الآن . كانت موادها أشياء أخرى ولكنها تكاد تساوى المواد التي نستعملها اليوم إلا أعجوبة المطبعة . لم يكن للناس في تلك الأزمان البعيدة ورق كالأوراق التي عندنا، ولكنهم كان لديهم ما يساويه وما يؤدى لهم المطلوب من الورق .

أفتح بالمصادفة هيرودوت وطوكوديدس وإكسينوفان وأفلاطون وأرسطو وأخذ الأشياء كما رووها بل كما رأوها وكما أستعملوها .

أضمر هر بنغوس وهو في معية أصطياغ ملك الميديين أن ينتم من سيده القاسى انتقاما وينتصف لنفسه ، وأراد أن يتفق مع قيروش الذى على حداثة سنه كان له بين الفرس من النفوذ ماسيخرج منه مملكة فسيحة الأرجاء . لما لم يسع هر بنغوس أن يتصل مباشرة بالأمر الشاب الذى يحمل هو أيضا ما يدعوه للانتقام ، أرسل خادما أميناً يحمل إليه بعض الصيد ، وجعل في بطن أرنب كتاباً أخفاه فيه يحترض به قيروش على الثورة ، ويؤكد له مساعدته إياه . ما ذا فعل قيروش ؟ لما فتح بطن الأرنب بيده ، كما أوصى المهدي خادمه به ، وقرأ الكتاب بمعزل ، وضع كتاباً مزوراً يفيد أن أصطياغ قد عينه رئيساً على الفرس التابعين وقتئذ لبيديين . وقرئ ذلك الكتاب المزور على أعضاء عائلة الأشمينيين فصدّقوا ، وبهذه المثابة قادهم قيروش على غير علم منهم وحارب بهم أصطياغ^(١) وخلعه . ولم يكن هر بنغوس وقيروش مع ذلك

(١) هيرودوت كتاب ١٢٣ وما بعده

إلا متوحشين ، ولكن ها نحن أولاء بصدد أناس متعلمين في آسيا الصغرى
وفي مصر .

وهذا بوليقراطس طاغية سموس وهو على سرير ملكه متمتعاً بالفراخية الى غايتها
والناس الذين يعجبون به أو يخافون بطشه يكبرون منه حذقه وسعادته . وكان له
بأمازيس الحكيم ملك مصر رابطة اتفاق بل صلة صداقة نخاف أمازيس على
صاحبه ذلك الموفق المهيّب مما اجتمع له من التوفيق المستمر أن يتغير له الدهر ،
وهو يعلم أنه لا ثبات للحظوظ الانسانية فنصح له أن يحذر الغير في تقلب القدر ،
كتب له بذلك خطاب عطف ونبوة أوصاه فيه أن يضرب على نفسه قربانا يتقى به
سخط الحظ الخادع الخائن إن استطاع . فأجابه بوليقراطس الذي يخشى على نفسه
ما يخشاه صاحبه بخطاب أرسله اليه في مصر ، ذكر له فيه الوسيلة التي اتخذها
ليصيب نفسه بمحض اختياره بمصيبة موجهة . والمصادفة الخارقة للعادة هي التي صيرت
قربانه عبثا . فكان أمازيس وبوليقراطس يتبادلان الرسائل بين سموس وهنغيس
على نحو السهولة التي يتخاطب بها التجار في وقتنا الحاضر بين أزمير والاسكندرية ^(١) .
لست أدعى أن الخطاب الذي نسبه هيرودوت الى أمازيس صورة رسمية من خطابه
الأصلي لا يتطرق اليها الشك ولكنه لا محل لأدنى شك في أن الملكين كانا يتبادلان
الرسائل الكتابية .

كذلك كان بوليقراطس نفسه قد جمع مكتبة كثيرة الكتب كما ذكرنا آنفاً ، وقد
كانت في العالم الإغريقي احدى الباكورات التي استمتع بها بوليقراطس وأنفق في جمعها
مالا طائلا . ويقولون نحو ذلك بالنسبة الى بيزسراطس المتقدم بالزمان على
بوليقراطس . يقولون إنه أنشأ مكتبة في آتينا وجعلها مكتبة عمومية ليلاطف من
حال الشعب بهذه المزية وبغيرها ، ولكن ناقل هذا الخبر الينا هم من المتأخرين ،
لأن أحدهما أطيني والآخر أولوجل ، غير أني لا أجد أسبابا تجعل على الشك

(١) هيرودت ك ٣ ب ٤٠ وما بعده .

في روايتهما . فأما بوليقراطس فإن مصر كانت له قدوة ما كان أسهل عليه تقليدها كما سنبينه بعد، وكان في استطاعته أن يجمع آثار المؤلفين الذين يعجبون سكان الشواطئ الذين يطربون للشعر ويتذوقون طعوم العلم منذ عهد هوميروس . وأما بيزيسطراطس فمن المؤكد أنه إذا لم يكن فتح مكتبة للجمهور فهو على الأقل قد اقتنى الكتب واشتغل بنفسه فيها لغرض سياسى محض . وروى بلوتارخس في كتابه "حياة طيسى" أن بيزيسطراطس سلخ من "هيزيود" بيت شعر كان يمكن أن يجرح صالف الآتينيين ، وأنه زاد على قصيدة هوميروس بيتا من شأنه أن يسرهم ؛ فذلك الحذف وهذه الاضافة كيف يمكن إثباتهما إلا أن يكون لديه نسخ من تلك القصائد يمكن فيها التغيير والتبديل .

نرجع الى استعمال الرسائل في العهد الذى نحن بصدده .

ان أوريطيس مرزبان سرديس الذى عامل بوليقراطس بتلك القسوة الفظيعة استوجب بسلوكة الوحشى سخط كل من حوله ، فان أحد زملائه غاب عليه أحبولته التى نصبها لطاغية سموس ، فقتله هو وابنه . وكان دارا الذى ارتقى عرش الملك حديثا ساخطا على أوريطيس الذى فوق ما قارف من الآثام تلكأ في حرب المجوس والفرس بعد موت قمبيز ، وكان ذلك أكثر مما يلزم للملك الجديد من الأسباب التى تجعله على التخلص من مرزبان قوى يسوس فريجة وليديا ويونيا جميعا ويقود جيشا عمر مرما . ولأن يقبض عليه جهرا بالقوة فيه ما فيه من عدم التبصر خصوصا فى ابتداء حكم جديد . ومع ذلك فان أوريطيس دس على سفراء دارا الذين جاءوا يدعونه الى مقابلة الملك من قتلهم سرا ، فصار بجيلة مفاعل مستحقا للعقوبة ، ولكن كان يلزم مداراته بعض الشئ وتجنب ثورة أصبح حدوثها قريب الوقوع ، فدعا دارا أكبر الفرس وطلب اليهم أن يخلصوه من ذلك العاصى إما بقتله وإما بالقبض عليه وإحضاره ، وفى كلتا الحالتين لا ينبغي اتباع غير طريق الحيلة ، فتقدم اليه منهم ثلاثون دفعة واحدة كلهم يعرض قيامه بهذا العمل وحده ، فلم يشأ دارا أن يختار من هذه العروض الصادرة عن الاخلاص واقترع بين أصحابه فصادت القرعة باجى بن أرطوطيس .

ما ذا فعل باجى؟ كتب كثيرا من الأوامر تتعلق بمسائل شتى، وختم كل واحد منها بختم دارا، فلما وصل الى سرديس سلم هذه الأوامر الى سكرتير الملك بحضرة أوريطيس، لأن كل مرزبان كان لديه ممثل للملك؛ ففرض السكرتير الخاتم عن تلك الأوامر وقرأها على الضباط العظام الذين كانوا حول أوريطيس. وكانت تلك الأوامر موجهة اليهم بنوع أخص، فتلقوا جميعا أوامر الملك بغاية الطاعة والاحترام. فسرى باجى بهذه المحنة الأولى ورأى أن في استطاعته الاعتماد على طاعتهم، فأفضى اليهم سرا ببعض الأوامر التي يأمرهم فيها دارا بالانفضاض عن أوريطيس والانتطاع عن خدمته، فأطاعه الضباط أيضا وألقوا رماحهم دلالة على أنهم تركوا المرزبان، فلما تحقق باجى من تأثيره فيهم جعل سكرتير الملك يقرأ عليهم أمره إياهم بقتل المرزبان، فهجموا عليه فخر صريعا تحت طعنات سيوفهم، وبذلك أخذ منه القود لبوليقراطس، ونال دارا بغيبته من الانتقام^(١).

على ذلك كان الفرس أنفسهم في زمن دارا يستعملون الكتب بالسهولة التي يستعملها بها الإغريق الذين هم أرق منهم تعلمًا وأكثر مدنية، فان الملك الكبير كان يرسل أوامره الى جميع أجزاء مملكته الفسيحة الأرجاء. وكانت هذه الأوامر مكتوبة بالأوضاع وبالمواد التي ربما لا تزال تستعملها الى الآن تلك البلاد القليلة المدنية.

لما اتهم الإغريق پوزانياس بأن له ضلعا مع الفرس وكرهوه عزم فعلا على خيانة قضيتهم الشريفة التي طالما خدعها في پلاتة، فواصل اكراركسيس بكتاب يعرض عليه فيه أن يخضع له أسبرطة وبقية بلاد الإغريق، فقبل ملك الفرس عرض ذلك الخائن، وكتب إليه بخط يده كتابا أرسله إليه مع أربطاز مرزبان دسكيلينس. فلما أحسن أهل إيفورس خيانة ملكهم، كتبوا اليه يندرونه بأن يغادر طروادة ويعود الى أسبرطة حيث يستطيعون مراقبة سلوكه. فلم يجرؤ پوزانياس على

(١) هيردوتك ٣ ب ١٢٦ وما بعده.

مخالفتهم ، وعاد الى مقر ملكه ، ولكنه لم يكف مع ذلك عن مراسلته الجنائية ، ولكن الرجل الذى سلم اليه آخر الرسائل خاف على نفسه لأنه لم يعد ولا واحد من الرسل الذين حملوا أمثال هذا الكتاب الى دارا ، ففَضَّ غلاف الكتب بعد أن قلد الختم الموضوع عليها ليقلها كما كانت ؛ فتحها ليرى ما اذا كان لخوفه محل ، واذا به يقرأ توصية على قتله ، فحمل الكتب الى أهل إيفورس وبلغهم أمر الملك الذى كان يسلم إغريقيا للتوحشين .

إن تاريخ طيمستوكل أشبه ما يكون بتاريخ بوزانياس وإن كان أقل منه جنائية ، لأن الآتينيين كانوا عرضوه على الخيانة بأن عاقبوه بالذنى ظلماً فكاتب أرتقزاركسيس . ولما هرب من أرغوص الى قرقير ومنها الى الملك أدميت ملك اللووس ، ومن عنده الى اسكندر ملك مقدونيا جاء آخر الأمر الى ايفيزوس حيث كتب الى الملك الكبير يطلب اليه ملجأ أباه عليه الإغريق . وقد روى طوكوديدس صورة ذلك الكتاب ولا محل للنظن في صحته ^(١) .

من غير النافع أن نعدد الأمثلة لأنها مستفيضة في جميع المؤرخين الذين لم أذكرهم وليس من الضروري أن نذهب بالتمثيل بعيداً ، فقد وضع أن الناس في إغريقيا وفي آسيا الصغرى كانوا يستعملون الكتب في الأعمال العمومية والخصوصية على نحو ما نستعملها نحن تقريبا ، وبوسائل أشبه ما تكون بوسائلنا من حيث المادة التى كان يسهل الحصول عليها من غير عناء ، وأنهم يهتمون الأوراق على نحو ما نتمهم أوراقنا بالطوابع الرسمية ، وبالأختام التى يمكن تقليدها من غير أن تكسر ... الخ .

وماذا كانت تلك المواد ؟ — .

تجيبنا على ذلك عبارة هيرودوت الصريحة ، فان ذلك المؤرخ العظيم للأزمان الأولى للعالم الإغريق قال فى عرض حديثه عن كيفية نقل "قدهوس" الحروف الهجائية من فينقيا الى القارة عند اليونان ما يأتى :

(١) طوكوديدس ك ١ ب ١٢٨ وما بعده .

”يطلق اليونان على الكتب من قديم الزمان اسم الدفاتر أو الجلود لأنهم“
 ”لما لم يكن عندهم ورق في تلك الأزمان كانوا يستعملون للكتابة جلود المعزى“
 ”والغنم، بل في أيامنا ما يزال كثير من المتوحشين يكتبون على الدفاتر أو جلود من“
 ”هذا النوع“^(١).

وقد أتى هيرودوت بما لا يقل عن ذلك عجباً، فانه ذكر أنه رأى بنفسه عند
 زيارته طيبة في بيوسيا في معبد أبولون الأسميني ثلاثة نصاب منقوشا عليها
 بالحروف التي كانت تستعمل في يونيا . وهذه النقوش بالغة في القدم الى لاوس
 أبي أوديب أي بعد قدموس بأربعة أجيال .

إن الكلمة التي يستعملها هيرودوت عبارة عن الكتب هي كلمة ”بيلوس“
 ودلالاتها معروفة بصورة مضبوطة ، فان هذه الكلمة تدل على جزء معين من بردى
 مصر . ولم يترك تيوفراسط محلاً لأقل شك في هذا الصدد، فانه في كتابه ”تاريخ
 النباتات“^(٢) قد وصف النباتات المائية، وتبسط في وصف البردى الذي ينمو في ماء
 النيل ، وعدد الاستعمالات المهمة المتنوعة التي يصلح لها البردى، وبعد أن قال: إن
 من الخشب تصنع المراكب، قال: ”ومن البيلوس تصنع الشرع والحصر والملابس
 أحياناً والنعال والحبال وأشياء أخرى كثيرة أهمها الكتب ”ببليا“ المعروفة عند
 الأجانب حق المعرفة . وعلى ذلك يكون معنى بيلوس الذي ذكره تيوفراسط هو
 ذلك الجزء من ساق البردى الذي لمرونته ومقاومته يقبل هذه الاستعمالات المختلفة
 بالنسج واللى .

وخلاف مكتبتى بيزيسطراط وپوليقراطس؛ فالثابت من الأدلة التفصيلية التي
 أتى بها أفلاطون أن الكتب في زمنه على المعنى الذي نفهمه نحن من هذا اللفظ
 كانت منتشرة جد الانتشار بآتيناً. وقد روى سقراط نفسه في كتاب ”فيدون“ أنه
 سمع ذات يوم انساناً يقرأ كتاب انكساغوراس وفيه أن العقل هو نظام كل الأشياء

(١) هيرودوت ك ٥ ب ٥٩ وما بعده .

(٢) تيوفراسط وتاريخ النباتات ك ٤ ب ٩

ومبدؤها . ولما قرعته هذه الحكمة البالغة رجا أن يجد في انكساغوراس حل كثير من النظريات بعد ما سمع من براعة الابتداء ، بحد في طلب مؤلفاته وهو يظن أنه سيتعلم منها علم الخير والشر ، فقرأها على شوق الفهم ، ولكنه كلما تقدم في القراءة خاب من رجائه فألقى بها الى جانب ليعود الى تفكره الذاتي ؛ اذا كان اسقراط كتب يراجعها ويتركها ، كما يفعل بيننا عشاق العلم والحكمة سواء بسواء ، يرجعون الى كنوز دور الكتب فلا يجدون فيها شفاء الغلة الذي يطلبونه .

وروى أنتيفون في أول كتابه « پرمينيد » نقلا عن رواية فيتودور أحد أصحاب زنون الإيلي قال : ” لما أتى پرمينيد وكان قد تقدم في السن الى آتينا مع تلميذه أقام في حي السيراميك خارج الأسوار فانتقل إليه سقراط في رُفقة ليسمع قراءة كتب زنون “ وكانت تلك هي أول مرة حمل فيها زنون و پرمينيد هذه الكتب الى آتينا . وكان سقراط وقتها صغير السن . وكان زنون نفسه هو الذي يقرأ كتابه لأن پرمينيد كان غائبا في تلك اللحظة وكان على وشك أن يفرغ من القراءة إذ عاد فيتودور ومعه پرمينيد ومستمع آخر هو أرسطوطاليس الذي صار بعد ذلك أحد الثلاثين ، ولم يسمع فيتودور إلا قليلا مما كان باقيا ، ولكنه أقام الى آخر التلاوة التي كان قد سمعها قبل ذلك في جلسة أخرى .

لما أصغى سقراط الى النهاية طلب الى زنون أن يتفضل بإعادة القضية الأولى من الكتاب الأول فأجاب طلبه مع الارتياح ، وأخذ الكتاب وأعاد الجملة التي وقف فيها سقراط والتي أراد سقراط استحضار ألفاظها حتى يدخل في مناقشة المعاني : ” اذا كانت الموجودات متعددة لزم عليه أن تكون متشابهة وغير متشابهة في آن واحد فيما بينها ، وهذا مستحيل لأن غير المتشابه لا يمكن أن يكون متشابهاً ، وما هو متشابه لا يمكن أن يكون غير متشابه أيضا “ وأبتدأ الجدال وقتئذ فكرر سقراط قضية زنون ، وسأله اذا كان هذا حقا هو ما يريد ؟ فأكد زنون أن ذلك هو غرض كتابه ، فالتفت سقراط الى پرمينيد وقال له : ” أرى واضحا أن زنون متصل بك لا بصلات الصداقة فقط بل بكتاباته . فالواقع أنكما تقولان جميعا معنى

واحدا، وإن اختلفت العبارة، فإن أحدهما يثبت أن الكل هو واحد، ويثبت الآخر أن التعدد متمتع“ فأعترف زنون بأن الحق في جانب سقراط، وأنه ما كتب كتابه إلا أنتصارا للمذهب پرمينيد ضد أولئك الذين يبغون جعله سخريا، وأن كتابه جواب على نصراء التعدد، وأن الغرض منه أن يبين لهم أن مذهبهم نفسه له نتائج أسخف من المذهب المضاد. وزاد على ذلك زنون بقوله: ”إني ألفت هذا الكتاب مدفوعا بدافع المجادلة، فسرق مني قبل أن أسائل نفسي عما إذا كان ينبغي نشره أولا ينبغي. على هذا كنت يا سقراط تخدع نفسك إذ اعتقدت أن هذا الكتاب إنما أملته على رغبة رجل ناضج بدلا من أن تنسبه الى شاب يميل به ما لطبع الشباب من حب المغالبة“.

وآستمر حديثهم دائرا على موضوع الوحدة والتعدد بما هو معروف لديهم من الموارد والمغالطة مما أكف عن الاسترسال فيه، فحسبنا هذه التفاصيل دلالة على أن زنون وپرمينيد لما جاء من إيليا الى غرب إغريقا الكبرى كان في بلدهما كتب كما في آتينا، وأن هؤلاء المتناظرين كانوا يتخذون الكتب لما تتخذه نحن من الأغراض يقرءونها ويعيدونها ويقفون ببعض جملها للتحقق منها. ونحن في شأننا لا نقلب إلا على مثالهم صفحات ما لدينا من الكتب التي في حجم الثمن أو الاثني عشرى التي ليست بأكثر مطاوعة للتقليد من كتبهم.

وفي مقدمة فدر الرشيقه قابل سقراط ذلك الشاب الذي خرج يتنزه في الخلاء بعد أن مضى صباحه قاعدا. فمضى فدر صبحه إذا؟ في استماع قطعة كان يقرؤها له ليزياس بن سيفال، وما زال مأخوذا بما قرئ عليه. وقد كان ليزياس أتى خصيصا لهذا الغرض من بيده الى مونيشيا، فطالب سقراط من صديقه الشاب أن يفسر له ذلك الكلام العجيب، فامتنع فدر بفكرة أنه أقل علما من أن يكرر مثل تلك العبارات الجميلة، ولكن سقراط الذي كان عاليا بشغف صاحبه رقيق الحاشية أكد له أنه لا بد أن يكون قد حفظ تلك القطعة عن ظهر قلب، لأنه لا بد أن يكون استعاد

من مؤلفها أن يقرأها عدّة مرات وأنه لم يقنع بذلك بل لا بد أن يكون أخذ الكراسة المكتوبة فيها حتى يقرأها على خلاء ، وأن ذلك كان شغله الشاغل الذي ألهاه عن الخروج صبيحة يومه ، فأخذ فدر يتنصل بحجج ضعيفة ، ولكن سقراط ألحف في المسألة فأظهره فدر على الرسالة المخطوطة التي كانت بيده مخبأة تحت طرف رداءه ، وأخذ الصاحبان ييحثان وهما سائران على شاطئ الألووص حيث كان يغمر فيه سقراط قدميه ليبترد ، عن مكان يناسب القراءة بالراحة حتى وصلا الى مجلس تحت شجرة ساج عالية ظليلة بجانب شجرة كف مريم يعطر نورها الهواء على مسمع من خريرين صافية بين التماثيل والأصنام القائمة للخور ولنهر أخلاوس ، بفلس فدر وسقراط في الظل على الحشيش الغض وقرأ الشاب كتاب ليزياس في النسخة التي معه .

فأثنى سقراط على بلاغة ليزياس ، ولكنه لم يصل الى حد إعجاب صاحبه الشاب وقال له : إن هذا الموضوع قد كتب عليه الحكماء في الأزمان القديمة بما لا يقل إجادة عن هذا ؛ وحسبك منهم الحسناء سافو الشاعرة أو الحكيم أنقريون بل حسبك أي كاتب من الكتاب ؛ فلم يصدق فدر من ذلك شيئا وسأله أن يأتي بأحسن مما أتى به ليزياس ، وإن لم يفعل على الفور فلن يقرأ له شيئا بعدها ، فأخذ سقراط لفوره في مسابقة ما ظنها مستحيلة عليه . وأعاد كلام ليزياس في نفس الموضوع على ما فيه من الشطط والإشكال ، ولكنه ارتقى كثيرا عن هذه المنافسة النافهة في موضوع مطروق ، وانهز هذه الفرصة ليعطى الشاب درسا في الخطابة والذوق . إن ليزياس يكتب أكثر مما ينبغي فيجب تعلم الحكم على مؤلفاته حتى لا تعطى من القيمة أكثر مما تساويه في الحقيقة ، وإن رجال السياسة البصراء يربثون بنفوسهم عن تأليف مؤلفات تكون بعدهم موضوعا لانتقاد الخلف انتقادا قاسيا ، فإذا كتبوا بالمصادفة شيئا كتبوه بكل عناية حتى لا يعاب عليهم . وهذا پيريكليس أخطب الخطباء وتلميذ أنكساغوراس العظيم لم يترك شيئا مكتوبا .

وبنينا سقراط يرسم قواعد الخطابة الحقيقية إذا به يصل الى اختراع الكتابة والكتب . على حسب أسطورة محفوظة في تفرانس ، احدى مدائن الدلتا ، ربما كان سولون قد وعها من هناك ، أن الكتابة من اختراع الإله توت وهو أفضى بها الى الملك طاموس الذى كان يحكم فى طيبة . ولم يعجب طاموس بهذا الاختراع كما أعجب به مبدعه ، وخشنى على المصريين من الكتابة التى يبعد عليها أن تصيرهم أكثر حكمة بل تضرهم متى جعلتهم يعتقدون أنهم يعلمون ما يقرءونه قراءة سطحية فى كتبهم . قال سقراط معضدا رأى طاموس : "يكون الانسان" "من البساطة بمكان اذا تصور أنه يمكن إيداع أى فن من الفنون فى الكتب . وأنه" "يمكن تعلمه منها ، كما لو كان قد نرحج يوما من الكتب شىء بين متين ؛ إلا ما يكون" "من تشييط الذاكرة عند الذى كان يعلم من قبل ماتحويه الكتب . وإن محصلات" "الكتابة أشبه بمحصلات الرسم . سل لوحات الرسم تجبك بسكوت جليل ، وسل" "الكتب تجبك دائما بهذا الجواب . وقد تعتقد عند استماع ما فيها أنها عليمه ،" "ولكن مقالا متى كتب دار فى كل ناحية ، فيقع فى أيدى من يفهمونه كما يقع" "فى أيدى الذين لم يكتب لأجلهم ، وانه لا يعرف لمن يتكلم وأمام من يلزم الصمت ."

"فاذا أحترقه أو عابه أحد بغير حق التجأ الى أبيه ليساعده ، لأنه لا يستطيع أن" "يقاوم ولا أن يساعد نفسه ."

فسقراط يحط من شأن هذه المقالات الميتة فى طى الكتابة التى يحويها ويرفع فوقها قدر المقال الذى ينقشه العلم فى نفس الذى يتعلم ، ذلك المقال الحى الملىء بالحياة هو الذى يبقى فى الذهن ، وما منزلة المقال المكتوب منه إلا الشبح الباهت . هذا هو ما ينصح لفسدر أن يكثر العناية بمزاولة . ان الشاعر والنائر يصححان ويحزران ألف مرة ما قد كتبا ، يزيدان عليه أو ينقصان منه ، ولكن يلزمهما قبل كل شىء أن يهتما بما فى نفسيهما ويرعيانه حق رعايته ، تلك هى الوسيلة لأستحقاق ذلك اللقب الجميل لقب الفيلسوف . ذلك هو الرأى الذى يمكن أن يعطيه فدرالى

ليزياس ، وذلك هو الرأى الذى يعرف سقراط كيف يجعل أصحابه الشبان يتذوقونه ، وعلى الأخص إيزقراط الجميل الذى عليه مخايل النبوغ .

أنا لا أناقش رأى الحكيم الآتينى مهما ظهر لى منه عدم أئتلافه مع ذوقه السليم المعروف ، ولكن أيا كانت قيمته فانه ينتج منه أن سقراط وفدر وجميع أصحابهما يستعملون الكتب كما نستعملها نحن ؛ يكتبون مقالاتهم ومؤلفاتهم كما نعمل نحن ، ويدرسونها ويصححونها ويهدبونها كما نعمل نحن . وينتج من هذا فوق ما تقدم أنه منذ زمن أفلاطون كان ينسب اكتشاف الكتابة واختراع الكتب الى مصر . ولا شك فى أن أفلاطون وهو من ذرية سولون يجب أن يعلم أكثر من غيره شأن تلك الأسطورة التى جاء بها جدّه الأجدد من البلد الأجنبى .

وعلى هذه الوقائع القاطعة نزيد وقائع من العصر ذاته . لما وصل إكسينوفون رئيس تفهقر عشرة الآلاف من بيزنطة الى ساسيديس آخر نقطة وصل إليها فى الشمال ، حكى أنه عند دخوله فى البحر الأسود وجد سفنا كثيرة جانحة فى الرمل تحت جرف الشاطئ ، وأن أهل تراقيا سكان تلك المنطقة يسارعون الى نهب أولئك الغرق التعساء ويتقاتلون على أيهم يسرق من السلب أكثر من غيره . ولذلك توجد منقولات كثيرة على هذا الشاطئ الخبيث ينقلها الملاحون فى صناديق من الخشب ، ومن بينها كتب لا شك فى أن أولئك المتوحشين ما كانوا يفهمونها ، ولكنهم يحفظونها لبيعوها . ونظرا^(١) الى أنه كان يوجد عدد عظيم من الجاليات الاغريقية فى تلك الجهات بيزنطة وغيرها ، فليس مستحيلا أن فكر أولئك الملاحون فى الاتجار بالكتب ، وربما كانوا ينقلونها من الشواطئ الأسيوية ومن آتينا والمدائن الأخرى لليونان النازلين والمهاجرين الذين مع بعدهم عن وطنهم تتوق أنفسهم الى الاقتباس من نوره الذى هم أحوج ما يكونون اليه فى غربتهم .

لا أقول بأنه فى زمن أفلاطون بل فيما قبله لم يكن يوجد فى آتينا أصلا كتب يبيعون الكتب ويشترونها فذلك محتمل جدا ، ولكنه ليس عندنا على ذلك شهادات

(١) اكسينوفون . أنا باز . ك ٧ ب ٥ ف ٤ ص ٣١٣ طبعة فرمان ديدو .

تقارن في قدمها ذلك الزمن . فان أول شهادة من هذا النوع تنسب الى زنون السيتومي ، فان زنون قبل أن يترك مدينة ستيوم وهي مستعمرة فينيقية في قبرص اشترى حمولة من الأرجوان ليربح فيها في آتينا وذهب يستفتي الهانف عن أحسن طريقة للعيشة ، فنصح له الهانف أن يصير في لون الموتى . وفسر زنون هذه النصيحة بأنه يجب عليه أن يعكف على قراءة كتب الأقدمين حتى يشحب لونه . فلما وصل الى آتينا بعد غرق محزن دخل عند كتي وأخذ يقرأ بلذة شديدة الكتاب الثاني من مذكرات إكسينوفون على سقراط ، فسأل الكتي وهو مسحور بلذة ما قرأ : أين يمكنه أن يقابل المؤلفين الذين يكتبون مثل هذه الملاح ؟ فأشار له الكتي باصبعه الى «قراطيس» الذي كان مارا وقتها في الشارع ، فعجل زنون الى الأستاذ يتعقب خطاه حتى وصل اليه وتلمذ عليه ، ولكن لما لم يستطع ذلك الحفاء الغليظ اعتزل قراطيس إذ أصبح في قدرته أن يضع مؤلفات لا تنقل عن مؤلفات أستاذه وأخصها كتابه على فيثاغورث^(١) . وكان عمر زنون وقتئذ ثلاثين عاما ، وعلى الاحتمال الغالب أن أرسطو وقتها كان لا يزال حيا ، فان ذلك كان في آخر ملك اسكندر .

أقص حادثة أخيرة أستعيرها من نظريات أرسطو في الفصل السادس عشر الباب السادس (ص ٩١٤ ف ٢٥ طبعة برلين) يتساءل المؤلف : لماذا قطع الكتب يعطى هيئات مختلفة على حسب ما اذا كان هذا القطع مستقيما أو بانحراف ؟ أترك التفسير الى ناحية لأنه لا يهمننا هنا ، ولكن ذلك يبين أن أرسطو كان لديه كتب من جنس كتبنا وعلى الأقل من جهة كونها مقصوفة على صورة منتظمة قليلا أو كثيرا . بعد ذلك في الفصل الثامن عشر يبحث أرسطو : لماذا تنيم القراءة بعض الناس ؟ ولماذا بعضهم على الضد من ذلك يتناول الكتاب حين يريد أن يبقى ساهرا ؟ كل ذلك يعين استعمالات للكتب أشبه ما تكون بما نفعل نحن .

(١) ديوجين اللايرثي ك ٧ حياة زنون السيتومي .

كان في آتينا بعضهم يقرأ في سريره وليس معدوما فيها هذا الصنف من الناس الذين يأتون هذه البدعة عندنا .

من أين جاءت هذه الكتب ؟ وعلى أى مادة كانت مكتوبة ؟ لا أتأخر في الجواب : كانت مكتوبة على ورق البردى ، وكان البردى يجيء من مصر . منذ أقدم الأزمان كان بين مصر وبين إغريقيا روابط مستمرة ، ومن باب أولى كان بين مصر وآسيا الصغرى . وان أقدم الهجرات التي اتبع فيها سبيل إناخوس وسكروفس وكثير غيرهم إنما عادت من شواطئ النيل جالبة معها الى الهلين في عداد ما جلبته لهم أسماء جميع آلهتهم المتنوعة الى اللاتينية ، وبعد ذلك ضاعفت العلاقات دواعى التجارة والحروب . وفي تلك القرون التي نحن بصددها كانت مصر متدخلة دائماً لمصالح شتى في سياسة جميع الأمم المجاورة لها ، وعلى الأخص سياسة المدائن الاغريقية التي على الشاطئ . ولما أن فتح الفرس مصر صارت هذه العلاقات أكثر توثقا واستمرارا ، فان أسطول المصريين وجيوشهم كانت تشهد كل حين وقائع البر والبحر . ومن البديهي أن الأمم المختلطة على هذا النحو تبادل كثيرا من الأشياء بحكم الضرورة . وكانت مصر وقتئذ الوحيدة تقريبا في إنتاج البردى فكانت تصدر منه كميات وفيرة الى بقية العالم .

قد كان من السهل على مصر وهي التي اكتشفت الكتابة وهي التي تخرج البردى وتستعمله تلك الاستعمالات الصادرة عن المهارة والذكاء أن تصوّر أيضا إنشاء المكاتب ، فان الكتب متى كتبت وجب جمعها وحفظها لحفظ الذكر لكل ما اشتملت عليه . وعلى الرغم من قول طاموس وأفلاطون وسقراط فقد ظهر أن تلك المحفوظات مفيدة ونفيسة جدا . ذلك ما كان هو الواقع . فان أوزيميندياس أحد ملوك مصر يعتبر أنه أول من اقتنى مكتبة أو من أوائل من اقتنوا مكاتب . وتذكر هذا الحادث العجيب نقله إلينا ديودور الصقلي الذي زار مصر في الأولمبية ١٨٠ كما كان زارها هيرودوت من قبله بأربعائة وخمسين عاما ورأى بعينه كل ما يتكلم عنه تقريبا .

بعد أن قال كلمة عن قبور الملوك التي كان عددها سبعة وأربعين على رواية الكهنة والتي لم تكن إلا سبعة عشر حين زارها ديودور،^(١) وصف بغاية التفصيل الأثر الشهير لأوزيمندياس، ومن بين العائر التي تنسب إلى هذا الملك دار الكتب المقدسة المنقوش على وجهتها: "دواء النفس". ولا يستنتج من كلام ديودور نفسه أن هذه المكتبة كانت لا تزال قائمة في زمنه، فأما أنها وجدت فذلك ما لا يكاد الشك يتطرق إليه. ولقد كان لدى الكهنة المصريين كتب بالغة في القدم مسجل فيها تاريخ البلاد سنة فسنة تسجيلاً منتظماً والوراثة غير المنقطعة على عرش مصر لأربعائة وسبعين فرعوناً ونحس ممالك، ولم يشأ ديودور أن يكرر بالنسبة لعهد كل فرعون ما كانت تحويه هذه الكتب التي يظهر أنه اطلع عليها، ولكنه وضع خلاصتها وعلى تلك الوثائق بنى عمله. فإذا لم تكن هذه المكتبة موجودة قبل المسيح بنحسين عاماً فلا أقل من أن يكون ذكرها وارداً في تلك السنوات الرسمية التي كان لا يزال يمكن الاطلاع عليها مهما كان مبلغها من الضبط قلة أو كثرة.^(٢)

وعلى رأي علمائنا المشتغلين بالآثار فإن أوزيمندوس الذي كان يسميه الإغريق أوزيمندياس هو فرعون من العائلة السادسة عشرة. وهذه العائلة يقترب عهداً تقريباً بعهد إناخوس أى بتاريخ نحو ألفى سنة قبل الميلاد. فإن الهكسوس أو عرب الرعاة تكون العائلة السابعة عشرة.

مثل هذه الأحاديث ربما كانت تظهر لنا حديث خرافة، إذ لا يمكن التصديق بوجود كتب في زمن بالغ من القدم حدّ الغاية، إذا لم تكن حاصلين الآن في متاحفنا على

(١) نزلت إليها بنفسى في السنة ١٨٥٤ عند سياحتى في مصر ووجدت أن إعجاب ديودور كان أقل من حقيقة الواقع بكثير. (ر. رسائل على مصر طيبة وفيلى ص ٢٧٤ وما بعدها (بارتلى سانهير).)

(٢) يتكلم ديودور على الأقل مرتين أو ثلاثاً على سياحته في مصر. ر. المجموعة التاريخية ك ١ ب ٤٤ ف ٦١ ب ٤٦ ف ٠٧ وفيما يتعلق بمكتبة أوزيمندياس راجع الكتاب عينه ب ٤٩ ف ٠٣. وإذا ما حدث سولون كهنة سايس ذكروا له كتبهم المقدسة وفيها سنوات البلد منذ ثمانية آلاف عام (رطياوس ترجمة فكتور كوزان ص ١٠٩).

الأدلة، التي لا تقبل التهم، المثبتة لهذه الحوادث، ففي باريس وفي تورينو وفي ليدن وفي برلين ... الخ أوراق البردى والمخطوطات التي يصل تاريخها الى ثلاثة عشر وأربعة عشر قرنا قبل الميلاد المسيحي بل الى أبعد من ذلك . ولكل أن يراها ولمعرفة تاريخها ليس عليه إلا أن يستفتى شمبوليون ودى روجى ومارييت وأميدى بيرون وليمانس ولبسيوس ... الخ . إن بريدية تورينو الشهيرة التي تكلم عنها شمبوليون في خطابه الى دى بلاكاس (ص ٤٢) هي على الأقل من القرن الثالث عشر قبل المسيح كما بينه لپسيوس (تودنوخ ص ١٧) وفي كتاب الملوك نقل لپسيوس (لوحة ٦) مخطوطة يصل تاريخها الى العائلة الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة، وذلك ما يبلغ بنا الى أقصى مما ذكرنا . ووصف مارييت في مذكرته عن دار الآثار ببولاق (ص ١٤٨) برديا وجد في طيبة في نحو المترين طولاً يتعلق بإحدى الثلاث العائلات الأولى للأمبراطورية الجديدة، وهذه المخطوطة لا يقل عمرها عن ١٢٨٨ سنة قبل الميلاد بل يمكن أن تكون من سنة ١٧٠٠ ومخطوطة أخرى (ص ١٥٣) طولها أربعة أمتار ونصف على ٠,٣٥ ارتفاعاً وهي من متعلقات العائلة الثامنة عشرة فتكون من سبعة عشر قرناً قبل الميلاد . ويمكن إيراد أمثلة من هذا النوع الى ما يشاء، ولكن حسبنا ما أوردناه وما أظن بنا حاجة الى المجاوزة بالايضاح الى أبعد من ذلك فقد كل .

أكثر من ذلك . قد وجد بجانب المخطوطات الأدوات التي تصلح لكتابتها فناجين تحوى المادة الملونة وقصب الأقلام، وذلك ما يعدل عندنا المحابر والریش، والمصاقل التي تصقل البردى قبل الكتابة عليه، والمقالم التي توضع فيها الأقلام . وفي دار الآثار بليدن توجد ألواح الكتابة ومعها دوى فيها يميز المرء بغاية الوضوح الحبر الأسود أو الأحمر وقد جف في باطنها ودوى من البرنز... الخ . وكل هذه الآثار إنما هي سابقة على العائلة السادسة عشرة على رأى ليمنس (ص ١٠٨ ف ٢٤٥) وفي دار الآثار ببولاق توجد ألواح الكتاب، ومعها كل لوازمها وهي كما قرر مارييت سابقة لعهد ابراهيم (ص ٢٠٩) وعلى ذلك يكون عمرها من ٣٥ الى ٤٥ قرناً .

وفي باريس في متحفنا المصرى أيضا جميع الأدوات اللازمة للكاتب (القاعة المدنية - دولاب P . درج X) . وكذلك في قاعة الموتى (درج LM) ترى المخطوطات إما على ورق البردى أو على القماش ، كل ذلك غير أوراق البردى الكبيرة المنشورة المحبوكة بالأطر المغطاة بالزجاج والتي تبلغ أطوالها عدة أمتار . وفي ليدن مخطوطات تبلغ أطوالها الى اثني عشر مترا . والواقع أنه كان يمكن صنع ورق البردى الى طول غير متناه ، لأن العرض وحده هو المحدود ولا يكاد يزيد عن ٣٠ سنتيمترا .

من التفاصيل التي تقدمت والتي يمكننا أن نزيد في إيضاحها عند الحاجة أظن أننا نستطيع استنتاج النتائج الآتية التي هي كذلك ، كما يظهر لي ، حوادث ثابتة - :

إن فلاسفتنا للقرن الخامس والسادس قبل الميلاد كتبوا مؤلفاتهم سواء في آسيا الصغرى أو في إغريقيا الكبرى ، وقد وصل إلينا بعض أجزاء هذه المؤلفات من خلال الصعوبات التي كانت تقترن بنقل الكتب ، قبل اكتشاف المطبعة واختراع الورق من القطن ومن الكتان أو استعمال الرق . وإن كتب إكسينوفان وميليسوس بل ربما كتب طاليس وفيثاغورث أيضا كلها كتبت كما يكتب كل الناس وقتئذ على ورق البردى المصرى . ولا بد أن تكون صورها على شكل ورق البردى المحفوظ في دور الآثار . ومن الممكن أن تكون أوراق البردى رتبت ، منذ عهد قديم وبالتحقيق منذ عهد أرسطو ، بحيث يكون شكلها كشكل كتبنا الحاضرة . ومن ثم تيسر جمع الكتب في المكاتب ، فإن المكاتب التي ينسبونها الى بوليقراطس ويزيسطراط لم تكن بلا شك إلا تقليدا للمكاتب المصرية التي كان أشهرها دار الكتب التي أنشأها أوزيمندياس .

ما الذى بقى علينا تعرفه ؟ ربما كان شيئا واحدا هو الذى تقتضيه نفوسنا الطامعة بحكم عاداتنا الجديدة في دقة التحزى وهو صنع البردى المخصص للخطابات والمؤلفات الكتاب . ومن محاسن المصادفات أن بلاين الذى ليس أقل منا حبا للاطلاع قد نقل إلينا هذه المعلومات اذ يقول لنا كيف كان يصنع ورق البردى في زمنه .

ومن المفهوم ضمنا أن هذه الصناعة قد نالها بعض التحسين بمرور الزمن الطويل الذى يتبدئ من عهد أوزيمندياس الى القرن الأول ليلاد، ولكن الأصول الرئيسة لهذه الصناعة لا بد أن تكون قديمة جدًا بل الظاهر أنه لم يكده يدخل عليها أقل تغيير.^(١)

وقد عنى بلاين عناية كبرى بوصف هذا القصب المسمى برديا نظرا الى "أن المدنية وتذكر الأشياء مرتبطان باستعمال الورق، وبهما يتعلق تخليد ذكرى الرجال". أما قرون فانه لم يبلغ بتاريخ استعمال الورق الى أبعد من عهد اسكندر الأكبر وتأسيس مدينة الاسكندرية . وقد يكون ذلك صحيحا فيما يتعلق باستعمال الورق فى روما، ولكننا قد رأينا أنفا أنه لا يمكن أن يكون صحيحا بالنسبة الى مصر ولا الى إفريقيا، وبلاين لا يشاطر رأى ثرون مهما كان معتبرا . وهاك ما يقوله فى ذلك النبات النفيس الذى يريد درسه :

ينبت البردى فى المستنقعات أو مياه النيل الرائدة على عمق لا يزيد على ذراعين، جذره المعوج فى ثخن الذراع تقريبا، وساقه مثلث الأضلاع ويندر أن يعلو أكثر من عشرة أذرع يتناقص سمكه من تحت الى فوق . فأما جذره فيستعمل وقودا وقد تتخذ منه بعض الآنية، وأما ساقه الحطبي فتتخذ منه القوارب، ومن قشرته تنسج الشراع والحصر والملابس والأغطية والحبال . وذلك ما قرأناه آنفا عن تيوفراسط ونقله عنه بلاين بلا شك . وإن بردى مصر فى كل الاستعمالات التى ذكرناها خير من كل بردى آخر، فان البردى الذى ينبت فى سوريا أو على شواطئ نهر الفرات بقرب بابل بعيد عليه أن يساوى البردى المصرى خصوصا فى صنع الورق .

ولصنع الورق يقسم البردى الى أشرطة رقيقة جدًا وعريضة بقدر الممكن . وأحسن شريط منها هو شريط قلب النبات ثم الذى يليه على هذا الترتيب . وهذه الطبقات الداخلية وحدها كان يصنع ورق الكتب المقدسة وسمى الورق من ثم باسم هيرأتى .

(١) بلاين . التاريخ الطبيعى ك ١٣ ب ٢١ وما بعده ترجمة وطبع ليرى .

(٢) وهذا ما كان يصره هيرودوت حينما كان يسبح فى مصر ك ٢ ب ٩٦ وعندنا فى متحف اللوفر

نعال من البردى .

وبعد حين أعطى لأعلى درجة من الورق المنقى بالغسل اسم أغسطس، كما سميت الدرجة الثانية من الورق باسم ليثى امرأة أغسطس، وكان الهيراتي أذاً في الدرجة الثالثة، وورق الدرجة الرابعة سمي أنفتياترى نسبة إلى المكان الذي كان يصنع فيه . ومن أنواعه المتدركة إلى أسفل ورق سايس الذي يصنع من قراطة البردى ثم ورق الطينويطيق من مدينة قريبة من سايس ويباع بالوزن، ثم ورق الأنوريك أو ورق المتجر، ولا يصلح إلا للظروف أو لف البضائع، وبعد هذه الأشرطة تأتي قشرة البردى وهي أشبه ما تكون بقشرة الخيزران لا تصلح إلا لصنع الأحبال التي لها خاصة البقاء في الماء .

كل أنواع الورق كانت تصنع بطريقة واحدة، ولا يكون الاختلاف إلا في مادة الورقة . ومتى أخذت الأشرطة بعناية تنشر على نحوٍ خوانٍ مندى بماء النيل، فإن هذا السائل الحامل للطمي يصلح كزق لتقوية الأشرطة وضمها بعضها إلى بعض . وعلى هذا الخوان الممال نوعاً تلزق الأشرطة على طولها وتقرض من نهايتها حتى تصير منتظمة ومتساوية في الطول ثم يؤتى بأشرطة أخرى توضع بالعرض على شكل تعريش، ولوقاية الورق من التمزق كانوا يضعونه تحت المكبس فيحصلون منه على الورق الذي يعرضونه بعد ذلك للشمس ليجف . ثم يضعون هذه الأوراق بعضها فوق بعض لتكون منها فرائد الورق التي لا يتجاوز عدة الواحدة منها عشرين ورقة . وكان الورق مختلف العروض، وأحسن ما كان في عرض ثلاثة عشر إصبعاً، والهيراتي لم يكده يتجاوز عرضه الواحد عشر، وقال فانيوس أن هذا الورق الهيراتي الذي اشتق اسمه من اسم ذلك الصانع الماهر الذي أبدعه لا يتجاوز العشرة . والورق المتجرى كان في عرض ستة أصابع . وكان يمكنهم أيضاً أن يصلوا الأوراق أطراف بعضها ببعض ليحصلوا على ورق لا نهاية لطوله كما عندنا .

وكانوا يقدرون الورق كما نقدره نحن برقته ومتانته وبياضه وصلفه . وقد اهتم الأباطوركلود بتحسين ورق أغسطس الذي كان يجده أرق مما يلزم وأكثر شفافية

بجعل منه ورقا جديدا بأن جعل السدى من أشربة الدرجة الثانية واللحمة من أشربة الدرجة الأولى ، وهذه الطريقة زيد في عرض الورق إذ بلغ عرضه ذراعا في الفرخ الكبير. وكانوا يفضلون ورق كلود في الكتب ويستعملون ورق أغسطس في المخاطبات .

وكانوا يصقلون الورق بقطعة من العاج أو بحجارة ناعمة ، ولكنه كان من اللازم الوقوف بهذه العملية عند حدّ معين ، وإلا زلق الحبر فلا يأخذ في الورق وتكون الحروف المكتوبة معترضة لأن تمحى عما قريب ، وذلك هو الذى يحصل في ورقنا حين يجاد صقله أكثر مما يلزم . ربما يكون حسنا في مرأى العين ، ولكنه لا يطيب الانتفاع به . وقد كان يحدث ماء النيل الحمى ضررا من هذا النوع متى صبّ من غير احتراس في ابتداء العملية اذ يجعل الورق غير قابل للكآبة بل يترك فيه رائحة يعرفونها له وبقعا كان يلزم لازالتها أن يحرقوها من مواقع البقع ويرقعوها بغاية الدقة حتى لا يفطن لها المشتري ، لحسن سبك الغش فيها ، إلا بالاستعمال إذ يشرب الورق الحبر في مواضع الرتق ويجعل الحروف سائحة لا تقرأ إلا قليلا .

لذلك قال بلاين إنه لتوقى تلك العيوب المختلفة كان يلزق الورق بكيفية تجعله أطرى من قماش الكآن نفسه ، ووجد أن هذه الطرائق فعالة جدا قال : إنه رأى عند أحد أصحابه وكان مغرما بخطوط المؤلفين مخطوطات لشيشيرون ولأغسطس ولفرجيل على ورق من هذا النوع ، بل رأى عنده مخطوطات لطير يوس وقايوس غراآتوس مضى عليها مائتا عام مما يدل على أن لصق الورق كان من الجودة بحيث يقاوم كثر الزمان .

وبعد أن أورد بلاين هذه التفاصيل عاد ينقض رأى فزون في أن استعمال الورق حديث في إيطاليا وحاول أن يثبت ، ضدّ مذهب ذلك العالم ، أن الكتب كانت معروفة منذ زمن "نوما بومبيليوس" فقد عثر في تابوت هذا الملك الذى وجد في زمن قنصلية ستيغوس وبيديوس طنفيوس ، بعد موته بنجسمائة وخمس وثلاثين سنة ،

على كتب من الورق . كذلك ثلاثة كتب جاءت بها العزافة الى طرخان الأجل كانت مكتوبة على ورق حرقت منها اثنين والثالث الذي قبله هذا الملك البصير قد حفظ الى عهد سيلا ثم باد في حريقة روما . واذا أريد برهان دامغ غير منقطع الأثر على استعمال الورق في الزمن القديم فما على المرید إلا أن يتصفح رسائل شيشيرون فيجد فيها المعلومات المضبوطة القوية في هذا الموضوع . فان الناس ما زالوا يستعملون الأوراق مع السهولة القصوى ، ويسرفون في استعمالها الى الغاية . كتب شيشيرون الى أطيقيوس كل يوم بل مرات عديدة في كل يوم تارة رسائل طويلة ، وتارة أخرى تذاكر بسيطة ، يرسل إليه مع رسوله بعض أسطر أو صحيفة إذا لم يكن لديه ما يقوله أكثر من ذلك أو سلسلة من الصحائف لا آخرها اذا انطلق قلمه يتدفق أو اذا حضرته مناقشة مسائل هامة . ومتى كان موضوع الكتاب يهم عدة أشخاص عمل منه نسخ بعددهم أو صرح للرسل إليه باتيان هذا العمل ، أما اذا كان موضوع الكتاب دقيقا يشطب الكتاب غير مرة العبارات الناقصة عن تأدية المعنى المراد تماما ، ويرجع مرات على ما كتب ويهذبه ويحجره . واذا كان الكاتب قد أخذ منه التأثير مأخذا يبكيه ترك دموعه أحيانا تمحو الكتابة ، ومتى فرغ من الكتاب طواه وختمه . فاذا نسي الكاتب شيئا أو أهمل تفصيل معنى من المعاني فتح الكتاب من جديد ، فان كانت الورقة لا محل فيها كتبت الزيادة بالعرض . ومتى قرأ الكتاب المرسل اليه وكان لا يتضمن شيئا يراد حفظه مرقه . ولا يتساهل في ذلك اذا كان المرسل قد أوصى بحفظ سره . فاذا طرح الكتاب مطرعا من غير أن يمزقه فيمكن ردّه إلى مرسله اذا طلب ردّه اليه . فاذا لم يجد أحدهم ورقا مسح الكتابة من على ورقة أخرى وكتب عليها بعد غسلها أو كشطها . متى فرغ الكاتب من كتبه جمعها وسلمها الى البريد يوصل كل كتاب الى المرسل إليه بغاية الأمانة . وقد تتمز الفرصة فيكتب الى أصحاب متعددين في جهة واحدة ، فاذا فك المرسل إليه الصرّة وزع الكتب على المرسل إليهم ، وعند الحاجة قد تُرسل الرسل الى الأشخاص البعيدين .

ويمكن أن يحمل الإنسان بنفسه كل هذا التعب ، يكتب كتبه بيده ويختمها ويرسلها ، وقد يتخذ له سكرتيرا يكل اليه كل ذلك ، يملى عليه الكتاب ويوقع عليه بتوقيعه . فاذا كان المرء متعبا ، وعلى الأخص اذا كان به رمد اضطر الى تكليف غيره ، وفي هذه الحالة يعتذر لصاحبه بعجزه عن أن يمسك القلم ، كما نقول نحن في هذا المقام . وهؤلاء السكرترة هم محل أمانة بالضرورة متى كانوا يطلعون على أسرار العائلة والأعمال الخصوصية والسياسية . وفي الغالب يستحقون هذه الكرامة التي يؤتون إياها ، ولكنهم أحيانا يجنونون ساداتهم ويفترون بما معهم من الأوراق . ولما أنهم عادة من الأرقاء يقتنى أثرهم ويقبض عليهم إلا اذا أبعَدوا في فرارهم بحيث لا يمكن الوصول اليهم . ويخلف الخادم غير الأمين أو العاجز خادم أكثر أمانة وأوفر كفاءة ، كل ذلك على عجل بحيث لا ينقطع سير المراسلة زمنا طويلا .

وإذا كان استعمال الكتابة في الشؤون الخصوصية من السرعة والسهولة على ما وصفنا فقد كان استعمالها في الشؤون العامة لا يقل عن ذلك الوصف ، فان تحرير جميع العقود الرسمية يحصل بغاية السهولة . ومتى استكملت هذه العقود الشروط المطلوبة عمل منها نسخ بقدر عدد المتفعين بها . كذلك الأوامر تصدر الى الموظفين القائمين بالأعمال التنفيذية من كل الطبقات والمحاطبات الادارية تحصل بوسائل سريعة مأمونة يظهر أنها تشبه على الأقل ما هو عندنا الآن . فإلى أقاصى حدود الجمهورية تصل الأوامر العالية التي يصدرها مجلس الشيوخ ويتخذ من هذه الأوامر صور رسمية تحفظ بمحافظ السجلات ، ولولا المحن المتنوعة التي قلبت حال العاصمة الرومانية الخالدة من فتن داخلية ونهب وحرائق وحروب خارجية وهجوم وغارات ... الخ . لولا ذلك كله لكان المرجح أن تكون بين أيدينا تلك الوثائق التي هي أنفس للتاريخ منها لارضاء حبنا الاطلاع على ذخائر الفن . فان المادة التي كتب عليها كل ذلك يمكن حفظها بدون أن تتغير مدة ثلاثين قرنا ، كما تشهد به أوراق البردى المحفوظة في دور الآثار عندنا . فاذا أصابنا ما أصابنا من فقد معالم من ذلك القدم المحترم المخصب فانما كان ذلك من خطايا الناس لا من خطيئة الزمان .

كذلك كان استعمال الكتب منتشرا عاما في عهد شيشيرون كاستعمال الخطابات كما هو الحال في أيامنا، فلم يكن أحد من الأهلالي ذو ميسرة وعلى شيء من العلم إلا له مكتبة على شكل المكاتب التي كانت لأهلالي الاسكندرية وفي سائر مدائن الاغريق من قبل ذلك بقرنين أو ثلاثة قرون^(١). كان لكل امرئ في روما مجموعة من الكتب يختارها لنفسه بنفسه أو بواسطة صديق له عوضا عنه اذا كان لهذا الصديق من مركزه مكنة من ذلك أو كان معترفا له بحسن الذوق في هذا النوع . وقد كان من شيشيرون أن كلف أطيقيوس إذ كان في آتينيا أن يرسل اليه تماثيل وزخارف ليزين بها مكتبته التي كان يسميها الاكاديمي . ولما كان أطيقيوس يريد أن يتخلص من بعض كتب نسخها ويريد بيعها رجاء شيشيرون في ألا يبيعها من غيره لأنه كان معجبا بمكتبة أطيقيوس ، وكانت مؤلفة بعناية خصوصية ، فطلب اليه تلك النسخ ليجعلها أساسا لمكتبته ، ولا يكون عليه بعد ذلك إلا أن يكملها على حسب ما تقتضيه حاجته ودراسته وهواه ، كان ذلك في سنة ٦٨٦ ولم تكن سن شيشيرون تجاوز الأربعين ، ومع ذلك يفكر في أن يتزوى من ميدان العمل الى مسكن جميل هادئ يعيش فيه مع كتبه "تلکم الصحب القدماء" التي يحب مخالطتها حبا جما ، كما كان يقول ذلك لقرن الذي هو أيضا يفوق شيشيرون في الشغف بالعلم والأبحاث المتنوعة في قديميات وطنه وقديميات الأمم الأجنبية . حين تمكن شيشيرون من بعض ساعات الراحة والعزلة حبس نفسه في مكتبته التي زخرفها وزينها ، واختفى وسط كتبه حتى كان يجعل منها ركاما عظيما يحيط به من كل ناحية . ومتى لم يكن لديه ما يرغب في مراجعته استنسخه عند أحد أصحابه ، فاذا كان لبعض الأصحاب مثل هذه الحاجة قضاها لهم على خير وجه فيكلف مكتبته ومقربيه وسكاترته بنسخ الكتاب المطلوب ، ويجد لذة في إهدائه كما كان يسره أن

(١) نقل سويتون أن قصر كلف فزون بإنشاء مكتبات عامة فيها الكتب الاغريقية واللاتينية .

وقد وضع فزون مؤلفا خاصا بالمكتبات ولكنه مفقود مع الاسف . راجع كتاب جستون بوازير ص ٢٢ ،

يتقبل كتابا يرسل اليه . وكان من الجارى في عرفهم أن الرجل يهدى الى صاحبه الكتاب الذى يعرف أن له فيه رغبة مستترة أو كان له به حاجة من غير أن يطلبه . واذا زار أحدهم آخر فوجد كتابا يوافقه أعير إياه فيرده بعد أن يقضى منه حاجته الخ .

يمكننى أن أضعف هذه التفاصيل الى غير نهاية ، ولكن ما الفائدة في ذلك والناس يعلمون أن الرومان في آخر الجمهورية وقبل بلاين الذى أجاد لنا في كيفية صنع الورق بمائة وخمسين عاما كانوا قد اتخذوا من البردى كل ما نتخذة الآن نحن من الكتان ومن القطن ، فكان الناس يكتبون في روما بمقدار ما نكتب نحن في الأغراض الاجتماعية عينها وبنفس السهولة والحدّة ، بل مع تشابه تام في الشهوات والمباراة . كانت المادّة مختلفة ولكن الموضوع واحد . ولا أجد بين الحالين خلافا إلا الخلاف الكبير الذى هو المطبعة التى لم تكن لتستكشف إلا بعد ذلك بخمسة عشر أو ستة عشر قرنا . كان نسخ الكتب والأوامر الادارية والخطابات أمرا غالبا وبطيئا ، وذلك يستتبع أن تكون تلك النسخ قليلة العدد وفي غاية التعرّض للضياع . جاءت المطبعة فجعلت النشر والنقل والحفظ ألف مرة أكثر أمانا وألف مرة أكثر سرعة وألف مرة أرخص ثمنا . بيد النساخ استبدل ضبط المكيئة المعصوم وقوتها التى لا تعرف حدّا ورخصها الذى لا ينافس ، ولكن ذلك لم يكن مهما قيل فيه إلا تغيرا ماديا صرفا ، فان المقصود متوفر في الأزمان الغابرة . على ذلك يكون المخترع الحقيقى الكبير لا يزال هو الشيخ توت أو أىّ ساحر آخر من السحرة المصريين الذى أنطق البردى والحروف التى رسمها عليه قلم الكاتب مغمورا في مادة ملقونة . وعلى الرغم مما كان يفكر فيه البصير طاموس فان المقالة المكتوبة في الذهن لم تكن لتكفى إلا الذى يحملها في طيات نفسه لأنها منعزلة وشبهه صماء . وما كانت المقالة لتعيش إلا بالكتابة ، ويمكنها أن ترجو من العمر ما لا ينبغي للفرد الفانى أن يرجوه أبدا ، فان أوراق البردى لا تزال تكلمنا ، وسوف تكلم أحفادنا أزمانا طوالا مع أن طاموس قد حبس عن الكلام منذ أربعين قرنا .

من ذا الذى كان يعرف ما افكره لو لم يكن أحد الكتبة الأقل حذرا منه قد سجل لنا أقواله التهكمية على صفحات البردى التى شدّ ما كان يستهين بشأنها ذلك الفرعون الحكيم المسرف فى الحكمة .



بعد أن ثبتنا فلاسفتنا فى نصابهم من حقيقة الحوادث التى كانت تعتور حياتهم فى حال الدراسة أو فى حال الحرب، فى حال الإقامة أو فى حال التشريد. وبعد أن بيّنا الظروف الحسبية التى ألفوا فيها مؤلفاتهم صار جائزا لنا عن بينة وشيء من الاطمئنان أن نتساءل الى أى حدّ كانت أصلية هذه الفلسفة؟ انها كما يظهر لنا نبتت نحو القرن السابع قبل الميلاد فى آسيا الصغرى المرتبطة بروابط وثيقة مع جميع البلدان المحيطة بها فبأى شيء هى مدينة لها؟ وهل استعارت منها شيئا؟ أم هل هى مستقلة تمام الاستقلال لم تتع سواها؟ وهل لم تنهل شيئا من غير مناهاها الذاتية؟ أكانت مذاهب طاليس وفيثاغورث وإكسينوفان محض ابداع لها من الأصلية ما لشعر هوميروس وسافو وأرخيلوكس وألكايوس؟ وبعبارة أخرى هل الغرب الذى فتح صدره للحياة العالمية يدين بشيء للشرق الذى هو محالط له والذى هو معتبر أنه متقدم عليه بكثير فى هذا الطريق الوعر الذى حده النهائى هو الفلسفة؟

أجيب من غير تردّد بالسلب وأن إغريقيا لم تدن لأحد غيرها، وان المساعدات التى وردتها تكاد تكون من خفة الوزن بحيث يمكن الجزم بأن إغريقيا فى العلم أيضا كانت ذات إحداث وإبداع، شأنها فى بقية الأشياء الأخرى، واذا كانت تقت شيئا عن جيرانها فما هو إلا أصول عديمة الصور فصورتها هى وبلغت من تصويرها حدّ التمام بحيث يمكن القول بحق إنها هى التى أوجدتها فى الواقع .

وعلى أن أقرر بادية ذى بدء ماذا يعنى بالفلسفة؟ وحسبى حدّها وهو: "اتجاه العقل اتجاها نزيها الى العلم". المشاهدة لأجل العلم من غير غرض آخر إلا فهم العالم الذى نعيش فيه وظواهره وأصله ونهايته. هذا هو المعنى الذى تولد

وقتئذ لأول مرة في العقل الانساني والذي، من طاليس وفيثاغورث وإكسينوفان الى عهدنا، لا يزال ينمو من قرن الى قرن، والذي ينمو في المستقبل بلا انقطاع مادامت القرون وما دام الزمن الذي يقاس بها على بقاء النوع الانساني. ذلك هو ما أجادت الفلسفة في بداية أمرها عمله أن اعتنقت جميع العلوم بلا استثناء. وما هو إلا بسبب ضعف عقلا وضرورات البحث العام أن انفردت العلوم الخصوصية شيئا فشيئا وانعزلت أمها الفلسفة عن أولادها، ولكنها ما زالت تغذيها وتوكلها عليها. ولم تلبث الفلسفة أن حددت دائرتها الخاصة المتوزعة أجزاءها في العلوم المختلفة التي الفلسفة أصلها وتماها، ولكنها في تلك الأيام الأولى كانت مختلطة بجميع العلوم، لأن العلوم لم تكن بعد قد خرجت منها. من هذا سمت نفسها بذلك الاسم الجميل المتواضع، فإن فيثاغورث لما سأله ليون طاغية الفيلياز (سيقونيا) أجاب بأنه فيلسوف وهو اسم لم يسمع من قبل. الفيلسوف ليس إلا صاحب الحكمة أى صاحب العقل ذلك العقل الذى يدرس الأشياء ويدرس نفسه أيضا. وقد كان فيثاغورث يقول: "حال الناس في الحياة يسعون فيها يشبه حال الجمهور يتقاطرون الى الأعياد الرسمية. ففي جمعيات الجمهور الفسيحة لكل واحد من الساعين اليها أغراض مختلفة، أحدهم يقصدها لبيع فيها بضائعه مدفوعا بحب الكسب، وآخر لا يقوده اليها إلا حب المجد والرغبة في أن ينال قصب السبق في القوة أو في المهارة. وطائفة أشرف من هؤلاء لا يظهرون فيها إلا لمشاهدة جمال محال تلك الاجتماعات وعجائب الصناعة المعروضة لأنظار الجميع. كذلك في الحياة، للناس الذين تضمهم الجمعية الانسانية مشاغل متباينة. فمنهم المحرورون بجواذب الثروة والتمتع التي لا تقاوم. وآخرون مملوك عليهم أمرهم بالطمع في السلطان والشرف وهما لا يبالان إلا بالحروب الحادة والمنافسات التي تسفك الدماء، ولكن الغرض الأسمى للرجل هو إمعان النظر فيما في هذا الكون من الجمال المتوقع الذى يقدمه لأنظارنا وبذلك يستحق عنوان فيلسوف. فمن الحسن أن ينظر المرء الى أقطار السموات الفسيحة يتتبع سير الأفلوك التي تتحرك فيها على قدر غاية في النظام، ولكنه لا يستطيع فهمه جيدا

إلا بالمبدأ المعقول المجرد الذى يسير الكون ويحصى كل شيء عددا ومقياسا ،
فالحكمة تنحصر فى التعرّف بقدر الممكن لهذه الظواهر الإلهية الأبدية الأولية التى
لا تتغير . والفلسفة ليست إلا التبع المستمر لهذه الدراسة الشريفة التى تنير الناس
وتصلحهم^(١) .

منذ البداية قد علمت الفلسفة ما كانت تفعل . منذ خمسة وعشرين قرنا لم
تبحث الفلسفة إلا فى تحقيق الفكرة التى قامت بها عند خطواتها الأولى بالتدرج
تحقيقا كاملا . وما زالت حكمة فيثاغورث هى حكمتنا وإن كانت العلوم قد رقت
رقيا كبيرا جدا ، ولكن الفيلسوف لم يتغير فانه سيبقى دائما هو الذى يتأمل فى الأشياء
ويلاحظها ليفهمها ويفهم نفسه ، هذا هو معنى العلم والفلسفة الذى أنسب شرفه
الى إغريقيا دون سواها . فمن إغريقيا تلقينا من غير أن يكون افكره أحد من قبلها
فى هذا الشرق الذى كانت تعتقده ويعتقده غالب أهل زماننا ينبوع كل نور وحكمة .

من كانت تستطيع إغريقيا أن تستعير هذا المعنى وقتئذ ؟ أمن مصر أم من
فينيقيا أم من الفرس أم من الهند ؟ لا أرى غير هذه الأمم أحدا كان يستطيع أن
يعلم الإغريق شيئا وأقول : إن هذه الأمم ولو أنها علمتهم أشياء كثيرة فلم تعلمهم
الفلسفة أصلا . لاشك فى أن كثيرا من فلاسفتنا وفيثاغورث على الأخص ساحوا
سياحات طويلة فى تلك البلاد وأنهم ذهبوا اليها ليتعلموا ، فان فيثاغورث الذى ربما
كان يدلى الى فينيقيا بعائلته ذهب الى مصر كما فعل طاليس من قبل وكما فعل
هيرودوت بعده بقرن وأقام فيها ويقال : إنه لقن الأسرار الخفية . وقد يمكن تصديق
ذلك بسهولة ، لأن سولون ذهب اليها أيضا . والظاهر يدل على أنه لم يقف عند
محادثة كهنة سائس^(٢) فى أمر الأطلانديد ، ومن المحتمل أيضا أن فيثاغورث جاوز مصر
الى كلدة وتحادث مع المجوس كما كان قد تحادث مع الكهنة المصريين . والفضل

(١) ببليك ، حياة فيثاغورث ب ٧ ف ٥٨ ، ٥٩ طبعة فرمان ديدو على أثر ديوجين اللايرتى .

فبكل هذه الوثائق وثائق ببليك وفروريوس يمكن جمع حياة فيثاغورث المهمة ونبذة تامة عن مذاهبه الأصلية .

(٢) راجع طابوس أفلاطون ترجمة فكتور كوزان ص ١٠٧ وما بعدها .

في ذلك يرجع الى الطريق الملكي الذي أنشأه دارا يصل به المسافر من سرديس الى صوص في أعماق فارس وراء دجلة والفرات من غير مشقة إلا طول السياحة التي تقطع في ثلاثة أشهر . وليس يرى لماذا لا يدفع حب العلم الى إزماع مثل هذه السياحات في حين أن السياسة، حتى قبل فتح ذلك الطريق، كانت تقتضى كلَّ وقت علاقاتٍ من هذا النوع . وقد كان حكام الإغريق مشوقين دائماً الى زيارة مصر وفينيقيا وكلمة وهي البلاد الشقيقة التي كانوا يؤمنونها ليجدوا فيها كنوز العلم . والواقع أنهم جابوا تلك الأفطار الشاسعة مع ما عليه الوصول إليها من المشقة .

ماذا جلبوا منها؟ الآن وعلى أثر الاكتشافات اللغوية والأثرية التي جاء بها قرننا الحاضر والمعلومات الهيروغليفية والكتابات وأوراق البردى المصرية وكتب زورواستر وكتب الهند المقدسة ودين البراهمة والبوذيين، نقول إن طريق الجواب مفتوح أمامنا، ونستطيع أن نرى فيه أحسن مما رأى الإغريق، نرى ما ذا كانت حكمة الشرق المزعومة . تلقاء الآثار المفسرة بالضبط الكافي إن لم يكن بالكل فعلى الأقل بالجزء نعلم ما ذا تساويه وما ذا يمكنها أن تؤتية، يبحث فيها عبثا عن الفلسفة وهي عنها غائبة فكيف يكون الإغريق حتى مع تناول الأسرار الخفية قد وجدوا الحكمة فيها ما دامت لم تكن فيها .

نطرح الى جانب فينيقيا ويهودة جميعا، فان التوراة أثر ذو قيمة لا تقدر إن بما تشتمل عليه وإن بما نخرج منها، ولكنى لا أرى أن إغريقيا استعارت منها شيئا أيا كان، واذا كانت كتب اليهود المقدسة قد وصلت إليها بأية طريقة كانت فلماذا تحفى ذلك وهي قد أعلنت إعلانا عاليا بل عاليا فوق ما يلزم حكمة مصر وحكمة المحوس؟ أى عقبة اعترضتها في اطراء الحكمة العبرانية اذا كانت عرفتها؟ يمكن أن يؤسف على أنها جهلتها، وأنا أظن أيضا أن إغريقيا التي كانت مستعدة للرقى بنفسها كانت تجد من دراسة كتب موسى مساعدة قوية، ولكنها ما علمت منها شيئا .

والقول بضد ذلك يمكن أن يكون دليلا على إيمان حادّ ، ولكنه ضلال مبين لا ينهض واقفا أمام أدلة الحوادث . فلما ترجم التوراة السبعون بعد ذلك أى فى عهد بطليموس الثانى فيلادلفى (٢٧٥ قبل الميلاد) أمكن الإغريق أن يقرءوها وليس يرى أنهم تحزكوا لها ولا أستناروا بها ، ولو قرئت عليهم فى زمن طاليس وفيثاغورث لكان أثرها أقل من ذلك أيضا ، ولو فسرت لهم لما كادوا يفهمونها ولا يصغون إليها . والواقع أنها لم تفدهم شيئا .

أقول عن مصر ما قلته عن فينقيا ويهودة تقريبا ، فمن عهد الاكتشاف العظيم الذى أتاه شموليون ومن كل الأعمال التى تبته وأيدته يعلم ماذا كانت أرض الفراعنة القديمة ، فقد يكون الانسان واثقا من أنه لن يصادف فيها ما يدل على الفلسفة إلا بيانات غير منتظرة من نوع جديد . كانت الاعتقادات الدينية مستفيضة فيها ، وكانت عريقة فى أصليتها جميلة على ما فيها من شذوذ ، ولكن العلم بالمعنى النخلص لم يكن بها ، وكل شىء يساعد على إثبات أنه لم يكن فيها أصلا بل لم يكن ممكن الوجود بها على رغم ما عليه أهلها من الذكاء الحقيقى ، إن ذلك لا يقلل من أهمية دراسة مصر ، ولكنه لا ينبغى أن نتظر منها ما ليس فيها . لها سنوات وليس لها تاريخ . يمكن أن يكون لها مشاهدات مضبوطة لبعض الحوادث الطبيعية والفلكية على الأخص ولكنها ليس لها علم . لها مذاهب دينية وليس لها فلسفة . حالها كحال فينقيا جارتها وحال يهودة التى كانت خاضعة لها وتخلصت منها منذ عهد موسى . يمكن أن يكون لها معلومات كبرى ولكنها لم تمدهبها ولم تركزها على مبادئ معينة .

وللحكم على مجوس كلدة لدينا ما ذكره هيروdot و ما كتبه الكتاب المعاصرون وما تعلمنا إياه الكتب الدينية المجوسية التى فتح لنا مغالقتها حديثا علماء اللغات وفى مقدمتهم إيجين بورنوف .

أما على قول هيروdot الذى يظهر أنه رأى المجوس عن كذب فانهم لا يكادون يكونون إلا عترافين . عند ما أراد أصطياغ ملك الميديين أن يفسر الحلم الغريب الذى

رأته آبنته مندان قصد الى المجوس المحترفين بتعبير الرؤيا واتبع نصيحتهم مع التحزج ،
 إذ أمر بقتل حفيده قيروش . وعند ما يريد قبيز أن يزعم حملته الجنونية على مصر
 يعهد الى مجوسى القيام بأعباء الدولة مدّة غيابه فيسىء المجوسى في ثقة الملك به ويجلس
 على العرش أخاه سمرديس الكاذب ، ولكن الفرس غاظهم هذا الاغتصاب الذى يفضى
 الى خضوعهم للمجوسى ، فانفق سبعة منهم تحت إمرة الفارسى دارا بن هستاسب
 وذبجوا الأخوين اللذين تبوءا الملك غضبا . وهم هم المجوس الذين يفسرون حلم
 اكرار كريس ، إذ يهيم بحجارة إغريقيا وعلى رأيهم يمشى ؛ وينا هو فى الطريق على
 ضفاف الستريمون ، اذا بالمجوس يذبجون الخيل البيض يستفتحون بها باب النصر .
 فلما شنت الأسطول (٤٨٠ قبل الميلاد) بريح عاصف على شاطئ تراقيا فى رأس
 سياس ، غير بعيد من أطوس حيث هلك أسطول آخر قبل ذلك بعشر سنين ، اذا
 بالمجوس يقربون قرايين للريح ليهدثوا نائرتة فى اليوم الرابع . وبالجملة لا يقرب
 قربان إلا بحضرة مجوسى لينشد ما يسميه هيرودوت تيوجونى (أنشودة الآلهة)
 ليم بذلك الاحتفال الدينى .

من أجل ذلك كانت فى إغريقيا القديمة وعلى الخصوص فى روما شهرة للمجوس
 وكراهة لهم فى آن واحد ؛ ومن أسمهم اشتق اسم ذلك الفن الخفى الذى هو "السحر"
 وهو مخوف عند العامة وطالما غرر بهم . وقد أنحى عليه بلاين بالسخط فوق ماقد
 يستحق . ومنذ عهد أرسطو كانت تلصق هذه التهم بمجوس الفرس والكلدان ، فان
 هذا الفيلسوف قد أفرد مؤلفا خصيصا بذلك وسماه "الماجيك"^(١) ليدفع عنهم التهم
 التى ظهر له فسادها . وفى تابه المسمى "فى الفلسفة" ظن أن من الواجب عليه أن
 يشتغل بأمر المجوس الذين يعتبرهم أقدم عهدا من كهنة مصر ، ولما وصل الى لاهوتهم
 تكلم عن الأصاين اللذين يعترفون بهما : الحسن والقيبح "أوروماز - وأريمان" .

(١) بلاين التاريخ الطبيعى ك ٣٠ المخصص كله لهذه المسئلة .

(٢) ديوجين اللايرث فى مقدمته ف ٨

ومن الكتاب المتأخرين عن أرسطو من جعل المجوس آباء الجنوزوفست (فلاسفة الهند المتريضين) بل آباء اليهود أيضا . وفي كتاب دانيال الذي كتب في عهد دارا أن مجوس بابل ليسوا إلا منجمين وسحرة ومفسرى أحلام . ومع ذلك كانوا يلقبونهم بالحكماء ، ولكن الخدم التي تطلب منهم لا تكاد تدل على أنهم أرفع درجة من المحتالين والسحرة الدجالين ، فهل هم أنفسهم أولئك الذين كان لهم أرساد فلكية في بابل قدرها أرسطو خير تقدير؟^(١)

ولكن المجوس اذا كانوا فلكيين مهرة فليسوا فلاسفة ، وكتبهم الدينية (زند) التي نعرفها الآن بطريقة أكيدة تبين لنا ذلك بغاية الوضوح . فان الفنديداد واليسنا واليشت وجميع القطع المنسوبة الى زورواستر (زاراُسترا) تشتمل على آثار من ديانة ظاهر عليها الجلال والقوة في خلال تلك الظلمات ، ولكنها لا تشتمل على مذهب فلسفي . وهذه الكتب هي كل ما يمكن اسناده الى مجوس كدة . فاذا كان فيثاغورث قد اطلع عليها بالمصادفة فإنه لم يدخل منها شيئا في مذهبه الخاص : صلوات وأدعية وأنشيد وعقائد مبهمة وغير مستقرة وآثار من سير مقدسة وخرافات ليست هي خرافات الفيداس وليست كذلك من خرافات الإغريق ، ذلك على الأخص هوكل ما يمكن أن يقرأ في كتبهم . وهذا في الحقيقة لا ينقص من أهميتها الكبرى ، فإن تاريخ الديانات يمكن أن يكتشف فيها الأصول النفيسة للغاية ، ولكن تاريخ الفلسفة لا يجد فيها شيئا يجنيه ، وعلى ذلك لم يكن المجوس ولا المصريون قد أوحوا الى إغريق يونيا شيئا .

أفتكون الهند؟ ولا هي أيضا .

ليل حالك لا يزال يغشى الأصول الهندية وأخبارها ؛ ولأن هذه البلاد ما كتبت قط تاريخها نصادف أكبر العناء في ترتيب الحوادث والوقائع المتنوعة التي تتعاقب بها . كذلك الحوادث الخاصة بالعلوم والآداب لا تخرج عن هذا الخفاء

(١) أرسطو كتاب السماء ك ٢ ب ١٢ ف ١ ص ١٧٨ من ترجمتي .

العام . ومع ذلك يبين لنا، وسط هذا الاختباط الذى يكاد لا يخلص أبداً، بعض الأصول الرئيسة الحقبة على ما فيها من شدة الابهام، فيمكن الجزم بأن آثارا بعينها من آثار العقل الهندى أقدم أو أحدث عهدا من بعض آثاره الأخرى . من ذلك أن أنواع الفيدا، وعلى الأخص الفيدا التاريخى الذى لقب مع التسامح بلقب "الريك" هى متقدمة على سائر البقية . وجماعة الفيدا أو على الأقل تلك المتقدمة لا يكاد يقل عمرها عن خمسة عشر قرنا قبل الميلاد، غير أن هذه الأناشيد الشعرية ليس فيها شئ من الفلسفة . أما الخرافات الفياضية النامية فيها فانها تشبه الخرافات اليونانية، كما أن بين لغتى اليونان والهند البرهمانية مشابهة أخوة، ولكن الطابع الفلسفى معدوم منها بالمترة . وأما الأوپانيشاد التى يمكن أن يوجد فيها هذا الطابع بعد البرهمانيات فمن المؤكد أنها متأخرة عن الأزمان التى نحن بصدددها، فمع أن طاليس وفيثاغورث وإكسينوفان هم من القرن السادس قبل المسيح فان الأوپانيشاد لا يمكن إبلاغ أقدمها إلا الى القرن الرابع .

وعلى ذلك لم يكن الإغريق ليستعيروا شيئا من الهند مع افتراض أنه كان من الممكن فى ذلك الزمان أن يكون لهم مخالطة مستمرة بحكماء شواطئ الهندوس، بله حكاء أواسط شبه جزيرة الهند أو شرقها . وما عرف العالم الاغريقى بجماعة الجمنوزوفست إلا بتجريدة الاسكندر وسفارة ميغاستين، ولكن الاسكندر وميغاستين هما متأخران بما تبنى عام عن حكاء سموس وملطية وكولوفون .

حق أن الهند خلافا لمصر ويهودة وفارس لها فلسفة حقيقية نعرفها فى مجموعها ونعرف منها آثارا تفصيلية . وريثما ندرسها دراسة تامة نقرر منذ الآن أننا نعلم أن هذه الفلسفة مستوفية كل الشرائط اللازمة للعلم على النحو الذى نعتيه نحن اليوم، والذى كان يعنيه الإغريق دائما . انها لمستقلة تمام الاستقلال، وغرضها كغرض حكمة الاغريق تفهم العالم والانسان . ولاشك فى أنها درست كليهما على غير الوجه المفيد، ولكنها جعلت ما شغلها الوحيد، فينبغى أن يكون لها بمذاهبها الستة التى نتقاسمها وتؤلفها مركز عظيم فى التاريخ العام للعقل البشرى .

ما هو تاريخ هذه الفلسفة ؟ وإلى أى زمن تنسب ؟ ذلك هو كل ما يهمنا في هذا المقام .

قد كان يظن أن أحد هذه المذاهب الذى هو مذهب سَعَنْخِيَا المُلحد من كِلَّا كان سابقا على البوذية . ولما أن بوذا مات سنة ٥٤٣ قبل الميلاد يكون سَعَنْخِيَا معاصرا لطاليس ومعاصريه الآخرين . وكانوا يُقْفُون مذهب سَعَنْخِيَا بالمذاهب الأخرى على ترتيب معين لا يخلو من التحكم كثيرا أو قليلا ، باعتبار أن كل هذه المذاهب متأخرة عنه . وبالتبع تكون متأخرة عن فلسفة آسيا الصغرى ، وإمكن يظهر أن هذا الترتيب أصبح الآن معدوم النصير ، لأن أغزر البراهمة علما متفقون على ترتيب سَعَنْخِيَا بعد البوذية بزمان طويل . إن الفلسفة لم تظهر في الدين القديم إلا لاستئصال شأفة الإلحاد أو على الأقل لتفلى من غربه . وإن مذهب سَعَنْخِيَا الذى هو ملحد وروحانيّ معا ما يكون إلا طليعة التوفيق بين اعتقادات الدين الجديد وبين الاعتقادات الجاثية من فيدا ، ويكون ” النَّيَا ” أو المنطق جاء نفسه قبل سَعَنْخِيَا لحاجات المناظرة وتكون الفيدعتنا متأخرة عن الاثنين ^(١) .

ليس بى من حاجة إلى الدخول في مناقشات من هذا النوع ، ولا أريد أن أجاوز بالبحث حدود ما قدمته من القول ، وإلا كانت إفاضة في العبث ، فإن من البين أننا حتى إذا وضعنا سَعَنْخِيَا في الترتيب الوجودى قبل ظهور البوذية وجدنا أن الاغريق لم يكن فى وسعهم أن يعرفوا من مذهبه شيئا عند ما أخذوا يفلسفون لأول مرة . ومع اقتراض أن سياحة فيثاغورث بلغت به بابل وصوص ، فإنها لم تعلمه مذاهب لم تكن خلقت فى بنجاب أو على شطوط نهر الجنج .

ينبغى أن يزداد على هذا أن ” داراسانا ” الفلسفة الهندية على ما هى معروفة عندنا منذ كولبروك وما تلا مذكراته المشهورة من المعلومات ليس بينها وبين الفلسفة الإغريقية فى تلك الأزمان الأولى علاقة مشاركة . فلا فى طاليس ولا فى فيثاغورث

(١) ر . مؤلف بربجا « حوار على الفلسفة الهندية » لندن ١٨٦١ فى قطع الثمن ص ٥٠ وما بعدها .

وكان الأستاذ بربجا أستاذا فى مدرسة يشوب بكلكتا أهدي مؤلفه إلى جون مورير .

ولا في إكسينوفان يمكن العثور على أثر للشابهة أو التقليد . وهذا مفهوم بالبداية مادام الظاهر كله يدل على أن الفلسفة البرهمانية لم تتم إلا بعد ذلك بقرنين أو ثلاثة . ومتى خرجنا بالهند من الموضوع صار من العبث أن نبلغ بالبحث الصين ، فان لاوتسو معتبر أنه عاش في القرن السادس قبل الميلاد ، ولكن الفلاسفة الاغريق الأول لو كانوا قرءوا الثاوتى كنج وهو كتاب الطريق والفضيلة لما استطاعوا أن يجدوا فيه ما يصلح لهم^(١) .

على ذلك لا الصين ولا الهند ولا فارس ولا مصر نفسها لم تلهم الاغريق شيئا من فلسفتهم . وسأين فيما يلى أى حظ من التأثير كان للذاهب المصرية في مذهب فيثاغورث ، ولكنه يمكن الجزم بصورة عامة أن الفلسفة الاغريقية باعتبار أنها في مهدها فلسفة بالغة في الأصلية غايتها . وبأن معنى العلم على الصورة التى صورتها بها هذه الفلسفة وقتئذ كان باكورة فهم العقل البشرى للعلم ، تلك هى نتيجة كبرى أعترف بغاية الارتياح أنها ليست أمرا جديدا ، كما قد يبين من الاعتبارات التى تقدمت . بل قد تقدمنى بزمان رجال ارتأوا هذا الرأى من غير أن يكون قد توفر لديهم كل ما لدينا من الأدلة .

فإن العالم المحقق بروخر كان يكتب منذ قرن كامل في هذا الموضوع . وقبل أن يصل الى الفلسفة الاغريقية بحث عن بدايات الفلسفة فى الأرض جميعها . فراح يستجوب على التعاقب العبرانيين والكلدانيين والفرس والهنود والعرب والفينيقيين والمصريين وطائفة من أمم أخرى ، فلم يعثر فيها على الفلسفة التى ينشدهم إياها عبثا ، حتى بلغ الاغريق فقال : ” الآن لنبلغ الاغريق هذه الأمة المشهورة منذ كانت صبية فى المهدي بدرس الحكمة والفنون ، والتى عندها وجدت الفلسفة مقرها الذى بغته زما طويلا بعد أن تلقت هذه الأمة عن المتوحشين بعض الجرائم من المعارف الالهية والبشرية“ .

(١) راجع مؤلف اسنانيسلاس جوليان ” لار — تسين — تي^٥ — كنج “ المطبعة الملكية

ثم بعد أن درس النظريات القديمة لأنساب الآلهة التمثيلية والفلسفة السياسية للحكماء أضاف هذا العالم الرصين مؤرخ الفلسفة الى ما تقدم ما يلي محدثا عن مدرسة يونيا: "الى هنا لم نقدر فلسفة الاغريق إلا وهي صبية ترت في مهدها، ولكنا قد بلغنا الآن منها الطور الذى فيه بدأ العقل البشرى يزاول الفلسفة الحقة، ويظهر بالأفكار المرتبة مظهر المشغوف بالنفوذ في حقيقة الأشياء. فإلى العبقريه الاغريقية ينبغى أن ننسب هذا المجد كما بينته آنفا وفي أول هذا التاريخ عند البحث في الأصول الصحيحة للفلسفة"^(١).

وأما أنا من جانبي فلا أزيد على ترديد عبارة بروخر، وأعدنى سعيدا باستنادى الى هذا الحجّة المحترم المتين الذى تقدم بمائة عام ما لدينا في هذا العصر من المعلومات البينة. نتيجتى كنتيجته. نعم إغريقيا أصيلة على الاطلاق. أعطت كل العالم ولم يعطها العالم شيئا إلا ما ربما يكون من بذور كانت عقيمة في غيرها عرفت هي وحدها أن تنبتها. ان أتوسع في الكلام على مذاهب طاليس و فيثاغورث وإكسينوفان؛ بل أقترض أنها معروفة بمقدار ما يمكن أن تعرف من القطع النادرة التى نجت من البلى وأقف عند بعض الملاحظات العامة الى غاية العموم. من البين أن أكمل هذه المذاهب الثلاثة على نسبة كبيرة هو مذهب فيثاغورث. ونحن لانستطيع أن نتعرفه إلا من خلال الشروح التى وضعتها عقول قليلة التفوق جاءت بعد المصنف بستة أو سبعة قرون، ولكنها مع ذلك كافية في بيان أن الدراسة التى كان يزاولها حكيم سموس شد ما كانت أفسح ميدانا وأكثر ضبطا من دراسات معاصريه، فيها الفلسفة بتمامها تقريبا مع أجزاءها الأصلية التى نتألف هي منها. وفوق ذلك فان دراسة العلوم وعلى الأخص العلوم الرياضية بلغت فيها شأوا بعيدا. ومن البلية أن شخص فيثاغورث كذهبه لا يزال يحيط به من الظلام حجاب لا شيء يمزقه، ولا شك في أن هذا الحجاب العظيم انما جاء كبره من السكوت الذى آلتزمه فيثاغورث وألزم إياه تلاميذه الذين بقوا محتفظين بتنفيذ أمره مدة عدة أجيال. وكان فيلولوس

السابق لأفلاطون بقليل هو أول من علم القاعدة — على ما يؤكدون — ونشر المذهب بل ربما نشر كتب الأستاذ أيضا .

ومما لا يقل عن هذا مطابقة للواقع هو أن فيثاغورث على فلسفته كان يحتفظ في نظرنا بشيء من النحوة الدينية إن لم يكن في أفكاره فعلى الأقل في الجمعية التي ألفها والتي لا يُدخَل إليها الا بعد امتحان قاس يجوزه المرید ، فليست الفيثاغورية مفتوحة للكافة كالمذهب الطبيعي لطاليس ، ولا كمذهب ما وراء الطبيعة لإكسينوفان . لفيثاغورث تلاميذ ، ولكنهم بعض أعضاء جمعية منتظمة خاضعة للملاحظة شديدة ومحصورة في حدود لا تتجاوز؛ إنها نوع من مدينة فلسفية دينية سياسية قاسية وضيقة الحدود . فلم تلبث أن آرتاب في أمرها جيرانها فخرّبوها بالحديد والنار وما كان أسهل عليهم ذلك نظرا الى أن هذه الجمعية من الوداعة بمكان . ومن البديهي أن نظام المدرسة الفيثاغورية كان على مثال مدارس الكهنة المصريين ، وربما كانت على مثال مدارس المجوس أيضا . وإن تناسخ الأرواح هو عقيدة شرقية صرفة لم نتأقلم في العالم الهليني ، مع أن أفلاطون وضعها تحت إشرافه . كان فيثاغورث مؤسس مدرسة ورئيس جمعية معا ومبدع مذهب لا يتلقاه إلا أشياعه ، وبهذه المثابة كان بين فلاسفة الإغريق وحيدا في هذا الباب . وينبغي أن يرجح أن سياحاته في مصر وكلمة هي التي أوجدت في نفسه مقاصد من هذا النوع فنقلها الى بلاد قلمنا توافقها وتنجح فيها ، ولكنها مع ذلك جعلت لفيثاغورث مركزا قدسيا علميا معا فبقى به علما فردا متميزا عن قبله ومن بعده . مذهبه العلمي غير تام ، ولكنه عظيم جليل . ومذهبه الأخلاقي طاهر لا غبار عليه حتى إن مذهب أفلاطون مع كونه أشد منه تعمقا لم يرجح عليه في طهره .

ولندع الى جانب شخصيات الفلاسفة وننبه الى أن الفلسفة الإغريقية بتمامها كانت موضوعة في وضع استثنائي أفادها جدا وهو أنها لم يكن أمامها أبدا ديانة مبنية على كتب مقدسة ، وقد كان الأمر على ضد ذلك في مصر ويهودة وفارس وفي الهند حيث لم تكن الحال قاصرة على أن الدين قد سبق الفلسفة في تلك

البلاد، كما هو الحال عادة في كل زمان . بل إنها اعتمدت فوق ذلك على أسس معتبرة أنها إلهية ، ومع ذلك أقامت قرونا طويلا كافلة لسد الحاجات الأدبية والأخلاقية في تلك الأمم . وبعد ذلك خرجت الفلاسفة من المحاريب فمثلا في بلاد الهند البرهمانية أو البوذية استطاعت الفلسفة أن تنمو نموًا كبيرًا متحللة من القيود الأولى وإن كان نجاحها لم يكن عظيمًا . أما في بلاد الاغريق فلم يكن ما يشبه ذلك ، لأن الاغريق لم يكن لهم كتب إلهية ولا موحى بها . وقد كان أرفي ولينوس وسائر المرتلين الأقدمين الذين كانوا ينشدون آيات الأسرار الأولى كلهم ما كان يتكلم إلا بأسمه هو دون أن يسند ما يقول الى الإله . ولما كان الاشرار بالله متغير الصور منشورا في البلاد لا ينتظمها على حال واحد لم يُستطع الوصول الى تأليف جسم من المذاهب قد يصير ديانة ذات قوام خاص ، فلم يكن للكهنة نقابة قوية ذات سلطان وكان الناس يحترمونهم ولكن لا يطيعونهم ، ولم تكن الروابط بين الهيئتين إلا مفككة العرى ، لأنها إنما تبحث عن معتقدات عامة يغير من عمومها في كل جهة أساطير محلية لا نهاية لها ، وعن بعض احتفالات عامة لم تكن إلزامية ، وهواتف يستشيرها الناس وقتما يريدون ، وألعاب عمومية . والكتاب الوحيد الذي أخذ يجامع قلوب الاغريق إنما هو قصيدة حماسية . إن قصيدة من شعر الحماسة تسحر العقول ولكنها لا تهديها ، تأخذ بالقلوب ولكنها لا توجب الايمان ، إنها تنمي الاحساسات الشريفة بما تقدم من التذكارات الوطنية، ولكنها لا تسوى سبل السلوك . فما قصيدة حماسية بالتوراة ولا هي بالازدافستا ولا بمنتراس البراهمة ولا بالقربان المثلث عند البوذيين . فالواقع أن الفلسفة كانت هي وحدها دين الهلن .

وما تنسب عظمة الفلسفة الاغريقية التي لا تزال تدهشنا وتعلم منها بعد نعمة وعشرين قرنا إلا الى استقلالها المطلق . ولو أنها كانت تحت وصاية ديانة حسنة النظام أفكانت تظهر قواعدها بهذه السهولة التي ظهرت بها ؟ أو كانت تحيا تلك

الحياة الطيبة القوية ؟ أو كانت تلد للعالم تلك الملح من التأليف وتوتى ذلك الثمر اللذيذ ؟ من ذا الذى يعرف ذلك ؟ لا شك فى أن الجنس الهليني كان عجيب الاستعداد فقد نجح فى ميدان الفلسفة ، كما نجح فى ميادين الأعمال الأخرى ، ولكن أما كانت تذبل هذه الخواص العجيبة لو أن العُصارة التى تغذيها جرت فى قنوات أخرى من قبل وخصوصا فى قنوات الديانة ! ولم يكن تاريخهم الخرافى إلا لعبا تلعب به الملكات ، فكانت الخواص العليا للنفس فى سعة من أن تتخذها نحو جدبا آخر وتبحث عن غذاء لها أغزر مادة وأدخل فى باب الحق . بعيد على أن أنكر نعم الديانات على الناس ، وأرى أن من الخير أن تكون قد سبقت الفلسفة دائما ، وعند جميع الشعوب ، ولكنى لا أستطيع أن أحجم عن القول بأنه اذا كانت ديانة الهلين أكثر جدية مما كانت عليه لأوشكت فلسفتهم وعلومهم أن تكون أقل فى الجّد مما كانت عليه بكثير ، وتلك خسارة لا تعوّض على الاغريق وعلينا أيضا لأننا نحن أبناءهم ومظهر استمرار حياتهم .

ولئن أنسب الى آسيا الصغرى وتلك الجمهوريات الاغريقية الصغيرة التى كانت مقيمة على شواطئها كلّ المجد الطارف فى اختراع الفلسفة والعلم والشعر والموسيقى وكثير من الفنون الأخرى ، فإنى لا أقصد الى أن أغمط آتينا حقها من المجد المقطوع النظير ، ذلك لأنه من آتينا خرج فى زمن قدروس أهل بعض هذه المستعمرات التى جمعت بين النشاط والذكاء والشاعرية والحربية ، وفى آتينا اجتمع اليونان . بل يمكن القول بأن آتينا أعطت من دمها ومن روحها تلك الجاليات التى لم تستطع أن تظلمها تحت سمائها بعد أن أقاموا بها زمنا طويلا . ثم ان تلك المستعمرات لم تستطع أن تحفظ فى أوطانها جرائم للفلسفة التى تمحضت هى عنها ، فإنه اذا كان طاليس بقى فى ملطية فان فيثاغورث قد هاجر من سموس الى سيباريس وقروطون ، واكسينوفان ترك كولوفون الى ايليا . فلما نفيت الفلسفة موقتا من اغريقيا الكبرى بما فيها صقلية وجدت سلطانها الحقيقى فى آتينا آخر مطافها ،

وجدته بسقراط وأفلاطون في عهد أنكساغوراس وبيريكليس وفيدياس وسوفكل ، على ذلك تكون آتينا قد حوت أسمى مظهر للذكاء الاغريقي ، وتكون الأتم المخصصة التي ولدت المُلح من كل نوع ، فان الفلسفة لما اقتلعت مرتين رجعت الى الأرض الأولى التي منها خرجت المستعمرات اليونانية لتؤتى فيها أجمل زهرها وأنضج ثمارها . ولم تكن الفلسفة في آسيا الصغرى إلا عارضا جاءت به المصائب السياسية ، فأقامت فيها قليلا ولكن بعد أن انبعث نورها الساطع . فلما استقرت بآتينا مكثت بها أكثر من ألف سنة من عهد بيريكليس الى عهد جستينيان فهى معلمة روما وجدة الاسكندرية ومناستها الجديرة دائما بالاحترام .

من أجل ذلك يظهر لنا أن آتينا ويونيا أو بلفظ واحد إغريقيا كان لها على من عداها فضل وسؤدد لا يطاول ، ومن أجل ذلك نضع منزلتها من سماء المجد في أوجها ، لا يقار بها فيه ولا على مسافة كبرى تلك الأمم التي حاربتها ومزقتها ولكنها لم تقهرها مع أنها تربي عليها في العدد ألف مرة . فمن ذا الذى يقام له وزن بجانب الإغريق في باب الشعر والفنون والعلم والفلسفة ؟ لست أعنى السيتين ولا سائر تلك الشعوب الرّحل في شماليها ، ولكننا أعنى الفرس والهنود بل المصريين أيضا . ماذا عسى أن تكون القرون الأولى لولا الهلّين ؟ ماهى تلك المعارف الانسانية التي ليس لهم فضل في أمرها ؟ ولقد أراد مؤرخو الانسانية ومنهم هرّدر أن يتلمسوا أسباب هذا التفوق الخارق للعادة من ظروف وأوضاع كلها مادية كشكل أرضهم وحال جؤهم وحاجات تجارتهم ... الخ ؛ ولكن مع أن تأثير هذه الظروف لا ينكر إلا أنها لا تستطيع أن تحل لنا مشا كل هذه النظرية الدقيقة ولا أن تفسر لنا سر هذا التفوق تفسيرا مقنعا ، فان شواطئ آسيا الصغرى وضياف بحر إيجه وأطيقا ، وبيلوپونيز وإغريقيا الكبرى لم تتغير عن أصلها ، ومع ذلك أين هى تلك الروح التي كانت تتعش الهلّين في تلك العصور الخصبية ؟ ماذا صارت روح تلك الشعوب التي لم تتغير أوطانها المخصصة الجميلة منذ ذلك العهد الى اليوم فان أخلافهم لا يُعدّون الآن شيئا فيما يتعلق بارتقاء المدارك الانسانية .

لا نكاد نجد لهذا السؤال جواباً ممكناً إلا الواقع نفسه ، فإننا لنرى كيف كانت اغريقيا فوق كل الأمم حتى بالبقايا القليلة التي وصلت إلينا من أعمالها، ولكن لماذا اصطفى هذا الشعب الصغير في زمن معين خلال قرون عديدة ليكون عنوان النور الأبدى الهادى لجميع الأمم فيما يتعلق بالمعقولات؟ ذلك سرّ من أسرار العناية الإلهية ليس لنا بالنفوذ في كنهه يدان، بل هو كسائر أسرار الله تال إعجابنا ولا ينالها فهمنا . ان الإغريق ، الذين لم يكن لهم على النوع الإنسانى سعة النظر التي تقدّمها لنا اليوم فلسفة التاريخ مدعمةً بثقى الملاحظات، قد حاولوا مع ذلك أن يفسروا لأنفسهم أعجوبة عبقرتهم . واني أوثر أيضاً في هذا المقام أن أستجوبهم بدل أن أجيب عنهم في هذه المسئلة ، أولئك هم ثلاثة شهود عدول من عصر واحد تقريباً وهم بقراط وأفلاطون وأرسطو، يشهد أحدهم باسم علم وظائف الأعضاء ، والثانى باسم الفلسفة والوطنية، والثالث باسم السياسة . ولا بأس من أن نتخذ بجانب هؤلاء شاهدا على الشعر إيشيل الذى كان يقاتل في مرطون .

فمن كتاب بقراط على الأهوية والمياه والأماكن ، ذلك الكتاب الذى يتخيل قارئه كأنما مدّده فيما أتى به من النظريات هو العلم الحديث، استطرد فيه المؤلف بحكم ضرورة استيفاء موضوعه الى المقارنة بين الجنسين والوطنين اللذين يعرفهما حق المعرفة، لأنه عاش فيهما فقال :

” أريد بالمقارنة بين آسيا وأوروبا أن أبين كيف أن كليهما تخالف الأخرى “
 ” فى كل شىء، وأنه ليس بين الأمم التى تقطن كليهما أية مشابهة فى البنية . وقد “
 ” يكون من التزم ما لا يلزم تعديد جميع الفروق، بل أكتفى بأكثرها أهمية، وأشدّها “
 ” بروزا للعيان، لأعرض رأى الذى آرتأيته فى ذلك، فأقول: إن آسيا تختلف عن “
 ” أوروبا اختلافا عظيما بطبيعة حاصلاتها جميعا، سواء فيها ما تخرج الأرض وما يخرج “
 ” من ظهور الناس الذين يزرعونها. فكل ما يتولد فى آسيا يفضل ما يتولد فى أوروبا “
 ” فضلا كبيرا فى الجمال وفى بسطة الجسم . جوّها أكثر اعتدالا ، وأمها أدمث “
 ” أخلاقا وأسهل قيادا، والعلّة فى ذلك هى التوازن التام بين الفصول ... فان المشية “

” التي ترعى في أرض آسيا حسنة المنظر خصبة التكاثر إلى حدّ مدهش، وتربيتها “
 ” ناجحة الى الغاية. وأما الناس فيها فنموهم عظيم، يمتازون عن الأجناس الأخرى “
 ” بجمال صورهم وفضل قامتهم، ولا يختلف بعضهم عن بعض في الرّواء ولا في الصورة. “
 ” ويمكن أن يقال: إن مثل هذه الجهة بينها وبين الربيع نسب يكاد يكون متصلا “
 ” بالنظر لتأليف فصول السنة ولطف آثارها، ولكن لاشجاعة الرجولة ولا مصابرة “
 ” المشاق ولا إجهاد النفس في العمل ولا شدة البأس كل هذه الصفات لا تنمو “
 ” في مثل هذه الطبيعة، سواء فيه الوطنيون والمستوطنون، بل إن حبّ الملاهى “
 ” عندهم يتغلب على ما عداه من الميول الأخرى . “

” أما من جهة ضعة النفس وعدم الشجاعة فإن الأسيويين إذا كانوا أقل ميلا “
 ” للحرب وأكثر سلاما في الطبع من الأوروبيين فعلة ذلك إنما هي على الخصوص “
 ” في حال إقليمهم حيث لا توجد تقلبات شديدة لا في الحرّ ولا في البرد بل “
 ” قليلا ما يشعر بتغير الجو، وحيث لا يعتري العقل صدمات ولا يعرّو الجسم “
 ” تغيرات . وتلك أفعالات من شأنها أن تكسب الخلق وحشة وتمزج به ميلا “
 ” للجحاح والعصيان أكثر مما تفعل الحال الجوىية دأمة التماثل . ألا إنها التغيرات “
 ” من النقيض إلى النقيض هي التي تنبه العقل الإنساني وتمنعه من أن ينام “
 ” في ظلال السكون . تلك هي الأسباب التي يتعلّق بها على ما يظهر لى ضعة “
 ” نفوس الأسيويين . “

” ينبغي أن يضاف الى ذلك حال النظمات، فإن جزء آسيا الأكبر خاضع للولوك . “
 ” وحيثما كان الناس لا يملكون حرية أشخاصهم لا يعينهم المرون باستعمال السلاح، بل “
 ” يصرفون كل عنايةهم في أن يظهروا بمظهر العجزة غير الصالحين للخدمة العسكرية، “
 ” ذلك بأن الخطر ليس مقسوما بينهم قسمة عادلة؛ إذ يسعى الرعايا الى خوض غمار “
 ” الحرب يذوقون فيها من المتاعب ألوانا، وتوتون فيها من أجل أسيادهم بعيدين عن “
 ” أبنائهم وعن نساءهم وعن كل ما هو عزيز عليهم . وفي حين أن كل ما يأتونه من “

”ضروب النشاط والبسالة انما يجنى أسيادهم ثمرة يكبر به قدرهم وتشتد به عصبيتهم؛“
 ”فإن أولئك المحاربين لا يجنون من وراء كل ذلك الا الأخطار والهلاك. وفوق ذلك“
 ”فإن هؤلاء الرعايا لا بد لهم من أن يروا في الغالب دخول الأعداء وانقطاع الأشغال“
 ”سببا لجعل غيظانهم حصيدا جزا . بهذه المثابة ترى الذين آتتهم الطبيعة في هذه“
 ”الأمم قوة في القلب ويولا حسنة قد تمنعهم تلك النظمات السياسية من الانتفاع بها .“
 ”وإن أكبر برهان على ما أقدم هو أن في آسيا جميع الأمم الإغريقية والمتوحشة“
 ”المتحللة من نير السيادة والتي تضع قوانينها بنفسها لنفسها وتشغل لحسابها هي أكثر“
 ”الأمم الآسيوية ميلا الى الحرب. ولما أنها كانت تتعرض لأخطار الحروب لحسابها“
 ”الخاص فكانت تتمتع بثمره شجاعتها أو تتحمل سوء نتائج جنبها ليسوا كالأسيويين“
 ”المحكومين بالملك، فإن الشجاعة تفقد وجودها بالضرورة في قلوب الرجال الخاضعين“
 ”لحكم الملكية ، نفوسهم مستعبدة فلا يكادون يهتمون بمعانة الأخطار بمحض“
 ”لإرادتهم من أجل توسيع سلطان غيرهم . ولكن الأمر على ضد ذلك إذا كان الانسان“
 ”غير خاضع إلا الى قوانينه الذاتية وإذا كان يعترض نفسه للخطر من أجل منفعته“
 ”الخاصة لا من أجل منفعة غيره . من هذا شأنه يقتحم المخاوف طائعا مختارا ويلقى“
 ”بنفسه بكل قلبه في جميع مهاوى المصادفات، لأنه سيحظى لنفسه ثمرة انتصاره.“
 ”من أجل ذلك كانت القوانين مساعدة عن سعة على تكوين الشجاعة“ .

”تلك هي المقارنة العامة التي يمكن تقريرها بين أوروبا وآسيا في كل الأشياء.“^(١)

ذكر أفلاطون في كتابه المينكسين حيث لا يزيد سقراط على أن يكرر مقالات

أسپاسيا الشاعرة الملطية تمجيدا للاغريق الذين قهروا قبائل آسيا ما نصه :

”لما جاء الفرس الذين هم سادة آسيا وحكامها يسعون لإذلال أوروبا قابلهم“

”أباؤنا أبناء هذه الأرض فقهروهم ودحروهم . ولتقدير قيمة هذا العمل العظيم ينبغى“

(١) بقراط تخاب الأهوية والمياه والأماكن ب ١٢ ، ١٦ ، ٢٣ ، ص ٥٣ ، ٦٣ ، ٨٧

(١)
 "أن ننتقل بالفكرة الى العصر التي كانت فيه آسيا كلها خاضعة الى ملكها الثالث،"
 "فأولهم قيروش الذي لما مكنته عبقريته من تحرير مواطنيه الفرس أخضع اليه"
 "سادتهم الميديين، وحكم بقية آسيا الى حدود مصر. ثم فتح ابنه مصر وسائر الأقطار"
 "الافريقية التي استطاع أن يصل إليها . وثالثهم دارا قد بسط حدود مملكته"
 "ومدها الى سبتيا بفتوحات جيشه البري، وأما أساطيله فجعلته سيد البحر والجزر،"
 "وإذ كان لا يجرؤ أحد على مقاومته وقد ذلت له هامات الأمم فكمن من أمة قوية"
 "حربية ألفت عنانها الى الفرس ودخلت تحت نير سلطانهم ... ! اذا استحضرت"
 "الانسان هذه الظروف في ذهنه أمكنه أن يقدر حقا البسالة التي أتاها يوم مرطون"
 "وأولئك المقاتلون الذين صبروا على مهاجمة المتوحشين، وعاقبوا تبجح آسيا وكبرياءها،"
 "والذين أثبتوا للاغريق بما جاءوا به من الأنفال والغنائم أن قوة الفرس لا تستعصي"
 "على المقاومة، وأنه لا شيء من كثرة العدد ولا من سعة الثروة يقف أمام الشجاعة ..."
 "لذلك ينبغي أن يسند ثناء هذا النصر الأول الى أولئك المقاتلين . وأما الثاني فنأثوه"
 "مسند الى الظافرين في الوقائع البحرية بسلايين وأرطيميس . وقد ضرب أبطال"
 "مرطون مثلا للاغريق عامة أن فئة قليلة حرة تكفي لرد غارة جيوش المتوحشين"
 "البرية، مهما كانت لا تحصى عددا، ولكنه لم يكن ليثبت أن ذلك ممكن أيضا"
 "في البحر كما أمكن في البر حتى وقعت الوقائع البحرية فاستحق بها أولئك"
 "البحارة المهرة ما أحرزوا من المجد لتخليصهم الاغريق من الخوف الأكبر، ولأنهم"
 "صبروا والأساطيل الفارسية لا تزيد مهاجمة على الجنود الفارسية. أما الواقعة الثالثة من"
 "وقائع الاستقلال الاغريقي من حيث الترتيب التاريخي ومن حيث شدة الإقدام"
 "فهي واقعة بلاتة، وهي أول واقعة اشترك فيها اللقدمونيون والآثينيون وباءوا"
 "بمجدها جميعا، وقد كان اللقاء فيها حرجا وخطرا محققا فتغلبوا على كل شيء. وياله"
 "من فضل يستأهل مدائحنا ومدائح قرون المستقبل» .

(١) إيشيل . (الفرس البيت ٧٦٥ وما يليه) يذكر عددا آخر . يرى أن آسيا في عرف إيشيل

وأفلاطون كان حدّها الشرق أرض فارس .

الى اى شىء فى الاغريق نسبت أسپاسيا هذه الشجاعة وهذا المجد؟ الى علة واحدة، الى الحرية التى كانت نمتع بها آتينا . قالت : ”ها أتم هؤلاء ترون كيف أن أجداد هؤلاء المقاتلين وأجدادنا وهؤلاء المقاتلين أنفسهم الذين ولدوا بالطالع المسعود وربوا فى مهد الحرية قد أتوا هذه الفعال الجميلة العمومية والخصوصية لغرض واحد هو خدمة الانسانية“^(١) .

وما كان هذا النشيد الا ألقى ما يكون بالأعمال التى يشدو بها . وحقيق بأسپاسيا أن تمتدح آتينا وأبناءها . ولما قام مينكسين يشكر سقراط عند انصرافه لم يتمالك نفسه من أن يجهر بهذا القول : ”وحق المشتري إن أسپاسيا لسعيدة بأنها وهى امرأة تقدر على كتابة مثل هذه المقالات“ .

ولا شك فى أن هذا الشاب قد أصاب فيما قال ، إلا أنه فاته أن هذه المرأة كانت من ملطية وأن أجدادها ، مع أنهم كانوا لا يزالون أضعف من الآتينيين ، قد حاربوا الفرس غير مرة من قبل أن تُتولى آتينا أمر قهرهم . وأخيرا فان أرسطو يشرك أفلاطون وبقرات فى رأيهما ، فانه لما تكلم على الصفات المطلوبة فى سكان المدينة فى حكومة منظمة قال :

”لكى يلم المرء بهذه الصفات ما عليه إلا أن يطرح نظره الى أشهر المدائن“
 ”الاغريقية والى بقية الأمم المختلفة التى نتقاسم سطح الأرض ليرى أن الأمم التى“
 ”تسكن الأقاليم الباردة حتى فى أوروبا وهى على العموم مملوءة بالشجاعة ولكنهم“
 ”على التحقيق أقل ذكاء فى العقل ومهارة فى الصناعة ، وبهذه المثابة يحتفظون“
 ”بجزيتهم خير احتفاظ ، ولكنهم من الجهة السياسية غير قابلين للنظام ، ولم يستطيعوا“
 ”مطلقا أن يقهروا جيرانهم . أما فى آسيا فالأمر على ضد ذلك ، فان أهمها أكثر“

(١) مينكسين أفلاطون ترجمة فكتور كوزان ص ١٩٦ وما بعدها . ذلك هو الذى ذكره أيضا إيشيل على لسان جماعة المنشدين يجيبون آتوسا أم اكرار كسيس : ”لا يستطيع مخلوق أن يقول إن الآتينيين عبيده أوعاياه“ الفرس البيت ٢٤٢

”ذكاء وقابلية للفنون، ولكنهم تنقصهم قوة القلب ويصبرون على البقاء تحت نير“
 ”العبودية المؤبدة . أما الجنس الإغريقي الذي هو بموقعه الجغرافي وسط بين هؤلاء“
 ”وهؤلاء فإنه يجمع صفات الطرفين ويجمع بين الذكاء والشجاعة؛ يعرف كيف يجمع“
 ”بين حفظ الحرية وبين تأليف حكومات غاية في النظام . فهو جدير إذا“
 ”توحدت كلمته في حكومة واحدة أن يفتح العالم“^(١) .

هذا رأى ثلاثة رجال ، أولئك هم أرسطو وأفلاطون وبقراط في عبقرية اليونان، إنهم لم ينفوا عن الإغريق المؤثرات الخارجية التي آثارها أظهر من أن تخفى، ولكنهم اهتموا على الخصوص بالأسباب الأخلاقية . وما ضلوا فيما ذهبوا إليه، لأننا نحن الآن مع أننا أكثر تنورا، بما أصبنا من التجربة الطويلة، لا نستطيع أن نزيد شيئا على هذه الاعتبارات الصادقة المستمدة وجودها بنوع ما من الحس؛ فلتبق إغريقيا إذا ما كانت في العصور الأولى مدفونة في طيات مجدها، ولكن خالدة ما خلدت أعمال الانسان التي تقع في يوم من الأيام ثم نثقفها أيدي البلى مهما كان موضعها من الجمال والكمال .

كنت أريد أن أفرغ من هذه المقدمة التي طالت أكثر مما ينبغي، ولكنها لا تكون كاملة إذا لم أرجع بها إلى الكلام على الكتّاب الذين نتقدمهما وإذا لم أبسط القول على المسألة الكبرى التي تشبثت بها مدرسة إيليا، تلك المدرسة التي يمثلها إكسينوفان وميليسوس أعنى بها وحدة الوجود وعدم تغيره . وما أدراك ما هي تلك المناقشة التي ثار نائرها في بداية الفلسفة وقام بها رجال تقلبوا في الأعمال الحيوية من حرب وسياسة وسياحة واستعمار؟ وإذ نراهم فلاسفة ونظرين نراهم جميعا يزاولون المقاصد العملية بهمة مدهشة، وأنى لنا إدراك التوفيق بين الحالين إذا لم نلم بالأخلاق والعادات والضرورات التي كانت في تلك الأزمان المضطربة! كان طاليس في جيش ألباط وكان أحد المؤتمرين في البانيونيوم؛ وفيثاغورث يجوب البلاد الأجنبية زما

(١) أرسطو . السياسة ك ٤ ب ٦ ف ١ من ترجمتي ص ٢١٧ من الطبعة الثانية .

طويلا على كثرة الأخطار وبعد الشقة ؛ وإكسينوفان الذى نفى نفسه طوعا من وطنه المقهور بالفرس يذهب للانضمام إلى الفوكيين فيما وراء البحار ؛ وميليسوس يدافع عن سموس ضد الآتينيين بعزيمة لم يتغلب عليها بيريكليس إلا بعد طول العناء ، أولئك قواد وساسة يشتغلون بما وراء الطبيعة ! أمر شديد الندرة دائماً ! وفوق ذلك فإنهم يظهر عليهم أنهم فنوا فى دقة التدليل ، تلك الخاصة التى كانت تتم بها عن يدنة مدرسة إيليا . إذا سلمنا بما ذكره أفلاطون فى كتابه المسمى "پرمينيد" فإن ذلك الانتقاد والتهمة كانا من الصحة بمكان ولا شك أن من الغريب أن تملك التدقيقات المنطقية على مثل هؤلاء الرجال عقولهم ، غير أنه يجب التنبيه إلى أن پرمينيد مع كونه تلميذ إكسينوفان وخليفته قد شرع لنفسه طريقا غير طريقه فسح من أفكاره وغلا فيها ، وربما كان ذلك أثرا من آثار الروح العامة المنتشرة وقتئذ فى إغريقيا الكبرى ، تلك الروح التى كانت وقتئذ تبعد فى صقيلة فن الخطابة والتى غلت فى نظريات فيثاغورث على العدد إلى حد الإفراط .

ليست تلك روح إكسينوفان التى نتجلى فى المقطوعات التى بقيت لنا من آثاره وفى الكتاب الذى أترجمه الآن فى هذا المجلد . وعلى رأى أن هذه النقطة هى التى ينبغى أن نوجه النظر إلى الإمعان فيها للإصابة فى تقدير قيمة هذه المذاهب الناشئة وقتئذ ، والتى لم تكن لتأخذ بعد مركزا ثابتا فى العقل الإنسانى فى بداية هبويه من سباته .

أول نظرة فى الطبيعة التى تحيط بنا تظهر لنا بادئ الأمر وحدة الوجود ، وما يكون إلا بعد ذلك بالزمان أن نميز بالجهد والتحليل أجزاء مختلفة فى هذا المجموع العام الذى يسحر جلاله أبصارنا ويعي إدراكنا . ولم تستطع الهند لا قبل الفلسفة الإغريقية ولا بعدها أن تخرج من تأثير فكرة الوحدة بل فנית فيها بكايتها وبقى العلم على المعنى الخاص غريبا عنها على الإطلاق طول حياتها ، كان لها نظريات للتهجم فيها نصيب قليل أو كثير ، وتصورات للعقل فيها حظ وفير أو ضئيل ، كلها قائمة على

الأصل العام للأشياء، ولكن لم يكن فيها دراسة خاصة وضعية للظواهر الطبيعية، ذلك هو أساس العبقرية الهندية وعظمتها . لا يوجد شيء أكثر من ذلك في الفيدا والبرهانا والأوبانيشاد والأناشيد الحماسية والقوانين ولا في الدرسانا الفلسفية . أما العبقرية الإغريقية فإنها اتقت أن تسحرها ظواهر النظرة الأولى في الوجود، ودفعت بذلك الخطر عن نفسها؛ ولئن كانت قد اتجهت وقتاً ما إلى فكرة الوحدة فإنها قد عرفت لحسن الحظ كيف تتخلص منها لتدرس عن قرب دراسة منتجة بعض الأجزاء الأصلية لهذه الوحدة التي ليست في الواقع إلا صورة اللانهاية عنها .

ذلك هو الواقع حتى ان طاليس حين بحثه في التعبير عن ماهية العالم كان يدرس الأصل المادى الذى تكوّن منه، ومع أنه قد أخطأ هذا الأصل الذى ظنه الماء فإنه على كل حال كان يعتمد على ما يشاهد بالحس في الطبيعة ليتعرف أسرار الأشياء . يشتغل بالهندسة ويتبع جريان الكواكب في أفلاكها ما دام أنه كان على وشك أن يتنبأ بكسوف الشمس . وعلى رأى أرسطو، وشهادته قاطعة في هذا المعنى، أن طاليس كان يسلم بأن العالم مملوء بالآلهة القائمة بأمر النفس وبالحرّكة، وليس فيثاغورث بأقل استمساكاً بفكرة الوحدة مع أنه كان يجزئها، ولم تلهه استكشافاته الرياضية والفلكية لحظة واحدة عن النظر في توافق النظام العالمى، فكان يعترف بوجود طوائف متخالفة في هذا النظام، ولكنه مع ذلك يعترف على وجه الخصوص بوحدة عجيبة، وعلى رأيه أن الأضداد اثنين اثنين تكون كلاً واحداً يكون أرقى منها . وأن الوحدة هى الأصل الحقيقى في العالم المادى كما هى في العدد، وبذلك ارتقى فيثاغورث إلى تعريف الله دون أن يميزه تمييزاً تاماً عن العالم الذى ينظمه ويسيره .

أما عند إكسينوفان فإن فكرة وحدانية الله وقدرته هى ظاهرة بغاية الوضوح دون أن يتعمق فيها كما تعمق فيها أفلاطون من بعده وكما هو الحال على الخصوص في اللاهوت المسيحى . وأظن أن هذه النظرة الأولى في الوحدة الإلهية هى التى

ألقت جلالها الباهر وخفائها في نظريات مدرسة إيليا . وعندى أن ذلك هو الذى يفسر أغلاط هذا المذهب الشريف . إن نظر إكسينوفان لم يكن بعيد المدى ، إن شئت ، ولكنه على الأقل لا يضل . أما برمينيد فإن به ميلا إلى السفسطة التى حملت تلميذه ذنون على أن ينكر الحركة وحملت غرغياس على تأييد أبعاد مذاهب العدمية ضلالا وأقلها تنزهًا . وأما ميليسوس فإنه لزم الحد الوسط بين الأستاذ صاحب المذهب وبين الذين غلوا به حتى وقعوا في المحال . وإتى مقارب بين إكسينوفان وميليسوس وذاكر الفروق الأساسية بينهما على ما يظهر لى :

لقد كان إكسينوفان مليئا باحترام هذا المذهب الذى لم يدركه أحد من قبله بمثل ما أدركه هو من الوضوح والجلاء ، لذلك نفى عنه خيالات الشعراء اللطيفة التى تحط من مقامه كما نفى عنه الأتروپومورفيزم الجانفى الذى هو مذهب العوام (تصور ذات الله تعالى على صورة الإنسان) . تعالى الله عما يصفون من النقائص وعن صور الكائنات الفانية وعن صور هؤلاء العساء الذين يجعلونه على صورتهم . ليس كمثله شىء فى الوجود لأنه لماذا يكون المثل خالفا بدلا من أن يكون مخلوقا ؟ وإن الله الذى لا يمكن أن يأتى من موجود يشابهه لا يمكن من باب أولى أن يأتى من شىء يكون دون مقامه . إذًا هو لم يخلق من شىء فيكون بالضرورة أزليا . وأخذا بنتيجة ليست أقل ضرورية من الأولى يكون قديرا على كل شىء . لو كان آلهة متعددون لكانوا أقوى أو أضعف بعضهم من بعض ، وعلى ذلك لا يكون إله ، لأن خاصة الإله أن يملك كل شىء ولا يملكه شىء أيا كان . ولما كان الله أزليا قديرا على كل شىء لزم على ذلك أن يكون واحدا ، لأنه لو كان له منافسون لما أمكنه أن ينفذ أحكامه ويحقق إرادته العليا .

من ذلك ترى أن فى إكسينوفان بعض مبادئ جليلة لم يرفضها اللاهوت المسيحي بل تقبلها بالعبادة قبولًا حسنًا ، ولكن نظر إكسينوفان قد اضطرب فى هذه النقطة ، وليس فى ذلك ما يوجب الاستغراب . ولقد أراد أن ينفذ نظره فى حقيقة

الذات الإلهية فأخذه العثار في هذا الطريق الوعر الذي ضل فيه كثير غيره، فانه يقول : الله الذي لا يشابهه شيء من الحوادث هو على الأقل يشبه ذاته، وهو هو في جميع أجزائه وهو بكله هو في كل جزء منها . قد يكون ذلك مقبولا ولكن إكسينوفان لما وقع في الاستعارات التي لا تساوى قيمتها إلا ما تساويه الأتروپومورفيزم التي انتقدها بحق أخذ يشبه الله بفلك ، وكانت النتيجة عنده أن الله لا يمكن أن يكون لا لا متناهيا ولا متناهيا، وأنه لا يمكن أن يكون له حركة ولا سكون، كما أنه لا أول له ولا وسط ولا آخر. ومع ذلك فإن إكسينوفان لم يندع نفسه في أمر الصعوبات غير المتناهية التي تقف في حل هذه المسئلة، ودليل ذلك ما قاله في هذه الأبيات الجميلة التي نقلها الينا سكستوس أمبيريكوس .

” لا أحد من الكائنات الهالكة يستطيع أن يرى جليا في هذه الأعماق، وان “
 ” يستطيع أحد أن يعرف حقيقة ماهية الآلهة والعالم، تلك الماهية التي أحاول “
 ” الكلام عليها . فاذا لقي أحد يوما بالمصادفة الحقيقة التامة لمّا عرف هو نفسه “
 ” أن يقدر ما وصل اليه منها، وليس في كل ما يقال في هذا الشأن إلا محض “
 ” تشبيه وتقريب “ .

والظاهر أن پرمينيد لم يتمش بالبحث في هذا الموضوع الكبير الى الحد الذي وصل اليه أستاذه . وأما ذنون تلميذ پرمينيد وواضع فن الجدل فإنه ، على ما قال ديوجين اللايرثى نقلنا عن أرسطو، قد وصل في هذا الموضوع الى لا أدريّة غلا فيها غرغياس الى أقصى حدّ ، ولكنى أكرر أنى لا أشتغل بذنون ولا پرمينيد بل أتخطاهما الى ميليسوس فهو الذى أقصد درسه بعد إكسينوفان .

مع أن ميليسوس يفصله عن رئيس المذهب ثلاثة أو أربعة قرون ، فانه أحرص الناس على أن يحذو حذوه ويلتزم تعاليمه ، إلا أنه ، عوضا عن أن يبقى متمسكا بإله إكسينوفان الواحد الأزلى القادر على كل شيء بل والمدرك لكل شيء أيضا، زاغ عن الطريق ووضع الموجود موضع الإله فاشتغل بالموجود آخذًا إياه

في كل تجزده وفي كل عقمه . غير أن التاملات الميتافيزيقية مهما قلَّ فيها الضبط فان ذلك لا يقلل من جمالها ولا من تعمقها الاستثنائي .

الموجود لا يأتي من الموجود وإلا لزم عليه أن يتقدم نفسه وهذا تناقض . ومثل ذلك في التناقض أن يتولد الموجود من المعدوم . على ذلك لم يكن الموجود قد وجد في زمن ما ، وعليه يكون الموجود أزليا وفوق ذلك لا يعتريه الفساد ولا الانتهاء ، لأنه إما أن يتغير الى معدوم وهذا محال ، وإما أن يتغير الى موجود آخر وإذا فلا يكون منعدا ، فالموجود على ذلك كان دائما ويكون دائما ، وما دام أنه لم يوجد من العدم فهو لا أول له ، وما دام لا يمكن فناؤه فهو لا آخر له ، وما دام لا أول له ولا آخر له فهو حتما لا متناه ، وما دام لا متناها فهو واحد ، لأن اللانهاية منافية للتعدد ، إذ لا يمكن تصور اثنين أو عدة لا متناهية . ومتى كان الموجود أبديا واحدا لا متناها كان بالنتيجة غير متحرك ولا قابل للتغير ، لأنه في أى مكان غير ذاته يمكنه أن يتحرك ؟ ولما كان موصوفا بالوحدانية المطلقة فأى تحوّل أو تبدل أو تغير يمكن أن يلحقه ؟ ولو أمكن أن يتبدل بغيره أيّا كان لانتفى أن يكون شبيه نفسه ولأنعدمت صورته الأولى وجاءته صورة أخرى . ومع تقدّم الزمن ينعدم هذا الموجود الأبدي واللانهاى ويتحوّل الى لا شىء . ولما كان الموجود أبديا لا متناها واحدا كان لا يمكن أن يكون له جسم ، فلا يمكن أن يكون ماديا ، لأنه اذا كان ذلك لزم عليه أن يكون ذا أجزاء متميزة بعضها عن بعض ، وهذا يناقى وحدانيته ولا نهايته وأبديته . لا شىء كائن حقيقة الا الموجود . وجميع الأشياء التى تؤكد لنا حواسنا وجودها ليست إلا مظاهر خداعة متحوّلة كثيرا أو قليلا ، فهى غير موجودة بالمعنى الخاص ما دامت متغيرة وما دام أنها تهلك بعد أن تولد . أما الموجود الحقيقى فانه لا يتحوّل ولا يتغير أبدا ولو أن الأشياء التى تظهر أمام حواسنا كانت موجودة كما نظنها للزم على ذلك أن تكون غير قابلة للتغير وأبديّة كالموجود نفسه ، فلا شىء بموجود إلا الوحدة ، وأما التعدّد فلا وجود له أصلا .

أما أنا فاني أجد أفكار ميليسوس هذه خليقة به ، وبالمدرسة التي هو أحد أعضائها . لا شك في أنها متناقضة من بعض الوجوه ، ولكننا من خلال هذه الرسوم البالية والمقطوعات القليلة نشعر لها بعظمة وقوة لم يوفهما تاريخ الفلسفة حقهما من حسن التقدير، وربما كان هذا الغمط منذ أرسطو .

وإني أعترف بأن أنكساغوراس مفهوم خير فهم بعد إكسينوفان وميليسوس ، فإن أنكساغوراس الذي هو معاصر لقائد سيموس (ميليسوس) هو الذي جلا الغوامض عن علم الطبيعة وقواعد نظام الكون في عصره بأن أدخل عليها تلك الفكرة الصالحة : أن العالم يديره العقل المدبر .

ولقد أعجب سقراط بهذا المذهب مع أنه يرى أن أنكساغوراس لم يكن ليستقصى كل نتائجه ، كما أننا نعلم ما صرح به أرسطو من الثناء الجميل على أنكساغوراس إذ يقول : لقد جاء أنكساغوراس بعد كثير من الضلالات ، أشبه ما يكون برجل سليم العقل يتكلم وسط المجانين ^(١) . فمن البغي أن ينتقص فضل أنكساغوراس أو أن ينازع فيه بعد ما كان من شهادة سقراط وأرسطو ، فإن له الفضل الأوفى في هذا المذهب ؛ وليس شاذاً عن المألوف أن كلمة من عبقرى تكشف القناع عن المغيبات العلمية . قد يقال إن إكسينوفان وميليسوس هما اللذان وطأ لهذا المذهب بنظريتهما التي هي أقرب ما يكون منه . ولا مشاحة في ذلك فإن لهما نصيبهما الوافر من ذلك الفضل .

ذلك هو المعنى الحقيقي لمذهب الوحدة في مدرسة ايليا التي طالما حُجِبَ من نورها وصُغِرَ من قدرها على نسب غير مضبوطة ، وما الوحدة الإبلية إلا الله طلبوا معرفته يتلمسونها بين حجب الجهالة الأولى ويدرسونها ، كما يمكن أن تدرس في تلك الأزمان إذ العلم والمشاهدة العلمية لا يزالان في بدايتهما . فلم تكن تلك الوحدة قد وصلت بعد إلى ما قرره أنكساغوراس من الإدراك الإلهي ولا ما قرره سقراط وأفلاطون من العناية

(١) أرسطو الميتافيزيقا ك ١ ب ٣ ترجمة فكتور كوزان . وقطع فلسفية الطبعة الخامسة ص ٢٠٤

الربانية . غير أن تقرير تلك الوحدة مع ذلك كان الجرثومة الأولى لكل هذه المذاهب . ومهما يكن من صدق الانتقادات التي يمكن توجيهها الى المذهب الذي يرأسه إكسينوفان ، فلا شك في أن تلك التوجهات السامية هي التي آتته عظمتة وخطره في تاريخ الفلسفة .

أقف عند هذا الحد وألخص ببيان أوفى تلك المعاني التي جئت على إيضاحها بشيء من الضبط ربما كان أقل مما كنت أريد .

قد ظهر لي أن مجيء الفلسفة الى عالمنا الغربي حادثة من الخطر بحيث أردت أن أحيطها بكل ما يجلو خفاءها معتمدا في ذلك على استجواب التاريخ عن الأمم وعن الظروف التي اعتورت هذه الحادثة . ومما ينبغي التنبيه اليه أن هذه الحادثة إنما كانت من احتكاك أوروبا بآسيا، وإن كان ذلك قد حصل من قبل في حرب طروادة إلا أن ظروف هذه الحرب مطروحة جانبا لأنها خرافية أو لقلة العلم بها . ذلك الاختلاط حصل في بقعة من الأرض ليس فيها من السعة إلا بمقدار ما يلزم لتحرك الجاليات الإغريقية وفي عصر يعتبر نسبيا عصر توحش ولكنه كان مملوءا بالخصب الذي لم يتجدد بعد من وقتئذ الى الآن . على ذلك كانت آسيا الصغرى هي السابقة على آتينا التي فاقتها من بعض الوجوه ، كما يشهد بذلك هوميروس ، ولكن آسيا التي حملت بهذا الأصل العجيب تحت تأثير أمم غربية عنه لم تستطع تعهده وإنماءه ، فعاد منها يستكمل قوته وكاله الى الأرض العتيقة التي كان قد خرج منها منذ خمسة أو ستة قرون .

ولقد تصدّيت فوق ذلك لتبين أن العبقورية الإغريقية هي التي دانت العالم بهذا النفع العلمي الجليل دون أن تكون مدينة فيه لغيرها . فاذا كانت الشعوب المجاورة لها آتتها شيئا من العلم فما هو إلا مدد مبهم غاية في الإبهام . لا مرأى في أن المصريين والكلدان والهنود لهم في ماضي الإنسانية مقام كبير، ولكنهم مع ذلك في الفلسفة أو في العلم بعبارة أعم ليسوا شيئا مذكورا في جانب الإغريق الذين لم يكونوا ليتعلموا

منهم . ولقد أثبتت مقارنة اللغات في أيامنا هذه أن لغة الإلياذة ولغة الفيدا كانتا في الأصل لغة واحدة، وأن اللسان الإغريقي والسنسكريت أخوان ولدتهما أم واحدة، ولكنه إذا كان الأصل الذى أطرح في أزمان ما قبل التاريخ واحدا ، فان ما قدر على الأخوين كان مختلفا جد الاختلاف ؛ لأن العالم الاغريقي قد أنتج الآداب والعلوم والفنون التى تنسج الآن على منوالها ، وشاطر بحظ عظيم في تقدّم المدنية المسيحية حتى وصلت الى ما هي عليه الآن ؛ في حين أن العالم الهندى ما أنتج إلا البرهمانية والبوذية ؛ فهو نازل عنا بمراحل على الرغم من المزايا المتعددة التى يكون من الظلم عدم الاعتراف له بها . بين العالم الإغريقي وبين العالم الهندى تآتى بلاد فارس التى توسطت بين العالمين فى المكان كما هي فى الزمان ، ولكنها لم تشغل مركزا يذكر لها ولم تستفد منها الإغريق إلا المجد الخالد الذى أحرزه أمثال ملتياد وليونيداس وطيمستوكل والإسكندر .

ومع ذلك فان الهند وفارس وإغريقيا ومصر ويهودة نفسها ، مهما كانت الفروق بينها فى المعقولات ، كلها هي الخمسة فروع متفرعة عن جنس واحد . فان علم أنساب الشعوب ووصفها الذى لا ينبغى أن يكون له أهمية عظمى فى هذه الأبحاث ، لكنه مع ذلك لا ينبغى أن يغفل أمره فيها قطعا ، هذا العلم قد كشف الغطاء عن مشابهة تامة بين هذه الشعوب منظوية تحت فروق فى الأخلاق وفى العقل وفى اللغة ، وهذا الجنس الرفيع الذى يجمع الخمسة الشعوب المذكورة هو ما يسمونه بالجنس الهندى القوقازى . وإن الأمم السامية نفسها متفرعة منه أيضا كالأخرى وإن كانت قابلياتها تخالف قابليات الأخرى على الإطلاق فهي قوية فيما يتعلق بالدين عقيمة فيما عداه تقريبا ، ولكن فى هذه العائلة الكبرى الجميلة التى كأنها احتكرت لنفسها الذكاء الحقيقى يقف الإغريق بجلتهم فى صفها الأول . وحينما كانوا يسمون من عداهم بالمتوحشين لم تكن كبريائهم باللغة من السوء الحد الذى كان يظن بهم . ومع أنه كان خيرا أن يكونوا أكثر تواضعا فان الهلّين المدفوعين الى هذه الكبرياء بدواعى غرائزهم الصادقة لم يكونوا مخدوعين على شرف مقامهم أكثر مما ينبغى .

والآن ونحن في وسعنا أن نحكم حكما خلوا من الغرض نقول إنهم أحق من سواهم بقصب السبق . ومهما يكن من حال المستقبل فليس من الهين عليه أن يتزعم من هذا المقام . أما أنا فلست أتردد في إسناد هذا المجد إليهم ، مع أني لا أنكر ما كان لمنافسيهم من العظمة بل من التفوق في بعض الوجوه ، ولكن من الذي يمكننا أن نضعه في حلبة المجد في مستوى فوق مستوى الهلين وقد جاءونا يقدمون بين يدي دعواهم الشعر والآداب والفنون والعلوم والفلسفة والتاريخ ؟ .

ولقد بينت ، على مهد الفلسفة الناشئة ، مقام مدرسة إيليا وما لإكسينوفان وميليسوس من الأهلية الخاصة بين طاليس وفيثاغورث .

ينبغي أن نكرر أن كل ما نسرده من هذه الحوادث التاريخية إنما هو تاريخنا ولو كان منذ خمسة وعشرين أو منذ ثلاثين قرنا ؛ ذلك بأننا أبناء الإغريق ، ولولاهم لما وصلنا الى ما وصلنا إليه ، فإن إغريقيا هي التي علمت روما ، وبواسطة روما وإغريقيا فتحت المسيحية بلادنا ومدنتنا بعد أن انتفعت بكل ما تقدمها ومهد لها السبيل . وإن العلم على جميع صورته كان معدوما في الشرق ، فاختره الإغريق ونقلوه إلينا^(١) . وما كان من روما والعالم الحالي بتمامه منذ إغارة المتوحشين إلا أن اقتفوا هذا الأثر الذي عفا رسمه أحيانا ولكنه لم ينعدم أبدا .

وإني إذ عنيت بإيضاح هذه الآثار الأولى أردت أن أوفى أجدادنا حقهم وأن أذكر بما علينا من الواجب نحوهم بأن بينت مراكهم وخدماتهم للإنسانية . ن العقل الانساني بطيء في سيره فيحسن به وهو سائر في طريقه غير المتناهي أن يلقى نظره الوقت بعد الوقت الى الوراء ليرى من أين ابتدأ سيره وليسدد خطاه في المستقبل غير المحدود الذي ينتظر قدومه ! .

فبراير سنة ١٨٦٦

الكون والفساد

الكتاب الأول

الباب الأول

الموضوع العام لهذا الكتاب - تمحيص المذاهب السابقة - آراء مختلفة - تمحيص نظريات أنكساغوراس ولوكيس وديمقريطس - نقض خاص لمذهب أميذقل - الاستشهاد ببعض آياته - المعاني المختلفة التي يحمل عليها كون الأشياء تبعاً لما يسلم به من الوحدة أو التعدد للعناصر الأولية .

§ ١ - لأجل أن ندرك الكون والفساد في الأشياء التي تتولد وتهلك بالطبع يلزمنا، كما هو الحال في البقية ، أن نقدر على حدة عللها ونسبها . وسننظر أيضاً عند معالجة النمو والاستحالة ما هي كل واحدة من هاتين الظاهرتين ونبحث ما إذا

ك ١ ب ١ - أخذ فيلوبون يثبت أن هذا الكتاب متصل جد الاتصال بكتاب السماء . ودليله الأصلي في ذلك أن كتاب السماء ينتهي بجملة فيها أداة استدراك لا يوجد معادها الا في هذا الكتاب . وهذا الدليل ليس قاطعاً جداً . ولكن من المحقق أن مواد الكائين مرتبط بعضها ببعض فضل ارتباط ، وأن أرسطو بعدما درس السماء والخواص العامة للأجرام اللامتنيرة التي تولفها أمكنه أن يفكر في آتمام هذه الدراسة بدراسة الأجسام التي من شأنها في الطبيعة أن تتولد وتهلك تابعة في ذلك قوانين منتظمة . الصلة اللغوية بين الكائين موجودة كما نبه إليه فيلوبون ولكن الصلة المنطقية بينهما هي أيضاً أحق .

§ ١ - بالطبع - أراد أرسطو ، وهو لا يشتغل الا بالأجسام المكوّنة أو الهالكة بفعل الطبيعة ، أن يخرج جميع الأجسام التي تكونها أو تهلكها الصناعة الانسانية . فان هذه الاجسام يمكن أن تكون موضوع دراسة خاصة . - عللها ونسبها - اللفظ اليوناني الذي عبرت عنه بالنسب هو أيضاً مهم

كان طبع الكون وطبع الاستحالة هما واحداً بعينه أو هما متميزان بالحقيقة كما هما متميزان بالاسم الدال على كليهما ؟ .

§ ٢ - من القدماء من رأوا أن ما يسمى كونا مطلقا ليس إلا استحالة والآخرون منهم رأوا أن كون الأشياء واستحالتها ظاهرتان مختلفتان . فالذين يزعمون أن العالم كلُّ ذو صورة واحدة ويجعلون الأشياء كلها تخرج من مبدأ واحد بعينه هؤلاء يلزمهم بالضرورة أن يروا الكون مجرد استحالة وأن يفترضوا أن ما يولد بالمعنى الخاص إنما هو ليستحيل . وعلى ضد ذلك الذين يسلمون بأن المادة تتألف من أكثر من عنصر واحد كأמידقل وأنكساغوراس ولوكيس . هؤلاء

جدا . وقد حاول فيلوبون أن يوضحه فلم يوفق الى ذلك . وربما كان لفظ «تحوّلات» صالحا أيضا . - النمو والاستحالة - ينبغى الرجوع الى تعريف هذين اللفظين في كتاب الطبيعة لأرسطو ك ٤ ب ٣ ف ٧ وك ٥ ب ٣ ف ١١ وما بعدها . فان النمو هو حركة في الكم وأما الاستحالة فانها حركة في الكيف . - الكون والاستحالة - أما الكون بالمعنى الخاص فهو الانتقال من الوجود الى الوجود . وأما الاستحالة فهي ليست الا مجرد تغير في الكائن الموجود من قبل . - بالحقيقة - زد هذا اللفظ لاتمام الفكرة . لأجل تبين الفرق بين الكون وبين الاستحالة استشهد فيلوبون بيت شعر لهوميروس . ولكن هوميروس لا يكاد يصلح حجة ذات وزن في هذه الفروق اللفظية والميتافيزيقية .

§ ٢ - من القدماء - سبى أن أرسطو يعنى بهم أميدقل وأنكساغوراس ولوكيس وديمقريطس... الخ . - كونا مطلقا - يعنى الانتقال من العدم الى الوجود . - ليس الاستحالة - يعنى إدماج ظاهرتي الكون والاستحالة . - ظاهرتان مختلفتان - هذا الرأي هو وحده الصحيح فان الكون والاستحالة معنيان لا يمكن إدماجهما أحدهما في الآخر . - ان العالم كلُّ ذو صورة واحدة - أو أنه لا يوجد إلا عنصر واحد بعينه هو الذي يكون كل شيء بلا استثناء . هؤلاء الفلاسفة هم على العموم اليونان وأصحاب مدرسة إيليا التي كانت تؤيد مذهب وحدة الجوهر ووحدة الموجود . - مجرد استحالة - قد زدت على المتن كلمة مجردة . - ما يولد بالمعنى الخاص - هو الذي سماه التولد المطلق كما نبه اليه فيلوبون . - المادة تتألف من أكثر من عنصر واحد - أو أنه «يوجد أكثر من مادة واحدة» . ولقد سمي هنا أنصار تعدد العناصر وأما أنصار الوحدة فلم يسمهم . أقام فيلوبون نفسه مقام أرسطوطاليس وذكر بأن طاليس لم يك يقبل إلا الماء، عنصرا أوحدا ، وأنكسيميوس وديوجين الأيلوني يقول كلاهما بأنه الهواء . وأنكسيمندروس يقول بأنه عنصر وسيط بين الهواء وبين الماء . وكان هيرقليطس يقول بأنه

يجب أن يكون لهم رأى مضاد للأول تماما . § ٣ - ومع ذلك فإن أنكساغوراس في هذا قد نكر التعبير الخاص وغلب في لغته الخلط بين ولد وهلك وبين تغيير . على أنه يعترف بتعدد العناصر كما يفعل فلاسفة آخرون . كذلك قال أمبيدقل إن عناصر الأجسام كانت أربعة وإنه باضافة العنصرين المحركين يكون المجموع ستة عناصر . أما أنكساغوراس فإنه ارتأى أنها غير متناهية في العدد كما كان يرى لوكيس وديمقريطس . والواقع أن أنكساغوراس كان يعتبر عناصر الأجسام المركبة من أجزاء متماثلة ، المتشابهة الأجزاء ، مثل العظم واللحم والنخاع وجميع المواد الأخرى التي كل جزء منها مرادف للكل . ٤ - ويزعم ديمقريطس ولوكيس أن جميع الأجسام مركبة في البداية من أجزاء لا تتجزأ أو ذرات وهي غير متناهية لا في عددها ولا في أشكالها . وأن الأجسام لا تختلف في أصلها بعضها عن بعض إلا بالعناصر التي تتركب منها

النار . أما فلاسفة التعدد فإن أمبيدقل كان يقبل القول بالعناصر الأربعة كما قاله أرسطو والنار والهواء والماء والارض . وأما أنكساغوراس فإنه كان يفترضها تلك الاجسام المتجانسة المتشابهة الأجزاء واللا متناهية . وديمقريطس ولوكيس كانا يفترضان هذا الفرض بالنسبة لذراتها اللامتناهية في العدد وفي اختلاف أشكالها . (ر . الفقرات الآتية) .

§ ٣ - نكر أنكساغوراس التعبير الخاص - في عهد أنكساغوراس لم تكن لغة الفلسفة قد تكوّنت كما حصل ذلك بعد . - كما يفعل فلاسفة آخرون - يعنى المذكورين بعد ذلك . - العنصرين المحركين - هذان العنصران المحركان اللذان يقول بهما أمبيدقل هما التنافر والعشق أو لها يفرق الأشياء ، والثاني يجمعها . - ستة عناصر - يعنى عنصرى الحركة مضافا اليهما العناصر الاربعة العادية الارض والماء والهواء والنار . وعلى رأى أمبيدقل أن هذه الاربعة الاخيرة متفعلة فقط وأما الآخران فانهما فاعلان ومحركان . - من أجزاء متماثلة المتشابهة الأجزاء (هو وميريس) - أحد هذين التعبيرين ليس الا ترجمة للآخر - كل جزء منها مرادف للكل - فان جزء العظم يسمى عظاما وجزء من اللحم يسمى لحما في حين أن جزء اليد لا يسمى يدا ... الخ وعلى ذلك يوجد من العناصر الأولية المتشابهة بمقدار ما يوجد من الجواهر المختلفة ولذلك كانت عناصر أنكساغوراس غير متناهية في العدد .

§ ٤ - أجزاء لا تتجزأ أو ذرات - كلا الاسمين مرادف للآخر تماما . واسم الذرات أكثر استعمالا وقد بين فيلويون هنا وجه الخلاف بين مذهب أبيقور في الذرات وبين مذهب ديمقريطس فإن أبيقور

وبوضع هذه العناصر وترتيبها . § ٥ - ويظهر هنا أن أنكساغوراس من رأيٍ معارض لرأى أمبيدقل لأن هذا الأخير يقول بأن النار والماء والهواء والأرض هي الأربعة العناصر وأنها أبسط من اللحم أو العظم أو أى عنصر آخر من العناصر المتشابهة فيما بينها أو الأجسام المتشابهة الأجزاء . ولكن أنكساغوراس على الضد من ذلك يزعم أن الأجسام المتشابهة الأجزاء هي بسيطة وأنها هي العناصر الحقيقية بينما أن الأرض والنار والهواء مركبة وأن جراثيم العناصر منتشرة في كل مكان .

§ ٦ - على ذلك متى ادعى أن جميع الأشياء تخرج من عنصر واحد لاغير لزم ضرورة اعتبار كون الأشياء وفسادها كمجرد استحالة . فيكون إذاً الموضوع للظواهر دائماً واحداً ودائماً هو بعينه . فإما على موضوع من هذا القبيل يمكن أن يقال إنه يعانى استحالة ولكن متى سلم بأنواع متعددة للجواهر وجب التسليم أيضاً بأن الاستحالة تتخالف الكون . لأن كون الأشياء وفسادها حينئذ يحصلان باتحاد العناصر أو بافتراقها .
وفي هذا المعنى أمكن لأمبيدقل أن يقول :

ليس لشيء من طبع ثابت، وما الكل إلا اختلاط وافتراق

يقول بعدم تنهى الذرات في العدد ولكنه لا يسلم بأنها غير متناهية في الأشكال . - إلا بالعناصر التي ترتب منها - أو بعبارة أخرى « التي تأتي هي منها » . هذا من أجل التعالف غير المتناهى في طبيعة الذرات .
- بوضع هذه العناصر وترتيبها - هذا لعدم التناهي في الأشكال .

§ ٥ - من رأى معارض - لا يجد فيلويون بين رأى أنكساغوراس ورأى أمبيدقل من مسافة التعارض ما تدل عليه عبارة أرسطو . - النار والماء والهواء والأرض - ذكرتها بهذا الترتيب لأن أرسطو ذكرها كذلك . - أنها أبسط من اللحم - قد يؤخذ من صوغ هذه الجملة أن أمبيدقل كان يعلم مذهب أنكساغوراس وينتقده . ولكن التاريخ الزمنى لا يسمح بذلك . ولعل المراد هنا هم أتباع أمبيدقل كما يدل عليه تعبير النسخة الإغريقية لا أمبيدقل نفسه . - جراثيم العناصر - هذه الجراثيم شد ما تقارب إذا الذرات التي هي منتشرة في كل مكان على حسب مذهب ديمقريطس .

§ ٦ - ادعى أن جميع الأشياء تخرج من عنصر واحد لاغير - هذا مذهب لم يقبله أرسطو أبداً .
- كمجرد استحالة - رف (١) أنفا - الموضوع للظواهر - قد زدت على النص اللفظ الأخير . - يعانى استحالة - يلزم في الواقع وجود موضوع دائم حتى يمكن أن يكون على التعاقب محلاً للاستحالات التي

§ ٧ - هذا تعبير، كما يرى، يلائم تماما فرض هؤلاء الفلاسفة . وتلك هي أيضا طريقة تعبيرهم . وإذن فإن هؤلاء الفلاسفة أنفسهم مضطرون الى الاعتراف بأن الاستحالة أمر مخالف للكون . ومع ذلك فإن من المحال أن توجد استحالة حقيقية على حسب المبادئ التي يقررونها . على أنه من السهل الاقتناع بصحة الرأي الذي نقرره هنا . فالواقع أنه كما أن الجوهر في حال السكون نجده يعتريه في ذاته تغير في العظم يسمى النمو والتقص كذلك أيضا يمكننا أن نشاهد فيه الاستحالة . § ٨ - ولكن من جهة أخرى ليس أقل من ذلك في باب المحال إيضاح الاستحالة على حسب ما يقوله الذين يسلمون بأكثر من عنصر واحد . لأن التأثيرات التي تجعلنا نقول بوجود الاستحالة هي فصول للعناصر ، أريد أن أقول، الحار والبارد، والأبيض والأسود، والجاف والرطب ، واللين والصلب ، وجميع الخواص الأخرى المشابهة كما يقوله أيضا أميدقل :

الشمس في كل مكان بيضاء مملوءة بالحرارة ، وفي كل مكان المطرينشر غشاه و برده .

تتابه إذ يمر من البارد الى الحار ومن الأبيض الى الأسود... الخ أو على التبادل . - بأنواع متعددة للجواهر - عبارة النص بالضبط « أجناس متعددة » . - باتحاد العناصر أو بافتراقها - تحت تأثير العشق والتنافر كما يريد أميدقل .

§ ٧ - فرض هؤلاء الفلاسفة - الذين يقولون بتعدد العناصر - . وتلك هي أيضا طريقة تعبيرهم - أو بعبارة أخرى « ان الفرض الذي نُسده اليهم هو الذي يسلمون به » . - مضطرون الى الاعتراف - لا يظهر أن أميدقل أنكره بالضبط ، ومن حق هذا القول أن يوجه الى ديمقرطس وأنصار الوحدة . - أن توجد استحالة حقيقية - النص أقل من هذا ضبطا في التعبير . - نجده يعتريه - . إنما يستشهد أرسطو الى المشاهدة الحسية وعلى رأيه أن الاستحالة ليست ظاهرة أقل وضوحا من التواء الذبول اللذين تدركهما حواسنا بنفاة السهولة . ان الفكرة في هذه الفقرة لا تزال مضطربة خافية ولم أستطع جلاها كما أردت على الرغم من تفسير فيلو بونت وتفسير إسكندر الافروديزي الذي نقله بجانب تفسيره . - نشاهد فيه الاستحالة - أو تغير الكيف .

§ ٨ - الذين يسلمون بأكثر من عنصر واحد - قد يظهر من هذا أن الفقرة السابقة مزججة الى الفلاسفة الذين يقولون بوحدة الجوهر ولكن النص لا يساعد على هذا التفسير . - التأثيرات - أو التغيرات . - فصول للعناصر - أو بعبارة أوسع « الفروق التي توجد بين العناصر » . - الحار والبارد - بطريقة عامة

إنه يقرر المميزات عنها لسائر الأشياء . وينتج من ذلك أنه إذا كان الماء لا يخرج من النار، ولا الأرض من الماء . فإن الأسود لا يمكن أن يخرج من الأبيض، ولا الصلب من اللين . وهذا التدليل بعينه قد ينطبق على جميع التغيرات الأخرى . وهذا بالضبط إذا ما كان يُعنى بالاستحالة .

§ ٩ - ولكن أليس من البين أنه يلزم دائماً افتراض وجود مادة واحدة لا غير لأجل الأضداد، سواء أغيرت بالثقل في الأين أم غيرت بالنمو أو النقص أم غيرت بالاستحالة ؟ يلزم ألا يكون إلا عنصر واحد ومادة واحدة بعينها لأجل جميع الكيوف التي تُتبدل بعضها ببعض . وإذا كان العنصر واحدا فهناك أيضا استحالة .

§ ١٠ - وعلى ذلك يظهر لنا أن أميدقل يناقض الحوادث الأكثر واقعية يناقض نفسه معا . لأنه يزعم معاً أن العناصر لا يمكن أن ينجى بعضها من البعض الآخر بل على الضد يأتي منها سائر الأشياء ، وفي الوقت عينه بعد أن رد إلى الوحدة الطبيعة كلها كاملة ما عدا التنافر ، قد استخرج بعد ذلك كل شيء من الوحدة التي تحيلها . فعلى رأيه الأشياء بانفصالها عن هذه الوحدة

كل المتقابلات بالضاد التي تتوارد وتتعاقد على موضوع واحد بعينه . -- ينتج من ذلك - ليست هذه نتيجة تنتج بالضرورة من مذهب أميدقل . - وهذا بالضبط إذا ما كان يعنى بالاستحالة - ولا يظهر أن أميدقل ينكره .

§ ٩ - ولكن أليس من البين - على هذه النظرية راجع كتاب الطبيعة ك ١ ب ٧ ف ٩ وكتاب المقولات ب ١١ - بالثقل في الأين ... بالنمو ... بالاستحالة - تلك هي أنواع الحركة الثلاثة التي يقول بها أرسطو وقد شرحها في كتاب الطبيعة . - مادة واحدة بعينها - عبارة النص ليست من البيان على هذا القدر . - التي تتبدل بعضها ببعض - والتي هي بناء على ذلك أضداد ، فان الجسم بعينه هو الذي يكون بالتناوب حاراً أو بارداً أو أبيض أو أسود ... الخ .

§ ١٠ - يناقض الحوادث الأكثر واقعية - بإنكاره وجود الاستحالة وهي ظاهرة مشاهدة بقاية السهولة . - رد الى الوحدة - ذلك هو (سفيروس) إله المادة المظروف فيه العالم على رأى أميدقل بفعل العشق الى أن يأتي التنافر فيكشفه عنه من جديد بأن يفصل العناصر . - ما عدا التنافر - ما دام هو الذي يجب أن يقطع من جديد الوحدة التي أوجدها العشق . - فعلى رأيه - يظهر أن ما يلي هو نقل حرفي لعبارة أميدقل

العنصرية بواسطة بعض فصول وبعض تغاير فهذا الشيء بعينه صار ماء وأحصر ناراً . وبهذه المثابة يسمى الشمس بيضاء حارة والأرض كثيفة صلبة . ولكن متى محيت هذه الفصول ، ويمكن أن تحي ما دامت متولدة في وقت بعينه ، أمكن للأرض بالبداية أن تأتي إذًا من الماء كما يمكن أيضا للماء أن يأتي من الأرض . كذلك الحال بالنسبة لجميع الأشياء الأخرى التي جرى عليها التحول والتغير ، لا في الزمن الذي يتكلم عنه فقط بل التي تتغير أيضا في هذا اليوم . § ١١ - زد على ذلك أن في مذهب أمبيدقل توجد مبادئ منها يمكن أن تتولد الأشياء وتتفصل من جديد ، وعلى الخصوص متى سلمنا بالتنازع الأبدي المتبادل بين التنافر والعشق . فانظر كيف أن الأشياء فيما يظهر تتولد إذًا من مبدأ واحد . لأن النار والماء والأرض وهي لا تزال مجتمعة لم تكن لتكوّن كل العالم . ولكنه بهذه النظرية لا يعرف إن كان يلزم الاعتراف بأن هنّ مبدأ واحداً أو مبادئ متعدّدة وأعني بهنّ الأرض والنار والعناصر التي من هذا القبيل . ذلك بأنه في الواقع من جهة ما يُفترض كإدّة مبدأً منه تأتي الأرض والنار متغيرتين بالحركة المتحصلة فانه لا يوجد أدّا الا عنصر واحد لا غير . ولكن

ولكن البيان غير جلي وفيه الغموض العادي الذي يوجد في نقوض أرسطو . - فهذا الشيء بعينه صار ماء - لا يظهر أن هذا هو مذهب أمبيدقل الحقيقي فإن رأيه هو أن العناصر كلها مكوّنة ولا تتغير ، بل هي فقط تجتمع أو تفرق تحت التأثير القدير للعشق والتنافر . - ويمكن أن تحي - قد لا تكون هذه هي فكرة أمبيدقل الحقيقية . - ما دامت متولدة في وقت بعينه - يظهر أن أمبيدقل على الضد من ذلك يعتقد أن هذه الفروق أبدية . - بل التي تتغير أيضا في هذا اليوم - في مذهب أرسطو ولكن لا في مذهب أمبيدقل .

§ ١١ - زد على ذلك أن في مذهب أمبيدقل - ليس النص بهذا الضبط من البيان ، فان المعارضة الجديدة تنحصر في أنه في مذهب أمبيدقل توجد مبادئ سابقة على العناصر وعلى ذلك تكون هذه العناصر ليست عناصر حقيقية .

- التنافر والعشق - هما مبدآن سابقان للعناصر يجمعانها ويفرقانها . - من مبدأ واحد - حينما يتكشف (سفيروس) إله المادة من جديد بفعل التنافر . - مبدأ واحداً أو مبادئ متعدّدة - يكون على الأقل الاثنان التنافر والعشق . - كإدّة - يمكن ألا تكون هذه أيضا فكرة أمبيدقل ، فان التنافر والعشق لا يكونان بالضبط العناصر وإنما يفعلان بها فقط .

من جهة أن هذا العنصر عينه هو متحصل من اجتماع هذه الجواهر التي تتحد ينتج أن هذه الجواهر قبل اجتماعها هي ذواتها أشد عنصرية وسابقة بطبيعتها .

§ ١٢ - ولكن يلزمننا في دورنا أن نتكلم بطريقة عامة على كون الأشياء وفسادها على معناهما المطلق، وسنعيد البحث فيما اذا كان هذا الكون أو لم يكن وستقول كيف يكون هو . ثم نتكلم أيضا على الحركات البسيطة كالنمو والاستحالة .

- أشد عنصرية - هذه هي عبارة النص نفسها . § ١٢ - في دورنا - زدت هاتين الكلمتين للدلالة على الانتقال الذي لم يذكر بالنص هنا ، فانه بعد أن استعرض أرسطو على التوالي مذاهب الآخريين سيبين مذهبه وستكلم أولا على الكون مرجعا الكلام على نمو الأشياء واستحالتها الى ما بعد .

الباب الثاني

عدم كفاية نظرية أفلاطون — عود على نظرية ديمقريطس ولوكيس — نظرية جديدة على كون الأشياء. وفسادها — النقط المتبع — أهمية مسألة الذرات — رأى ديمقريطس ولوكيس — رأى أفلاطون في كتابه طيماوس — خطأ هؤلاء وهؤلاء. — وجوب الأخذ بملاحظة الأحداث على الأخص — فضل ديمقريطس من هذه الجهة — أفكار في قابلية الأشياء للقسمة — يمكن افتراض القسمة لا متناهية — صعوبات هذه النظرية — صعوبات ليست أقل خطرا من نظرية الذرات — تقض هذه النظرية — المعنى العام الذى يحمل عليه كون الأشياء .

§ ١ — لم يدرس إذا أفلاطون الكون والفساد إلا من حيث طريقة وجودهما بالأشياء بل لم يكن ليدرس الكون في كل عمومه بل اقتصر على كون العناصر . ولم يقل شيئا على تكوّن جميع الأجسام التى هى من جنس اللحم والعظم وسائر الأجسام المشابهة لها ولم يتكلم على الاستحالة ولا على النمو ولم يبين كيفية إدراكه إياهما في الموجودات .

§ ٢ — على أنه يمكن الجزم بأنه لم يتكلم أحد على هذه الموضوعات إلا بطريقة سطحية جدا ما عدا ديمقريطس فانه يظهر أنه فكر في كل المسائل ولكنه يخالفنا في إيضاح الطريقة التى بها تحدث الأشياء . ولم يفكر أحد كما قلنا آنفا في إيضاح النمو إلا مار بما يكون على المعنى الذى تفهم الكافة به هذه الظاهرة . أعنى بأن يقال إن

§ ١ — لم يدرس إذا أفلاطون — رجع أرسطو إلى فحص مذاهب أسلافه . — إذا — هذه الكلمة موجودة في النص دون أن يكون لها وجه يبررها . — طريقة وجودهما بالأشياء — يحتمل أن أرسطو يريد أن يقول إن أفلاطون لم يدرس الكون إلا في الحال الزاهية للأشياء من غير أن يحاول الصعود إلى الأصل ، فإذا كانت هذه هى فكرته فقد لا تكون صادقة تماما إذ قد يوجد في طيماوس ما يناقضها . — على كون العناصر — دون كون الكيوف التى تتاب العناصر . — على الاستحالة ولا على النمو — يعنى النوعين الآخرين للحركة .

§ ٢ — ماعدا ديمقريطس — مدح ديمقريطس هذا يمكن أن يظهر عظيمًا جدا بعد ذلك الانتقاد السابق الموجه إلى أفلاطون . — كل المسائل — ليست عبارة النص في هذا القدر من الضبط . — التى بها تحدث الأشياء — هذا ليس تام الوضوح ، ولكن عبارة النص أدق من ترجمتنا . ولا شك في أن أرسطو يريد

الأجسام تتولد لأن الشبيه يأتي فينضاف إلى الشبيه . أما كيف تحصل هذه الظاهرة
فذلك ما لم يوضحه أحد البتة حتى الآن . § ٣ - ومع ذلك فلم تُدرس أيضا بعد مسألة
الاختلاط ولا أية واحدة من المسائل التي من هذا القبيل ولا مثلا مسألة معرفة
كيف تفعل الأشياء وتتفعل وكيف أن شيئا بعينه يفعل الأحداث الطبيعية وآخر
بعينه يفعل بها . § ٤ - لما لم يهتم ديمقريطس ولو كيبس إلا بصور العناصر
استخرجها منها استحالة الأشياء وكونها . وعلى هذا فمن انقسام الذرات ومن اتحادها
يأتي الكون والفساد ومن ترتيب الذرات ووضعها تأتي الاستحالة . ولكن
لما كان هؤلاء الفلاسفة يحسبون الحقيقة في مجرد الظاهر وكانت الظواهر متضادة
ولا متناهية بالعدد معا اضطروا أن يجعلوا أشكال الذرات لا متناها أيضا بحيث إن
الشيء الواحد يمكن أن يظهر ضد ما هو لنظر هذا الرائي أو ذلك تبعا لتغيرات
وضعه ويظهر متغير الصورة بمجرد أن تختلط به أو تزد عليه أصغر جزئية أجنبية .
ويظهر أنه صار غير ذاته جملة بتغير موضع جزء واحد من أجزائه . ذلك كما أنه
يمكن أن تستخدم الحروف بعينها لتأليف مأساة أو فكاهة حسبما يُختار .

أن يقول إن ديمقريطس موافق له فيما يتعلق بكون الأشياء ولكنه يخالفه في كيفية حدوث هذه الظاهرة .
- في إيضاح النقو - لا يرى أن ارسطو نفسه قد سد هذا النقص (ر . الطبيعة ك ٦ ب ١٦ ف ٥ من ترجمتنا) .
§ ٣ - ومع ذلك فلم تُدرس أيضا - بعض هذه المسائل قد درس إما في كتاب الطبيعة وإما في الكتاب الرابع
من الميتولوجيا (الآثار العلوية) ولكني لا أعرف إذا كان ارسطو قد تعمق في البحث فيها إلى أبعد مما فعل
أسلافه . § ٤ - لما لم يهتم ديمقريطس ولو كيبس إلا بصور العناصر - ليست عبارة النص على هذا القدر من
الضبط . وهذا المعنى هو معنى فيلو بون وقد يمكن ترجمته هكذا : " بعد أن تخيل ديمقريطس ولو كيبس صور
العناصر " . - الذرات - أضفت هذه الكلمة لأن مذهب ديمقريطس معلوم تماما ومذهب الذرات لا يقبل
في الحقيقة إلا القسمة والاتحاد والترتيب والوضع علا لجمع الظواهر . - يحسبون الحقيقة في مجرد الظاهر -
هذا هو المذهب الذي اعتنقه بعد ذلك السفسطائيون وطالما حارب سقراط (ر . فروطاغوراس
لأفلاطون) . - أشكال الذرات - أضفت أيضا هاتين الكلمتين . - تبعا لتغيرات وضعه -
مثل فيلو بون لذلك بطوق الحمامة فانه تبعا لمسقط الضوء وموضع الرائي يتلون بالألوان المختلفة .

§ ٥ — ولكن لما كان كل الناس من غير استثناء تقريبا يعتقد بوجه العموم أن كون الأشياء واستحالتها هما ظاهرتان مختلفتان جدًا ، وأن الأشياء لتكون أو لتفسد يجب أن تتحد أو تنفصل في حين أنها تستحيل بتغيرات في خواصها ، وجب علينا من أجل ذلك أن نقف على هذه المسائل التي يعرض منها في الواقع صعوبات حقيقية متعددة . إذا لم يجعل كون الأشياء ، مثلا ، إلا اتحادا فإن لهذه النظرية طائفة من النتائج غير القابلة للتأييد . ولكن هناك براهين أخرى قاطعة على صحة المعنى المضاد ، ومن الصعب جدا نقضها ، تثبت أن كون الأشياء لا يمكن أن يكون شيئا آخر إلا مجرد اتحاد وأنه إذا كان الكون ليس اتحادا فن ثم لا يوجد كون أصلا وأنه ليس إلا استحالة . لذلك يجب أن نعالج حل هذه الصعوبات مهما كانت خطورتها .

§ ٦ — النقطة الأصلية في ابتداء هذه المناقشة هي معرفة ما إذا كانت الأشياء تكون وتستحيل وتتمو أو تعاني الظواهر المضادة لهذه الظواهر بسبب وجود ذرات أعنى أعظاما أولية غير قابلة للقسمة أو ما إذا كان لا يوجد أصلا أعظام غير قابلة للقسمة . هذه النظرية هي من الخطورة بالمكان الأعلى . ومن جهة أخرى بفرض وجود الذرات يمكن أن يتساءل أيضا عما إذا كانت — كما يريد ديمقريطس ولوكيبس

— جزء واحد من أجزائه — ليست عبارة النص على هذا القدر من الضبط . — تستخدم الحروف بعينها — أو عبارة أصرح « حروف الهجاء » .

§ ٥ — كل الناس — يشمل أنكساغوراس وأميدقل . — كون الأشياء واستحالتها — من الصعب في الواقع خلط الظاهرتين وجعل احدهما الأخرى . وإن عبارة النص في التمييز جليسة غاية الاجلاء . — وجب علينا أن نقف — سيكون ذلك موضوع هذا الباب والأبواب التالية . — طائفة من النتائج غير القابلة للتأييد — هذا مهم .

§ ٦ — هي معرفة — ما إذا كان يوجد ذرات او لا يوجد . — تكون وتستحيل وتتمو — تلك هي الأنواع الثلاثة للحركات التي الأشياء قابلة لها . — الظواهر المضادة لهذه — يعنى الفساد والاستحالة الى كيف مضاد والنقص . — أعنى — أضفت هذه الكلمة . — هذه النظرية هي من الخطورة بالمكان الأعلى — لذلك عاد أرسطو الى الكلام عليها مرات عدة . — كما ذكر في طيلوس — ر كتاب السماء ٣ ب ٧

— هذه الأعظام غير المنقسمة هي أجساما أو ما اذا كانت مجرد سطوح كما ذكر في طياوس . § ٧ — ولكن من غير المعقول، كما بينا في غير هذا الموضع، أن نجاوز بتحليل الأجسام الى حد تصييرها سطوحا. وعلى ذلك يكون أقرب الى المعقول القول بأن الذرات هي أجسام . على أنى لأعترف أن هذا الرأى هو أيضا قليل الشبه بالمعقول. ومع ذلك يمكن في هذا المذهب كما قد قيل أن تفسر استحالة الأشياء وكونها بتبدل الجسم الواحد تبعا لدورانه أو لتماسه أو تبعا لاختلاف أشكاله . ذلك ما يفعل ديموقريطس وهذا هو الذى أدى به الى انكار حقيقة اللون مادام اللون في عرفه إنما يكون من حركة الأجسام حول مركزها . ولكن الذين يقبلون قسمة الأجسام الى سطوح أولئك لا يمكنهم بعد ذلك أن يدركوا اللون . لأنه يجمع السطوح ذوات السعة بعضها مع بعض يمكن الوصول فقط الى تكوين جوامد ولكن لا يمكن الوصول الى إيجاد أى كيف جسمانى .

§ ٨ — والسبب الذى جعل هؤلاء الفلاسفة يرون، أقل من الآخرين، الظواهر التى هي محل وفاق بين الناس جميعا هو عدم المشاهدة. وعلى ضد ذلك الذين استرادوا من فحص الطبيعة، أولئك أحسن حالا فى استكشاف هذه المبادئ التى يمكن أن

ف ١٤ § ٧ — فى غير هذا الموضع — فى كتاب السماء ك ٣ كما يقول أيضا فيلوبون . — الى حد تصييرها سطوحا — هذا الرأى ليس هو رأى افلاطون فى طياوس الى حد ما يظهر على أرسطو أنه يذهب اليه هنا . — على أنى لأعترف — عبارة النص أقل وضوحا من هذه . — كما قد قيل — يرى فيلوبون أن الألفاظ التى يستعملها أرسطو فى هذا الموضع على قول ديموقريطس هي الفاظ مأخوذة على الأخص من لهجة أبدير . — دورانه ... تماسه — هذان التعبيران ليسا بالفرنسية أكثر ضبطا فى أداء المعنى من نظيريهما باليونانى . — الذين يقبلون قسمة الأجسام الى سطوح — مثل افلاطون أو فلاسفة آخرين . — أن يدركوا اللون — أو أى كيف آخر للأجسام . عبارة النص أقل ضبطا من هذه .

§ ٨ — محل وفاق بين الناس جميعا — عبارة النص مبهمه قليلا فلست وانما من أنى حصلت المعنى جيدا . — عدم المشاهدة — يوصى أرسطو هنا بمشاهدة الأحداث كما يوصى به دائما ولكنه لم يكن فى موضع آخر مينا وجازما كما هو فى هذا الموضع . ر . مقدمة ترجحى للبيترولوجيا ص ٤٢ وما يليها . — التى يمكن أن تنسحب بعد — أو بعبارة فيلوبون وهى : ” التى يمكن أن تشمل عددا من الحوادث ما أكثره ” .

تتسحب بعدُ على حوادث ما أكثر عددها. ولكن هؤلاء الذين هم تأهون في نظريات معقدة لا يلاحظون الأحداث الواقعة وليست أعينهم موجهة إلا إلى عدد قليل من الظواهر وهم يحكون بسهولة كبرى . § ٩ - هاهنا أيضا يمكن أن يرى كل الفرق الذى يفرق بين الدراسة الحقة للطبيعة وبين دراسة منطقية محضة . لأن هؤلاء الفلاسفة من أجل أن يبينوا مثلا أنه يوجد ذرات أو أعظام غير قابلة للقسمة يدعون أنه إذا لم تكن تلك الذرات فان المثلث نفسه ، المثل الأعلى للمثلث ، يكون مؤلفا مع أن ديمقريطس في هذه المسئلة يظهر أنه لم يعول في حلها إلا على دراسات خصوصية وطبيعية محضة . ومع ذلك فان ما سيلي من هذه المناقشة سيدين لنا ما نريد أن نقول بأوضح من ذلك .

§ ١٠ - من الصعوبة الكبرى افتراض أن الجسم يوجد وأنه عظيم قابل للقسمة الى ما لا نهاية وأنه من الممكن تحقيق هذه القسمة . فإذا سبق في الواقع في الجسم الذى يمكن أن يخلص من قسمة كهذه؟ فإذا افترض أن شيئا قابلا للقسمة مطلقا وأنه يمكن حقيقة قسمته هكذا فلا يكون من المحال في شيء أنه أمكن

والفرق بين العبارتين عديم القيمة . - تأهون في نظريات معقدة - عبارة النص تفيد أيضا "ولكن هؤلاء الذين هم بعيدون عن الأفكار العامية ... الخ" . - بسهولة كبرى - وبخفة أكثر . § ٩ - الدراسة الحقة - أضفت هذه الكلمة الأخيرة . - هؤلاء الفلاسفة - يعنى أفلاطون ومدرسته . - إذا لم تكن تلك الذرات - أضفت هذه الكلمات التى يظهر أنها ضرورية . - المثلث نفسه المثل الأعلى للمثلث - هذه الكلمات الأخيرة ليست لإلتفسيرا لما سبقها . فان المثلث نفسه في لغة مذهب أفلاطون هو المثل الأعلى للمثلث . - مؤلفا - أى قابلا للقسمة وهذا يناقض تماما نظرية المثلث . - مايلي من هذه المناقشة سيدين لنا ... بأوضح من ذلك - يشعر أرسطو نفسه بأنه لم يقل هنا قدر الكفاية ليكون بنتا تماما . يدافع فيلو بون عن أفلاطون ضد أرسطو الذى لم يحصل جيدا فكرة أستاذه . ويظن فيلو بون أن هذه النظرية قد يمكن أنها موجودة على الأكثر في مذاهب أفلاطون غير المكتوبة .

§ ١٠ - من الصعوبة الكبرى - كل المعنى في هذه الفقرة غامض . واليكها بأبسط عبارة : "من الصعب أن يفهم أن الجسم يمكن أن يقبل القسمة الى ما لا نهاية وأن لا توجد فيه الأجزاء التى لا تتجزأ . لأن هذه القسمة تفنى الجسم عن آخره ولا يبقى منه شيء . وبذلك يوصل الى أن الجسم مؤلف من مجرد نقط ليس

قسمته مطلقا مع أنه لم يقسم في الواقع ولا أنه قد قسم فعلا . والأمر كذلك إذا فيما إذا يقسم الشيء بالنصف . وعلى العموم لو أن شيئا قابلا بالطبع للقسمة الى اللانهاية قد قسم لما كان ذلك محالا البتة . كما لا يكون محالا أن يفترض إمكان قسمته عشرة آلاف مرة مضروبة في عشرة آلاف مع أنه لا أحد يستطيع المجاوزة بالقسمة الى هذا الحد .

§ ١١ — ما دام الجسم معتبرا أنه حائز لهذه الخاصة فلنسلم أنه يمكن قسمته مطلقا على هذا النحو . ولكن إذا ما ذاب بقي بعد هذه التقاسيم ؟ هل سيكون عظاما ؟ لكن ذلك غير ممكن لأنه إذا يوجد شيء فز من عملية التقسيم وكان الفرض ، على الضد ، أن الجسم قابل للقسمة من غير أي حد ومطلقا . ولكنه إذا لم يبق جسم ولا عظم وظلت القسمة مستمرة فيما أن القسمة لاتقع إلا على نقط وإذا تصير العناصر التي تتركب الجسم عديمة العظم واما ألا يبقى هناك شيء أصلا . § ١٢ — ينتج من ذلك أنه سواء أكان الجسم يأتي من لا شيء أم يؤلف من أجزاء فالأمر على الحالين تصيير الكل الى ألا يكون إلا ظاهرا . حتى مع التسليم بأن الجسم يمكن أن يأتي

لها أبعاد أصلا . — وأنه من الممكن تحقيق هذه القسمة — عبارة النص أقل من ذلك ضبطا . — الذي يمكن أن يخص من قسمة كهذه — لأنها ستعلم نهائيا كل ما تتركب منه الجسم . — فلا يكون من المحال — هذا فرض يمكن دائما فرضه ولا يلزم عليه شيء . من المحال . — إذا يقسم الشيء بالنصف — يعني اذا قسم دائما الى اثنين كل ما يبق من الشيء . في التقسيم المتتابع أو اذا قسم الى أجزاء غير متساوية ، بكلتا الطريقتين يوصل الى اعدامه كله بهذا التقسيم غير المتناهي . — المجاوزة بالقسمة الى هذا الحد — لعدم كفاية الآلات التي يستعملها الانسان .

§ ١١ — معتبرا أنه حائز لهذه الخاصة — عبارة النص أقل ضبطا من هذا التعبير . — ماذا يبق — تكرار لسئلة الموضوع في الفقرة الماضية . — بعد هذه التقاسيم — زدت هذه الكلمات لبيان الفكرة قليلا . عظاما — يكون أيضا قابلا للقسمة . — من غير أي حد ومطلقا — ليس في النص الا كلمة واحدة . — عديمة العظم — لأن النقط الرياضية مفروض أنها لا عظم لها البتة . § ١٢ — يأتي من لا شيء . — أعني من نقط ليس لها أي امتداد . — ألا يكون الا ظاهرا — تلك هي النتيجة التي استنتجها السفسطائيون من مذهب ديمقريطس . — بأن الجسم يمكن أن يأتي من نقط — النص ليس بهذه الصراحة .

من نقط فلا يكون هناك أيضا كم . وفي الواقع لو أن هذه النقط كانت تماسّ لتؤلف عظامًا واحدا وأن العظم كان واحدا وأنها كلها فيه فان جميع هذه النقط المجتمعة ما كانت لتجعل الكل أكبر لأن الكل بانقسامه الى نقطتين أو عدة لا يكون لا أكبر ولا أصغر من ذى قبل ، بحيث إنه مهما جمع من تلك النقط فلا يمكن الوصول أبدا الى تأليف عظم حقيق منها . § ١٣ — إذا قيل إنه يوصل بالقسمة إلى ألا يحصل منها إلا كمنشأة الجسم فحتى على هذا الفرض لا بد من أن الجسم يأتى من عظم أيا كان ، وتبقى المسئلة كما كانت وهى كيف أن هذا الجسم الأخير قابل للقسمة فى دوره . فاذا قيل إن ما انفصل ليس جسما بل هو صورة ما قابلة للانفصال أو خاصة ما فينتج من ذلك أن العظم يتحوّل الى نقط والى تماسّات محولة بهذه الطريقة . وإذا يكون من غير المعقول الاعتقاد بأن العظم

— كم — لأن النقط لا تمثل كمية ما . — لا أكبر ولا أصغر من ذى قبل — مهما كان عدد نقط القسمة .
— عظم حقيق — أضفت لفظ حقيق .

§ ١٣ — كمنشأة الجسم — عبارة الاصل دقيقة ويظهر أن الفكرة غامضة ولو أنها فى الحقيقة واضحة . فان أرسطو يفرض أنه يراد اثبات وجود الذرات وأن قسمة الجسم لا يمكن أن تمتشى الى اللانهاية . فاذا وصل بالتقسيم الممكن غاية الامكان الى تصيير الجسم مسحوقا كمنشأة الخشب عند قطعه ولكن قطع النشارة مهما دق حجمها فان لها امتدادا وترجع المسئلة بالنسبة لهذه الاجسام الصغيرة الى ما كانت عليه بالنسبة للجسم الذى كانت تولفه باجتماعها من قبل . — عظم أيا كان — فان قطع النشارة مهما صغر حجمها لها دائما عظم قابل للتقدير . — فى دوره — زدت هاتين الكلمتين . — إن ما انفصل — أى بالقسمة البالغة أقصى حد لها . — قابلة للانفصال — قال فيلوبون إن فى هذا رواية أخرى وإن فى بعض النسخ المخطوطة عبارة « غير قابلة للانفصال » بدل عبارة « قابلة للانفصال » . والسياق يقتضى على الظاهر أوفىة العبارة الأخيرة . ومع ذلك فان فيلوبون يفضل معنى عبارة « غير قابلة للانفصال » لان الصورة فى الواقع غير قابلة للانفصال عن الجسم بمعنى أنها تنعدم بانعدامه ولا يمكن أن تكون شيئا بدونه . ولقد أثبتت فى ترجمتى عبارة الرواية المشهورة ولكن الاخرى هى مناسبة أيضا . — الى نقط والى تماسّات — نظريات أبطلت آنفا . — أشياء ليست أعظاما — ما دام أن النقط والتماسّات لا يمكن أن يكون لها على ما هو المفروض أى امتداد الى أية جهة ما .

يمكن أبدا أن يأتي من أشياء ليست أعظاما . § ١٤ — ولكن فوق ذلك في أى مكان تكون هذه النقط سواء أقرضت عديمة الحركة أم افترضت متحركة ؟ إنه لا يوجد أبدا إلا تماس واحد بين شيئين فلا بد أيضا من أقرض أنه يوجد شيء ليس هو التماس ولا القسمة ولا النقطة .

لو قبل إذا أن كل جسم أيا كان مهما كان امتداده يمكن دائما أن يقبل القسمة مطلقا لكانت تلك هى النتائج التى يوصل اليها .

§ ١٥ — من جهة أخرى اذا أمكننى بعد القسمة أن أركب الخشب الذى نشرته أو أية مادة أخرى بأن أعيد اليها وحدتها الأولى وأن أجعلها مثل ما كانت تماما فمن الواضح أنى أستطيع أن أفعل ذلك في أية نقطة بلغتها في كسرى الخشب . إذا فبالقوة الجسم قابل دائما للقسمة مطلقا وبدون حد . ماذا يوجد إذا هاهنا خارجا عن القسمة وبمعزل عنها اذا قيل إنها خاصة للجسم ؟ يمكن دائما أن يسأل كيف أن الجسم يتحلل الى خواص من هذا القبيل وكيف يمكن أن يتألف منها وكيف أن هذه الخواص يمكن أن تتفصل عن الجسم .

§ ١٤ — في أى مكان — يعنى : « في أى جزء من الجسم ؟ » — افترضت متحركة — كما يفعل ال رياضيون اذ يسلمون بأن النقطة متى تحركت خطا كما أن الخط يحدث السطح والسطح الجسم . وقد نبه فيلويون الى أنه يمكن اعطاء هذه الجملة صورة الاستفهام أو صورة الايجاب على السواء . — أنه يوجد شيء . — يعنى الجزأين الماديين اللذين يتماسان أو أنهما متقاسمان في نقطة تفصلهما . — لو قبل إذا — ر . ما سبق ف ١٠ هذا هو ملخص القسم الأول من كل هذه المناقشة . فانه اذا لم تقبل الذرات وقبل القول بأن كل جسم قابل للقسمة مطلقا فتلك هى النتائج غير المعقولة التى تؤدى اليها هذه النظرية . فيستنتج من هذا مع ديمقريطس حقيقة نظرية الذرات . ومع ذلك فان هذا المخلص يمكن أن يظهر أنه سابق لوقته

§ ١٥ — من جهة أخرى — برهان جديد لإيضاح وجود الذرات . — مثل ما كانت تماما — يظهر أن هذا مناقض لما قيل سابقا ف ١٣ — في أية نقطة بلغتها في كسرى الخشب — وعدد النقط يمكن ألا يتناهى ما دامت النقط مفروضا أنها عديمة الامتداد . — فبالقوة — إن لم يكن بالفعل لعلة واحدة هى عدم كفاية الآلات التى يستخدمها الانسان . — خارجا عن القسمة وبمعزل عنها — لا يوجد في النص إلا كلمة واحدة لهذا المعنى . — الى خواص من هذا القبيل — تكرر لما قيل آنفا ف ١٣

§ ١٦ — إذا كان إذا محالا أن الأعظام تتكون من مجرد تماسات أو نقط فإنها يلزم ضرورة أن يوجد أجسام وأعظام لا تتجزأ . ولكن هذا الافتراض عينه للذرات يخلق محالا لا يمكن تحطيه ولو أن هذه المسئلة قد فخصت في غير هذا الموضع إلا أنه يلزم أن يحاول حلها هنا أيضا . وللوصول الى ذلك يلزم أخذها من جديد بتامها من البداية .

§ ١٧ — نقول إذا بادئ بدء إنه ليس من غير المعقول في شيء تقرير أن كل جسم محسوس هو معا قابل للقسمة وغير قابل للقسمة في نقطة ما ما دام أنه يمكن أن يكون قابلا للقسمة بالقوة المجردة وغير قابل للقسمة بالفعل . ولكن الذي يظهر أنه محال تماما هو أن جسما يكون قابلا للقسمة وغير قابل لها معا بالقوة لأنه اذا كان ذلك ممكنا فلا يكون أبدا بهذا الوجه أن الجسم يجمع بين الخاصيتين بأن يكون غير قابل للقسمة وقابلا لها معا بالفعل . بل أنه يكون فقط قابلا للقسمة بالفعل في نقطة ما . وإذا

§ ١٦ — اذا كان إذا — تلخيص لتأييد نظرية ديمقريطس . — أجسام وأعظام لا تتجزأ — أو بعبارة أخرى ذرات كما كان يقتره ديمقريطس . — للذرات — أضفت هذه الكلمة لزيادة البيان . — غير هذا الموضع — كتاب السماء ك ٣ ب ٤ ف ٥ وراجع كتاب الطبيعة في مواطن عدّة حيث نظرية الذرات ملهع اليها الماعا لا مينة بيانا وضعيا . ويستشهد فيلويون على الأخص بالكتاب السابع من الطبيعة حيث لا أجد فيه أنا شيئا من هذا القليل . ويستشهد أيضا برسالة الخطوط غير المتقسمة التي ينسبها الى تيوفراست بدلا من أرسطو اتباعا لرأى بعض المؤلفين .

§ ١٧ — معا قابل للقسمة وغير قابل لها — بالفعل هذا محال ولكن يمكن أن احدهما إمكان مجرد والأخرى قسمة بالفعل . وإذا فالجسم في الذهن قابل للقسمة الى اللانهاية . ولكن في الخارج تقف القسمة عند حد بسرعة . — قابل للقسمة بالقوة المجردة وغير قابل لها بالفعل — عبارة النص أقل ضبطا . — يكون قابلا للقسمة وغير قابل لها معا بالقوة — معنى منقسما وغير منقسم في آن واحد بالقوة . وعلى رغم تفسير فيلويون ومجهوداتى فان هذه النقطة فيها من الغموض ما لم أستطع أن أزيله بالمره . وايلك البيان الذي يمكن فهمها به : ” إن جسما لا يمكن أن يكون معا قابلا وغير قابل للقسمة حتى بمجرد القوة لأنه اذا كان كذلك بالقوة كان كذلك أيضا بالفعل . وهاتان القابليتان في الخارج لا يجتمعان مطلقا . فكل الذي يمكن حقيقة هو أن الجسم يكون قابلا للقسمة في نقطة ما . وهذا لا يفيد أنه قابل للقسمة مطلقا لأنه حينئذ

لا يبقى منه شيء مطلقاً ويتحول الجسم إلى شيء غير جسماني . ومع التسليم بأنه يمكنه أن يكون ثانية إما بأن يأتي من النقط أو أن لا يأتي من شيء أبداً على الإطلاق فكيف يصير كون الجسم من جديد ممكناً .

١٨ § — أما ما هو بين فهو أن الجسم ينقسم بالفعل إلى أجزاء متميزة ومنفصلة وإلى أعظام أصغر فأصغر دائماً تتباعد بعضها عن بعض وتتعزل . ولكن من المحقق أيضاً أن هذه التجزئة البعضية لا يمكن أن يجاوز بها إلى اللانهاية وأنه ليس من الممكن أيضاً قسمة الجسم في أية نقطة ما لأن هذه القسمة غير المحدودة ليست ممكنة الإجراء ولا يمكن أن تمتشى إلا إلى حد معين . § ١٩ — يلزم إذاً أن توجد ذرات أو أعظام لا تتجزأ خصوصاً إذا سلم أن كون الأشياء وفسادها يحصلان أحدهما بالتفريق والآخر بالاجتماع ذلك هو الاستدلال الذي يظهر أنه يبين ضرورة وجود الأعظام غير القابلة للقسمة أو الذرات . ونحن نتكفل بإثبات أن هذا الاستدلال يرتكز من حيث لا يشعر على سفسطة مستورة بستار سنكشفه عنها .

لا يبقى بعد القسمة شيء أصلاً ويتحول الجسم إذاً إلى شيء غير جسماني . — الجسم ... غير جسماني — هذا التقابل موجود بلفظه في النص . — من النقط — التي هي ليست محسوسة ما دامت مفروضة عديمة الامتداد . — من شيء أبداً على الإطلاق — أو ربما كان "من العدم . من لا شيء . " — كون الجسم من جديد — عبارة النص ليست بهذا الضبط .

١٨ § — ينقسم بالفعل — أضفت هذه الكلمة الأخيرة لبيان المعنى تماماً . — أصغر فأصغر دائماً — على حسب المادة التي هي موضوع القسمة والآلات التي تستخدم لذلك . — تتباعد — هذه عبارة النص وربما كانت غير مناسبة . — وتعزل — بعد عملية القسمة . — التجزئة — أو التصغير أى تصوير الشيء إلى أجزاء دقيقة ثم إلى أدق منها وهكذا . — إلا إلى حد معين — في الخارج مع أنها في الذهن ممكنة إلى ما لا نهاية . § ١٩ — يلزم إذاً — حينئذ لا يؤخذ إلا بالظواهر المحسوسة القابلة للشاهدة يكون مذهب الذرات مذهباً حقاً جداً . لأن التجزئة في الواقع يجب أن تقف عاجلاً ثم تصادف على ما يظهر عقبه كوجودها في الجزئيات التي لا تستطيع أن تنالها التجزئة — بالتفريق — لعناصر لا تقبل النقص ولا الزوال . بالاجتماع — بين هذه العناصر بعضها . — الذرات — أضفت هذه الكلمة لأن الذرات غير قابلة للقسمة كما يدل عليه اسمها وفوق ذلك فإنها غير قابلة للقسمة بالنسبة لنا بسبب دقتها . — ونحن نتكفل — عبارة

§ ٢٠ — كما أن النقطة لا تُتصل بالنقطة فقابلية القسمة المطلقة تكون من جهة متعلقة بالأعظام ومن جهة أخرى غير متعلقة بها . ومن يسلّم بهذه النظرية يظهر أنه يسلّم أيضا بأنه لا يوجد بعدُ إلا النقطة التي هي في كل مكان وفي كل اتجاه . وبنتيجة ضرورية فإن العظم بالتجزئة يصير لا شيء لأن النقطة ما دامت في كل مكان فالجسم لا يمكن أن يتركب إلا من التماسات أو من النقط . § ٢١ —

وحينئذ فمعنى هذا هو الرجوع الى القول بأن الجسم قابل للقسمة مطلقا ما دام يوجد في كل محل نقطة ما وأن كل النقط مجتمعة هي ككل واحدة منها على حدة وأنه في الواقع لا يوجد أكثر من واحدة لأن النقط ليست متتابعة بعضها لبعض . والنتيجة أيضا أن الجسم ليس قابلا للقسمة مطلقا . لأنه اذا كان الجسم قابلا للقسمة في وسطه فانه يكون قابلا لها في النقطة التي تُتصل بهذا الوسط . ولكن الآن غير متصل بالآن كما أن النقطة لا تُتصل بالنقطة . على أنه في هذا تنحصر قسمة الأجسام وتركيبها بحيث إنه يوجد أيضا اجتماع وافتراق للأجزاء . ولكن الجسم مع ذلك لا يتحوّل الى ذرات وأنه لا يأتي من ذرات . تلك النظرية التي تشمل

النص أقل ضبطا من هذا ولكني أردت بهذا التعبير تأدية معنى الحدة التي استعمالها المؤلف في عبارته . — سنكشفه عنها — إن البيان الآتي قد بين عليه عدم مطابقته تمام المطابقة لهذا الوعد .

§ ٢٠ — لا تتصل بالنقطة — ما دامت النقط معتبرا أن ليس لها أقل امتداد . — ومن يسلّم بهذه النظرية — التي هي أن الجسم قابل للقسمة مطلقا . — بالتجزئة — في النقط التي يقال إنه مركب منها . — إلا من التماسات أو النقط — ر ما سبق ف ١٦ § ٢١ — بأن الجسم قابل للقسمة مطلقا — هذا هو المعنى الذي اتخذه فيلوبون وهو مع ذلك يجد أن المعنى ليس واضحا على قدر الكفاية . وإن هذه المناقشة كلها هي في غاية الاضطراب ومن الصعب الوقوف فيها على الفكرة الحقيقية للأولف . — يوجد في كل محل نقطة ما — يعني أن التجزئة يمكن أن تحصل في أي نقطة كيفما اتفق . — لا يوجد أكثر من واحدة — في الواقع أنه يوجد من النقطة بقدر ما يراد ولكنها كلها متشابهة فلا يمكن أبدا أن يؤخذ منها في الدفعة الواحدة إلا نقطة واحدة . — والنتيجة أيضا — النص ليس كذلك من حيث ضبط العبارة ولكني اضطررت الى زيادة الضبط لأوفق بينه وبين التردد المذكور في الفقرة السابقة . — الآن النقطة — الكلتيان المقابلتان لها في النص اليوناني أكثر تقاربا بينهما من الكلتيين اللذين اضطررت لاستعمالهما في الترجمة . —

صعوبات عديدة لا يمكن حلها . كذلك لا يمكن أن يتركب الجسم بطريقة بها تكون التجزئة ممكنة لا الى حد ما . فاذا كانت النقطة تتبع في الواقع النقطة كان الأمر كذلك ولكن الجسم ينحل الى أجزاء متدرجة في الصغر وأن الاتحاد حصل بين أصغر الأجزاء .

§ ٢٢ — الكون المطلق الكامل للأشياء لا يقصر كما زعموا على اجتماع العناصر وتفرقها كما أن الاستحالة ليست مجرد تغير في الكثرة . بل ذلك خطأ تام يقع فيه كل الناس . ونكرر مرة أخرى أنه لا يوجد كون وفساد مطلقان للأشياء باجتماع العناصر وافتراقها . انما يوجدان فقط متى يتغير شيء بكله عند ما يأتي من شيء آخر بعينه .

§ ٢٣ — وقد يظن أيضا أن الاستحالة هي تغير ما من هذا القبيل ولكن هاهنا فرقا عظيما . فان في الموضوع جزءا يرجع إلى الكنه وجزءا يرجع إلى المادة فمتى فقط حصل التغير في هذين الأمرين فهناك حقا كون وفساد . ولا يكون إلا مجرد استحالة متى حصل التغير في الخواص والكيوف العارضة للشيء . § ٢٤ — فاهو إلا بافتراق الأشياء واجتماعها أنها تصير قابلة للفساد بسهولة مثال ذلك متى تجزأ الماء الى تقيطات

— للاجزاء — أضفتها من عندي . — صعوبات عديدة لا يمكن حلها — عرض بعضها في الكلام السابق . — ممكنة لا الى حد ما — وذلك يهدم مذهب الذرات . على هذا يكون أرسطو يرفض الكل و يقبل هذا المذهب لأنه يجد من كل ناحية صعوبات لا يمكن التغلب عليها . — فاذا كانت النقطة تتبع في الواقع النقطة — هذا يظهر عليه أنه تذييل دسه في النص بعض المفسرين .

§ ٢٢ — الكون — كل آخر هذا الباب هو استطراد يبعد المؤلف به شيئا فشيئا عن الفكرة التي كان يظهر عليه أول الأمر متابعة القول فيها . — اجتماع العناصر وتفرقها — لأن العناصر حينئذ هي أسبق من المركب الذي يتركب منها . — عند ما يأتي من شيء آخر بعينه — عبارة النص ليست محكمة فان هناك أيضا لا يوجد كون بالمعنى الخاص . § ٢٣ — الاستحالة — الاستطراد مستمر . — عظيما — أضفت هذه الكلمة . — في الموضوع أو في الشيء . . — الى الكنه — الحد والماهية . — هذين الشئيين — أضفت علامة الثنية وصيغة النص صيغة جمع . — حقا — أضفت هذه الكلمة . § ٢٤ — فاهو إلا بافتراق الأشياء و اجتماعها . رماسبق في آخر الفقرة ٢٢ — متى تجزأ الماء — المشاهدة صحيحة وقد حصلت من زمان بعيد

صغيرات تتحول بأسرع ما يكون الى هواء ، في حين أنها اذا بقيت كتلة تصير هواء
بأبطأ من ذلك .

§ ٢٥ — على أن هذا سيتضح فيما يلي . ولكن هاهنا أردنا فقط إثبات أن
من المحال أن يكون كون الأشياء مجرد تأليف كما زعم بعض الفلاسفة .

لأن هذه الظاهرة تقع تحت النظر في غالب الأحيان (— الميتيرولوجيا ك ٢ ب ٢ ف ١٨ من ترجمتي) .
— تتحول بأسرع ما يكون الى هواء — أو بعبارة أخرى تتبخر .

§ ٢٥ — على أن هذا سيتضح فيما يلي — ذلك بأن المؤلف نفسه أحس أنه لم يكن دائماً مبينا
بقدر ما يطلب منه . — مجرد تأليف — سواء أكان اجتماعاً أم افتراقاً . راجع ما سبق ف ١٩

الباب الثالث

في الكون المطلق وفي فساد الأشياء — صعوبة هذه المسئلة — الكون والفساد الإضافان — النمط الذي يتخذ في هذا البحث — شواهد من كتاب الحركة — أبدية الكائنات وتعاقبا المستمر — تبادل الكون والفساد — تمييز لفظي مهم — استشهاد بيرمينيد — الفرق بين الكون المطلق والكون الإضافي — فروق الفساد باعتبار هذين الوصفين — الرأي العامي في هذا الموضوع — في أن شهادة الحواس تعطي أكثر مما تستحق — توضيحات مختلفة — طريقة فهم أبدية الظواهر .

§ ١ — متى تقرر هذا يلزم البحث أولا فيما إذا كان يوجد في الواقع شيء يولد ويموت بطريقة مطلقة أو ما إذا كان لا يوجد شيء يولد ويموت بالمعنى الخاص . وفي هذه الحالة يلزم فحص ما إذا كان أي شيء ما لا يأتي دائما من شيء آخر هو يخرج منه : مثال ذلك من المريض يأتي الصحيح ومن الصحيح يأتي المريض أو كالصغير يأتي من الكبير والكبير يأتي من الصغير وكل الأشياء بلا استثناء "تكون" بهذه الطريقة عينها . إذا سلم بكون مطلق يلزم حينئذ أن الموجود يأتي مطلقا من اللاموجود أي من العدم بحيث يحق التأكيد بأن العدم يتعلق ببعض الموجودات . والكون الإضافي يمكن أن يأتي من لا موجود إضافي . ومثال ذلك

§ ١ — بطريقة مطلقة — أعنى من غير أن يوجد شيء يسبقه ومنه يمكن أن يخرج . — بالمعنى الخاص — يعنى بالمعنى المطلق للكلمة . — وفي هذه الحالة — يعنى في حالة افتراض أن لا يوجد كون مطلق . وأن الموجود الكائن يخرج دائما من موجود سابق عليه . وقا. قطعات الجملة لأنها في النص قد طالت أكثر مما يلزم . — من المريض يأتي الصحيح — يعنى أن الموجود المريض يرجع صحيحا . أو بالعكس يصير الصحيح مريضا . فالموجود إذا لا يكون بالمعنى الخاص . بل هو فقط يتغير حاله ويمر بكيفيات مختلفة . ولكنه كائن أولا ومن قبل أن يلحقه التغير . — بكون مطلق — يعنى أن الشيء الذي لم يكن من قبل قد وجد وهو يخرج من العدم حيث كان فيه قبل الوجود . — من اللاموجود من العدم — ليس في النص إلا كلمة واحدة وعلى هذا المعنى يقال عن شيء ما إنه مغموور في العدم وإن «العدم يتعلق ببعض الموجودات» كما هي عبارة النص . ولقد يظهر على العبارة صورة التناقض على أنها صادقة . — الأبيض يمكن أن يأتي من اللا أبيض — أعنى أن شيئا لم يكن أبيض يمكن أن يصير أبيض . وليس ذلك هو الكون بالمعنى

الأبيض يمكن أن يأتي من اللا أبيض أو الجميل يأتي من اللا جميل . لكن الكون المطلق يجب أن يأتي من اللا وجود المطلق .

§ ٢ — حينئذ المطلق هاهنا يدل إما على الأولى في كل مقولة للوجود وأما على الكلي أعني الذي يشمل ويجوى كل شيء . فاذا كان الأولى هو مدلول المطلق فهناك كون للجوهر آت مما هو ليس بجوهر . ولكن ما ليس له جوهرية وما ليس البتة شيئا معيناً بذاته لا يمكنه بالبدهاة أن يكون لأى واحدة أخرى من المقولات كالكيف والكم والأين ... الخ لأنه حينئذ يكون معناه التسليم بأن كيف الجواهر يمكن أن تنفصل عنها . فاذا كان اللاموجود هو بصورة عامة مدلول المطلق فذلك هو النفي الكلي لجميع الأشياء وعلى ذلك فما يولد وما يكون يلزم ضرورة أن يولد من لا شيء .

الخاص بل هو مجرد تغير أو مجرد استعالة . — الكون المطلق يأتي من اللا وجود المطلق — يعنى أن شيئاً يكون بعد أن لم يكن ، خارجاً من العدم الذى كان فيه .

§ ٢ — حينئذ المطلق هاهنا يدل إما على الأولى — المطلق يظهر أنه لا يمكن استعماله في هذا المعنى الضيق ولكن هذا هنا هو مجرد تمييز لفظي كله تحكم . — في كل مقولة للوجود — يعنى في جميع المقولات إلا في مقولة الجوهر فان الأولى هو الحد الأعلى وعلى ذلك ففي مقولة كيف ليس المقصود واحدة من الكيوف الخاصة بل هو الكيف نفسه . — وإما على الكلي — يعنى الجوهر والى هذا المعنى ينصرف عادة لفظ المطلق . — يشمل ويجوى كل شيء . — ليس في النص إلا كلمة واحدة . ومعنى ذلك أنه يلزم أولاً أن يوجد الشيء حتى يمكن بعد أن يوصف بأى كيف اتفق . — فاذا كان الأولى هو مدلول المطلق — أضفت الكلمات الثلاثة الأخيرة لجعل الفكرة أكثر ضبطاً وجلاء . — فهناك كون للجوهر — التعبير لا يظهر أنه على ما ينبغي . فان المقصود ليس هو الجوهر بالضبط بل هو مجرد وجود مكيف تبعاً لكل مقولة فان شيئاً يصير أبيض بعد أن لم يكن أبيض من قبل . — الخ — وضعت هذه الكلمة للدلالة على أن جميع المقولات ليست مذكورة هنا . — كيوف — عبارة النص أعراض . — مدلول المطلق — رأيت من الواجب تكرير هذه العبارة لتكميل النص . — النفي الكلي لجميع الأشياء — ولعل أحسن من ذلك أن يقال : ” النفي الكلي لجميع المقولات ” بما فيها مقولة الجوهر . — ما يولد وما يكون — ليس في النص إلا أحد الفعلين .

§ ٣ — على أننا قد تكلمنا على هذا الموضوع في موضع آخر وبحشناه بأطول من ذلك ولكننا نلخص هاهنا فكرتنا ونقول في قليل من الكلمات إن من وجهٍ يمكن أن يوجد كون مطلق لشيء آت من العدم من اللاوجود . ومن وجه آخر لا شيء يمكن أبدا أن يأتي إلا مما هو موجود . ذلك في الحق أن ما هو مجرد القوة وليس بالفعل يجب أن "يكون" أولا وبالضرورة على الوجهين اللذين بينهما آنفا ولكنه لا بد مع ذلك من العناية الكبرى في فحص هذه المسئلة التي يمكن أن صعوبتها تدهشنا حتى بعد الإيضاحات التي أسلفناها . وتلك المسئلة هي كيف أن الكون المطلق يحصل سواء أكان يأتي مما هو بالقوة أم يأتي بأى وجه آخر .

§ ٤ — يمكن البحث في الحق فيما اذا كان يوجد فقط كون للجوهر ولشيء معين بالفعل أو ما اذا كان لا يوجد أيضا كون للكيف وللكم وللأين ... الخ . وهذه الأسئلة عينها توجه على السواء بالنسبة الى الفساد . وإنه اذا كان بالفعل شيء يكون أو يولد فمن الواضح أنه يجب وجود جوهر ما بالقوة على الأقل إن لم يكن بالفعل وبالكمال منه يخرج كون الشيء وفيه يتغير بالضرورة متى فسد . § ٥ — هل من الممكن أن واحدة من المقولات الأخرى التي هي بالفعل وبالكمال المحض تتعلق بهذا

§ ٣ — في موضع آخر — يعنى في الكتاب الأول من الطبعة ب ٨ ف ١ وما يليها ص ٧٣ من ترجمتنا كما نبه اليه فيلو بون . — آت من العدم من اللاوجود — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — لا شيء يمكن أبدا أن يأتي — ليست عبارة النص بهذا القدر من البيان . — ما هو مجرد القوة — الممكن ليس موجودا على التحقيق ولكنه يكفى إمكان وجوده لأجل أن يكون له وجود بنوع ما . — على الوجهين اللذين بينهما — زدت هاتين الكلمتين الأخيرتين ، وعبارة أخرى الممكن كائن وغير كائن معا .

§ ٤ — اذا كان يوجد فقط — أضفت الكلمة الأخيرة . — كون للجوهر — ويمكن ترجمتها بهذه العبارة « اذا كان الكون يتعلق بالجوهر » . — بالنسبة الى الفساد — الذى هو ضد الكون . أفلا يوجد كون وفساد الا في مقولة الجوهر ؟ ألا يوجدان أيضا في المقولات الأخرى . — بالفعل — زدت هذه الكلمة . — جوهر ما — كلمة جوهر بعينها موجودة في النص ولكن يظهر أن الجوهر يجب دائما أن يكون بالفعل لا أن يكون ممكنا مجرد إمكان . — بالفعل وبالكمال — ليس في النص إلا كلمة واحدة . § ٥ — واحدة من المقولات الأخرى — يعنى إحدى المقولات الأخرى غير مقولة الجوهر . — بهذا الموجود بالقوة — النص ليس

الموجود بالقوة ؟ أو بعبارة أخرى هل يمكن تطبيق معانى الكيف والكم والأين على هذا الذى ليس شيئا إلا بالقوة وبالقوة فقط بدون أن يكون شيئا بذاته بطريقة مطلقة حتى ولا أن يكون مطلقا أبدا؟ لأنه اذا كان هذا الموجود ليس أى شىء بالفعل ولكنه كل الأشياء بالقوة فان الالموجود المفهوم على هذا النحو يمكن أن يكون ذا وجود منفصل وحينئذ يوصل الى هذه النتيجة التى هابها الفلاسفة الأولون أكثر من كل شىء وهى إيجاد الأشياء من العدم المحض . ولكنه اذا لم يسلم أن هذا يكون موجودا حقيقيا أو جوهريا وأنه شىء آخر من المقولات المذكورة فحينئذ يفرض كما قلنا آنفا أن الكيفيات والأعراض يمكن أن تكون منفصلة عن الجواهر .

§ ٦ — تلك هى النظريات التى يلزم مناقشتها هنا بالقدر المناسب كما أنه يلزمنا البحث عما هى العلة التى تجعل كون الموجودات أبديا سواء الكون المطلق أو الكون البعضى . ما دام لا يوجد على رأينا إلا علة واحدة أوحد منها ينبعث مبدأ الحركة وما دام لا يوجد أيضا إلا مادة واحدة أوحد يلزم إيضاح ما هى هذه العلة .

بهذا الوضوح . — والأين — أو أى مقولة أخرى . — ذا وجود منفصل — وهذا تناقض . — التى هابها الفلاسفة أكثر من كل شىء . — الفلاسفة الذين لم يستطيعوا أبدا أن يقبلوا بأية صورة معنى العدم . — من العدم المحض — عبارة النص بالضبط هى « من العدم السابق الوجود » . — كائن حقيقى — يمكن أن يضاف "متميز" فاذا كان الممكن ليس جوهريا أيقال إنه واحدة أخرى من المقولات . — المذكورة — آنفا . — كما قلنا آنفا — ر ف ٢

§ ٦ — بالقدر المناسب — لهذا الموضوع الخاص الذى ندرسه فى هذا الكتاب . — العلة التى تجعل كون الموجودات أبديا — ليس هذا شيئا آخر إلا الإسناد الى الله الذى دو خالق الأشياء وحافظها كما هو مبين بعد . — سواء الكون المطلق — يعنى الذى يخرج الأشياء من العدم . — أو الكون البعضى — يعنى كون الكيفيات المتعاقبة على الأشياء . — علة واحدة أوحد — هى المحرك الذى لا يتحرك . — مادة واحدة أوحد — فيها يفعل المحرك الأول . — ما هى هذه العلة — هاهنا عبارة النص ينقصها قليل من الجلاء، لأن السياق يقتضى علتين لا علة واحدة وهما علة فاعلة وعلة مادية .

§ ٧ — ولكنا سبق بنا أن تكلمنا عليها في كتابنا "الحركة" إذ قفزنا فيه أنه يوجد من جهةٍ شيء غير متحرك طول الأبد كله ومن جهةٍ أخرى شيء على ضد ذلك واقع في حركة أبدية . فدراسة المبدأ غير المتحرك للأشياء تُتعلق بفلسفةٍ أخرى عليا . وأما المحرك الذي يحرك كل البقية ، لأنه هو نفسه قد حرك بحركةٍ مستمرة ، فاننا سنتكلم عليه فيما بعد عند ما نوضح ما هي علة كل واحدة من الظواهر الخاصة . وهنا تقتصر على علاج هذه العلة التي تظهر بصورة مادة والتي تجعل أن كون الأشياء وفسادها لا يتخلفان في الطبيعة . ولكن هذه المناقشة قد تجلو أيضا الشك الذي أثاره آفا وسيرى كيف ينبغي أن يعنى أيضا بالفساد المطلق وبمطلق كون الأشياء .

§ ٨ — ومع ذلك فانها مسألةٌ محيرة أن يعرف ماذا عسى أن تكون العلة التي تدبر وتسلل تناسل الأشياء اذا فرضنا أن ما يفسد يرجع الى العدم وأن اللاوجود ليس شيئا . لأن ما ليس موجوداً ليس جوهرًا ولا كيفًا ولا مكانًا ولا أينًا الخ لأنه حينئذ ما دام في كل آن واحد من الكائنات يبيد وينعدم كيف يتأتى أن العالم بتمامه لم يكن قد فنى منذ زمان طويل ألف مرة اذا كان المنبع الذي يأتي منه كل واحد من

§ ٧ — في كتابنا "الحركة" — هذا العنوان يدل على كتاب الطبيعة . — إذ قفزنا فيه — ر . الطبيعة ك ٨ ب ٣ ف ٢ من ترجمتنا . ر . أيضا أوائل كتاب الطبيعة والتحقيق الخاص للعنوانات المختلفة لهذا الكتاب . — بفلسفةٍ أخرى عليا — يعنى ما بعد الطبيعة . ر . الكتاب السابع من ترجمة كوزان . — سنتكلم عليه فيما بعد — ر . الباب العاشر من الكتاب الثانى من هذا المؤلف . — الظواهر — أو الكائنات . — العلة التي تظهر بصورة مادة — يعنى العلة المادية . — لا يتخلفان — هذا هو التعاقب الأبدى للكائنات . ولكن في مذهب أرسطو لما أن العالم ليس له أول ولا ينهى أن يكون له آخر فتعاقب الكائنات يجب أن يستمر كما ترى . وهذه المسئلة قد بحثت أيضا في الكتاب الثامن من الطبيعة ب ٧ ف ٤ وفي الكتاب الثالث ب ٥ ف ٤ — بالفساد المطلق وبمطلق كون الأشياء . — يعنى إمكان أن شيئا يمجى من الدم ويرجع اليه .

§ ٨ — التي تدبر وتسلل — ليس في النص الا كلمة واحدة . — يرجع الى العدم — أو «يذهب الى العدم» . — ليس جوهرًا ولا كيفًا — أعنى في أى مقول من المقولات . — ولا أينًا — ليس هنا الأربعة مقولات معدودة عوضا عن عشرة . لذلك وضعت لفظ ... الخ . — العالم بتمامه — عبارة النص

هذه الكائنات محدودا ومتناهايا؟ في الحق اذا كان هذا التوارث الأبدى لا ينقطع البتة فليس ذلك بأن الينبوع الذى تصدر منه الكائنات يكون غير متناه لأن ذلك محال تماما ما دام أنه في الواقع لا شىء غير متناه . وأنه إنما يكون فقط بالقوة أن شيئا يمكن أن يكون غير متناه في القسمة . وقد وضحنا أن القسمة هى وحدها محل عدم الانقطاع وعدم القوات لأنه يمكن دائما الحصول على كمية أضعف فأضعف . ولكنا ها هنا لا نرى وجها للشابهة . أفلا تصير أبدية التعاقب ضرورية بهذا السبب وحده أن فساد شىء هو ككون شىء آخر وأن العكس بالعكس كون هذا موت ذلك أو فساده ؟ .

§ ٩ — وبهذا تلتفى علة يمكنها أن تكفى لتوضيح كل شىء بالنسبة لكون الأشياء وفسادها ، ها هنا في عمومها وهناك في كل فرد من الكائنات بخصوصه . على أنه مع هذا يلزم البحث في أنه لماذا عند الكلام على بعض الأشياء يقال بطريقة مطلقة إنها تكون وتهلك في حين أنه عند الكلام على بعض أشياء أخرى لا يقال ذلك على إطلاقه ، اذا كان حقا أن كون موجود بعينه هو عين فساد آخر واذا كان العكس بالعكس فساد هذا هو كون لذاك . § ١٠ — هذا التباين في التعبير يقتضى أيضا أن يفسر ما دام أننا نقول عن كائن في حالة بعينها إنه فسد مطلقا لا أنه فسد من وجه بعينه فقط وما دمنا نصرف الكون الى معنى مطلق كما نصرف الفساد سواء بسواء .

بالضبط «الكل» . — محدودا ومتناهايا — ليس في النص الا كلمة واحدة . — هذا التوارث الأبدى — عبارة النص ليست بهذا الوضوح . — وقد وضحنا — ر . الطبيعة نظرية الانهاية ك ٣ ب ٥ ف ٤ . وب ٢ ف ٥ . — أضعف فأضعف — ذلك في الحق هو نظرية أرسطو في الطبيعة . ولكن يظهر أنه يمكن أن يكون نمو الأشياء غير متناه وكذلك قسمها مادام الموضوع من كل وجه كميات تحليلية محضة . — بهذا السبب وحده أن فساد شىء — هذا الفرض عينه موجود في كتاب الطبيعة ك ٣ ب ١٢ ف ٢ من ترجمتنا . § ٩ — ها هنا في عمومها — النص ليس بهذه الصراحة . — بطريقة مطلقة — من غير تحديد ولا تقييد من أى نوع .

§ ١٠ — هذا التباين في التعبير — عبارة النص هى : «هذا» فقط . — إنه فسد مطلقا — معنى أنه يمر من الوجود الى الوجود بوجه تام و ينقطع عن الوجود بعد أن بق فيه زمانا ما . — من وجه

على ذلك فشيء بعينه يصير شيئا آخر بعينه ولكنه لا يصير على الاطلاق . انظر مثلا كيف نقول عن شخص يتعلم إنه يصير عالما ولكننا لا نقول من أجل ذلك إنه يصير ويكون على الاطلاق . وبإدكار ما قلناه غالبا من أن بعض الأسماء تدل على جوهر حقيقي والبعض الآخر لا يدل عليه يمكن معرفة من أين تأتي المسئلة المطروحة ها هنا . لأنه يهيم كثيرا أن يعين فيم يتغير الشيء الذي يتغير، مثال ذلك تحول الشيء الذي يصير نارا يمكن أن يسمى كوننا مطلقا ولكن أيضا فسادا لشيء للأرض مثلا . وكذلك كون الأرض هو بلا شك أيضا كون، ولكنه ليس كوننا مطلقا مع أنه فساد مطلق ومثلا فساد النار .

§ ١١ — بهذا المعنى كان برمينيد لا يعترف إلا بشئيين في الدنيا الموجود واللا موجود وهما عنده النار والأرض . على أنه ليس من المهم افتراض هذه العناصر أو عناصر أخرى مشابهة لها لأننا لا نبحث إلا في الطريقة التي بها تحصل

بعينه فقط — يعنى مثلا أن شيئا يصير أبيض بعد أن كان أسود فإنه لا ينقطع بذلك عن أنه كائن مطلقا . فقط أنه انقطع عن كونه أبيض . وأنه فسد من حيث إنه أبيض دون أن يفسد حقيقة . — عن شخص يتعلم — وأنه على ذلك لم يكن بعد عالما ثم يصير إذا عالما . ولكن لا يمكن أن يقال بوجه مطلق إنه يصير كالأرض ولد مثلا . — إنه يصير ويكون — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — ما قلناه غالبا — يمكن أن يراجع كتاب المقولات ب ٤ ف ١٠ . — بعض الأسماء — عبارة النص غير محدودة . — جوهر حقيقى — عبارة النص بالضبط "شيء معين" . — فسادا لشيء للأرض مثلا — يعنى أن الأرض يجب أن تفسد لتصير نارامع التسليم بأن هذا التحول يمكن كما يفترضه برمينيد . — فساد النار — الملاحظة بعينها .

§ ١١ — الموجود واللا موجود — في كتاب الطبيعة ك ١ ب ٦ ف ١ هو البارد والحر لا الموجود واللا موجود اللذان اعتبرهما برمينيد العنصرين الأولين . ومع ذلك فان البارد والحر هما مراد فان أيضا في ذلك الكتاب للارض والنار . — على أنه ليس من المهم — يحس أرسطو هاهنا أن تحول الأرض الى نار أو النار الى أرض فرض غريب في بابه . — لا في موضوعها — يعنى الموضوع الذى فيه تتحقق الظواهر والذى يمكن أن يكون على السواء الأرض والنار أو أى جسم آخر كيفما اتفق . فان الجوهر يمكن أن يتغير ولكن الظاهرة هي دائما هي بعينها . ومع ذلك فان أرسطو قد بين عبارته بياضا وضعا فما يلي .

الظواهر لا في موضوعها . إذاً التغيير الذى يوصل الأشياء إلى اللا وجود المطلق إنما هو فساد مطلق وبالعكس ما يوصلها مطلقاً إلى الوجود هو كون مطلق . ولكن مهما كانت الجواهر التى يعتبر فيها الكون والفساد سواء النار أو الأرض أو أى عنصر آخر مشابه فان الكون والفساد لا يزالان أحدهما للوجود والآخر لللاوجود .

§ ١٢ — هذا إذاً هو فرق أول فى التعبير يمكن تقريره بين الكون والفساد المطلقين وبين الكون والفساد اللذين ليسا مطلقين . و فرق آخر يمكن أن يميزهما وهو المادة التى يحصلان فيها أيا كانت هذه المادة فالتى تدل فصولها دلالة أكثر على هذه الحقيقة بعينها أو تلك هى أيضاً أدخل فى الجوهرية والتى تدل فصولها دلالة أكثر على العدم هى أدخل فى اللا موجود . وعلى ذلك فالحرارة مقولة ما ونوع حقيق وعلى الضد البرودة فانها ليست إلا عدما . وبهذه الفصول بعينها تميز الأرض والنار .

§ ١٣ — عند العامى ، إنما يقترن الفرق على الأخص بين الكون وبين الفساد هو أن الواحد مدرك بالحواس وأن الآخر ليس كذلك . فحتى وجد تغيير فى مادة محسوسة قال العامى إن الشيء يولد ويكون كما يقول إنه يموت ويفسد حينما يتغير

— التغيير الذى يوصل — ليس النص بهذه الصراحة . — سواء النار أو الأرض — كما يريد برمينيد — أحدهما للوجود — وهو الكون أو التولد . — والآخر لللاوجود — وهو الفساد أو التلف .

§ ١٢ — فرق أول فى التعبير — ليست عبارة النص على هذا الضبط . — التى يحصلان فيها — أضفت هذه الكلمات لإيضاح الفكرة . — هذه الحقيقة بعينها أو تلك — عبارة النص هى بالبساطة «شئ بعينه» . — وعلى ذلك فالحرارة مقولة — قد لا يكون هذا المثل مختاراً اختياراً حسناً . فإذا كان البرد هو عدم الحرارة فقد يمكن القول أيضاً بأن الحرارة عدم البرودة . فان الحرارة والبرودة هما على السواء كيفان أحدهما ضد الآخر . — تميز الأرض والنار — ر . الفقرة السابقة . وعلى حسب تفسير فيلوبون أن النار أدخل فى الجوهرية من الأرض . فانها الإيجاب أو الملكة فى حين أن الأرض ليست إلا العدم . ر . آخر الفقرة الآتية .

§ ١٣ — الفرق بين الكون وبين الفساد — الترجمة أضبط من النص . — حتى وجد تغيير — الترجمة أضبط من النص . — يولد ويكون ... يموت ويفسد — ليس فى النص فى كلا الطرفين إلا كلمة

الى مادة غير مرئية . ذلك بأن الناس يعترفون على العموم الوجود واللاوجود تبعاً لما إذا كانوا يحسّون الشيء أو لا يحسّونه . كما أنهم يعتبرون الموجود ما يعرفونه واللاوجود ما مجهولونه . فحينئذ الحس هو الذى يؤدى وظيفة العلم . وكما أن الناس لا يدركون حقيقة حياتهم وكونهم إلا لأنهم يحسّون أو يمكنهم أن يحسّوا ، كذلك أيضا إدراكهم لوجود الأشياء إذ يبحثون عن حقيقتها وما هم بواجديها فيما يقولون . § ١٤ — ذلك أن الكون والفساد المطلقين هما متغايران تماما تبعاً لاعتبارهما على حسب الرأى العامى أو لاعتبارهما فى حقيقةتهما الواقعية . إذا الهواء والريح أقل من سواهما فى مراتب الوجود من حيث كونهما جسمين إذا كان المرجع فى ذلك الى مجرد شهادة الحواس . ومن أجل ذلك يظن أن الأشياء التى فسدت مطلقا تفسد بالتحول الى هذين العنصرين فى حين أنه يعتقد أن الأشياء تولد وتكون متى تحولت الى بعض عناصر يمكن لمسها أى الى أرض مثلا . ولكن فى الحق ذاتكم العنصران هما جوهر ونوع أكثر من الأرض نفسها .

§ ١٥ — إذا قد وضع ما يدل على انه يوجد الكون المطلق من حيث كونه فسادا لشيء والفساد المطلق من حيث كونه كونا لشيء أيضا . وهذا يتعلق ،

واحدة . — إدراكهم لوجود الأشياء — يعنى على حسب أن الأشياء محسوسة أو غير محسوسة أو لا يمكن أن تحس . § ١٤ — على حسب الرأى العامى — يمكن ترجمتها أيضا هكذا : «أخذا بمجرد الظاهر» . — أقل من سواهما فى مراتب الوجود من حيث كونهما جسمين — عبارة النص هى بالضبط «أقل» فقط — الى مجرد شهادة الحواس — ما دام أن الهواء والريح يحسّان أقل من العناصر الكثيفة مثل الأرض والماء . — الى هذين العنصرين — الهواء والريح . — مثلا — زدت هذا اللفظ لتام الفكرة . — ونوع — أو صورة . وليس لفظ النص بأكثر ضبطا من اللفظ الذى التزمت استعماله . — أكثر من الأرض نفسها — ربما كان اللازم بيان علة هذه النظرية التى يظهر لأول وهلة أنها مشكلة . أما فيلويون فيزعم أن الهواء على الحقيقة أكثر جوهرية من الأرض لأنه يحيط بها وأن له فوق ذلك خاصة الحرارة التى تزيد فى تمدده .

§ ١٥ — إذا قد وضع — ليس هذا الإيضاح جليا كالمرغوب . وربما كان هذا الملخص الذى أثبت هنا سابقا لوقته . — أنه يوجد — يظهر أن الأحسن هو أن يقال : «إنه يظن أن يوجد» .

في الواقع ، بأن المادة مختلفة إما لأن الواحدة جوهر في حين أن الأخرى ليست
جوهرا وإما لأن الواحدة هي أكثر وأن الأخرى أقل وإما لأن المادة التي يأتي
منها الشيء والتي يذهب إليها هي أقل أو أكثر حسية . ويقال على الأشياء تارة
إنها تولد وتصير بالاطلاق وتارة يقال بالتعيين إنها تصير هذا الشيء بعينه أو ذلك
من غير أن يأتي واحد من الآخر بالكافؤ على النحو الذي نعينه هاهنا . ونحن
نقتصر في الواقع الآن على إيضاح لماذا — ما دام أن كل كون هو فساد لشيء
آخرو أن كل فساد هو كون لشيء آخر أيضا — نحن لا نُسند على هذا الوجه عينه
الكون والفساد الى الأشياء التي تتغير بعضها في البعض الآخر .

§ ١٦ — على أن هذا لا يحل المسئلة التي كنا وضعناها لأنفسنا حلا نهائيا .
بل هو يوضح لماذا يقال عن واحد يتعلم إنه يصير عالما لا أنه يصير مطلقا في حين
أنه بالنسبة لشيء ينشأ طبيعة يقال بطريقة عامة إنه يولد ويصير . تلك هي التعاميم
أى المقولات المختلفة التي بعضها يدل على الموجود الحقيقي والجزئى والآخر يدل
على الكيف والآخر على الكم . وبالتالي لا يقال البتة على كل الأشياء التي لا تدل على جوهر

ولكني لم أجزؤ على المخاطرة بهذا التغيير . — المادة — عبارة النص هي غير معينة أيضا كاللفظ الذي استعملته
في الترجمة فانه يمكن أن يتساءل : مادة أى شيء هي ؟ . — الواحدة — يعنى من هذين الشئيين .
— جوهر — يعنى شيئا شخصا وخصوصا . — هى أكثر — أو بعبارة أخرى «الواحدة لها وجود أكثر بروزا
والأخرى وجود أقل حسية» . — تولد وتصير — لا يوجد إلا كلمة واحدة في النص الإغريقى .
— بالتعيين — أو فقط . — الذى نعينه هاهنا — إذ نقول إن التولد المطلق هو فساد شيء آخر وإن الفساد المطلق
هو أيضا تولد . — نحن لا نُسند على هذا الوجه عينه — كل هذه القيود دقيقة وغامضة . — الى
الاشياء التي تتغير بعضها في البعض الآخر — تلك هى الأحوال المختلفة التي بها يمر جسم بعينه كما يفهم من سياق
الكلام الآتى . وليس هذا بالمعنى الخاص فسادا لكيف أو كونا له بل هو مجرد تعاقب .

§ ١٦ — التي كنا وضعناها لأنفسنا حلا نهائيا — على الروابط الحقيقية بين الكون المطلق وبين
الفساد المطلق . — إنه بصير عالما — إذ أن جهله ينقلب علما كما أن عليه يمكن أن ينقلب جهلا إذا نسى
ما حفظه . — ينشأ طبيعة — كلمة النص يظهر لى أن لها ما لهذا اللفظ الذى استخدمته في الترجمة من
القوة . — إنه يولد ويصير — لا يوجد في النص إلا كلمة واحدة . — بعضها ... الموجود الحقئى والجزئى —

إنها تصير بطريقة مطلقة بل إنها تصير كذا أو كذا من الأشياء . ومع ذلك فإن الكون في كل الأحوال على السواء لا ينطبق انطباقا صريحا إلا على الأشياء الداخلة في إحدى المجموعتين . مثلا في مقولة الجوهر يقال إن الشيء يصير اذا تكون نار . ولا يقال ذلك اذا كان الذى يكون هو أرضا . وفي مقولة الكيف يقال عن الشيء إنه يصير إذا صار الكائن عالما لا إذا صار جاهلا .

§ ١٧ — إذا فانظر كيف نوضح لماذا بعض الأشياء يكون بطريقة مطلقة وكيف أن البعض الآخر لا يكون لا بطريقة مطلقة ولا أصلا حتى في الجواهر أعيانها . وقد قلنا أيضا لماذا الموضوع من حيث هو مادة هو علة الكون المستمر الأبدى للأشياء نظرا الى أنه يمكن على السواء أن يتغير في الأضداد وأنه بالنسبة للجواهر كونه ظاهرة هو دائما فساد لأخرى وبالتكافؤ أن فساد هذه كون لتلك .

وهو مقوله الجوهر . والنص أقل ضبطا من ذلك . — والآخر على الكم — لا يوجد هنا إلا ثلاث مقولات على التعداد مع أن المقولات عشرة . ر . كتاب المقولات ب ٤ ص ٥٨ من ترجمتنا . — إنها تصير كذا أو كذا من الأشياء — يعنى أنها تتغير بالكيف أو بالوضع ما دام المفروض ضرورة أن الجوهر هو ثابت تحت جميع المقولات . — فى إحدى المجموعتين — اللتين إحداهما موجبة والأخرى سالبة . ومع ذلك فإن ما بلى كفىل بإيضاح هذه الفكرة وإن كانت الحدود التى اتخذت أمثلة ربما لا يكون قد توافر فيها حسن الاختبار . — اذا تكون نار — لأن النار معتبرة حدا إيجابيا فى حين أن الأرض معتبرة حدا سلبيا . — اذا كان الذى يكون هو أرضا — ر . ما سبق ف ١٤ — اذا صار الكائن عالما — هذا هو الحد الإيجابى فى حين أن الجاهل حد سلبى ولكن فى الحالة الأولى والأخرى يقال أيضا إنه يصير عالما أو يصير جاهلا . وكل هذا هو غاية فى الدقة .

§ ١٧ — حتى فى الجواهر أعيانها — يعنى فى حالة ما اذا كان شىء مع كونه موجودا أقل فى مرتبة الوجود من آخر لأنه تابع له . ر . ما سبق ف ١٥ . — الموضوع من حيث هو مادة — الموضوع يبقى لأنه ماديا محل الأضداد التى تحل فيه وتتعاقد عليه . فالموضوع يبقى مع تغيره . — المستمر الأبدى — لا يوجد فى النص إلا كلمة واحدة . — كونه ظاهرة — أو بعبارة أخرى تغير الكيفيات . فان كون الأسود هو فساد للأبيض وكون الأبيض هو فساد للاسود . والموضوع الذى يصير على التناوب أسود وأبيض لا يزال باقيا .

§ ١٨ — على أنه لم يبق محل لأن يتساءل لماذا أن هذا الفساد الدائم للوجودات هو الذى يجعل أن شيئاً يمكن أن يكون. لأنه كما يقال إن شيئاً هو فاسد مطلقاً حينما يمر الى الالمحسوس وإلى الالموجود كذلك يمكن أن يقال إنه يكون ويأتى من الالموجود متى أتى من الالمحسوس. والنتيجة أنه سواء أكان هناك موضوع أولاً أم لم يكن فإن الشيء يأتى دائماً من العدم بحيث إن الشيء فى آن واحد حين يكون يأتى من الالوجود وحين يفسد يعود الى الالوجود أيضاً. وهذا هو الفاعل فى أنه ليس يوجد انقطاع ولا خلق. لأن الكون هو فساد الالوجود والفساد هو كون العدم. § ١٩ — ولكن قد يتساءل عما اذا كان هذا الالموجود المطلق هو ثانى الضدتين. ومثلاً لما أن الأرض وكل ما هو ثقيل هو الالموجود إذا كانت النار وكل ما هو خفيف هى أو ليست هى الموجود. ولكن يمكن ان يقال أيضاً إن الأرض هى الموجود وإن الالموجود هو مادة الأرض كما أنه هو مادة النار على السواء. ولكن هل مادة أحد هذين العنصرين ومادة الآخر هى إذاً مختلفة؟ وهل من المحال

§ ١٨ — أن هذا الفساد الدائم للوجودات — ليس النص على هذا القدر من الصراحة فى كل هذا المواطن. — حينما يمر الى الالمحسوس — ر. ما سبق ف ١٣. — فان الشيء يأتى دائماً من العدم — قد اتخذت عبارة كعبارة النص فى أنها عامة غامضة. وبعبارة أخرى: سواء كان هناك مجرد تغير فى الكيف فالظاهرة تأتى دائماً مما لم يكن. — انقطاع ولا خلق — ليس فى النص إلا كلمة واحدة. ومع ذلك فن فرط التعمق أو بالحرى من الإسراف اللغوى أنه يمكن التكلم عن كون العدم أو فساده.

§ ١٩ — هو ثانى الضدتين — الذى ليس كائناً بالفعل ولكنه يمكن أن يكون بأن يشغل محل الضد الذى هو كائن. — لما أن الأرض وكل ما هو ثقيل هو الالموجود — ضدّ الرأى العامى الذى يستند إلى الأرض وجوداً أكثر من وجود الهواء والنار بحجة أن الحواس تدركها أكثر. ر. ما سبق ف ١٣. — أن الأرض هى الموجود — يظهر فى الحق أنه من الصعب إنكار ذلك. — وإن الالموجود هو مادة الأرض — لا يظهر أن الالموجود يمكن أن يكون مادة لأى شىء ما إلا أن يصرف ذلك إلى المعنى المجرد المحض حيث كان القول فيما ر. — وهل من المحال أن يأتى أحدهما من الآخر — هذا ما يشبه أن لا يعتمد إلا على شهادة الحواس. — لها أزداد — قد يكون أضبط من ذلك بيان أن يقال إنها بعضها لبعض ضدّ.

أن يأتي أحدهما من الآخر كما هو الحال في الأضداد . لأن النار والأرض والماء والهواء لها أضداد أو هل أن مادتها هي واحدة من وجه وهل ليست مختلفة إلا من وجه آخر؟ لأن ما هو موضوع من وجه ومن آخر هو واحد ولكن شكل الوجود هو وحده الذي ليس واحدا . على أننا نقف عند ما قلناه في هذا الموضوع .

— ما هو موضوع — يعنى المادة مأخوذة على معناها المجرد لا على المعنى الحقيقي بالفعل . — شكل الوجود هو وحده — هذا تمييز من لازمات أرسطو وهو في الغالب غاية في الصحة والضبط . — نقف — لا يظهر مع ذلك أن الموضوع قد انتهى ولا أنه على الخصوص قد وضع بقدر الكفاية من الإيضاحات التي سبقت .

الباب الرابع

فصول الكون والاستحالة — تمييز الموضوع ومحمول الموضوع — حد الاستحالة — أمثلة مختلفة — حد الكون المطلق وأمثلة متنوعة — أتر المقارنة بين الكون والاستحالة .

§ ١ — يجب الآن توضيح بماذا يختلف الكون والاستحالة لأننا نرى أن هذين التغيرين للأشياء هما متميزان تماما أحدهما من الآخر نظرا إلى أن الموضوع الذي هو كائن حقيقي والتكليف الذي هو طبعا محمول على الموضوع هما في غاية الاختلاف وأنه يجوز أن يقع التغير بأحدهما وبالآخر . § ٢ — توجد استحالة متى كان الموضوع ، وهو باق بعينه وهو دائما محسوس ، يلحقه تغير في خواصه المخصوصة التي يمكن أن تكون مع ذلك أصدادا أو أوساطا . على ذلك مثلا الجسم هو صحيح ثم هو مريض مع بقائه هو بذاته . وكذلك أيضا النحاس هو تارة مستدير وتارة ذو ذوايا مع بقائه جوهريا هو بعينه . § ٣ — ولكن حينما الموجود يلحقه التغير بكيته دون أن يبقى منه شيء محسوس من جهة أنه موضوع واحد وبجذبه وأن الدم مثلا يتكون بأن يأتي من كل النطفة وأن الهواء يأتي من كل الماء

§ ب ٤ ف ١ — الكون والاستحالة — الكون أو التولد هو الحركة في الجوهر يعني الحركة التي تسير مما ليس موجودا إلى ما هو موجود أى من اللاوجود إلى الوجود . وأما الاستحالة فهي الحركة التي تغير في الموضوع كفيته وتعقبا أصدادا . ر . الطبيعة ك ٣ ب ٣ ف ٨ وك ٧ ب ٤ ف ٣ من ترجمتنا — التغير بأحدهما وبالآخر — لفظ تغير مصروف هنا إلى معنى الحركة .

§ ٢ — توجد استحالة — حد الاستحالة هذا لا يبعد في شيء عن الحد الذي أعطى في كتاب الطبيعة . — وهو دائما محسوس — أو بعبارة أخرى : حقيقة متميزة وشخصية يمكن أن تدركها حواسنا . — أصدادا أو أوساطا — مثلا الجسم وهو يتر من الأسود إلى الأبيض أو وهو يمر بجميع الألوان المتوسطة التي بين ذلك اللونين . — مع بقائه هو بذاته — من حيث الجوهر . وهذا هو الشرط الأساسي وبدونه لا يمكن أن تقع الاستحالة . — جوهريا — أضفت هذه الكلمة لزيادة بيان المعنى .

§ ٣ — ولكن حينما الموجود يلحقه التغير — حد للكون أو لصيرورة الأشياء . — بكيته — هذا هو الشرط الأساسي للتولد وإلا فلا يكون التغير الاستحالة . — الدم يتكون بأن يأتي من كل النطفة —

أو بالعكس الماء من كل الهواء . حينئذ يوجد في هذه الحالة كون للواحد وفساد للآخر . وهذا حق على الخصوص متى كان التغيير يمر من اللامحسوس الى المحسوس سواء بالنسبة لحاسة اللمس أو بالنسبة لجميع الحواس الأخرى مثلا حينما يوجد كون الماء أو حينما يوجد تحلل الماء الى هواء لأن الهواء هو بالمقارنة غير محسوس تقريبا . § ٤ — ولكن في هذه الأشياء إذا بقي لحدى التقابل كيف ما تماثل في الموجود الذى يتولد وفي الذى يفسد وإذا كان مثلا حينما يتكون الماء بأن يأتي من الهواء وهذان العنصران هما على السواء شفافان وباردان فإذا لا يلزم بعد أن أحد هذين الكيفين فقط يتعلق بالجسم الذى فيه يحدث التغيير . ومتى لم يكن الأمر كذلك فلا يكون إلا مجرد استحالة . مثلا في حالة ما الرجل الموسيقى ينعدم والرجل غير الموسيقى يكون ويظهر، ولكن الرجل لا يزال دائما هو بعينه . وحينئذ اذا لم تكن أصلا خاصة هذا الموجود أو كيفية إلا المهارة في فن الموسيقى أو الجهل به فإذا

الأمر على العكس النظفة هي التي تأتي من الدم الا اذا كان لفظ " النظفة " هاهنا له معنى خاص . — كون للواحد وفساد للآخر — اتخذت تعابير مهمة كتعابير النص . — بالمقارنة — زدت هذه الكلمة . § ٤ — ولكن في هذه الأشياء إذا — يرى مفسر وجامعة " كويمبر " بحق أن المعنى في هذه الفقرة مغلق وتوضيحات فيلو بون لا تجلو غوضه . و يظهر أن أرسطو يقصد الرد على اعتراض لم يبينه بالضبط . « في الكون يتولد الكائن بكليته والتغير يلحقه بكليته . أما في الاستحالة فالكيفيات وحدها هي التي تكون محالا للتغير وإذا متى وقع كون عنصر جديد يمكن أن يتساءل إذا كانت كليات الأول يجب أن تزول هي أيضا جميعها معه » . — يجب أرسطو بالسلب متى كان الكيف مشتركاً بين الكائن الذى يزول وبين الكائن الذى يتولد بالتغير . وعلى ذلك فالماء مع أنه يأتي من الهواء الذى انعدم له خواص الهواء من جهة أنه مثله شفاف بارد . هذا هو تفسير المفسرين نقلته هنا . وقد كان من المرغوب فيه أن يكون النص أكثر توسعا . — فقط — زدت هذه الكلمة . — متى لم يكن الأمر كذلك — معنى متى لم يكن للشيء الكائن الكيفيات عنها التي للشيء الفاسد . — فلا يكون إلا مجرد استحالة — عبارة النص أقل ضبطا . الاستحالة مجرد تغير في الكيف وليس تغيرا جوهريا . — في حالة ما الرجل الموسيقى ينعدم — حفظت أسلوب عبارة النص مع أنه في اللغة اليونانية شاذ كما تراه في الفرنسية . — ولكن الرجل — يعنى الموجود الجوهري الذى هو تارة موسيقى وأخرى غير موسيقى . — خاصة... أو كيفية — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — إلا المهارة في فن الموسيقى أو الجهل به — النص في غاية من الإيجاز لم تبلغه عبارتي في الترجمة .

يوجد كون لإحدى الظاهرتين وفساد للأخرى . من ذلك يرى لماذا أن تلك ليست إلا كفيات للرجل في حين أن هذا هو كون وفساد للرجل الذى هو موسيقى وللرجل الذى لا يعرف الموسيقى فليس هناك إلا تكيف للموضوع الذى هو ثابت وهذا هو بالضبط ما يسمى استحالة . § ٥ — وأذا حينما يكون تغير حد ضد لآخر حادثا في الكم فتلك زيادة ونقص . ومتى كان ذلك في الأين فتلك هى نقلة . ومتى كان في الملكية الخاصة والكيف فتلك استحالة بالمعنى الخاص . ولكن متى لم يبق شيء مطلقا من الموضوع الذى أحد أضداده هو تغير أو عرضُ فذلك أنه يوجد كون من وجه وفساد من وجه آخر . § ٦ — وحينئذ فالمادة التى هى على جهة الأولوية والأفضلية الموضوع القابل للكون والفساد . وبوجه ما هى أيضا التى تعانى أنواع التغيرات الأخرى لأن كل الموضوعات مهما كانت فهى قابلة لتقابلات ما بالأضداد .

على أنا نقف هنا فيما كنا نريد أن نقول على الكون والفساد وعلى الاستحالة أيضا لنوضح ما اذا هى تكون أو لا تكون وكيف تكون .

— كون... وفساد — كما فى الجواهر . — كفيات — أو تغيرات . — للرجل — الذى يبق كما هو مع هذه النعير المختلفة . — للرجل الذى هو موسيقى — والذى ليس بعد مجرد رجل على المعنى المطلق والجوهري . § ٥ — حد ضد لآخر — عبارة النص "الضدية" ر . المقولات ب ١١٠ ، ١١٩ ص من ترجمتنا لتعرف الفرق بين المتقابلات والأضداد . — فتلك زيادة ونقص — فان الموجود يتغير إذا فى الكم . فتلك هى نقلة — فان الموجود إذا يتغير فقط فى المكان . — فى الملكية الخاصة — أو فى الانفعال . — بالمعنى الخاص — أضفت هاتين الكلمتين لضبط المعنى . § ٦ — المادة — مأخوذة على وجه غير معين البتة كما هو فى الكتاب الأول من الطبيعة ب ٨ ص ٤٧٣ من ترجمتى . — على جهة الأولوية — أو "على الخصوص" . — للكون والفساد — تبعا لأنها تكون أو لا تكون . — وبوجه ما — بطريقة ملزومة لا بالطريقة الخاصة . — أنواع التغيرات الأخرى — الزيادة والنقص والنقلة والاستحالة ، وقد لاحظت بحق فيلوبون أن أرسطو لم يكن بيانه فى أى موضع آخر أجلى منه فى هذا الموضوع فيما يتعلق بمحد المادة الذى هو دائما من الصعوبة بمكان .

الباب الخامس

نظرية النمو — الفروق بينه وبين الكون والاستحالة سواء في موضوع النمو أو في الكيفية التي يحصل بها النمو — نقلة الشيء النامي غير المحسوسة — صعوبة إدراك من أين يأتي النمو في الجسم — كل أجزاء الجسم نمو دفعة واحدة — الشروط الأصلية للنمو هي ثلاثة — المقارنة بين النمو والاستحالة — نظرية جديدة للنمو — تمييز ما بالفعل من ما بالقوة — يلزم أن ما بالقوة يتحقق حتى يوجد النمو — علاقة العنصر الجديد الذي يحدث نمو الجسم بالجسم النامي .

١ § — علينا أيضا أن نتكلم على النمو وأن نقول فيماذا يختلف النمو عن الكون وعن الاستحالة وكيف يمكن الأشياء التي تنمو أن تنمو والتي تنقص أن تنقص .

٢ § — يلزم إذاً أولاً أن نفحص ما إذا كان الفرق بين هذه الظواهر بعضها والبعض الآخر ينحصر فقط في الموضوع الذي تتعلق به . إن تغيراً يقع من موجود الى موجود آخر، مثلاً من الجوهر بمجرد القوة الى الجوهر بالفعل وبالكمال هل هو كون وتولد؟ والتغير الذي يقع في العظم هل هو نمو ونقص؟ أو ذلك الذي يحصل في الكيف هل هو استحالة؟ ولكن الظاهرتين الأخيرتين اللتين ذكرناهما أليستا دائماً تغاير أشياء تمر من القوة الى الفعل والكمال؟ أو أيضاً أليست طريقة التغير

§ ب ه ١ — النمو — على تقدير « وعلى النقص » الذي هو ضد النمو كما أنه تكلم على الفساد بعد الكون . وليس هناك حد يقابل الاستحالة لأنها يمكن أن تقع على الوجهين . وآخر هذه الفقرة يثبت مع ذلك أن أرسطو يتصدى للكلام على النقص كما يتصدى للكلام على النمو .

٢ § — في الموضوع الذي تتعلق به — هذه العبارة غامضة قليلاً كعبارة النص، ويمكن ترجمة عبارة النص أيضاً هكذا : « في الموضوع الذي تحصل فيه » . — من الجوهر بمجرد القوة — من الجوهر الذي ليس موجوداً الى جوهر حقيقي موجود بالفعل كما يخرج حيوان من حيوان يلد . — هل هو كون وتولد — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — الذي يقع في العظم — على وجه أو على وجه آخر . — الظاهرتين الأخيرتين — زدت لفظ « الأخيرتين » زيادة في البيان . — الى الفعل والكمال — ليس في النص إلا كلمة واحدة . وإن الكلمتين اللتين ذكرتهما ليست إحداهما إلا ترجمة لالأخرى .

هى التى تختلف ؟ وحينئذ الشئ الذى يستحيل بمنزلة الشئ الذى يتولد ويصير لا يظهر أنه يجب لها التغير بالمكان لزوما . ولكن الذى ينمو والذى يذبل يجب أن يتغير بالحيز تغيرا مخالفا لتغير الشئ الذى يتحرك فى الأين . § ٣ - لأن الشئ المتحرك فى الأين يغير مكانه بكليته فى حين أن الذى ينمو لا يتغير إلا كشيء ينزلق ويمتد . والموضوع وهو باق فى مكانه أجزاءه وحدها تغير مكانها . ولكن هذا ليس كحال أجزاء الكرة الدائرة على نفسها لأن هذه الأجزاء تغير محل جسم الكرة كله مع بقائه فى الحيز بعينه . وعلى الضد من ذلك أجزاء الجسم النامى تشغل حيزا أكثر فأكثر كما أن أجزاء الجسم الذابل تشغل حيزا أقل فأقل .

§ ٤ - يرى حينئذ أن التغير فى شئ يتولد وفى الذى يستحيل وفى الذى ينمو هو يختلف لا بالشئ الذى يقبل التغير فحسب بل أيضا بالطريقة التى يحصل بها التغير . ولكن أما من حيث الشئ ذاته الذى يلحقه تغير النمو وتغير الذبول - من جهة أن النمو والذبول يظهر أنهما لا ينطبقان إلا على عظم - كيف ينبغى إدراك أنه ينمو؟ هل يجب أن يفهم أنه يتكون فى هذه الحالة جسم وعظم فعلى مما ليس هو جسما ولا عظما إلا بمجرد القوة والذى هو بالفعل وبالكمال ليس له جسم ولا عظم حقيقى؟

- التى تختلف - من الكون ومن الاستحالة الى النمو والى النقص - يتولد ويصير - ليس فى النقص إلا كلة واحدة . - يجب لها التغير بالمكان - بأن يأخذ أكثر أو أقل من الحيز تبعاً لحالى النمو والنقص . - الذى يتحرك فى الأين - أو «الذى تلحقه نقلة» .

§ ٣ - مكانه بكليته - يميز المفسرون ها هنا حالين . إما أن الجسم ينتقل بكليته مارا من مكان الى آخر وإما أن أجزاءه هى التى تغير مكانها كحال أجزاء كرة تدور على نفسها دون أن تغير مكانها كما هو مذكور بعد . - ينزلق ويمتد - ليس فى النقص إلا كلة واحدة ليست على هذا القدر من الضبط . - أجزاءه وحدها - أضفت الكلمة الأخيرة . - الدائرة على نفسها - ر . الطبيعة ك ٨ ب ١٤ ف ١ ص ٥٥٤ من ترجمتنا . - الكرة - زدت هذا اللفظ . - حيزا أكثر فأكثر - دون أن تغير مكانها .

§ ٤ - فى شئ يتولد ... والذى يستحيل ... والذى ينمو - تلك هى الأنواع الثلاثة الممكنة للتغير . - بالطريقة التى يحصل بها التغير - كما بين هذا فى الفقرة السابقة . - أما من حيث الشئ ذاته - أضفت هذه الكلمة الأخيرة . - أنه ينمو - أضفت هذه العبارة لأنه ظهر لى أنها ضرورية لتكميل الفكرة . وربما يلزم أن يزداد أيضا "ويذبل" كما فعل ذلك عدة من المفسرين . - بالفعل وبالكمال -

غير أن هذا الإيضاح نفسه يمكن أن يحمل على معنى مزدوج ويمكن أيضا أن يتساءل على أى الوجهين يجب أن يحصل النمو . هل هو يأتي من المادة التي تكون منعزلة ومنفصلة في ذاتها؟ أم هل يأتي من المادة التي تكون في جسم آخر؟ ولكن هذين الوجهين لفهم النمو أليسا هما مستحيلين على السواء؟ فإنه إذا كانت في الواقع مادة النمو منعزلة فإما ألا تشغل أى جزء في الأين وإما أن تكون كنقطة أو ألا تكون إلا من الخلو وتكون جسما لا تدركه حواسنا . ففي أحد هذين الفرضين لا يمكن أن تكون موجودة . وفي الثاني يجب أن توجد ضرورة في أين لأن ما يأتي منها يجب أن يكون في أين ما بحيث إن هذا الجسم يكون فيه أيضا إما بنفسه أو بالواسطة . § ٥ — ولكن اذا فرض أن المادة هي في جسم وأنها انفصلت عنه بحيث إنها لا تؤلف البتة جزءا من هذا الجسم لا بذاتها ولا بالعرض فينتج من هذا الفرض طائفة من المستحيلات البينة . وتوضيحه : مثلا اذا تكوّن هواء آتٍ من الماء فذلك ليس لأن الماء يتغير بل لأن مادة الهواء تكون محوية في الماء الذي يكونه كما لو كانت في آنية ما لأنه لا شيء يمنع من أن تكون المواد غير متناهية في العدد بحيث

ليس في النص إلا كلمة واحدة . — يحمل على معنى مزدوج — هذا التحليل ربما كان مجاوزا إلى حد أبعد مما يلزم و يظهر عليه أنه دقيق بعض الشيء . — منعزلة ومنفصلة — ليس في النص إلا كلمة واحدة ومع ذلك لا يرى كيف أن المادة يمكن أن تنزل وتفصل دون أن تؤلف جسما . — لفهم النمو — أضفت هذا لتكميل الفكرة . — أى جزء في الأين — أو "أى حيز" . — لا يمكن أن تكون موجودة — ليس النص على هذه الصراحة . — في أين ما — ليس النص على هذه الصراحة . — ما يأتي منها — التعبير مبهم ولكن النص ليس أقل إبهاما . — بحيث إن هذا الجسم — أو بالأولى : « هذه المادة » المنعزلة التي منها يجب أن يخرج الجسم الحقيقي . — أو بالواسطة — عبارة النص بالضبط « أو بالعرض » ويلزم دائما أن يذكر أن المقصود هاهنا هو مادة النمو لا المادة على العموم .

§ ٥ — في جسم — عبارة النص غير معينة وهي « في شيء ما » ومع ذلك فانه يجب تقدير أن المادة هي في جسم نمو كما يدل عليه المثل الآتي الذي فيه الهواء يتكون بخروجه من الماء . — لأن الماء يتغير — وهذا هو التفسير العام والطبيعي . — كما لو كانت في آنية ما — ليس عليها إلا أن تخرج منها جاهزة دون أن تعاني تأميرا جديدا . — المواد — التي يمكنها أن تفعل النمو . — غير متناهية في العدد — أو فقط « غير

يمكنها أيضا أن تكون بالفعل وبالْحَقِيقَةُ . يلزم أن يضاف زيادة على هذا أنه ليس كذلك أن الهواء يظهر أنه يأتي من الماء كما لو أنه كان يخرج من جسم يبقى دائما على ما كان عليه .

يحسن حينئذ افتراض أن المادة هي غير قابلة للانفصال في جميع الأجسام وهي واحدة وممتثلة عدديا ولو أنها ليست واحدة ولا ممتثلة في نظر العقل .

٦٤ — وبالأَسْبَابِ عينا لا ينبغي افتراض أن مادة الجسم ليست الا تقطأ أو خطوطا لأن المادة هي بالضبط ما تكون النقط والخطوط نهايات لها . فهي لا يمكنها أبدا أن تقوم بدون خاصية ما ولا بدون صورة . وعلى ذلك حينئذ فإن شيئا يأتي دائما من شيء آخر مطلقا كما سبق بيانه في غير هذا الموضع . وهو يأتي من شيء موجود بالفعل وبالكمال إما من جنسه أو من صورته . مثال ذلك النار هي تكون بالنار والرجل هو يكون بالرجل أعنى بحقيقة ، بكال ، لأن الصلب لا يمكن أن يأتي من مجرد كيف الصلب . والمادة هي المادة لجوهر جسماني أعنى مادة جسم خاص معين ما دام الجسم لا يمكن أبدا أن يكون شيئا مشتركا . وهي هي ذاتها سواء في العظم

متناهية « كعبارة النص . — بالفعل وبالْحَقِيقَةُ — ليس في النص الا كلمة واحدة . — أن الهواء يظهر أنه يأتي من الماء — يعنى أنه يوجد تغير فعلى يصير الماء هوا . وأن الهواء لا يخرج تماما من الماء . — أن المادة — أى مادة النمو . — في جميع الاجسام — ربما يكون الأحسن قصر الفكرة والقول « في الجسمين المذكورين » . — عدديا في نظر العقل — هذه من التمايز التي اعتادها أرسطو .

٦٥ — ليست الا تقطأ أو خطوطا — وهذا ما يؤول به الى الآ يكون له حقيقة فعلية أكثر من حقيقة الموجودات الرياضية . — نهايات — لأن النقط نهايات للخط والخطوط نهايات للسطوح . — بدون خاصية ما — تصيره مدركا بمحواسنا وتجعل منه جسما حقيقيا . — ولا بدون صورة — أسهل للإدراك من مجرد خاصية . — شيئا — أو « كأننا » . — كما سبق بيانه في غير هذا الموضع — يحيل فيلوبيون على الكتاب الأتزل من الطبيعة حيث درس هذا الموضوع كما يقول . وفي الحق أنه يوجد في الطبيعة ك ١ ب ٨ ف ٩ ص ٤٧٨ من ترجمتنا مناقشة مشابهة لهذه . — بالفعل وبالكمال — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — من صورته — أو "من نوعه" . — من مجرد كيف الصلب — ليس النص هكذا صريحا . فان الصلابه تخصص بجسم حقيقى ولا يمكنها بذاتها أن تنتج شيئا . — مشتركا — كالمثل التي قال بها أفلاطون فانها مشتركة

أو في كيف العظم قابلة للانفصال في نظر العقل ولكن غير قابلة للانفصال في الأين إلا أن يفترض أن الخواص يمكنها أن تنفصل عن الأجسام الحائرة لها .

§ ٧ - بين حينئذ على حسب هذه المناقشة أن النمو في الأشياء ليس تغيرا يأتي من عظم بالقوة المحضة دون أن يكون له امتداد ما بالفعل وبالكمال لأن الكيف المشترك حينئذ يكون قابلا للانفصال . وقد سبق فيما تقدم في غير هذا الموضع أن هذا كان شيئا محالا . وفوق ذلك فإن تغيرا من هذا القبيل ينطبق على الخصوص لا على التحويل على الكون . لأن التحويل ليس إلا ازديادا في عظم موجود من قبل كما أن الذبول ليس إلا انتقاصا له . فانظر لما إذا يلزم أن يكون أولا للجسم الذي ينمو عظم ما . وبالتيجة لا يمكن أن النمو الذي يترالى واقعية العظم يأتي من مادة مجردة من كل عظم لأن هذا أولى به أن يكون كونا لا أن يكون نموًا حقا .

§ ٨ - فالأفضل حينئذ أن نأخذ بهذا البحث من جديد كما لو كنا في البداية تماما وأن نبحث ثانيا عما يمكن أن تكون هي أسباب نمو الأشياء ونقصها بعد

بين جميع الكائنات التي تشترك فيها . — إلا أن يفترض — كما يزعم أرسطو أن أفلاطون افترضه في نظريته في المثل . — الخواص — أو الكيف .

§ ٧ - من عظم بالقوة المحضة — ر . ما سبق في آخر الفقرة الثانية . — الكيف المشترك — لاحظ فيلو بون أنه يوجد هاهنا رواية أخرى وأن في بعض النسخ الخطية تحريفا في حرف واحد به يكون اللفظ دالا على ” الخلو ” بدل ” الكيف المشترك ” . وقد حاول فيلو بون أن يبرر استقامة التعبيرين جميعا . ولكن التعبير الذي اتخذته يظهر لي أنه الأفضل . و ” الكيف المشترك ” هاهنا يجب أن يصرف الى المثل . والتعبير الثاني يمكن أن يستند الى آخر الفقرة الآتية . — في غير هذا الموضع — على رأى فيلو بون في الكتاب الرابع من الطبيعة . ولكن لم أجد في ذلك الكتاب الرابع هذا المعنى . بل يوجد في الكتاب الأول منها شيء . من هذا القبيل ر . ب ه ف ١٢ ص ٤٦٠ من ترجمتنا . — تغيرا من هذا القبيل — يعنى يمر من القوة الى الفعل ، من الامكان المحض الى الوجود الحقيقي . وفي الحق أن هذا يكون كونا لا نموًا . فإن الشيء يولد لأنه يتو . — أولا — أضفت هذه الكلمة لتكميل الفكرة . — واقعية العظم — يعنى الذى يدفع عظم الشيء الى أبعد ما يمكن أن يبلغه في النظام الطبيعى للأشياء . — أولى به أن يكون كونا — تكوّر لما قيل آنفا .

§ ٨ — فالأفضل حينئذ — يظهر أن المناقشة كانت إلى الآن من الجد بحيث لا محل لإعادتها بل يكفى الاستمرار فيها . — بعد أن أثبتنا ماذا يعنى — النص ليس على هذا القدر من الصراحة ولكن الترجمة

أن أثبتنا ماذا يعنى بنا أو نقص . فى شىء نمو يظهر إذا أن جميع الأجزاء بلا استثناء تنمو. كما أنه فى النقص جميع أجزاء الشىء يظهر أنها تصير أكثر فأكثر صغيرة . وفوق ذلك فان النمو يظهر أنه يحصل بأن شيئاً ينضم الى الجسم والاضمحلال بأن شيئاً يخرج منه . ولكن النمو لا يمكن أن يحصل بالضرورة إلا بشىء ما لا جسمانى أو جسمانى فإذا كان بالاجسمانى فالجزء المشترك يكون قابلاً للانفصال ومن المحال أن توجد مادة منفصلة عن كل عظم كما قيل آنفاً . وإذا كان بشىء ما جسمانى حصل النمو فينتج عنه أن هناك جسمين فى حيز واحد بعينه أى حيز الذى ينمو وحيز الذى يفعل النمو وذلك هو أيضاً محال . § ٩ — بل لا يمكن أن يقال إن نمو الأشياء ونقصها يمكن حصولها بالطريقة عينها التى بها يأتى الهواء من الماء مثلاً ما دامت حينئذ كتلة الهواء قد صارت أعظم مقدارا . إذ أليس فى هذا مجرد نمو للهواء بل هذا هو كون لجسم جديد فيه تغير الجسم الأول وهذا هو فساد لضده . وليس ذلك نمواً لا لأحدهما ولا للآخر . ولكن إما أن ليس هذا نمواً لشيء وإما أنه نمو لهذا

التي أعطينا ستنند الى شرح فيلوبون . — يظهر إذاً — سبب العبارة يؤيد تفسير المفسر الاغريق للفقرة السابقة . — الجزء المشترك — ر . ما سبق فى الفقرة السابعة وما سببى فى الفقرة التاسعة . فان الجزء المشترك لا يمكن هاهنا أن يدل إلا على الهوى مجردة عن كل صورة ومشارك بالنتيجة لجميع الأجسام . وهذا تجريد محض . وفى هذا الموضع أيضاً يوجد فى بعض النسخ الخطية تحريف فى حرف واحد فقرأ "الخلو" بدلاً من "الجزء المشترك" وقد عولت على هذه العبارة الأخيرة كما سبق . ويحاول فيلوبون أن يؤول العبارتين كتيهما مع أن الأصل الذى تحت نظره يظهر أنه يوجد فيها لفظ "الخلو" لا "الجزء المشترك" . — كما قيل آنفاً — فى الفقرة السابقة . وهذا التفصيل يظهر أنه يؤيد التعبير الذى اخترته . — جسمين فى حيز واحد بعينه — مبدأ قرره أرسطو مراراً فى الطبيعة . وقد احتفظ به علم الطبيعة الجديد فى نظرية عدم قبول الأجسام للداخلية .

§ ٩ — التي بها يأتى الهواء من الماء — يعنى متى أخذ الماء لأى سبب ما أن يتبخر ويتغير الى هواء . ر . الميتورولوجيا ك ١ ب ٩ ص ٢ ص ٥٥ من ترجمتنا . — كتلة الهواء — المشاهدة مضبوطة ولكن لا يظهرلى أن القدماء كان عندهم طريقة ما لتحقيقها . — لجسم جديد — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — لضده — لأن الماء مفروض ضداً للهواء . — لهذا الذى هو مشترك — هذا يؤيد

الذى هو مشترك بين الشئيين الذى كان والذى فسد على السواء . وهذا الجزء المشترك هو جسم أيضا . فلا الماء ولا الهواء نما و فقط أحدهما باد وانعدم فى حين أن الآخر كان ويلزم أن يكون هناك جسم ما دام أنه وجد نمو .

§ ١٠ — ولكن هناك أيضا مجال جديد لأنه يلزم عقلا حفظ الشروط الضرورية التى بدونها لا يمكن ادراك الجسم الذى ينمو أو الذى ينقص وهى ثلاثة أحدها هو أن كل جزء ما يصير أكبر فى عظم ينمو، مثلا اذا كان من اللحم فان جزءا ما من اللحم ينمو . والشروط الثانى هو أن النمو يحصل بانضمام ما إلى الجسم . وثالثا وأخيرا يلزم أن الشئ ينمو وأن يبقى معا . وفى الواقع حينما شئ يكون أو يبدد مطلقا فهو لا يبقى البتة . ولكن حين يعانى استحالة أو نموا أو نقصا فان هذا الشئ مع أنه ينمو أو يستحيل يمكث ويبقى هو بعينه . فها هنا إنما هو كيف الشئ وحده هو الذى لا يبقى بعد هو هو . وهناك إنما هو العظم نفسه الذى لا يبقى هو بعينه . وحينئذ اذا كان النمو هو بحق ما قد زعم فان الشئ النامى يمكن إذا أن ينمو بدون أن شيئا يأتى وينضم اليه وبدون أن هذا الشئ يبقى كما أنه قد يمكن أن يفنى بدون أن شيئا يخرج منه وبدون أن الشئ النامى يبقى . ولكن يلزم مطلقا حفظ هذه الشروط ما دام أنه افترض أن النمو هو فى الواقع كما قد ذكر .

ترجمنا الجزء المشترك فى الفقرتين ٧ و ٨ . — هذا الجزء المشترك — زدت قليلا على عبارة النص أيضا حالها . — فلا الماء نما — لأنه فى الواقع قد باد لينقلب الى هواء .

— يلزم أن يكون هناك جسم — وهو إذا "الجزء المشترك" أى الهوى التى ليست مع ذلك جها فعليا .
§ ١٠ — مجال جديد — أضفت هذه الكلمة الأخيرة ما دام أنه قد نبه آتفا إلى محالات أخرى .

— عقلا — عبارة النص بالضبط هى : "بالعقل فى نظر العقل" . — الشروط الضرورية — عبارة النص ليست بهذا الضبط تماما . — الجسم الذى ينمو — عبارة النص أدخل فى باب عدم التعيين لأنه يقول : "هذا الذى ينمو" . — وهى ثلاثة — وهذه الثلاثة الشروط هى حقيقية جدا ولا يكاد يمكن اليوم أن يقال أحسن من هذا . — وأن يبقى — يعنى أنت يبقى هو ما هو كما كان من قبل إلا من حيث امتداداته فانها تكبر أو تصغر . — يكون أو يبدد — تلك هى حركة الكون والفساد أعنى المرور من الوجود إلى الوجود أو من الوجود إلى الوجود . — يمكث ويبقى — ليس فى النص إلا كلمة واحدة . — حفظ هذه الشروط — التكرير ليس فى النص على هذا القدر من التمام .

§ ١١ — وقد يمكن أيضا أن يسأل ما هو بالضبط هذا الذى ينمو؟ هل هو الجسم الذى إليه يأتى وينضم شيء؟ مثلا متى فعل سبب بعينه نمو الفخذ فى جسم إنسان فهل الفخذ نفسه هو الذى يصير أسمن؟ ولماذا هذا الذى يسمن الفخذ أعنى الغذاء لا ينمو هو أيضا؟ وفى الواقع لماذا أن الاثنين لا ينموان معا؟ لأن هذا الذى ينمو وهذا الذى ينمى يكونان أعظم كما هى الحال عند مزج الماء والنبيد فان كمية كليهما تصير أعظم على السواء . أليس يمكن أن يقال إن هذا يرجع إلى أن الجوهر فى حالة يمكث ويسبق فى حين أنه فى الحالة الأخرى الجوهر، وهو هاهنا، جوهر الغذاء يبيد؟ وهاهنا أيضا إنما العنصر الغالب هو الذى يعطى اسمه للمزيج كما هى الحال حين يقال على المزيج إنه من النبيد لأن المزيج كله يفعل فعل النبيد لا فعل الماء .

§ ١٢ — والأمر كذلك أيضا بالنسبة للاستحالة فاذا، مثلا، بقى اللحم ومكث دائما ما هو وإذا طرأ على اللحم كيف أصلى لم يكن من قبل اللحم حينئذ بالبساطة قد استحال ولكن أحيانا هذا الذى يحيل الشيء إما أنه لا يعانى شيئا هو نفسه فى جوهره

§ ١١ — ما هو بالضبط هذا الذى ينمو — يظهر هاهنا أنه لا محل للشك وأنه هو الجسم عينه الذى ينمو بمثله هذا الذى يأتى وينضم إليه . — فى جسم انسان — أضفت هذه الكلمات . — لا ينمو هو أيضا — قد يمكن ألا يعطى هذا الجزء من القضية صورة الاستفهام فيقال : ”فى حين أن هذا الذى يسمن الفخذ لا ينمو“ . — يكونان أعظم — العبارة مبهمه لأن المزيج من الاثنين هو فى الحق أكبر من كليهما على حدة . ولكن كليهما على حدة لم يكبر الا أن يكون المقصود هو ذلك المعنى المتلوى فى المثال الآتى . — كمية كليهما — هذا ليس صحيحا فان كمية النبيد وكمية الماء تبقيان كما كانتا . ولكن مزيجهما وحده هو الأعظم فاذا قيل إنه يوجد من الماء أكثر أو من النبيد أكثر فليس ذلك الا تجاوزا فى اللفظ . — العنصر الغالب هو الذى يعطى اسمه للمزيج — وهذا أيضا ليس من الصحة بمكان اذ لا يقال للمزيج إنه من الماء . أو من النبيد بل يقال إنه ماء محمر .

§ ١٢ — والأمر كذلك أيضا بالنسبة للاستحالة — يعنى أن فى ظاهرة الاستحالة توجد أيضا الشروط بعينها كما فى ظاهرة النمو . — بالبساطة قد استحال — هذا هو المعنى الحق للاستحالة . فان الكيف وحده قد تغير ولكن الجسم بقى هو بعينه . — فى جوهره الخاص الذى لم يستحل — هذه الجملة لا توجد فى بعض النسخ الخطية . — وليست أيضا فى شرح فيلوبون . ولكن يظهر لى أنه يمكن قبول المعنى الذى أعطيه فى ترجمتى

الخاص الذي لم يستحل وإما أحيانا أنه يستحيل هو أيضا . ولكن هذا الذي يحيل شأنه كشأن مبدأ الحركة هو في الشيء النامي وفي الشيء المستحيل لأنه فيهما يوجد المبدأ المحرك . وقد يمكن أيضا أن هذا الذي يدخل في الجسم يصير فيه أعظم كالجسم الذي يقبله ويستفيد منه سواء بسواء مثلا إذا كان العنصر الذي يدخل يصير فيه هواءً . ولكنه وهو يعانى هذا التغير يفسد والمبدأ المحرك لا يكون فيه بعدُ .

§ ١٣ — بعد أن بلغنا الكفاية من بسط هذه الصعوبات يلزم محاولة استكشاف حل هذه النظرية مع التسليم بالشروط الآتية دائما :

أن النمو ليس ممكنا إلا بأن يمكث الجسم النامي ويبقى وأنه لا شيء يمكنه أن ينمو بدون أن شيئا ينضم اليه ولا أن ينقص بدون أن شيئا يخرج منه . وأنه فوق ذلك كل نقطة محسوسة حيثما اتفق من الجسم النامي أو الناقص تصير أكبر

هذه . — هذا الذي يحيل — أو عبارة أخرى أكثر ضبطا "علة الاستحالة" . — شأنه كشأن مبدأ الحركة — الذى يفعل أن الشيء ينمو ويذبل . — فى الشيء النامى وفى الشيء المستحيل — هذا تطابق أيضا بين النمو وبين الاستحالة . — المبدأ المحرك — هنا للحركة وهناك للاستحالة . ولم يقبل الشراح الإغريق هذه النظرية بتامها فعلى رأى فيلو بون أن الإسكندر الأفرديزى كان ينازع فى أن مبدأ الاستحالة والنمو موجود دائما فى الجسم الذى يستحيل أو الذى ينمو . وهذا المبدأ هو غالبا فى الجسم الغريب الذى يجلب للاتحرار أو الاستحالة . — يصير فيه هواء — هذا موجز أكثر مما يلزم ولا يزال غامضا . وكان يلزم أن يزداد عليه أن الماء بصيرورته هواء مثلا يتمدد وما دام أنه صار أعظم فقد انقطع عما كان هو ما هو من قبل . — وهو يعانى هذا التغير — ليكون المعنى أبين من ذلك كان يلزم إيراد مثال خاص ما كان ليطرك أقل شك . — والمبدأ المحرك لا يكون فيه بعد — فانه فى ذلك الجسم الذى يسبب التغير الذى يعانى به .

§ ١٣ — بعد أن بلغنا الكفاية من بسط هذه الصعوبات — يرى فيلو بون أن أرسطو لم يسط إلى الآن إلا الآراء العامة فى علل النمو والذبول وأنه يشرع منذ الآن فى بسط مذهبه الخاص . — استكشاف حل هذه النظرية — على ما يفهمها أرسطو . — بالشروط الآتية — ليست عبارة النص على هذا المقدار من الصراحة . ومع ذلك فان هذه الشروط قد سبق عدها أنفا ف ١٠ . — محسوسة — يعنى مادية . وقد ألح فيلو بون فى أهمية هذه الكلمة التى بدونها على رأيه لا يستقيم المعنى . — أن الجسم ليس خلوا — لا يظهر أن هاهنا روايات أخرى كما كان فى سبق فى الفقرة السابعة . — أن جسمين لا يمكن البتة أن يشغلا

أو أصغر . وأن الجسم ليس خلوا وأن جسمين لا يمكن التبة أن يشغلا حيزا واحدا بعينه . وأخيرا أن الجسم الذى يحصل فيه النمو لا يمكنه أن ينمو باللاجسمانى .

§ ١٤ — و سنصل الى الحل المطلوب بقبولنا بادئ بدء أن الأجسام ذوات الأجزاء غير المتشابهة يمكن أن تنمو لأنه إنما هى الأجسام ذوات الأجزاء المتشابهة هى التى تنمو لأن الأولى ليست إلا مركبة من الثانية . ويلزم بعد هذا التنبيه إلى أنه متى ذكر اللحم والعظم وأى جزء آخر مشابه لهما من الأجسام فذلك يمكن أن يؤخذ بمعنى مزدوج كما هى الحال بالنسبة لجميع الأشياء الأخرى التى لها نوعها ولها صورتها فى المادة، لأن المادة والصورة هما مسميان على السواء لهما وعظما . فالقول بأن كل جزء كيفما اتفق من جسم ينمو وبأن عنصرا جديدا يأتى وينضم إليه فذلك بيان ممكن باعتبار الصورة ولكنه ليس كذلك باعتبار المادة . ويجب أن يرى أن الحال هاهنا كالحال حينما يقاس الماء بمقياس يبقى هو بعينه

حيزا واحدا بعينه — ذلك ما نسميه الآن عدم مداخلة الأجسام . — باللاجسمانى — قد حافظت على عموم اللفظ الاغريق وهو مفهوم .

§ ١٤ — الأجسام ذوات الأجزاء غير المتشابهة — يمثل لها الشراح الاغريق بالوجه واليد... الخ. التى تنمو بنمو اللحم والدم والعظم التى هى أجسام متشابهة الأجزاء لا أنها تنمو بأن وجهها أو يدا تآتى فتضم إليها ر . ما يلى ف ١٥ . — لأن الأولى ليست إلا مركبة من الثانية — معلوم أن هذا هو مذهب أنكساغوراس فى "متشابهات الأجزاء" ويمكن الاطلاع أيضا على أول "تاريخ الحيوانات" . فان الأجسام المتجانسة الأجزاء هى التى فيها الأجزاء دائما هى بعينها والتى هى مشابهة للكل . على ذلك جزئية من الدم هى دائما دم . وجزء من العظم هو عظم دائما . ولكن جزء اليد ليس يدا وجزء الوجه ليس وجهها . لذلك ترى لماذا أن هذه الأجسام مكونة من اجزاء غير متجانسة . — بمعنى مزدوج — سيوضح فيما بعد فانه يمكن أن يعنى بها على السواء أن المادة هى التى تنمو أو أنها الصورة فقط . — نوعها وصورتها — ليس فى النص الا كلمة واحدة . — المادة والصورة هما مسميان على السواء — يظهر أن المادة أولى بهذه التسمية من الصورة . — باعتبار الصورة — فى الحق أن الصورة النوعية تبقى ولكن يلزم أيضا أن المادة تنمو . — باعتبار المادة — هذا يظهر عليه أثر الدقة اكثر من أثر الصحة . — بمقياس يبقى هو بعينه — فان الماء الذى يمر على التعاقب من هذا المقياس يمكن أن يختلف ولكن صورة

فان الماء الذى يجمىء بعدُ هو آخر ودائماً آخر . كذلك هذه المثابة تنمو مادة اللحم ولا يوجد ضم الى كل جزء كيفما اتفق . ولكن الجزء الفلانى يسيل والجزء الفلانى ينضم . فليس يوجد ضم ولا يحصل الضم إلا إلى كل جزء كيفما اتفق من الشكل ومن النوع .

١٥٣ — ولكن بالنسبة للأجسام المركبة من أجزاء غير متشابهة مثلاً بالنسبة لليد فمن الأشد وضوحاً أن كلها ينمو بحالة متناسبة لأنه في هذه الحالة مادامت مادة النوع مختلفة فهى أسهل تمييزاً عما يكون بالنسبة للحم وبالنسبة للأجسام ذوات الأجزاء المتشابهة . من أجل ذلك حتى على ميت يظهر أنه لا يزال يعرف اللحم والعظم بأكثر سهولة من أن يميز فيه اليد والذراع وحينئذ فمن وجهه يمكن أن يقال إن كل جزء كيفما اتفق من اللحم ينمو ومن وجهه آخر لا يمكن أن يقال إن كل جزء ينمو . فبحسب الصورة قد انضم شيء ما لكل جزء كيفما اتفق ولكن لا بحسب المادة . ومع ذلك

المقياس لا تختلف وهذا حق ولكن المثل لم يوجد حسن اختياره لأن المقياس لا يمكن أن ينمو والقول وارد بصدد إيضاح النمو . — الماء الذى يجمىء — عبارة النص « الذى يجمىء » فقط . فأردت تحوير الفكرة برفع بعض الشيء من عموم العبارة . — تنمو مادة اللحم — يظهر أن هذا ناقص ما أثبت سابقاً وهو أن النمو لا يقع إلا باعتبار الصورة لا باعتبار المادة . — لا يوجد ضم الى كل جزء كيفما اتفق — على رغم ما يعتقد العامة . — الجزء الفلانى يسيل — والواقع أن الأجسام الحية هى فى سيلان دائم للجزيئات التى تفقد منها والعناصر الجديدة التى تقلبها بلا انقطاع . — الا الى كل جزء كيفما اتفق من الشكل — وضعت لفظ « شكل » لا لفظ « صورة » لأن تعبير النص مختلف أيضاً .

١٥٤ — المركبة من أجزاء غير متشابهة — المثل المعطى فى النص كافى فى البيان . فان اليد لا تتركب من أيدى كما يتركب الدم من الجزيئات الدموية . — بحالة متناسبة — هذا ليس من الضبط على الغاية . — مادة النوع — أو مادة « الصورة » . مادة اليد متضاعفة التركيب . جلد وأوتار ودم وعظم وأربطة وعضلات الخ . — فهى أسهل تمييزاً — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — اليد والذراع — (ر . عبارة مشابهة لهذه فى كتاب النفس ك ٢ ب ١ ف ٩ ص ١٧٦ من ترجمتنا) لأن اليد والذراع هما عضوا فعل فتى تعطلا عن العمل فكأنهما غير موجودين . — ولكن لا بحسب المادة — بنفس السبب الذى ذكر فيما سبق فى آخر الفقرة ١٤ . — الكل — مركب مما من صورة ومادة . — الضد — هذا التعبير ليس واضحاً جداً . والأولى أن تنمو الأجسام

فان الكل صار أعظم لأن شيئا جاء وانضم اليه . وهذا الشيء يسمى الغذاء ويسمى أيضا الضد . ولكن هذا الشيء لا يزيد على أن يتغير في النوع بعينه كمثل ما يأتي الرطب ينضم إلى اليابس و بانضمامه إليه يتغير بأن يصير هو نفسه يابسا . وفي الواقع يمكن معا أن الشبيه ينمو بالشبيه وبجهة أخرى أن يكون ذلك باللاشبيه .

§ ١٦ — وقد يمكن أيضا أن يتساءل عما هو بالضبط ذلك الشيء الذي يحدث النمو . واضح أن هذا العنصر الجديد يجب أن يكون الجسم بالقوة . مثلا إذا كان اللحم هو الذي يُبنى يجب أن يكون لحما بالقوة مع أنه بالفعل وبالكمال شيء آخر . وهذا الشيء الآخر يجب أن يفسد ليصير لحما . على ذلك حينئذ ليس هو في ذاته ما يصير إليه . لأنه إذاً يحصل كون لا مجرد نمو . ولكن الشيء الذي ينمو هو بالضبط في ذلك الشيء فإذا لقي الجسم بهذا العنصر الجديد حتى إنه نما هكذا ؟ أعاني اختلاطا كما يصب الماء في النبيذ بحيث إن المزيج كله يمكن أن يبقى نبيذا؟ أم

بالمشابه كما سيحى . — يأتي الرطب ينضم إلى اليابس — مثال ذلك أن يسقط الماء على سطح جاف ويتبخر عليه . — أن الشبيه ينمو بالشبيه — تكاد هذه أن تكون قاعدة في الفلسفة القديمة . ولكن هذا العموم مبهم قليلا . ومع أن الأجسام في الحق تنمو بتمثل العناصر الجديدة فان هذا الإيضاح ليس كافيا لتعبير ظاهرة النمو المعقدة .

§ ١٦ — الشيء — تمييز النص هو أيضا أقل تعيينا من ذلك . وان ما نعى الجسم يجب أن يكون له صفة خاصة بها يمكن أن تجمل في الجسم وينقلب إلى جوهره . — هذا العنصر الجديد — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — الجسم بالقوة — يعنى عبارة أخرى أنه يمكن أن يصير الجسم بتثله فيه . — اذا كان اللحم هو الذي ينمو — كالأغذية التي نأخذها فتتحول إلى دم ولحم لتقويم حياتنا وإتمام جسمنا . — بالفعل وبالكمال — ليس في النص الا كلمة واحدة . — أن يفسد — أو « يفتى » . كذلك الخبز الذي نطعمه هو بالقوة دم ولحم . ولكنه في حقيقته الخاصة لم يكن بعد احدهما ولا الآخر . — يحصل كون — أو « تولد » . — في ذلك الشيء — هذه هي عبارة الأصل بنصها ويظهر أن فيها مبالغة لأنه لا يمكن أن يقال إن اللحم هو في الخبز ولو أن الخبز بعملية الهضم يتغير جوهريا ويصير دما . ومع ذلك زدت كلمة « بانضبط » . — بهذا العنصر الجديد — عبارة النص ليست على هذا القدر من الصراحة . — أعاني اختلاطا — اضطرت هنا إلى أن أزيد النص بيانا . — يمكن أن يبقى نبيذا — ذلك ممكن في الواقع

كما أن النار تحرق متى تلامس شيئا قابلا للاحتراق، كذلك الأمر في الجسم الذى ينمو والذى هو لحم بالفعل وبالكمال، الجوهر الباطن الذى له قوة الإنماء هل يفعل للحما حقيقيا بالفعل وبالكمال من اللحم بالقوة الذى اقترب منه؟ يلزم إذا أن يكون هذا العنصر الحديد مع الآخر ومقترنا به في الوجود لأنه لو كان منعزلا لحصل كون حقيقى . وعلى هذا النحو يمكن إيجاد نار من النار الموجودة من قبل بإلقاء الخشب فوقها . وهذا بهذه الطريقة ليس إلا نموا في حين أنه متى كان الخشب نفسه يحترق فهانها كون حقيقى .

§ ١٧ — لكن الكم مأخوذا على معناه الكلى لا يكون هانها إلا كما قد يمكن أن يكون الحيوان الذى لاهو إنسان ولا أى حيوان خاص . وبالفعل الحال هانها

إذا كانت كمية الماء المصوب قليلة بحيث لا تغير طبيعة المزيج تغيرا محسوسا . — أم — كلمة النص « و » . — كما أن النار تحرق — المقارنة غاية في الصحة على أكثر مما كان يعتقد أرسطو . إن الفسيولوجيا في أيامنا هذه قد وجدت في تمثيل الأغذية نوعا من الاحتراق فان القوى الحيوية هي نوع من النار يحيل الأغذية التي تدخل في أجسامنا . — بالفعل وبالكمال — ليس في النص الاكلمة واحدة . — الجوهر الباطن الذى له قوة الإنماء . — عبارة النص مبهمه جدا وقد اضطرت الى زيادة ضبطها في الترجمة . — بالفعل وبالكمال — هنا أيضا ليس في النص الاكلمة واحدة . — هذا العنصر الحديد — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — مع الآخر ومقترنا به — قد زدت على الأصل بل فصلت الجملة لأن النص هنا غاية في الایجاز . ولكنى لا أرى المعنى جليا تماما . فان « المع والاقتران » قد يفهم بحسب المكان بل وبحسب الجوهر وعلى هذا المعنى الأخير يكون مجزء تمثل — كون حقيقى — أضفت هذه الكلمة الأخيرة . — من انار الموجودة من قبل . — ليس النص على هذا القدر من التوسع . — متى كان الخشب نفسه يحترق — ليس التعبير واضحا قدر الكفاية لأن الخشب لا يحترق بنفسه بل يلزم دائما تقيمه من النار . — فهانها كون حقيقى — زدت أيضا هذه الكلمة الأخيرة . فان هذا الكون انما هو كون ظاهرة جديدة .

§ ١٧ — مأخوذا على معناه الكلى — عبارة النص أقل تعيينا . ومن الصعب جدا تحصيل ذلك الفرق الدقيق ويمكن ترجمته أيضا هكذا : ” ولكن ليس الكلى هو الذى يصير هنا كمية ما “ . — الحيوان — على طريق العموم لا الخصوص . فان الحيوان بوصف أنه مفهوم كلى لا يوجد ولكن

بالنسبة إلى الكم كالحال هنالك بالنسبة إلى الكلى . فينئذ اللحم والعظم أو اليد أو الأعصاب والأجزاء المتشابهة من هذه الأعضاء تنمو لأن كمية ما من مادة تأتي فتضم إليها بلا شك ولكن بدون أن تكون هذه المادة كمية مقدرة من لحم . فمن جهة أن العنصر الحديد هو الواحد والآخر بالقوة ومثلا كمية معينة من لحم بهذا المعنى فهذا العنصر على هذا الوجه ينمى الجسم لأنه يلزم أن يصير من اللحم ، ومن اللحم بكمية معينة . ولكن فقط من جهة أن العنصر المضاف هو من اللحم أنه يمكنه تغذية الجسم . وبذلك كان الغذاء والنمو يختلفان أحدهما عن الآخر عقلا . من أجل ذلك أيضا الجسم هو مغذى كل الزمن الذى يعيشه ويمكثه بل الزمن الذى يفناه ولكنه لا ينمو بلا انقطاع . فى الحق أن التغذية هى مماثلة للنمو وتشتبه به ولكن كونهما مختلف . على ذلك حينئذ بما أن العنصر الذى يأتى فينضم هو بالقوة فكيفية ما من اللحم يمكنها أن تنمى اللحم . ولكن فقط من جهة أنه لحم بالقوة يمكنه أن يكون غذاء . § ١٨ — وهذه

الذى يوجد هو هذا الحيوان الفلانى الخاس أو ذاك الذى فيه يتحقق المعنى الكلى للحيوان . — إلى الكم — بالمعنى الكلى . — إلى الكلى — يعنى "المثال" . فان الكم مفهوما على المعنى الكلى لا يوجد الا كما يوجد الحيوان بالمعنى المجرد . — الأجزاء المتشابهة — أى الأجزاء العنصرية التى لا تفرق بعضها عن بعض التى هى جميعا متشابهة . — كمية ما من مادة — كل هذه التمايز يمكن أن تظهر دقيقة بل غاية فى الدقة ولكنها صحيحة والظواهر نفسها من الدقة بحيث يلزم ألا يدهش من صعوبة وصفها وتقريرها . — كمية مقدرة — أضفت هذه الكلمة الأخيرة لبيان الفكرة . وبتطبيق هذا على الأغذية التى نغذى بها نجد فى الحق أن الخبر هو كمية تأتي فتضاف إلى الحما . ولكن فى الحق أيضا أنه لم يكن بعد من اللحم تماما . — العنصر الحديد — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — الواحد والآخر بالقوة — يعنى ، أخذنا بشرح فيلو بون ، من اللحم بالقوة بطريقة عامة وأيضا كمية ما من اللحم بالقوة أيضا . أو بعبارة أخرى يلزم أن العنصر الحديد يمكن أن يصير معا لحم وكمية ما من اللحم بانضمامها إلى الجسم يمكنها أن تعطيه النمو الذى يأخذه . — العنصر المضاف — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — يمكنه تغذية الجسم — عبارة النص هى "أنه يغذى" . — عقلا — أوربما "بجديهما" . — الذى يفناه — ويمكن ترجمته أيضا هكذا: "بل إلى أن يفسد" . — فى الحق — أضفت هاتين الكلمتين . — ولكن كونهما مختلف — تمييز معروف وغالب الاستعمال فى مذهب أرسطو . — على ذلك حينئذ — تلخيص للنظرية السابقة التى يظهر أنها دقيقة جدا وصحيحة جدا معا .

الصورة أو هذا النوع بلا مادة هو في المادة كقوة لا مادية . ولكن إذا تجيء فتضم الى الجسم مادة ما هي لا مادية بالقوة مع أن لها أيضا بالقوة الكم...، فهذه الأجسام الامادية ستكون إذا أعظم . ولكن إذا كانت هذه المادة المضافة تصل إلى حد ألا تستطيع أن تكون شيئا وإذا كان الماء كذلك بامتزاجه أكثر فأكثر بالنبيذ يصل إلى أن يصيره أكثر فأكثر مائيا وإلى أن يحيله أخيرا تماما إلى ماء فينثذ يمكنه أن يجر الى فساد الكمية ولكن الصورة والنوع يبقيان كما كانا .

§ ١٨ — هذه الفقرة كلها غامضة جد الغموض . ومن المحتمل أن النص فيها محرف فإ يظهر . على أنه وارد في النسخة التي شرحها فيلوبون فإ يظهر على ما هي عندنا اليوم وأنه لم يجد فيها صعوبة ما غير أن شرحه لم يأتنا ببيان خاص يجلو غوامضا . — بلا مادة... في المادة... لا مادية — كل هذه التكرار موجودة في الأصل . — الكم... — هذه النقط التي وضعها هنا تقاييدا لبعض الناشرين من شأنها أن تدل على احتمال وجود بياض في الأصل ولكن الواقع أنه ليس لدينا الا مجرد ظن لم يقم عليه دليل ما . — فهذه الأجسام الامادية — في النص اسم اشارة لجمع مذكر يظهر أنه لا يتعلق بشئ . مذكور ويثر في النفس الظن بوجود النقص الذي اشترت اليه . وقد افترض مفسرو جامعة كويمبر وجود رواية أخرى تنحصر في علامة على حرف متحرك . ولكن هذه الرواية الأخرى لا تكاد تجلو غموض النص . فعلى رأيهم أن القصد هنا هو التمثيل بالزمزم حيث يمكن تمييز الصورة زيادة على المادة كما في كل آلة أخرى . وهذا الفرض لا يمزق حجاب الظلام عن هذه الجملة ويجب تركها كما هي مع الاعتراف بأنه لا يمكن تصحيحها . — هذه المادة المضافة — عبارة النص غاية في عدم التعمين وقد ظننت أن من الواجب أن أكون أكثر تعيينا وضبطا في الترجمة . — تكون شيئا — هاهنا حافظت على عبارة النص في كل عمومها لأنى خفت أن أحرفها اذا حاولت أن أجعلها أقل عموما . فإن «لا تكون شيئا» تفيد من غير شك ان المادة المضافة لن يمكنها أن تتمثل في جوهر الجسم الذي تضاف اليه . — فساد الكمية — يظهر أن الأولى أن يقال «فساد الكيفية» ولكن ليس هنا رواية أخرى . — الصورة والنوع — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — يبقيان كما كانا — يظهر على ضد ذلك تبعا لنفس المثل الذي أورده المصنف أن الصورة والنوع يفنيان مادام النبيذ يتقلب نهائيا الى ماء باضافة السائل الذي صب فيه .

الباب السادس

الفعل المتكافئ للعناصر بعضها في بعض — في اختلاطها — رأى ديوجين الأبلوني — لأجل إدراك أن العناصر تفعل أو تفعل بعضها ببعض يلزم توضيح ما يعنى بتناسها — المعانى المختلفة لهذه الكلمة — الفرق بين الحركة والفعل — المحرك غير المتحرك لا حاجة به ضرورة الى مس الشيء الذى يحركه — الشيء المحرك يمكن ألا يس شيئا هو أيضا في نوبته — آخر نظرية التماس .

§ ١ — لما أنه يلزم عند دراسة المادة وبالنتيجة العناصر أن يقال بادئ بدء ما إذا هي تكون أو لا تكون وإذا كان كل واحد منها أزليا أو إذا كانت مخلوقة بأى وجه ما . ومع أنها مخلوقة إذا كان يمكنها كلها أن تتكاون بطريقة واحدة، أو إذا كان أحدها هو أسبق من الآخر فينتج من ذلك أن من الضروري أن تعين جيدا بادئ الأمر الأشياء التى لم يتكلم عنها حتى هذه الساعة إلا بطريقة جد مبهمه وغير كافية جدا .

§ ٢ — وفي الحق كل أولئك الذين يقبلون الخلق للعناصر أنفسهم كما يقبلونه بالنسبة للركبات التى تنتج عنها يقتصرون في إيضاح كل شيء على الاجتماع والافتراق وعلى الانفعالية وعلى الفعل . ولكن الاجتماع ليس إلا اختلاطا ولم يُحد لنا جليا ما يجب علينا أن نعنى باختلاط الأجسام . ومن جهة أخرى ليس من الممكن كذلك أن تحصل استحالة ولا افتراق أو اجتماع بدون موضوع يفعل وينفعل . لأن أولئك

§ ١ — لما أنه يلزم — قد حافظت على أسلوب الجملة في النص الإغريق كما هي مع أنها طويلة في الترجمة فيما يظهر . — اذا كانت مخلوقة — أو "تكون" . — التى لم يتكلم عنها — يحتمل أن يكون المقصود بهذه العبارة فلاسفة من أسلافه وأن أرسطو لم يقصد الكلام عن نظرياته الخاصة . — جد مبهمه وغير كافية جدا — ليس في النص الكلمة واحدة .

§ ٢ — يقبلون الخلق — عبارة النص هي "الذين يخلقون" الذين يولدون، الذين يكتونون . — يقتصرون في إيضاح كل شيء . — ليس النص صريحا بهذا القدر . — على الانفعالية — لكيلا أقول "الانفعال" . — ليس الاختلاطا — ربما لا يكون المعنى محكما . — لم يُحد لنا جليا — عبارة النص أشد إبهاما قليلا . — بدون موضوع يفعل وينفعل — هذا الموضوع هو ذلك الذى من غير أن ينقطع كونه يمكنه على التعاقب أن يقبل الأضداد كما سيبنى . بيانه في الفقرة الثالثة .

الذين يقبلون تعدد العناصر يجعلونها تولد من الفعل والانفعال المتكافئين بين العناصر بعضها والبعض الآخر . § ٣ - ومع ذلك يلزم دائماً الوصول الى القول بأن كل فعل يأتي من مبدأ واحد أحد . فانظر كيف أن ديوجين كان عنده الحق إذ يقرر أنه اذا كانت كل العناصر لم تكن تأتي من واحد فلا يمكنها أن يكون بينها لافعل ولا قابلية للفعل على طريق التكافؤ وأن الحار مثلاً قد لا يمكن أن يبرد ولا البارد أن يسخن من جديد . وكان يقول ليست الحرارة ولا البرودة هي التي تتغير إحداها في الأخرى بل من البين بذاته أن الموضوع هو الذي يعانى التغير . وبالنتيجة كان يستنتج ديوجين أن في الأجسام التي فيها يمكن وجود فعل وانفعال يلزم بالضرورة أن يكون لها طبيعة واحدة هي موضوع لهاتين الظاهرتين . ولا شك في أن تقرير أن جميع الأشياء هي في هذه الحالة قد لا يكون تقريراً صحيحاً فان هذا لا يلاحظ في الواقع إلا في الأجسام التابعة بعضها لبعض .

§ ٤ - لكن إذا أريد استيضاح الفعل والانفعال والاختلاط بجلاء لزم بالضرورة أيضاً دراسة ما هو التماس بين الأشياء . إن الأشياء لا يمكنها حقيقة

§ ٣ - كل فعل - عبارة النص غير محددة ولكن اضطرت كما فعل المصنف الى أن أكرر الكلمة عنها التي استعملت آنفاً - ديوجين - على تقدير "الأبلوني" . - كل العناصر لم تكن تأتي من واحد - عبارة النص تستخدم بالبساطة ضمير جمع فالترمت زيادة البيان في الترجمة . - لا فعل ولا قابلية للفعل - معنى فعل بعضها في بعض بالتكافؤ هذه تحتل الفعل التي تفعله تلك . - وكان يقول - أضفت هذه الكلمات لأن أسلوب النص يسمح بإضافتها . - الموضوع - معنى الجسم بعينه الذي يكون بالتناوب بارداً أو حاراً والذي مع بقائه يمكن أن تتغير حاله وكيفية وجوده . - كان يستنتج ديوجين - أضفت هذه الكلمات للسبب السابق . - موضوع لهاتين الظاهرتين - ليس النص على هذا التوسع . - التابعة بعضها لبعض - بمعنى أنها يمكنها أن يفعل بعضها في بعض . وربما أمكن ترجمة العبارة هكذا : "في الأشياء التي يوجد فيها تكافؤ بين بعضها والبعض الآخر" .

§ ٤ - بجلاء - أضفت الكلمة المفهومة بالسهولة من السياق والتي تم الفكرة . - بين الأشياء -

أضفت هاتين الكلمتين .

الفعل والانفعال أحدها بالآخر حين لا يمكنها التماس على التبادل . وإذا لم تكن قد تلامست سابقا بأى وجه ما فلا يمكنها أبدا أن تختلط أحدها بالآخر . فيلزم إذاً أولاً حدّ هذه الظواهر الثلاث التماس والاختلاط والفعل . § ٥ — فلنصدر عن هذا المبدأ : وهو أنه بالنسبة لجميع الأشياء التي فيها الاختلاط يلزم مطلقاً أنها يمكنها أن تتلامس بينها . وإذا كان الواحد يفعل والآخر ينفع بالمعنى الخاص فيلزم أيضاً أن يكون هذا التماس ممكناً . هذا هو سببنا في الكلام بادئ بدء على التماس . § ٦ — لكن كما أن أكثر الكلمات الأخرى هي مأخوذة على عدّة معان تارة بطريق التواطؤ وتارة بالاشتقاق من كلمات أخرى سابقة عليها كذلك يقع هذا التنوع في الاطلاق اللفظي بالنسبة للفظ التماس . ومع ذلك فإن التماس بالمعنى الخاص لا يمكن أن ينطبق إلا على الأشياء التي لها وضع ولا وضع إلا للأشياء التي لها مكان لأنه يلزم أن يعنى بالتماس وبالمكان كما يعنى الرياضيون سواء أكانا أى المكان والتماس منفصلين عن الأشياء أم كانا يوجدان بأى وجه ما .

— هذه الظواهر الثلاث — قد يمكن ترجمتها هكذا : ”هذه الكلمات الثلاث“ . فان عبارة النص غير محددة تماماً .

§ ٥ — بالمعنى الخاص — معنى هذا في شرح فيلوبون أن المقصود هنا هو التماس المادى المحض وقد يقال إن نيمجة تمس الذى وجهت اليه ولكن هذا المساس هو معنى محض . وليس هذا هو المعنى الذى يقصده أرسطو من المساس أو التماس اذ يطبقه على الأشياء . ر . ما سيحى . ف ١٠ . — أن يكون هذا التماس ممكناً — عبارة النص بالبساطة هي : ”وبالنسبة لهذه الأشياء يلزم أن يكون الأمر كذلك“ . فأثرت زيادة البيان .

§ ٦ — تارة بطريق التواطؤ — ر . أزل المقولات ب ١ ف ١ ص ٥٣ من ترجمتى . — بالاشتقاق — هذا هو ما يسمى بالمشتمقة أسماءها . ر . المقولات ب ١ ف ١ ص ٥٤ . — سابقة عليها — يعنى أبسط وأعم . وقد يمكن حمل هذا المعنى على مجرد التقدّم بالزمان . فان أصل الكلمة متقدّم على المشتق الذى يخرج منه . — هذا التنوع في الاطلاق اللفظي — ليس الأصل صريحاً هكذا . — كما يعنى الرياضيون — كان حق هذا أن يوضح وكان يلزم أن يقال بالضبط كيف يفهم الرياضيون التماس والمكان . — المكان والتماس — أضفت هاتين الكلمتين ليكون البيان أجلى . — أكانا منفصلين عن الأشياء — يرى فيلوبون أن هذا كان مذهب فيثاغورث الذى اتخذ أفلاطون مذهبا له اذا صدقت الانتقادات التى وجهها

وحيث إذا كان كما بين سابقا أن تماس هو أن تجتمع النهايات فيمكن أن يقال إن هذه الأشياء تتلامس على التي، وهي ذات أعظام وأوضاع معينة، نهاياتها مجتمعة معا .

§ ٧ - ولكن لما كان الوضع خاصا بالأشياء التي لها أيضا أين وكان الفصل الأول للأين هو الفوق والتحت مع المقابلات الأخرى من هذا القبيل، ينتج منه أن جميع الأشياء التي تتلامس يجب أن يكون لها ثقل أو خفة أو هاتان الخاصتان معا أو على الأقل إحدى الاثنتين . وهذه الأشياء من هذا النوع إنما هي القابلة للفعل وللأفعال فبين إذا بذاته أنه يجب استنتاج أن تلك الأشياء تتلامس بالطبع وأنها بما هي أعظام منفصلة ومتميزة فنهاياتها واقعة طرفا لطرف ويمكنها أحدها أن يحرك والآخر أن يتحرك على التكافؤ أحدهما بالآخر . ولكن لما أن المحرك لا يحرك بالطريقة عينها التي بها الشيء المحرك يحرك في دوره وأن هذا الأخير لا يمكن أن يحرك إلا بما هو واقع في الحركة هو نفسه في حين أن الآخر يمكنه أن يحرك مع بقائه

أرسطو الى نظرية المثل . — أم كانا يوجدان بأى وجه ما — مثلا في الأشياء التي لاتكون منفصلة عنها جوهريا . — كما بين سابقا — ر . الطبيعة ك ه ب ه ف ه و ٤ و ١٤ ص ٣٠٠ و ٣٠٤ من ترجمتنا . — أن تجتمع النهايات — عبارة النص هي: ”ما“ وهذه الكلمة تطلق على الاجتماع في المكان كما تطلق عليه في الزمان . — نهاياتها مجتمعة معا — الشأن في هذه الجملة كما هو في التنبيه السابق .

§ ٧ — الفصل الأول — يعنى الفصل الأظهر والذي يقرع الحواس بادئ الأمر . ر . الطبيعة ك ٣ ب ٧ ف ٢٨ ص ١١٤ من ترجمتنا . — مع المقابلات الأخرى من هذا القبيل — يعنى اليمين واليسار والأمم والخلف الخ . — ينتج منه — هذه النتيجة ليست حتمية فيما يظهر ولكن في نظريات أرسطو لما أن الحركة الى الفوق تستدعى الخفة والحركة الى التحت تستدعى الثقل فالجسم لا يمكن أن يكون له مكان الا اذا كان ثقيلًا أو خفيفا . — أو هاتان الخاصتان معا — هذا غير مفهوم الا على طريق المقارنة، فان جسما هو ثقيل بالنسبة لجسم معين وخفيف بالنسبة لآخر . — إحدى الاثنتين — على هذا في نظريات أرسطو أن الأرض ليس لها الا الثقل والنار ليس لها الا الخفة . وأما الهواء والماء فلهما في آن واحد الخفة والثقل تبعًا للمقارنتهما بهذين العنصرين الآخرين اللذين هما طرفان . — طرفا لطرف — عبارة النص هي ”ما“ كما سبق . — أحدها أن يحرك والآخر أن يحرك — عبارة

هو نفسه غير متحرك فمن البين أنه يمكننا تطبيق هذه التمايز عليها على الجسم الذي يفعل لأنه حتى في اللغة العامية يقال أيضا على السواء إن الذي يحرك يفعل وإن الذي يفعل يحرك .

§ ٨ — ومع ذلك يوجد هنا فصل ما . فينبغي التمييز : ذلك أن كل ما يحرك لا يمكنه دائما أن يفعل كما سنرى بالمقابلة بين ما يفعل وبين ما ينفعل فإن جسما لا ينفعل إلا في الأحوال التي فيها تكون الحركة تأثرا أو شهوة . ولا توجد شهوة إلا في حالة ما يكون بالجسم مجرد استحالة ، مثلا في حالة ما يصير حارا أو يصير أبيض . ولكن معنى التحريك له من السعة أكثر مما لمعنى الفعل . وحينئذ من البين أن المحركات أحيانا يجب أن تلامس الأشياء التي تحركها وأحيانا لا تلامسها .

النص على هذا الإيجاز وليست أكثر وضوحا . — مع بقائه هو نفسه غير متحرك — . ر . كل نظرية المحرك الأول غير المتحرك في الطبيعة ك ٨ ب ٧ و ٨ ص ٥٠٧ وما بعدها من ترجمتنا . ر . أيضا ما بعد الطبيعة ك ٧ ب ٨ ص ٢٠٣ ترجمة كوزان . — هذه التمايز عليها على الجسم الذي يفعل — ليس النص صريحا بهذا القدر . — وإن الذي يفعل يحرك — هذا الخلط بين الفعل وبين الحركة لا يفهم جد الفهم الا اذا اذكرت أنواع الحركة الثلاثة التي قررها أرسطو وهي الثقل والاستحالة والنمو . وبيّن أنه يوجد فعل في الثلاثة جميعا . ومع ذلك فإن أرسطو في الفقرة التالية قد عين فرقا بين فعل وبين حرك .

§ ٨ — التمييز — أو أيضا « أن يكون الحد مع التمييز » هذا هو معنى التعبير الاغريقي في قوته . — بالمقابلة — المعنى هاهنا ليس واضحا جدا . وهاك أكثر تفصيلا وبيانا : الفعل والتحريك ليسا حدين متساويين ومتكافئين فيلزم تمييزهما . ولأجل أن يفهم جيدا الفصل الذي يفصلهما يلزم مقارنة حدين آخرين : الفعل والانفعال . — كما سنرى ... فإن جسما لا ينفعل — عبارة النص غير محددة فلزم أن تكون الترجمة أكثر ضبطا . — تأثرا أو شهوة — ليس في النص الا كلمة واحدة . — مجرد استحالة — يعنى بدون أن يكون هناك ثقل ولا تغير في العظم بالزيادة أو بالنقص . — في حالة ما يصير حارا — النص أقل صراحة . فإن الجسم يكون في مجرد استحالة متى صار حارا بعد أن كان باردا أو أبيض بعد أن كان أسود . — له من السعة أكثر — فإن الحركة يمكن أن تكون بالثقل أو الاستحالة أو النمو . وأما الفعل فلا ينطبق الا على الاستحالة وحدها . — وحينئذ من البين — هذه النتيجة ليست من البيان على ما يظن المؤلف فيما يظهر ولا تنتج بوضوح مما تقدم .

§ ٩ — حد التماس مأخوذاً على أعم معناه ينطبق على الأجسام التي لها وضع بما أن أحد الجسمين في التماس يمكن أن يتحرك وبما أن الآخر يمكن أن يتحرك وبما أن المحرك والمتحرك ليس بينهما نسبة إلا لنسبة الفعل والانفعال . § ١٠ — في الأحوال الأكثر عادية الشيء الذي لمس يلمس الشيء الذي لمسه لأن كل الأشياء تقريبا التي يمكننا مشاهدتها هي واقعة في الحركة قبل أن تتحرك أيضا في دورها . وفي كل الأحوال يظهر أن هناك ضرورة الى أن الشيء الذي لمس يلمس الشيء الذي يلمسه . ولكننا نقول إنه قد يجوز أحيانا أيضا أن المحرك وحده يلمس الشيء الذي يعطيه الحركة ، وأن الشيء الملموس لا يلمس الآخر الذي يلمسه . ولما أن الأجسام المتجانسة لا تتحرك إلا متى حركت هي نفسها فيلزم فيما يظهر أن جسما ملموسا يلمس هو أيضا . وبالنتيجة إذا كان محرك ماء ، مع كونه هو نفسه غير متحرك ، يؤتى

§ ٩ — مأخوذاً على أعم معناه — وفي الوقت عينه على معناه الأخص . — ينطبق على الأجسام التي لها وضع — ر . ما سبق ف ٦ — أحد الجسمين في التماس — النص ليس صريحا هكذا . — الانسبة الفعل والانفعال — عبارة النص هي ”في الأشياء التي بينها فعل واقعال“ .

§ ١٠ — في الأحوال الأكثر عادية — يظهر أن كل هذه الفقرة استطراد لا يتصل لزوماً بتقديم . — التي يمكننا مشاهدتها — أو ”التي هي أمامنا“ . — قبل أن تتحرك أيضا في دورها — ليس النص صريحا هكذا ولكن المعنى لا ريب فيه . — لا يلمس الآخر — هذا يمكن معنويا كما يثبتته المثل الوارد في آخر الفقرة ولكن من الجهة المادية يتلامس الشيطان بالتبادل . ومن المحال أن شيئا يلمس آخر من غير أن يلمسه هذا الآخر . وان الفعل قد يأتي من جهة واحدة دون أن يقابل بمثله ولكن التماس كما يدل عليه لفظه هو دائماً متكافئ . وان مثل المحرك غير المتحرك ليس قاطعا لأن إصصال الحركة يمكن أن يقع على مسافة ومن غير تماس حقيق . — الأجسام المتجانسة — هذا التعبير مبهم قليلا . وقد فسره فيلوربون بأن فهم أن المقصود هو الأجسام المركبة من مادة واحدة بعينها لأنها بذلك تستطيع أن ترد الفعل الذي تقبله ر . ما سياتي في الباب السابع ف ٥ . — فيما يظهر — ربما كان الواجب أن يكون التعبير أكثر تأكيداً . — فيلزم أن يمس — إن نظرية المحرك غير المتحرك قد بسطت بإسهاب في الطبيعة ك ٨ وفي ما بعد الطبيعة ك ١٢ ب ٨ . فان المحرك غير المتحرك يعني الله ينقل الحركة التي يخلقها بطريقة مغايرة لما تنقل به الحركة للأشياء التي تدرکہا مشاهدتنا في هذه الدنيا وليس من المحتمل بهذا المعنى أن الله

الحركة، فيلزم أن يمس الشيء الذى يحركه دون أن يمسسه هو نفسه شيء . وعلى ذلك فى الواقع نقول أحيانا على الشخص الذى يؤذينا إنه يمسنا من غير أن نمسه نحن أنفسنا .

§ ١١ — ذلك ما كنا نبغى أن نقول على التماس معتبرا فى الأشياء الطبيعية .

يمس الكائنات كما تماس الكائنات بعضها بعضا . — يمسنا — هذا التعبير الذى اضطرت إلى أن أستعمله لا يظهر أنه مناسب تماما فى لغتنا وان كان أكثر مناسبة فى اللغة الاغريقية . ولكنه ليس الا على طريق المجاز فان هذا المس المعنوى لا دخل له فى التماس المادى الذى هو موضوع البحث فى هذا الباب كله .

§ ١١ — ذلك ما كنا نبغى أن نقول — يمكن تقريب هذه النظرية كلها بالنظريات التى ذكرت

ولكن باختصار فى الطبيعة ك ه ه ٥ ف ١٣ وك ٦ ب ١ ف ٢ فان المذهب فى الموضوعين واحد . — فى الأشياء الطبيعية — لا فى الأشياء المجردة والرياضية .

الباب السابع

نظرية الفعل والانفعال — آراء الفلاسفة — ديمقريطس هو الذى أجاد فهم هذا الموضوع — سبب خطأ الفلاسفة — الشبه لا يمكن أن يقبل أى فعل من الشبه — العلاقة الضرورية بين الفاعل والمنفعل — الشبه والفرق بينهما — توفيق رأيين متعارضين فى تمييز لفظى — المشابهة بين الحركة وبين ظاهرتى الفعل والانفعال — المحرك الأول يمكن أن يكون غير متحرك — الفاعل الأول يمكن أن يكون كذلك لا منفعلا — ختام نظرية الفعل والانفعال .

§ ١ — تعقبنا لما تقدم نوضح ماذا ينبغى أن يعنى بفعل وانفعل . ولقد تلقينا من الفلاسفة السابقين لنا نظريات متخالفات بينها فى هذا الموضوع . ومع ذلك فانهم متفقون بإجماع على أن الشبه لا يمكن أن يقبل شيئا من الشبه لأن الواحد منهما ليس أشد فاعلية ولا انفعالية من الآخر . وأن الأشباه لها كفياتها متمثلة مطلقا . ثم يزداد أن الأجسام غير المتشابهة والأجسام المختلفة إنما هى التى لها فعل وانفعال على طريق التكافؤ بعضها فى بعض . مثال ذلك حينما تطفأ نار بنار أكبر منها يزعم فلاسفتنا أن النار التى هى أقل انفعلت فى الواقع بمقتضى مقابلة الأضداد بما أن كثيرا هو ضد قليل .

§ ١ — بفعل وانفعل — لم يمكن أن أجد فى لغتنا عبارات تجعل كلمات النص أكثر وضوحا . وقد يمكن أن يترجم أيضا هكذا : ” أن يكون فاعلا وقابلا “ . بفعل وينفعل هما المقولتان الأخيرتان للمقولات العشر . ر . المقولات ب ٤ ف ١ و ٢ من ترجمتنا . — تلقينا من الفلاسفة السابقين لنا — يلاحظ فيولوبون أن أرسطو يبق على عهد طريقته العادية من بسط النظريات السابقة قبل بسط نظريته الخاصة . — أن الشبه لا يمكن أن يقبل شيئا من الشبه — ذلك هو أحد المبادئ التى قد يوجد منها عدد عظيم فى الفلسفة القديمة لا تستند الى مشاهدات واقية وليست إلا نتائج سابقة لأوانها ومنطقية محضة . — غير المتشابهة والأجسام المختلفة — هذا التكرير هو فى النص . — فعل وانفعال . أو إنما هى الفاعلة والقابلة . — بنار أكبر — يظهر أنه ليس هنا اختلاف حقيقى . فان النار الأقل هى تماما مشابهة للنار الأقوى من جهة كونها زيرانا و فقط إحداهما ألهمت الأخرى . ولكنه لا ينبغى التشدد فى طلب الضبط الى علم ذلك الزمان . — بما أن كثيرا هو ضد قليل — هذا حق ولكنه لا ينتج منه أن نارا صغيرة تكون ضدًا ل نار كبيرة . ومع ذلك هذا ما كان يجب أن يكون ليصير المثل صحيحا وحقيقا بالانطلاق .

٢ § — ديمقريطس هو الوحيد، خلافاً للجميع الآخرين، الذي قدّم في هذا رأياً خاصاً . فهو يقرّر أن هذا الذي يفعل وهذا الذي يقبل هو في الحقيقة مماثل ومشابه لأنه لا يوافق على أن أشياء مختلفة ومتغايرة تماماً يمكنها أن تقبل أياماً بعضها من بعض . وإذا كان بعض الأشياء، مع كونها متغايرة بينها ، لها بعضها على بعض فعل ما متكافئ فهذه الظاهرة ، على رأيه ، تقع فيها لا بما هي متخالفة بل بما هي على الضدّ من ذلك لها نقطة ما من المشابهة والمماثلة .

٣ § — تلك هي إذا الآراء التي قُوتت قبلنا . ولكن الفلاسفة الذين قرروها قد يظهر أنهم تناقضوا فيما بينهم . والسبب في اختلافهم في هذا الصدد هو أنه في مسألة يلزم فيها اعتبار مجموع الموضوع لم يعتبروا فيه هؤلاء وهؤلاء إلا جزءاً واحداً .

٤ § — وفي الحق أن ما هو شبيه تماماً ولا يغير مطلقاً بأى وجه ما لا يمكنه مطلقاً أن يحتمل شيئاً ولا أن يقبل شيئاً من قبل شبيهه . لماذا ، في الحق ، أن أحد الشئيين يفعل دون الآخر ! فإذا كان ممكناً أن الشيء يقبل بأى طريقة من شبيهه

٢ § — ديمقريطس هو الوحيد — يظهر أن أرسطو في جميع مؤلفاته يحفل كثيراً بديمقريطس وينظر بآه وهنا يعطيه الحق على الأقل بالجزء ضد جميع الفلاسفة السابقين . — رأياً خاصاً — كلمة النص ليس لها معنى محدود بهذا المقدار . وربما أفادت أن ديمقريطس قرر رأياً صواباً من بعض الوجوه ومعارضاً للنظريات السابقة . — من المشابهة والمماثلة — ليس في النص إلا كلمة واحدة .

٣ § — تلك هي إذا الآراء — قد يرى أن بسط الآراء السابقة موجز بعض الشيء ولكن يجب علينا في هذا الصدد أن نثق بصدق أرسطو الذي ما سعى البتة في الخط من أقدار أسلافه على رغم الهمة التي أتهمه بها باكون . — مجموع الموضوع — ليس النص على هذا القدر من الضبط . ومع ذلك فإن الفكرة التي يعبر عنها أرسطو هي عريقة في الصحة . وذلك يرجع الى القول بأن هذه المذاهب على العموم أولى بها أن تكون غير تامة من أن تكون باطلة .

٤ § — أن يحتمل شيئاً ولا أن يقبل شيئاً — ليس في النص إلا كلمة واحدة ، ولكن لما أنه يوجد فيه أداتان نفى أردت أن أوفيه القوة بالفعلين وأوان المعنى واحد تقريباً . — من قبل شبيهه — يعنى مما هو على جهة الاطلاق والمماثل مشابه له . — أحد الشئيين — زدت هاتين الكلمتين . — يفعل — أو يفعل . — يمكنه أن يقبل أيضاً من ذاته — يعنى يحتمل فعلاً يحده هو نفسه في نفسه ، وهذه النظرية دقيقة فيما يظهر . — مع التسليم بهذا — أو بعبارة أخرى إذا افترض أن

إذاً يمكنه أن يقبل أيضاً من ذاته . وحينئذ مع التسليم بهذا فينتج منه أن لا شيء في الدنيا يكون غير قابل للفناء ولا غير متحرك إذا فرض أن الشبيه بما هو شبيهه يمكنه أن يفعل ما دام حينئذ كل موجود أيّاً كان يمكنه أن يعطى الحركة لنفسه ويعطيها أيضاً على السواء للوجود المغاير تماماً والذي ليس له به تماثل ما . وفي الواقع أن البياض لا يمكنه أن يقبل أى فعل من قبل خط ولا أن خطأ يفعل بشيء من قبل البياض إلا ما ربما يكون بالعرض والواسطة : مثلاً في حالة ما إذا كان الخط بالمصادفة أبيض أو أسود . لأن الأشياء لا يمكنها أن تغير طبيعتها عفواً من تلقاء أنفسها متى لم تكن أضداداً بعضها لبعض أو غير آتية من أضداد .

§ ٥ — ولكن لما أن فعل وانفعل ليسا بالطبع خاصية أى جسم اتفق وأخذ بالمصادفة وأنهما لا يكونان إلا في الأشياء الأضداد بعضها لبعض أو التي بينهما تضاد ما فينتج من ذلك ضرورة أن الفاعل والقابل يجب أن يكونا شبيهين ومتحدّين بجنسهما بالأقل وأن يكونا غير متشابهين ومتضادين بنوعهما . على هذا تريد الطبيعة أن الجسم يقبل فعل الجسم والطعم يقبل فعل الطعم واللون فعل اللون، وعلى جملة من

الشبيه يفعل في الشبيه وأن شيئاً يفعل مباشرة في نفسه . — غير قابل للفناء ولا غير متحرك — قد قرر أرسطو دائماً أنه يوجد في الدنيا أشياء غير قابلة للفناء وأنه بالأقل المحرك الأول هو غير متحرك . — يمكنه أن يعطى الحركة لنفسه — ليس النص على هذا الضبط ويمكن ترجمته أيضاً هكذا : « نفسه وإن ما هو مغاير له تماماً وليس له معه أدنى تماثل يمكنه أن يعطيها لنفسه على السواء » . وقد ظهر لي أن المعنى الآخر أفضل من جهة النحو . — وفي الواقع — لا يظهر أن ارتباط المعاني هنا واضح . — البياض — الأمثلة لا يظهر أنها قد أحسن اختيارها . — من قبل خط — أو بالأولى سطح كما يفسره فيلويون . — بالعرض والواسطة — ليس في النص الاكلمة واحدة . — الخط — أو السطح . — عفواً من تلقاء أنفسها — ربما صحّت ترجمتها أيضاً « بالتبادل » .

§ ٥ — أى جسم اتفق وأخذ بالمصادفة — ليس في النص الاكلمة واحدة . — تضاد ما — ليس النص على هذه الصراحة . — بجنسهما ... بنوعهما — هذا التمييز سيصلح فيما بعد للتوفيق بين

القول أن شيئا مجانسا يمكن أن يقبل فعلا من قبل الشيء المجانس . والسبب فيه أن جميع الأضداد هي في جنس واحد، وأن الأضداد تفعل بعضها في بعض وتقبل بعضها من قبل البعض الآخر. إذا يلزم ضرورة أن، من وجه، الفاعل والقابل يكونان متشابهين وفي الحين عينه يلزم أيضا أن يكونا غير متشابهين ومتغايرين بينهما .

§ ٦ — ما دام إذا يلزم أن يكون الفاعل والقابل هما متحدين ومتشابهين في الجنس ولا متشابهين في النوع وأن هذه هي نسب الأضداد فينتج من هذا جليا أن الأضداد والأوساط تفعل وتقبل على طريق التكافؤ بعضها إزاء البعض الآخر. فان فيها مطلقا يحصل فساد الأشياء وكونها . لذلك فبسيط جدا أن النار تُسخن وأن البرد يبرد وعلى جملة من القول أنّ الشيء الذي يفعل يحيل الى ذاته الشيء الذي يقبل فعله .

ما دام أن هذا الذي يفعل وهذا الذي يقبل هما ضدان، وأن الكون هو على التحقيق تحوّل الشيء إلى ضده . ينتج منه أن بالضرورة الذي يفعل يتغير بهذا الذي يفعل . وعلى هذا النحو فقط يحصل كون مفضّ إلى الضد .

الآراء المتعارضة للفلاسفة السابقين . — يقبل فعل — أو بعبارة أخرى ماثلة لعبارة النص: " يقبل من الجسم " وهذا التعبير مع ذلك مبهم وكان الأولى إيضاحه . — مجانسا — أو من الجنس بعينه . ر .

ما سبق ب ٦ ف ١٠ . — اذا يلزم ضرورة — تكرير لما سبق آنفا بالحرف تقريبا .

§ ٦ — ما دام اذا ... الفاعل والقابل — تكرير آخر مساعد مع ذلك على إيضاح الفكرة أكثر منه على اطالها . — نسب الاضداد — ر . المقولات ب ١١ ف ٦ ص ١٢٢ من ترجمتنا .

— مطلقا — أو على العموم . — أن النار تسخن — ربما كان التعبير عاما جدا وربما كان يلزم ذكر مفعول كأن يقال مثلا : " تسخن الجسم الذي تفعل فيه " . — وأن البرد يبرد — هذا التكرير غير المفيد موجود كذلك بالنص . — يحيل الى ذاته — ها هنا أيضا العبارة قليلة الضبط ولو أن المعنى صحيح جدا . — تحوّل الشيء الى ضده — النص غاية في الإيجاز فاضطرت الى بسطه . — الذي يفعل يتغير بهذا الذي يفعل — قد يكون في العبارة بعض التجاوز لأن الشيء الذي يسخن لا ينقلب نارا . — مفضّ الى الضد — النص يستخدم تعبيراً يشعر بنوع من الحركة . وهذا الذي حاولت تحصيله في ترجمتي .

§ ٧ — هذا هو الذى يوضع جيدا كيف أن فلاسفتنا من غير أن يكرروا صراحة الأقوال أعيانها يمكنهم مع ذلك على الوجهين أن يصلوا إلى استكشاف الطبع والحق . وعلى هذا تقول تارة إنه الموضوع نفسه هو الذى يفعل متى قلنا إن فلانا يبرأ وإنه يدفأ وإنه يبرد وإنه يعانى انفعالات من هذا القبيل . وتارة أيضا نقول مثلا إن البرودة هى التى تصير ساخنة أو إن المرض هو الذى يصير الصحة وعلى الوجهين العبارة صادقة . § ٨ — والأمر كذلك أيضا فيما يخص الفاعل فإننا نقول أحيانا إنه هو فلان الذى يسخن الشيء الفلانى ومرة أيضا إن الحرارة هى التى تسخن . لأنه تارة هى المادة التى تقبل الفعل وتارة أيضا الضد هو الذى يقبل . على ذلك فانه بنظر الأشياء من هذه الجهة زعم بعضهم أن الموجود الذى يفعل والذى يفعل يجب أن يكون بينهما شئ من التماثل . وأن الآخرين بنظرهم الأشياء من جهة مخالفة زعموا أن الأمر على الضد من ذلك تماما .

§ ٧ — فلاسفتنا — عبارة النص أقل ضبطا . — الطبع والحق — ليس فى النص الاكلمة واحدة . — إنه الموضوع — يعنى الموجود الذى له الكيف المعد لأن يتغير بكيف مضاد . — البرودة — يعنى الكيف ذاته . وقد لا يكون التمايز بينا فى النص ولأنه على هذا التمايز يعتمد فى التدليل فكان الأثر أن يكون التعبير أظهر من هذا . وقد أجاد فيلوبون ايضاح هذه الفقرة كلها ولو أنه أطال فى الايضاح . — هى التى تصير ساخنة — فى هذا التعبير شئ من الغرابة فى النص وفى ترجحتى أيضا . — وعلى الوجهين العبارة صادقة — يعنى سواء قصد الى الموضوع أو قصد الى الكيفية نفسها التى تتغير .

§ ٨ — والأمر كذلك — يعنى أنه يمكن أن يجرى هذا التمايز بالنسبة للفاعل والقابل اللذين هما متعديان بالجنس ومختلفان بالنوع . — فلان الذى يسخن الشيء الفلانى — ليس النص على هذا القدر من البيان . — ان الحرارة هى التى تسخن — من جهة أنه هو الموضوع ومن جهة أخرى أنها هى الكيفية أو كما سيجىء بعد فى النص من جهة المادة ومن جهة أخرى الضد . — من هذه الجهة — يعنى بالنظر الى المادة التى هى مقولة بالاشتراك على الفاعل والقابل معا . — من جهة مخالفة — يعنى بالنظر الى الكيفيات المتضادة التى احداها تتغير الى الأخرى . — أن الأمر على الضد من ذلك تماما — ر . ما سبق بيانه فى آخر الفقرة الثالثة حيث يعيب أرسطو على كلتا النظريتين أنها لم تعتبر إلا جزاء من الموضوع الذى كان يجب فحصه فى مجموعه .

§ ٩ — ولكن التدليل الذى يمكن عمله لإيضاح ما هو يفعل ويفعل هو نفسه الذى به يوضع ما هو يحرك ويتحرك . وعلى ذلك لفظ المحرك يحمل أيضا على معنيين . فأولا الشيء الذى فيه يوجد مبدأ الحركة يشبه أن يكون المحرك مادام المبدأ هو أول العلل وثانيا إنما هو الحد الأخير بالاضافة الى الشيء الذى هو محرك والى كون الشيء . § ١٠ — وتطبق الملاحظة نفسها على الفاعل ، وعلى هذا النحو نقول على السواء إن الطبيب هو الذى يبرىء أو هو النيذ الذى أمر به للريض . وحينئذ لا شىء يمنع من أن المحرك الأول فى الحركة التى يعطيها يبقى هو نفسه غير متحرك . بل أحيانا قد تكون هناك ضرورة الى أن يكونه ولكن الحد الأخير يجب دائما لأجل أن يحرك أن يكون أولا قد حرك هو نفسه . § ١١ — وفى الفعل

§ ٩ — التدليل الذى يمكن عمله — الجملة فاقه بعض الشيء فى الترجمة كما هى كذلك فى النص . ولكن المعنى بين . فان يفعل ويفعل يستوضح معناهما كما يستوضح معنى يحرك ويحرك . — لفظ المحرك يحمل أيضا على معنيين — تبعا لما اذا كان القصد المحرك الأول والمحرك الابتدائى أو المحرك التابع الذى يمكن أن يكون الأخير والأقرب بالنسبة للمحرك أى الشىء المحرك . — الشىء . — اخترت التعبير بهذا اللفظ المبهم مجازاة للنص . — يشبه أن يكون المحرك — أو "يشبه أن يحرك" . — المبدأ هو أول العلل — بتعريف كلمتى المبدأ والعللة يتدئ الكتاب الخامس من كتاب ما بعد الطبيعة . — الحد الأخير — يعنى المحرك الثانوى الذى هو الأقرب الى المتحرك . — الشىء . — زدت هذا المضاف اليه ويمكن أن توضع بدله "الظاهرة" .

§ ١٠ — الملاحظة نفسها — النص أشد إبهاما . وبعبارة أخرى "أن لفظ الفاعل يمكن أن يحمل على معنى مزدوج مثل لفظ المحرك" . — الذى أمر به للريض — زدت هذه الكلمات التى ظهر لى أنها ضرورية لتسام الفكرة . فان الطبيب هو المحرك الأول والعللة الأولى للشفاء والنيذ الذى أمر به للريض هو المحرك الثانوى والعللة النجبة للصحة المستردة . — فى الحركة التى يعطيها — هنا رواية أخرى عديمة الأهمية استعملها بعض الناشرين ولكنها لا تساوى الرواية التى أثبتناها فى القيمة . — تكون هناك ضرورة — راجع نظرية المحرك الأول غير المتحرك فى كتاب الطبيعة ك ٨ ب ٦ و ٧ و ١٥ من ترجمتنا . الحد الأخير — "المحرك الأخير" .

أيضاً الحدّ الأول ليس متأثراً ولا قابلاً ولكن يلزم أن الحدّ الأخير، يمكنه أن يفعل، ينفعل أيضاً هو ذاته بفعل ما بادئ بدء . كل الأشياء التي ليست من مادة واحدة بعينها تفعل دون أن تقبل هي أعيانها وأن تظل غير قابلة . مثال ذلك صناعة الطب فانها مع فعلها الصحة لا تقبل أى فعل من قبل الجسم الذى تشفيه . ولكن الغذاء مع فعله الصحة يقبل ويلقى هو نفسه أيضاً متأثراً ما لأنه إتما أن يسخن أو يبرد أو يعانى انفعالا آخر كيفما اتفق فى حين أنه يفعل . ذلك لأنه من جهة الطب هو ها هنا ، بنحو ما ، كاللبدأ فى حين أن الغذاء ، بنحو آخر، هو الحدّ الأخير الذى يمس العضو الذى يفعل فيه . على ذلك حيثئذ كل الأشياء الفاعلة التي ليس لها صورتها فى المادة تبقى غير قابلة، وكل التي لها صورتها فى المادة يمكن أن تقبل فعلاما، ونقول أيضاً إن المادة هى واحدة على السواء بعينها بالنسبة لأى واحد ما من الحدّين المتقابلين ونعتبرها أنها بالنسبة لهما جنسهما المشترك . ولكن ما يمكنه أن يصير ساخنا يجب ضرورة أن يسخن حينما الشيء الذى يُسخن يكون حاضرا وقريبا منه .

§ ١١ — وفى الفعل أيضا — كما فى الحركة . — الحد الأول — عبارة النص غير محدودة أصلا . ويمكن ترجمتها أيضا "العلّة الأولى" . — ليس متأثراً ولا قابلاً — ليس فى النص الا كلمة واحدة . — يمكنه أن يفعل — زدت هذه الكلمات . — بادئ بدء — زدتهما أيضا . — التي ليست من مادة واحدة بعينها — هى والأشياء التي تفعل فيها . — لا تقبل أى فعل — عبارة النص "لا تقبل شيئا" . — يقبل وياقى — ليس فى النص الا كلمة واحدة . — تأثراً ما — عبارة النص غير محدودة . — يسخن ... يبرد — فى ظاهرة الهضم التي بها الجهاز الهضمي يتمله . — كاللبدأ — أو بوجهه ما المحرك الأول والمبدى . — هو الحد الأخير — هنا أيضا ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — التي ليس لها صورتها فى المادة — يعنى التي هى والقابل التي تفعل فيه ليست من مادة واحدة . هذا الأسلوب كثير التكرار عند أرسطو ولكنه هنا غير محل للشك بحسب شرح فيلوبون . فان القرينة تسوغ تفسير الشارح . — يمكن أن تقبل فعلاما — فى حين أنها تحدث فعلا فى الشيء الواقع تحت تأثيرها . — من الحدّين المتقابلين — أو بعبارة أخرى "بالنسبة للفاعل وبالنسبة للقابل" . — جنسهما المشترك — زدت الكلمة الأخيرة . ر . ما سبق فى الفقرة الخامسة . — الشيء الذى يسخن — عبارة النص غير محددة . — كما قلت آنفا — فى أول الفقرة السابقة . — المحرك الأولى — يعنى العلة أيا كانت التي هى أول ما يعين الحركة . وأظن

فانظر لماذا أن بين الأشياء التي تفعل بعضها ، كما قلت آنفا ، هو غير قابل والآخر على ضد ذلك يمكن أن يقبل وكيف أن الأمر واحد بعينه بالنسبة للفواعل كما هو بالنسبة للحركة ، فان هناك في الواقع المحرك الأولى هو غير متحرك وهنا بين الفواعل إنما الفاعل الأول هو غير القابل وبمعزل عن كل انفعال . § ١٢ — ولكن اذا كان الفاعل علة كما هي حال المحرك سواء بسواء فمن أين يجيء أن مبدأ الحركة ، أى الغاية التي من أجلها يحدث كل الباقي ، لا يحدث هو نفسه فعلا؟ مثال ذلك الصحة ليست فعلا ولا يمكن تسميتها كذلك إلا بالمجاز المحض . ومذ يوجد الفاعل ينتج منه أن القابل الذى يقبل الفعل يصير شيئا ما ، ولكن متى تكون الكيفيات حاصلة تماما وحاضرة فليس للفاعل أن يصير فانه قد كان كل ما يجب أن يكونه . إن صور الأشياء وغاياتها يمكن أن يقال إنها كيفيات وعادات في حين أن المادة إنما هي التي بما هي مادة قابلة تماما . على هذا حينئذ النار لها حرارتها في المادة واذا

أنه يلزم أن يخص اسم المحرك الأول بمبدأ الحركة الكلية . فانه لا يراد هنا الحركة جزئية تقوم بها محركات عديدة بعضها توابع بعض . — هنا — زدت هذه الكلمة لتكون المقابلة أظهر . — غير القابل وبمعزل عن كل انفعال — ليس في النص إلا كلمة واحدة .

§ ١٢ — الغاية التي من أجلها يحدث كل الباقي — أو : « اللذ » كما هي عبارة النص . — الصحة ليست فاعلا — لأنها الغاية التي ينشدها الطبيب والمريض . فالطبيب هو المحرك الأتول . والأدوية التي يأمر بها تفعل تحت أوامره لبلوغ الغاية التي هي الشفاء والصحة . — القابل الذى يقبل الفعل — ليس النص على هذه الصراحة . — يصير شيئا ما — يعنى يكسب كيفا جديدا يعطيه إياه الفعل الواقع عليه . — حاصلة تماما وحاضرة — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — كل ما يجب أن يكونه — أضفت هذه الكلمات إنما المعنى . — صور — أو «أنواع» . فان صور الأشياء هي طبعها الخاص والنهائى . — كيفيات وعادات — في النص كلمة واحدة . لان الكيفيات والعادات لما أنها أشياء مكتسبة ودائمة فليست محلا للتغير . فان الشيء هو ما هو . فليس يصير شيئا آخر بأن يكسب كيفية جديدة مخالفة . — قابلة تماما — من حيث إنها هي المادة التي تقبل على التعاقب الأضداد التي تتناوب عليها بالدور . — لها حرارتها في المادة — التعبير معلق قليلا على رغم الايضاحات التي تقدمت . — عن مادة النار — أضفت هذه الكلمات تكميلا للمعنى . — أن تقبل شيئا ولا أن تتأثر — ليس في النص الا كلمة واحدة . — عن النار

كانت الحرارة شيئاً ما قابلاً للانفصال عن مادة النار فلا يمكنها أن تقبل شيئاً ولا أن تتأثر . ولكنه محال من غير شك أن الحرارة تكون منفصلة عن النار التي تسخن وإذا كان ثم أشياء منفصلة بهذه المثابة فإن ما قلناه آنفاً لا يكون صادقا إلا بالنسبة لتلك .

§ ١٣ — وعلى الجملة نقف عند حد الاعتبارات المتقدمة في إيضاح ماهية فَعَلٍ وانفعل لبنين بأى الأشياء يتعلق أحدهما والآخرو بأى طريقة يكون الفعل والانفعال وكيف يكونان .

التي تسخن — أضفت هذه الكلمات . — ما قلناه آنفاً — أو بعبارة أخرى « هذه الأشياء تكون غير قابلة البتة ولا يمكنها أن تخضع لفعل أى كان » . ر . هذه النظرية نظرية الجواهر والصورة في الطبيعة ك ١ ب ٨ ص ٤٧٣ وما بعدها من ترجمتنا .

§ ١٣ — وعلى الجملة — النص ليس صريحا هكذا . ولكن هذه الفقرة هى فى الواقع محصل كل ما سبق . — وبأى طريقة... وكيف — هذا الجزء الخاص من المسئلة سيعالج أيضا فى الباب الذى يلى بطريقة أخص وأوسع مما ها هنا .

الباب الثامن

نقض النظرية التي تفترض أن الفعل والانفعال يحدثان في الجواهر المادية بالمسام — رأى الفلاسفة القدماء — استشهد من أميدقل — لوكيس وديمقريطس هما أقرب الى الحق — وحدة الوجود محال وكذلك ثباته — غرائب ضلالات الفلاسفة القدماء — عرض نظرية لوكيس — عرض نظرية أميدقل — مواطن الاتفاق والاختلاف بينها وبين نظرية لوكيس — استشهد من طيماوس أفلاطون — مقارنة بين أفلاطون ولوكيس — اعتراضات على نظرية أفلاطون وعلى نظرية الوحدة ونظرية الذرات — استحالة قبول وجود الذرات وفهم من أين جاءت الحركة — الرؤية من خلال الأوساط تصير غير قابلة للإيضاح — خاتمة نقض النظرية التي تفسر بواسطة المسام الفعل والانفعال في الأشياء .

§ ١ — لنعرض مرة أخرى كيف أن ظاهرتي الفعل والانفعال ممكنتان . من الفلاسفة من يرى أنه حينما يعاني شيء أثرًا ما على جهة الانفعال ، فذلك أن الفاعل الذي يفعل الأثر نهائيًا وبطريق الأصلية ينفذ في ذلك الشيء بواسطة مسام أو قنوات . يقولون إننا كذلك نرى وإننا نسمع وإننا ندرك جميع الإدراكات الأخرى للهواس . وفوق ذلك إذا أمكن أن ترى الأشياء من خلال الهواء والماء والأجسام الشفافة فذلك بأن هذه الأجسام لها مسام غير مدركة بالبصر لسبب صغرها ولكنها مع ذلك شديدة الانضمام مرصوفة بنظام وترتيب ، وكلما تكون الأجسام أكثر شفافية كان لها من هذه المسام عدد أكثر . § ٢ — وعلى هذا النحو استبان بعض الفلاسفة الأشياء كما فعل أميدقل مثلاً . وإيكن لم تُقصر هذه النظرية على

§ ١ ب ٨ ف ١ — مرة أخرى — ويمكن أيضًا ترجمتها : ” من جهة نظر أخرى “ . — ظاهرتي الفعل والانفعال — ليس النص واضحًا هكذا وقد أردت أن أجعله أبين خصوصًا في ابتداء باب . — من الفلاسفة من — يقصد الى أميدقل كما تدل عليه الفقرة التالية . — يعاني شيء أثرًا ما على جهة الانفعال — النص أكثر إيجازًا . — نهائيًا — راجع ما سبق ب ٧ ف ١٠ و ١١ — وبطريق الأصلية — لأنه يفعل بتماس مباشر وبلا واسطة . — مسام أو قنوات — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — ندرك ... الإدراكات — تكرر الكلمات هذا في النص . — هذه الأجسام — أو هذه العناصر لأن عبارة النص غير مأنة . — نظام وترتيب — ليس في النص إلا كلمة واحدة .

§ ٢ — كما فعل أميدقل مثلاً — وهو الذي يلزم أن ينسب إليه الرأي المعروض في الفقرة السابقة دون أن يذكر صاحبه . — على الفعل وعلى الانفعال — عبارة النص بالضبط هي ” الفاعلات

الفعل وعلى الانفعال بل زعم أن الأجسام لا تختلط إلا متى كانت مساهما متناسبة المقياس على طريق التكافؤ . وقد اختطّ لوكيس وديمقريطس بأحسن من غيرهما الطريق الحق وأوضحا كلا بكلمة واحدة بأن صدرا عن نقطة الابتداء الحقيقية التي يعينها الطبع . وفي الواقع أن بعض القدماء قد ظن أن الموجود هو بالضرورة واحد وغير متحرك فعلى رأيهم الخلو لا يوجد . وأنه لا يمكن أن توجد حركة في العالم مادام أنه لا يوجد خلو منفصل عن الأشياء . وكانوا يزيدون على ذلك أنه لا يمكن أيضا أن يوجد تعدد مادام أنه لا يوجد خلو يقسم الأشياء ويعزلها . على أن دعوى أن العالم ليس متصلا لكن الموجودات التي تؤلفه متماسة مهما كانت منفصلة فذلك يرجع الى القول بأن الموجود متعدد وليس هو واحدا وأن الخلو موجود . وأنه إذا كان الموجود هو مطلقا قابلا للقسمة في جميع الاتجاهات فن ثم لا توجد بعد وحدة

والمنفعلات “ أى الأشياء التي تفعل والتي تقبل الفعل . — متناسبة المقياس على طريق التكافؤ —
يعنى أن الجسمين يمكن أن يدخل أحدهما في الآخر بحيث يُحصل منهما مزيج حقيقى . وقد مثل فيلوبون
بالنبيذ والماء فان مساهما متناسبة القياس في رأيه مادام أن هذين السائلين يمتزجان . وعلى ضد ذلك
مسام النار ومسام الخشب فانها لما كانت غير متناسبة القياس كانت النار تفسد الخشب ولا تختلط به .
— بأحسن من غيرهما — أستخلص هذا المعنى من شرح فيلوبون . — نقطة الابتداء الحقيقية التي يعينها
الطبع — ليس النص على هذا الضبط تماما . — بعض القدماء . — يقصد پرمينيد ومدرسة إيليا كما يقول
فيلوبون . — فعلى رأيهم — أضفت هذه العارة التي مضمونها متمش مع سياق النص وكل ما هو وارد
الى آخر هذه الفقرة خاص برأى پرمينيد ومدرسة إيليا ذلك الرأى الذى هو مبسوط بطريقة قلقة وغامضة .
راجع مناقشة مشابهة لهذه وإبطالا للمذهب پرمينيد وميليسوس فى الطبيعة ك ا ب ٢ وما بعده ص ٤٣٣
من ترجمتنا . — وأنه لا يمكن أن توجد حركة — هذه النظرية على علاقات الخلو والحركة هى منسوبة
بالصراحة الى ميليسوس فى كتاب الطبيعة ك ٤ ب ٨ ف ٥ ص ١٨٩ من ترجمتنا . — مفصل عن
الأشياء — أضفت الكلمتين الأخيرتين . — وكانوا يزيدون على ذلك — هذه الكلمات ليست
صراحة فى النص ولكن هذا المعنى يفهم من سياق الجملة . — أنه لا يوجد خلو — ليس النص على هذه
الصراحة . — يقسم ... ويعزلها — ليس فى النص الا كلمة واحدة . — ليس متصلا —
وواحدا كما كانت تزعمه مدرسة إيليا . — مهما كانت منفصلة — ليس النص على هذا الوضوح . — اذا

لايِّ ما كان بحيث إنه لا يوجد أيضا تعدد . وأن الكل هو خلوكه ، يقولون ، إنه إذا فرض أن العالم شطره على نحو وشطره على آخر فذلك إيضاح أشبه ما يكون بفرض مجازف فيه لأنه حينئذ الى أى نقطة ولماذا الجزء الفلاني من العالم يكون كذلك ومليئا في حين أن الجزء الفلاني الآخر مقسوم؟ وبهذه الطريقة يوصل أيضا على رأيهم إلى تأييد أنه بالضرورة لا يوجد حركة في العالم .

§ ٣ — بالصدور عن هذه النظريات وبمعاندة شهادة الحواس والاستهانة بها بحجة أنه ينبغي اتباع العقل فقط انتهى بعض الفلاسفة إلى التصديق بأن العالم واحد غير متحرك وغير متناه لأنه إن لم يكن كذلك فإن الحد بحسبهم لا يمكن إلا أن يحاد الخلو .

§ ٤ — تلك هي إذا نظريات هؤلاء الفلاسفة وتلك هي الأسباب التي دفعتهم إلى فهم الحق على هذا النحو، ولا شك في أنه إذا استمسك بالتدليل العقلية المحضة فذلك يشبه أن يكون مقبولا ولكن إذا أريد اعتبار الحوادث الواقعية

كان الموجود هو مطلقا قابلا للقسمة — وأذا يؤول أمره الى لاشئ. بالقسمة نفسها التي ذهب بها الى اللانهاية . — فن ثم لا توجد بعد وحدة لأى ما كان — أو بعبارة أخرى وحدة الأشخاص تنعدم مع الأشخاص أعيانها ولما أنه لا يوجد بعد من ثم تعدد ممكن فالكل يكون خلوا . — شطره على نحو — يعنى أن الاتصال يكون في شطر العالم والخلو في الشطر الآخر . — يقولون — أضفت هذه الكلمة للدلالة على أن ذلك بقية ممارضات برمينيد وأصحابه . — على رأيهم — أضفتها للفرض المتقدم . — لا يوجد حركة في العالم — وهذا هو المبدأ الأساسى لمدرسة إيليا وهو أن الموجود واحد وغير متحرك . راجع نقض هذه النظرية في الطبيعة ك ١ ب ٢ وما يليه ص ٤٣٣ من ترجمتنا .

§ ٣ — بمعاندة شهادة الحواس والاستهانة بها — يلزم الانتباه الى هذه العبارات الشديدة التي توصى بقوة باتخاذ نهج المشاهدة دون النظريات المنطقية المحضة . راجع أيضا الفقرة السابقة . — بعض الفلاسفة — برمينيد وعلى العموم مدرسة إيليا . — ان لم يكن كذلك... بحسبهم — أضفت هذه الكلمات التي ظهر لي أنها ضرورية لبيان الفكرة . ومع ذلك فان الفقرة لا تزال غامضة ولم أرفلويون يفسرها في شرحه لأنه بلا شك لم يكن ليجد فيها أدنى صعوبة .

§ ٤ — الحق — ربما كان أحسن أن يقال "الحقيقة" . — التدليل العقلية المحضة — ليس النص على هذا القدر من التأكيد . — فذلك يشبه أن يكون مقبولا — أو أيضا : "أن الأشياء تشبه أن تمضى على هذا الوجه" . — إذا أريد اعتبار الحوادث الواقعية — راجع مقدمتي لكتاب الميتورولوجيا على نمط

فيوشك أن يكون من الجنون تأييد آراء كهذه . لأنه لا يوجد مجنون ذهب إلى هذه النقطة من الضلال أن يجد أن النار والثالج هما شيء واحد بعينه . ولكن خلط الأشياء الجميلة لذاتها والتي لا تظهر لنا كذلك إلا بالاستعمال من غير أن يرى فيها مع ذلك أى فرق ما بينها، ذلك لا يمكن أن يكون إلا نتيجة لتيه حقيق للعقل .

§ ٥ — فأما لوكيس فإنه كان يظنه محيطا علما بالنظريات التي ، مع كونها متفقة مع الحوادث الواقعية المدركة بالحواس ، لم تكن ، بحسب مذهبه ، لتتعرض للكون ولا للفساد ولا للحركة ولا للتعدد في الموجودات . ولكن بعد هذا التسامح الذى أسداه إلى حقيقة الظواهر قد أسدى غيره إلى أولئك الذين يقبلون وحدة الموجود بحجة أنه لا يوجد حركة ممكنة بدون الخلو . ويقبل القول بأن الخلو هو اللاموجود وأن اللاموجود ليس هو شيئا مما هو موجود . وإذًا، على رأيه، الموجود بالمعنى الخاص هو متعدد للغاية . والموجود على هذا المعنى لا يمكن أن يكون

المشاهدة عند القدماء وعلى الأخص عند أرسطو ص ٦ ٤ وما بعدها . — يوشك أن يكون من الجنون — من الصعب أن تعاب نظريات مدرسة إيليا العقلية المحضة بأكثر من هذه الشدة . — الأشياء الجميلة لذاتها — هذه النقطة لم يشرحها أيضا فيلوبون وفيها خفاء . فان كلمة النص التي ترجمتها ”الجميلة لذاتها“ فيها إبهام وهي تدل على الأشياء الطيبة كما تدل على الجميلة . وقد يكون المعنى أن أرسطو يعيب على مدرسة إيليا أنها تفسد قاعدة الأخلاق بحلها بين الخير والشر . وهذا المعنى هو الذى ارتآه بعض الشراح المتأخرين .

§ ٥ — فأما لوكيس — راجع عن آراء لوكيس وديمقريطس في الخلو كتاب الطبيعة ك ٤ ب ٨ ف ٣ وما بعدها ص ١٨٧ من ترجمتنا . ومع ذلك فان أرسطو يبين عليه هنا شدة الإبهام بلوكيس أكثر منه في كتاب الطبيعة حيث يقول عنه وعن أساتذته ”إنهما لم يظاأ عتبه المسئلة“ . — بحسب مذهبه — زدت هذه العبارة لإتمام الفكرة . — ولا للحركة ولا للتعدد — وبالجملة كل ما تشهد لنا الحواس بأنها حقائق يئمة . — الذى أسداه إلى حقيقة الظواهر — ليس النص على هذه الصراحة . — اللاموجود ليس هو شيئا مما هو موجود — يظهر أن هذا هو تكرير محض ولكنه وارد في النص . — على رأيه — أضفت هاتين الكلمتين . — متعدد للغاية — أظن أن هذا هو الرواية الحقة وهي متفقة مع سبك النص وفي بعض

واحدا . وعلى العكس أن هذه العناصر تكون غير متناهية في العدد وتكون فقط غير مرئية بسبب لطافة حجمها للغاية . ويزيد على ذلك لو كيبس أن هذه الجزئيات تتحرك في الخلو، لأنه يقبل الخلو، وأنها باجتماعها تسبب كون الأشياء وانهلالها تسبب فسادها، وأن الأشياء تفعل أو تتفعل تبعاً لما أنها تماس على طريق التكافؤ وأنها على ذلك ليست هي شيئاً واحداً بعينه ، وأنها بتركبها واشتباكها بعضها ببعض تكون العالم كله . ويستنتج لو كيبس من هذا أن التعدد لم يكن ليخرج البتة من الوحدة الحقة كما أن الوحدة لا يمكن أن تأتي أيضاً من التعدد الحق وأن كل هذا هو محال على الاطلاق من جهة ومن أخرى . وأخيراً كما أن أميدقل وبعض الفلاسفة الآخرين يزعمون أن في الأشياء الفعل الذي تقبله وتعانيه هو يحصل فيها بواسطة المسام فكذلك يرى لو كيبس أيضاً أن كل استحالة للأشياء وكل انفعال لها إنما يحصل على هذا النحو نفسه وأن الانحلال والفساد يكونان بواسطة الخلو، والنمو حاصل كذلك بواسطة الجزئيات الجامدة التي تدخل في الأشياء .

§ ٦ — وأما أميدقل فينبغي ضرورة أن يقول قول لو كيبس تقريباً لأنه يقول بأنه يجب أن يوجد جزئيات جامدة وغير قابلة للتجزئة إذا كانت المسام ليست متصلة مطلقاً . ولما أن هذا الاتصال للمسام محال لأنه حينئذ لا يمكن وجود شيء

النسخ "ملى، للغاية، ملى، بآتمام" وليس بين الروايتين إلا تغيير حرف واحد . — هذه العناصر — التزمت هنا أن أوضح التعبير الذي جعله النص غير محدد . — لطافة حجمها للغاية — تلك هي الذرات المقبولة أيضاً عند ديمقريطس استاذ لو كيبس . — ويزيد على ذلك لو كيبس — ليس النص على هذا الضبط . ولكن المعنى الذي أعطيه يستفاد من أسلوب الجملة الإغريقية نفسها . — شيئاً واحداً بعينه — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — العالم كله — أضفت هذه العبارة لكيلا أكرر ما قيل آنفاً . — ويستنتج لو كيبس من هذا — ليس النص على هذه الصراحة . — الذي تقبله وتعانيه — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — بواسطة المسام — ر . ماسبق ف ١ . — بواسطة الخلو — تكرر لما قيل آنفاً في هذه الفقرة نفسها . — التي تدخل — أو التي "تتولج" .

§ ٦ — وأما أميدقل — ر . ماسبق ف ٢ حيث يظهر أن أميدقل أنزل من أجل هذه النظرية في منزلة أدنى من ديمقريطس ولو كيبس . — جزئيات جامدة وغير قابلة للتجزئة — وفي هذا المعنى يقرب أميدقل من مذهب الذرات . — ليست متصلة مطلقاً — يعني تلامس مباشرة بعضها بعضاً . ولكن فكرة المسام عنها تستلزم ضرورة

جامد، إلا أن يكون هو المسام، والكل بلا استثناء لا يكون بعدُ إلا خلواً، فحينئذ يلزم على رأى أمبيدقل أن الجزئيات التي تتماس تكون غير قابلة للتجزئة وأن المسافات وحدها التي تفصلها تكون خلوات، وهذا هو ما يسميه المسام. وهذه الآراء هي أيضاً آراء لوكيبس في الفعل والانفعال في الأشياء.

§ ٧ — تلك هي الايضاحات التي أعطوها عن الوجه الذي تكون به الأشياء تارة فاعلة وتارة منفعة. وحينئذ يرى مبلغ ما عليه في الحقيقة هؤلاء الفلاسفة وكيف يعبرون آراءهم في هذا الصدد مؤيدين مذاهب تكاد تكون مطابقة للحوادث.

§ ٨ — ولكن في نظريات فلاسفة آخرين كأمبيدقل يلمح، بجلاء أقل، كيف يُدرك ككون الأشياء وفسادها واستحالتها والطريقة التي بها تقع هذه الظواهر. فعلى رأى البعض أن العناصر الأولية للأجسام هي غير قابلة للتجزئة ولا تختلف بينها إلا بالصور، ومن هذه العناصر تتركب الأجسام في البداية وإليها تُحلل في النهاية. ولكن من جهة أمبيدقل فقد يرى على كفاية الوضوح أنه يبلغ بكون الأشياء وفسادها إلى العناصر أنفسهم. على أنه كيف يمكن أن يكون وأن يفسد العظم المثلث لهذه العناصر؟ هذا هو ما ليس يَبْنَى البتة في مذهبه. بل

حواجز جامدة تفصلها وتغزها بعضها عن بعض. — هذا الاتصال للسام — النص ليس على هذا القدر من الصراحة وعبارة غير محددة. ولكن المعنى مع ذلك لا يمكن أن يكون محلاً للشك. — إلا أن يكون هو المسام — وربما كان أحسن «بجانب المسام». — على رأى أمبيدقل — زدت هذه الكلمات. — التي تتماس — وتكون بنوع ما حواجز للسام. — وحدها — هذه الكلمة ليست في النص ولكن ظهرت لي مفيدة في تمام الفكرة. — هي أيضاً آراء لوكيبس — نتيجة وتكرير لما قيل في أول هذه الفقرة.

§ ٧ — تارة فاعلة وتارة منفعة — أو أيضاً «تفعل وتتفعل». — هؤلاء الفلاسفة — هذا ينطبق بالأخص على لوكيبس وديمقريطس. — تكاد تكون مطابقة للحوادث — ر. ما سبق ف ٤.

§ ٨ — كأمبيدقل — هذا يشبه أنه مناقض لما قيل في ف ٦ حيث آراء أمبيدقل معتبرة لصيقة بآراء لوكيبس التي ووفق عليها. — فعلى رأى البعض — يعنى الفلاسفة الآخرين ما عدا أمبيدقل. — غير قابلة للتجزئة — هي الجواهر الفردة. — تتركب الأجسام في البداية — تكرير لما سبق.

— العظم — مهما كان. يعنى غير متناه في الصغر ما دام الأمر خاصاً بالذرات. — أن النار ذاتها

زيادة على ذلك أن هذا ما لا يستطيع تبيانه مادام أنه ينكر أن النار ذاتها عنصر كما ينكر أيضا على السواء وجود جميع العناصر الأخرى . وقد أيد أفلاطون النظرية عنها في طيماوس لأنه فضلا على أن أفلاطون يعبر في هذه النقطة مثل لو كيبس فإن أحدهما يقبل أن التي لا تتجزأ هي جوامد والآخر أنها ليست إلا سطوحا، وأن أحدهما يقرر أن جميع الجوامد التي لا تتجزأ هي محدودة بأشكالٍ عددها غير متناه والآخر أن لها أشكالا متناهية ومضبوطة . والنقطة الواحدة التي فيها يتفق الاثنان جميعا أنهما يقبلان وجود التي لا تتجزأ وتحديدها بأشكال .

§ ٩ — اذا كان حقاً أن من ذلك في الواقع تأتي أكوان الأشياء وفساداتها فمن ثم يوجد عند لو كيبس لادراكها طريقتان الخلو والتماس . وعلى هذا النحو، على رأيه، أن كل شيء قد يكون مميّزا ومنقسما . ولكن عند أفلاطون الأمر على الضد ليس إلا التماس وحده مادام أنه يرفض وجود الخلق . وقد تكلمنا في بحوثنا السابقة على مذهب السطوح التي لا تتجزأ، وأما الجوامد التي لا تتجزأ فليس ها هنا محل لفحص أطول من ذلك عن نتائج هذه النظرية التي ندعها الآن الى جانب .

عنصر — ر . فيما سأتى ك ٢ ب ٣ ف ٦ رأى أميدقل في النار التي هي على رأيه خليط وبالنتيجة ليست عنصرا حقيقيا . — وقد أيد أفلاطون النظرية عنها — النص أقل صراحة . — في طيماوس — ر . ترجمة كوزان ص ١٦١ و ١٦٧ وما بعدها . — إلا سطوحا — ربما لم يقل أفلاطون ذلك صراحة . ولكن هذا هو النتيجة الضرورية لنظرياته . — متناهية ومضبوطة — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — والنقطة الواحدة التي فيها يتفق الاثنان — ليس النص على هذه الصراحة . — وجود التي لا تتجزأ — لا يظهر أن أفلاطون يقبل مذهب الجواهر الفردة تماما على النحو الذي يظهر أن أرسطو يقوله هنا . § ٩ — فساداتها — أو "انفصالاتها" وكلمة النص ليست أكثر من ذلك ضبطا . — على رأيه — زدت هذه العبارة . — قد يكون مميّزا ومنقسما -- وضعت هاتين الكلمتين لأوفى قوة كلمة النص الواحدة . — الا التماس وحده — يعني أن السطوح بتلاصها تنتهي بأن تتركب الأجسام . ولا أدري هل هذا هو الحق معنى نظرية أفلاطون . — في بحوثنا السابقة — ر . كتاب السماء ك ٣ ب ١ ف ١٤ وخصوصا ب ٧ و ٨ حيث نظرية أفلاطون مقوضة بالتويل . — السطوح التي لا تتجزأ — هذا هو مذهب أفلاطون . — أما الجوامد التي لا تتجزأ — هذا هو مذهب الجواهر الفردة الذي هو مذهب لو كيبس وديمقريطس . — نتائج هذه النظرية — ليس النص بينا هكذا .

§ ١٠ — ولكن إذا نحن استطردها بعض الشيء نقول إنه ضرورة في هذه المذاهب كل ما لا يتجزأ فهو يجب أن يكون غير منفعل لأنه لا يمكن أن يكون منفعلا وقابلا أى فعل ما إلا بالخلق الذى هو غير مقبول عندهم ، وهو كذلك لا يمكنه أن يحدث أى فعل ما فى أى شىء انفق ما دام أنه لا يمكن أن يكون لا صلبا ولا باردا مثلا . وفى الحق أنه من السخف الاقتصار على تخصيص الحرارة بالشكل الكرى وحده فقط لأنه من ثم يكون بالضرورة الكيف المضاد ، أعنى البرودة ، يتعلق بشكل آخر غير الكرة . ولكن إذا كان هذان الكيفان يوجدان فى الأشياء ، أعنى الحرارة والبرودة ، فيكون من السخف الاعتقاد بأن الخفة والثقيل والصلابة والرخاوة لا يمكن أن تكون فيها أيضا . وإنى أعترف بأن ديمقريطس يزعم أن كل ما لا يتجزأ يمكن أن يكون أكثر ثقلا إذا كان أكبر حجما بحيث إنه ، بالبين بذاته أيضا ، يمكن أن يكون أكثر حرارة .

§ ١١ — ولكنه من المحال ، متى كان الأمر على ما يقال ، أن تلك التى لا تتجزأ لا تقبل تأثيرا ما بعضها من قبل البعض الآخر ، وأن ما هو متوسط الحرارة مثلا لا يقبل تأثيرا من قبل ما له حرارة أكثر منه للغاية . ولكن إذا كان الصلب

§ ١٠ — فى هذه المذاهب — أضيفت هذه الكلمات التى ظهرت لى ضرورة لانتمام الفكرة والتى يجيزها تفسير فيلوبون . — الذى هو غير مقبول عندهم — أضيفها للسبب المتقدم . — من السخف — هذا التعبير القاسى قد كرر عدة مرات فى هذه الفقرة ولكنه وارد فى النص كما هو فى الترجمة . — الشكل الكرى وحده فقط . — ر . طياوس أفلاطون ترجمة كوزان ص ١٥٣ و ١٦٧ وما بعدها . وربما لا تكون عبارة طياوس من التأكيد على ما يزعم أرسطو . — اذا كان أكبر حجما — النص هنا بين الدقة لما به من الایجاز . ويظهر مع ذلك أن كل الذرات قد يجب أن تكون متساوية بينها وأن إحداها لا ينبغى أن تكون أكثر ثقلا من الأخرى .

§ ١١ — على ما يقال — النص أقل بيانا . — لا تقبل تأثيرا — أولا تنفعل . — ما هو متوسط الحرارة — هذا هو الواقع المعلوم الذى هو توازن الحرارة . فان شيتين غير متساوي الحرارة بصيران متساويين بأن يفعل أحدهما فى الآخر . — ولكن اذا كان الصلب يقبل — ليس النص على

يقبل تأثيرا فالرخو أيضا يجب أن يقبل تأثيرا لأنه لا يقال على شيء إنه رخو إلا مع الاستحضار الذهني لفعل يمكنه احتمال ما دام الجسم الرخو هو بالضبط هذا الذي يطاوع الضغط بسهولة .

§ ١٢ — ومع ذلك ليس أقل سخفا ألا يقبل في الأشياء مطلقا شيء إلا الصورة وإذا تقبل الصورة فمن السخف ألا يفترض فيها إلا واحدة إما مثلا البرودة وإما الحرارة لأنه لا يمكن أن يوجد طبع واحد بعينه لهاتين الظاهرتين المتقابلتين .

§ ١٣ — وفي الحق أن من المحال أيضا على سواء أن يفترض أن الموجود مع بقائه واحدا يمكن أن تكون له عدّة صور لأنه بما هو لا يتجزأ قد يعاني تغييره المختلفة في النقطة عينها . و بالتيجة فعبتا ينفعل ، فيبرد مثلا ، وبهذا عينه يحدث أيضا فعلا آخر أو بل يقبل أى تأثير آخر اتفق .

§ ١٤ — يمكن استخدام هذه التنبهات أنفسها بالنسبة لجميع التغيرات الأخرى لأنه سواء قبل القول بجموادم لا تتجزأ أو قبل القول بسطوح لا تتجزأ فالنتائج تكون

هذه السعة . — يطاوع الضغط بسهولة — ر . الميتورولوجيا ك ٤ ب ٤ ف ٦ وما بعدها ص ٢٩٨ من ترجمتي .

§ ١٢ — ومع ذلك ليس أقل سخفا — هذا الانتقاد موجه على الأخص بغير شك الى أفلاطون . — الصورة — هذا التمييز محمول هنا على معنى مهم ما دامت القرينة تعين أن معنى الصورة أيضا الخاصة . وفي الواقع أن الحار والبارد خاصيتان وليستا صورتين بالمعنى الخاص . — لهاتين الظاهرتين المتقابلتين — أضفت الكلمة الأخيرة .

§ ١٣ — مع بقائه واحدا — ليس النص على هذه الصراحة . — تغييره المختلفة — زدت الكلمة الأخيرة . — في النقطة عينها — الكلمة التي استعملت في النص غير محددة فاضطرت الى زيادة الضبط . — يحدث أيضا فعلا آخر — المعنى ليس جليا وكان يقتضى توسعا في التعبير . — أى تأثير آخر اتفق — هنا أيضا ترجمتي أكثر ضبطا من النص .

§ ١٤ — بجموادم لا تتجزأ — هذا هو مذهب لوكيس وديمقريطس . — بسطوح لا تتجزأ — هذا هو مذهب أفلاطون . ر . ما سبق ف ٩ . — أن اللا متجزئة — عبارة النص ليست محددة تماما . — في اللا متجزئة — هذه هي عبارة النص بعينها .

هي أنفسها ما دام ليس ممكناً أن اللا متجزئة تكون تارة أكثر تخلخلاً وتارة أكثر كثافة إذا لم يوجد خلوف في اللا متجزئة .

§ ١٥ — وكذلك من السخف على السواء تماماً افتراض أن أجساماً صغاراً هي غير قابلة للتجزئة وأن أجساماً كباراً لا تكونه . ففي الحالة الحاضرة للأشياء يفهم العقل في الواقع أن الأجسام الكبرى يمكن أن تفتت بأسهل جداً من الصغرى مادام أنها تتحلل بدون عناء لأنها كبيرة وأنها تتلامس وتتصادم في كثير من النقط . ولكن لما ذا اللا متجزئة قد توجد مطلقاً في صغار الأجسام بالأولى من أن توجد في الجبار ؟ .

§ ١٦ — وفوق ذلك كل هذه الجوامد هل هي من طبع واحد بعينه أم هل هي تختلف بعضها عن بعض بما أن بعضها من النار والآخر من الأرض بحسب كتلتها ؟ فإذا لم يكن إلا طبع واحد بعينه لجميعها فاذا عسى أن تكون العلة التي قسمتها ؟ بل لماذا بتماسها لا تتجمع كلها بالتماس في كتلة واحدة بعينها كالماء حينما يلامس الماء ؟ فإن الماء الأخير المضان لا يختلف في شيء عن الماء الذي كان يتقدمه .

§ ١٥ — أجساماً صغاراً — الجواهر الفردة مفروض أنها على نهاية ما يمكن من الدقة بحيث تعرب عن مشاهدتنا . وقد استنتج أنها غير قابلة للقسمه لأنها أصغر من أن تقسم .
— ففي الحالة الحاضرة للأشياء — عبارة النص هي : « الآت » . — تتحلل — قد يكون أولى « تجزأ » . — وأنها تتلامس وتتصادم في كثير من النقط — ليس في النص الاكلمة واحدة . — مطلقاً — ليس في النص الإغريق الا هذه الكلمة وحدها والتعير أوجز مما ينبغي وكان يلزم التوسع فيه لجعل المعنى أبين من ذلك . فاذا كانت الجواهر الفردة غير قابلة للتجزئة بطبيعتها فصغرها وكبرها لا دخل له سواء كانت كبيرة أم صغيرة فانها تظل غير قابلة للتجزئة وعلى ما جعلها الطبع .

§ ١٦ — وفوق ذلك — رد آخر بعد الردود السابقة . — كل هذه الجوامد — المتبرة أنها جواهر فردة أو ذرات غير قابلة للقسمه . — بما أن بعضها من النار — على حسب ما يظهر أنه ينتج على الخصوص من النظريات المقررة في طيوس . — التي قسمتها — أو « فصلت بعضها عن بعض » . وهنا القسمه أو الفصل يشبه أنها ترجع أيضاً الى مجرد عدم المشابهة . — بتماسها — أو « بعد أن تلامست على طريق التبادل » . — في كتلة واحدة بعينها — عبارة النص غير محددة . — كالماء — المثل على الأقل واضح جداً لأن الماء ينضم

ولكن إذا كانت هذه التي لا تجزأ يختلف بعضها عن بعض فحينئذ ماذا تكون؟
بين بذاته أنه يلزم التسليم أن هذه هي مبادئ الظواهر وعللها أولى من أن تكون
مجرد أشكال لها . ومن جهة أخرى إذا قيل إنها مختلفة الطبع فحينئذ يمكنها
بتلاسمها المتبادل أن تفعل أو تنفعل بعضها بالآخر .

§ ١٧ — أكثر من ذلك، ماذا سيكون المحرك الذي يوقعها في الحركة؟ إذا كان
هذا المحرك مخالفا لها فحينئذ يكون ما لا تجزأ قابلا . وإذا كان كل ما لا تجزأ
يحرك نفسه فاما أن يصير قابلا للتجزئة بما هو محرك في جزء ومحرك في جزء آخر
واما أن يجتمع النقيضان في الشيء بعينه معا، وحينئذ تكون المادة واحدة لا بالعدد
فقط بل بالقوة أيضا .

إلى الماء بلا أدنى عناء . وإن الذرات يجب أن تجتمع بعضها مع بعض على هذا النحو بسبب تماثلها
الطبيعي . — الماء الأخرى — هذه هي عبارة النص بعينها . — المضاف — هذه الكلمة ليست في النص .
— فحينئذ ماذا تكون ؟ — هذا سؤال موجه إلى مذهب أفلاطون ومذهب لوكيس الذي يريد أرسطو
بلا شك أن يعيب عليه أنه لم يلح في هذه النقطة قدر الكفاية . — مجرد أشكال لها — المسلم بها في نظريات
أفلاطون ونظريات لوكيس . — إذا قيل — ليس النص على هذه الصراحة . — تفعل أو تنفعل —
في حين أنه في المذاهب التي يطن فيها أرسطو تُعتبر الجواهر الفردة غير قابلة للانفعال . ر .
ما سبق ف ١٠

§ ١٧ — ماذا سيكون المحرك الذي يوقعها في الحركة؟ — ليس النص على هذه السعة . — مخالفا لها —
يعنى أجنبيا منها وخارجا عنها . — ما لا تجزأ قابلا — وهو في النص أيضا بصيغة المفرد ولكن الجمع ربما
كان أولى . دام المقصود هو الجواهر الفردة . فان ما لا تجزأ يصير قابلا بما هو يقبل ويماثل
الحركة التي يوصلها إليه المحرك . — إذا كان كل ما لا تجزأ يحرك نفسه — من غير أن يتلقى الحركة
من الخارج . — محرك في جزء ومحرك في جزء آخر — قد وضح في "الطبيعة" أن المحرك الذي يعطى الحركة
الذاتية لنفسه يجب أن يفهم على أن له جزأين أحدهما يتلقى الحركة التي يعطيها له الآخر ، مع أنه يبقى بكنه
غير متحرك . ر . الطبيعة ك ٨ ب ٦ ف ٥ ص ٦٠١ من ترجمتنا . — في الشيء بعينه — وهو محال لأن
الضدين لا يجتمعان في آن واحد في شيء . واحد بل يجب أن يتعاقبا عليه . — بالعدد — أو بالخص .
— بل بالقوة أيضا — يعنى أنها يمكن أن تنفعل بالضدين معا . وكلمة بالقوة هنا ليس لها معناها المادى .

§ ١٨ — وحينئذ هؤلاء الذين يزعمون أن التغيرات التي تقبلها الأجسام تكون بحركة المسام يجب عليهم أن يتبهوا، لأنهم إذا سلموا بأن الظاهرة تقع حتى لو كانت المسام مليئة لاستعاروا حينئذ للمسام وظيفة غير مفيدة قطعاً مادام أنه إذا انفعل الجسم في هذه الحالة بالطريقة عينها يمكن افتراض أنه ، بدون أن يكون له مسام وبما هو نفسه متصل ، قد يمكنه أيضاً أن يقبل بالتمام كل ما يقبل .

§ ١٩ — ولكن كيف يمكن أن يحصل النظر بالطريقة التي يفسرها في هذا المذهب؟ ليس أكثر إمكاناً في الواقع أن يمر بالتماسات من خلال الأشياء الشفافة منه في خلال المسام إذا كانت المسام كلها مليئة . فإين يكون الفرق إذًا بين أن يكون لها مسام وبين ألا يكون لها البتة ما دام أن الكل سيكون مليئاً على السواء ؟ بل إذا كانت هذه المسام ذواتها مفترضة خالية وإذا كان فيها أجسام فحينئذ تعود الصعوبات أنفسها . ولكن إذا افترض أن المسام ذوات امتدادات صغيرة بحيث لا تستطيع بعد أن تقبل أي جسم اتفق فان من سفه الرأي أن يتصور أن الصغير

§ ١٨ — يجب عليهم أن يتبهوا — ليس النص على هذا القدر من الضبط فظننت واجباً على أن أقسم الجملة والفكرة لأجلهما أكثر بياناً . — حتى لو كانت المسام مليئة — أو "مملوءة" بالمواد التي يمكن أن تجتازها لتفعل في الأجسام وتغيرها بأية طريقة كانت . — انفعل... بالطريقة عينها — و يعانى الفعل الذى قد يعانى به بدون أن يكون له مسام أو اذا كانت المسام خالية . — كل ما يقبل — أضفنا هذه الكلمات .

§ ١٩ — النظر — من خلال الأوساط وكما قيل آنفاً "من خلال الأجسام الشفافة" التي هي مفترضة ذوات مسام يمر منها الضوء . — بالتماسات — حفظت عبارة النص على حالها مع كونها غامضة . ولم يك شرح فيلويون ليزيل هذا الغموض . وقد ينبغي أن يفهم أن الضوء إنما يلامس سطوح الأجسام الشفافة وينفذ فيها هكذا . — اذا كانت المسام كلها مليئة — بجسم يكون الضوء مضطراً لطرده أمامه ليأخذ مكانه ويجتاز الجسم الشفاف . — بين أن يكون لها مسام وبين ألا يكون لها البتة — ليس في النص هذا التردد الذى ظهر لى ضرور يا لتبيين الفكرة . — ما دام أن الكل سيكون مليئاً على السواء؟ — إما باتصال الجسم نفسه واما بامتلاء المسام . — هذه المسام — النص غير محدود تماماً . — الصعوبات أنفسها — التي جىء على بيانها . ويقال في الجزئيات الموجودة في المسام ما كان يقال أولاً في المسام أنفسها . — أن الصغير خال — حفظت بناء جملة النص على ما هو عليه . والمراد بالصغير هاهنا الجسم القليل الامتداد . — أن الخلو

خال وأن الكبير ليس كذلك مهما كانت سعته وأن يُتمشى بالاعتقاد إلى أن الخلو هو شيء آخر غير مكان الجسم بحيث إنه ، كما هو بين بذاته ، يلزم أن يكون الخلو دائماً على مقدار مساو للجسم نفسه .

§ ٢٠ — وعلى جملة من القول فانه غير مفيد افتراض مسام . فاذا كان جسم لا يفعل في آخر بمسّه فلن يفعل أيضا بأن يخرق مسام . وإذا كان إنما يفعل بالمس فينئذ ، حتى بدون مسام ، تفعل الأجسام أو تقبل الفعل كلما وضعها الطبع أحدها تلقاء الآخر في علاقة من هذا القبيل .

§ ٢١ — والحاصل أنه يرى من كل ما تقدم أن تصور مسام على الوجه الذي فهمها به بعض الفلاسفة إنما هو خطأ كامل أو فرض باطل . فإن الأجسام بما هي قابلة للتجزئة مطلقا في كل جهة فمن السخرية افتراض مسام مادام أن الأجسام بما هي قابلة للتجزئة يمكنها دائماً أن تنفصل .

هو شيء آخر غير مكات الجسم — الفكرة غامضة قابلا ولم أجد في شرح فيلو بون شيئا يوضحها على قدر الكفاية .

§ ٢٠ — وعلى جملة من القول — هذا هو محصل المناقشة السابقة . وقد استنتج أرسطو أن نظرية الفعل والاتفعال لا حاجة بها الى فرض المسام الذي تخيله بعض الفلاسفة . — في آخر — أضفت هاتين الكلمتين . — وإذا كان إنما يفعل بالمس — يعني بأن يلمس مباشرة الشيء الذي يقع عليه فعله . — كلما وضعها الطبع — ليس النص على هذا القدر من الضبط .

§ ٢١ — إنما هو خطأ — ملخص كل هذه المناقشة . — قابلة للتجزئة مطلقا في كل جهة — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — أن تنفصل — وتعمل لأنفسها مسام كما فسره فيلو بون .

الباب التاسع

تفاصيل جديدة على نظرية كون الأشياء. وعلى خواصها الفاعلة والقابلة — الأفعال التي تحصل عند التماس وعلى بعد — توضيح ديمقريطس غير الكافي — تحوّل أشكال الأجسام اذ تتغير بالحال دون أن تتغير بالمكان — خاتمة نظرية الفعل والانفعال .

§ ١ — أما نحن فإنا صاعدين الى المبدأ الذي طالما قررناه نعيد إيضاح الطريقة التي بها الكون والفعل والانفعال تقع في الأجسام . في الواقع إذا كان شيء له الخاصية الفلانية تارة بالقوة المحضة وتارة بالفعل وبالكمال وإذا كان يمكنه بالطبع أن ينفعل في واحد معين من أجزائه ولا ينفعل في الآخر ولكن في مجموعه ينفعل بنسبة ما له من هذه الخاصية ، فمن البين أنه سينفعل أكثر أو أقل تبعاً لما أن هذه الخاصية فيه أكثر شدة أو أقل . على هذا الوجه على الأخص قد يمكن بأكثر سهولة التسليم بوجود المسام ، وتكون حالها على ذلك في الأجسام كما هو الحال في المعادن تمتد أحيانا عروق متصلة من المادة القابلة لانفعال ما .

§ ٢ — على ذلك كلما كان الشيء متجانساً وكان واحداً كان غير قابل . ويُجرى هذا المجرى أيضاً متى كانت الأشياء لا تتلامس بينها أو لا تلامس أغياراً يمكنها

§ ٩ ب ف ١ — المبدأ الذي طالما قررناه — وهو التمييز بين ما هو بالقوة وما هو بالفعل كما سيرد في السطور الآتية . — بالقوة المحضة — أضفت كلمة « المحضة » . — بالفعل وبالكمال — ليس في النص الكلمة واحدة . فان التمييز بين ما هو بالقوة وما هو بالفعل هو أحد المبادئ الأساسية لمذهب المشائين . ولكن قد يرى أن تطبيقه هنا ليس واضحاً جداً ولا نافعاً جداً لا يوضح نظرية المسام . — وإذا كان يمكنه بالطبع ... — قد تركت للجملة اليونانية طولها كله لكيلا أعير تأليفها في النص . — قد يمكن بأكثر سهولة التسليم — عبارة النص ليست على هذا القدر من البان ولو أن عبارتي في الترجمة ليست على ما كنت أريد أن تكون من الجلاء . — وتكون حالها على ذلك في الأجسام — في الحق أنها لا تكون بعد مسام بل تكون فقط بعض أجزاء من مادة الجسم أكثر قابلية من غيرها لقبول الأثر الفلاني أو الفلاني . — كما هو الحال في المعادن — المشاهدة مع ذلك حقة . وليس ولا واحد الا شاهدها . — القابلة لانفعال ما — ليس النص على هذا القدر من البيان .

§ ٢ — كلما كان الشيء متجانساً وكان واحداً — أو بعبارة أخرى ألا يكون مستجماً الشروط المطلوبة لينفعل أو ليحدث فعلاً مادام أن الشيء لا يمكن أن يفعل في نفسه وكان الشبيه لا يفعل في الشبيه ولا يقبل

بطبعها أن تفعل أو تتفعل أعنى مثلاً أنه ليس فقط النار تسخن بالتماس ولكنها تسخن أيضاً على مسافة لأن النار تسخن الهواء والهواء يسخن الجسم لأن الهواء بطبعه يمكنه أن يفعل ويتفعل معا .

§ ٣ — ولكن متى يقال إن شيئاً يمكن أن يتفعل في واحد من أجزائه ويمكنه ألا يتفعل في آخر فينبغي إيضاح ما ذا يُعنى بذلك بعد الحد المعطى في المبدأ، فإذا كان في الواقع العظم ليس هو مطلقاً قابلاً للتجزئة في جميع الجهات لكن فيه شيئاً ما جسماً كان أو سطحاً يكون غير قابل للتجزئة فيه فقد ينتج من ذلك أنه لا يوجد بعد من عظم يمكن أن يكون بأكمله قابلاً، بل قد لا يكون بعد من شيء أمكن أن يكون متصلاً . وحينئذ إذا كان ذلك خطأ وكان كل جسم قابلاً للتجزئة دائماً فلا يهيم بعد أن يكون الجسم مقسوماً فعلاً وبهذه الصفة قابلاً للتماسات أو يكون

منه . — كان غير قابل — بعزل عن كل فعل وكل انفعال أت من ذاته . — لا تتلامس بينها — بلا واسطة . — أولاً تتلامس أغياراً — تصلح إذا كوسطاء للوصول إلى الشيء الذي عليه يقع الفعل . — أن يفعل — بأن ينقل إلى الجسم الحرارة التي تلقاها . — ويتفعل — بأن يقبل مباشرة حرارة النار التي يجب أن ينقلها .

§ ٣ — متى يقال — يمكن ترجمتها أيضاً ”متى أقول“ فان الفرق بينهما غير بين في النص . — بعد الحد المعطى في المبدأ — قربت الترجمة من النص بقدر ما استطعت ولكن الفكرة لا تزال غامضة ولم يفسر شرح فيلوبون في جلائها شيئاً . — فقد ينتج من ذلك — عبارة النص ليست مضبوطة ولكن هذا المعنى يظهر أنه ينتج لزوماً مما يلي . — يمكن أن يكون بأكمله قابلاً — ر . الفقرة السابقة . — أمكن أن يكون متصلاً — لأن الذرات منزلة بعضها عن بعض وما دامت منفصلة هكذا لا يمكن أن يكون لها الاتصال الذي هو ضروري لتأليف جسم . — وكان كل جسم قابلاً للتجزئة — هذه هي نظرية أرسطو المبسوطة مراراً في ”الطبيعة“ . — مقسوماً ... قابلاً للتجزئة — هذا هو ما بالفعل وما بالقوة . — في نقط التماس — عبارة النص هي: ”بحسب التماسات“ . — لا شيء مما هو محال يكون أبداً — هذا المبدأ يدهى للغاية ولكن لا يرى وجه اتصاله بما سبق . وقد أفرغت جهدي في استجلاء هذه الفقرة فلم أنجح ولم أجد الشراح بما فيهم سان توماس قد نجحوا في ذلك أيضاً . وهالك تفسيراً يساعد بالأقل على تسلسل المعاني: ”لكي تفسر ماهية الفعل والانفعال في الأشياء يلزم التسليم بأنه من المحال أن شيئاً يقبل فعلاً ما“ ”في واحد من أجزائه ولا يقبله في الجزء الآخر. فالشيء إما أن يكون بأكمله قابلاً وإما أن يكون بأكمله فاعلاً.“

بالبساطة قابلا للتجزئة لأنه مادام يمكن أن يكون مقسوما في نقط التماس، كما هو المدعى، يمكن اعتباره كأنه مقسوم حتى قبل أن يكونه ويكون قابلا للقسمة مادام أنه لا شيء مما هو محال يكون أبدا .

§ ٤ — وإن ما يجعل سخيفا تماما تقرير أن الفعل والانفعال يحصلان على هذا النحو بشق الأجسام هو أن هذه النظرية تمحو الاستحالة وتفسدها. وعلى هذا نحن نرى أن جسما بعينه دون أن ينقطع عن أن يكون متصلا هو تارة سائل وتارة متجمد دون أن يقبل هذا التحول لا بقسمة أجزائه ولا باتحاده ولا بنقلتها ولا بتماسها كما يزعم ديمقريطس . لأن الجسم ما كان ليغير وضعه ولا ليغير مكانه ولا ليغير طبعه ليصير متجمدا بعد أن كان سائلا . وليس يرى أيضا أن الأشياء المتصلبة والمتجمدة تكون حالا غير قابلة للقسمة في كتلتها بل الجسم بأكمله يكون على السواء سائلا وأحيانا يصير بأكمله صلبا ويتجمد .

”فاذا سلم بالذرات فينشد يمكن ألا يكون الشيء بعد قابلا بكيته ولكن بذلك أيضا ينقطع عن أن يكون“
 ”متصلا . وإذا فذهب الذرات باطل . وكل عظم هو دائما وعلى الاطلاق قابل للقسمة دون أن يمكن“
 ”الوصول الى جزئيات لا تنجز . ويكاد لا يهيم ما اذا كانت القسمة واقعة ماديا أو ممكنة امكانا مجردا“
 ”على وجه ذهني صرف . ويكفي إمكان حصولها ليكون الجسم الخارج منها له دائما وحدته وأن يكون“
 ”بالنتيجة في مجموعه إما فاعلا وإما قابلا“ .

§ ٤ — الفعل والانفعال — النص غير محدد تماما ولكني أحدد المعنى اعتمادا على تفسير فيلو يون .
 — على هذا النحو — يعني بواسطة المسام التي افترضها بعض الفلاسفة . — بشق الأجسام — حفظت عبارة النص بعينها ، فان الأجسام هي بنحو ما مشققة بالمسام التي تُخللها . — تمحو ... وتفسدها — ليس في النص الالكلة واحدة . — الاستحالة — يعني أن في هذا المذهب لا يمكن إدراك ظاهرة الاستحالة . — دون أن ينقطع عن أن يكون متصلا — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — تارة متجمد — يضرب فيلو يون مثلا لذلك اللبن الذي هو تارة سائل وتارة متجمد . وقد يمكن الظن ببعض الشراح أن المقصود أيضا هو الماء فانه تارة سائل وتارة جليد . — بتماسها — على تقدير بأجسام أخرى . — كما يزعم ديمقريطس — وفي الحق هذه هي كل ما ينسبه ديمقريطس الى الذرات من الخواص . — متجمدا — أو جليدا . — حالا — أى في النظام الحال للطبع . — غير قابلة للقسمة في كتلتها — يفهم سان توماس من هذا أنه لا حاجة بأن تتجمد الأشياء أو تتجلد الى أن تدخلها ذرات غير قابلة للقسمة بل هي تكابد هذا التغير في جوهرها الذاتي . — على السواء — أى في جميع أجزائه بدون أن بعضها يعانى التغير الذي تقاومه الأخرى .

§ ٥ — وأخيراً ، في هذا المذهب قد لا يمكن بعدُ وجود نمو الأشياء ولا اضمحلالها لأنه لا جسم يمكن أن يصير أكبر إذا لم يكن هناك إلا مجرد إضافة وإذا لم يتغير بكله على أثر اختلاط بشيء أجنبي أو على أثر تغير ما يحصل فيه .

§ ٦ — ونحن نقتصر على ما أتينا به من القول فيما يتعلق بكون الأشياء وفعالها وتناسلها وتحولاتها المتكافئة . وهذا يكفي على سواء ليفهم على أى النواحي هذه النظريات تكون ممكنة وكيف لا تكونه بحسب الايضاحات التى أعطيت عنها حياناً .

§ ٥ — في هذا المذهب — أضفت هذه الكلمات لتبين الفكرة . — قد لا يمكن بعد وجود — يعنى أنه لا يمكن توضيح ماهو نمو الأشياء أو اضمحلالها . — إلا مجرد اضافة — بأن تأتى الذرات فتتضم الى الجسم لتنمية وتزيد حجمه أو أنها تنسحب منه لتقصه أو لتهلكه . — بشيء أجنبي — أضفت الكلمة الأخيرة . — يحصل فيه — النص ليس على هذا القدر من الضبط .

§ ٦ — نقتصر — هذا ملخص مضبوط لكل هذا الباب والأبواب السابقة من أول الباب السابع . وإن أرسطو بعد أن فسح مكاناً لتوضيح المذاهب الأخرى لم يكدهفسح لمذهبه الخاص من الإيضاح ما كان يستدعيه من البيان والإطنا ب .

الباب العاشر

نظرية الاختلاط — من الفلاسفة من أنكروا أن الأشياء أمكنها أن تختلط فيما بينها — إبطال هذه النظرية — المعنى العام لشروط الاختلاط — الطبع المختلف للأجسام المختلطة — الفرق بين الاجتماع وبين الاختلاط الحق — لكن يوجد اختلاط بين الأشياء يلزم أن يوجد بينهما تجانس بل شيء من تناسب — النقطه من النيذ في كمية من الماء — سهولة الاختلاط أو صعوبته تبعاً للتخالف في طبع الأشياء وصورته — خاتمة نظرية الاختلاط .

§ ١ — بقى علينا أن ندرس ما هو اختلاط الأشياء . وستبغ هاهنا النمط عينه كما فيما سبق لأن هذا هو ثالث الموضوعات التي تصدينا لفحصها في بداية هذه البحوث . يلزم إذاً أن ننظر ما هو الاختلاط وما هو الشيء القابل لأن يُخلط وما هي الأشياء التي يمكن أن يقع الاختلاط بينها وكيف تتحقق هذه الظاهرة .

§ ٢ — ومن جهة أخرى يمكن أيضاً أن يتساءل عما إذا كان يوجد حقيقة بالفعل اختلاط للأشياء أو أن هذا ليس إلا ضلالاً . لأنه يمكن أن يظن أن شيئاً لا ينبغي ألبتة أن يختلط بآخر كما يزعم بعض الفلاسفة . يقولون إنه في الواقع حينما الأشياء التي اختلطت تبقى بعد أيضاً ولم تكن لتستحيل لا يمكن أن يقال إنها الآن أكثر اختلاطاً مما كانته من قبل ، ولكنها دائماً في الحال بعينها . فإذا أخذ أحد الشئيين أن يبيد في الاختلاط لا يمكن بعد أن يقال إنهما اختلطا ولكن فقط إن أحدهما

§ ب ١٠ ف ١ — ثالث الموضوعات — أى مع الكون والفساد ومع الفعل والافتعال . — في بداية هذه البحوث — فيما سبق ب ١ ف ١ لم يتكلم أرسطو إلا على الكون والنمو والاستحالة . وكان يظهر أن هذه هي الثلاثة الموضوعات التي عوّلت على الاشتغال بها . ولست أرى أنه نبه في أى موطن آخر على نظرية الاختلاط . — ما هو الاختلاط — الأسئلة الموضوعة هنا على الاختلاط هي مماثلة للأسئلة التي وضعت فيما سبق على الكون ب ١ وعلى الفعل ب ٧ . ومن هذه الجهة فإن المؤلف مصيب في قوله إنه يتبع النمط الذي أتبعه من قبل .

§ ٢ — ومن جهة أخرى — من المذاهب ما ينكر أن اختلاط الأشياء يمكن البتة . وتلك المذاهب هي على ما يظهر تلك النظريات التي يلزم مناقشتها بادئ بدء لأنها تذهب الى حد إنكار المسئلة والقضاء

يوجد وإن الآخر لا يوجد بعد، في حين أن الاختلاط لا يمكن في الحق أن يقع إلا بين شيئين يوجدان على السواء . ويزيدون، أخيراً، على ذلك أنه لا يوجد بعد اختلاط، بهذا السبب عينه، إذا كان الشيطان اللذان يجتمعان يفسدان كلاهما بالاختلاط لأنه من المحال قطعاً أن أشياء لم تكن بعد البتة يمكنها أن تختلط .

§ ٣ — هذه النظرية، كما يرى، الغرض منها أن يتعين فيماذا يختلف اختلاط الأشياء عن كونها وعن فسادها . وأيضاً في أى شيء يختلف الشيء المختلط عن الشيء الكائن وعن الشيء الفاسد، لأنه من البين أنه ينبغي أن يكون الاختلاط مغايراً بافتراض أنه واقع بالفعل . ومتى وضحت هذه المسائل تحلّ المسائل التي وضعناها لأنفسنا من قبل .

§ ٤ — ذلك هو السبب في أنه لا يمكن أن يقال إن المادة اختلطت بالنار التي أحرقتها حتى ولا إنها تختلط بها وقت ما تحرقها، كما أنه قد لا يمكن أن يقال إنها تختلط بنفسها في أجزاء النار كما لا تختلط بالنار نفسها . بل يقال ببساطة إن النار تكوّنت وإن المادة القابلة للاحتراق قد فسدت . كما أنه لا يمكن أيضاً أن يقال

عليها . — بعض الفلاسفة — لا شيء . يعين في هذا الباب من هم هؤلاء الفلاسفة بالضبط . — يقولون — أضفت هذه الكلمة التي تفهم من السياق مادام أن الذي سيعدّد فيما يلي إنما هي الأدلة على نفي إمكان الاختلاط . — يزيدون ... على ذلك — أضفت هذه الكلمات للسبب المتقدم .

§ ٣ — عن كونها وعن فسادها — ر . ما سبق ب ١ وما يليه . — ومتى وضحت هذه المسائل — تلك هي أدلة الفلاسفة الذين ينكرون الاختلاط . — تحلّ المسائل التي وضعناها لأنفسنا من قبل — في بداية هذا الباب عينه .

§ ٤ — ذلك هو السبب — . هذا فرق بين الاختلاط وبين الكون أو الفساد . — المادة — حصلت كلمة النص بعينها ، ولكن المادة هنا معناها الجسم القابل للاحتراق : الخشب أو أية مادة أخرى تغذى النار . — إنها تختلط بنفسها — يعنى أن الخشب يختلط بالخشب . — في أجزاء النار — أضفت الكلمة الأخيرة . — كما لا تختلط بالنار نفسها — قد اتقيت بقدر ما استطعت التكرير الموجود في النص واعتمدت في إيضاح هذه الفقرة كلها على تفسير فيلوبون . — تكونت فسدت — حصل فيه كون لأحدهما وفساد للآخر ولكنه لم يحصل فيه اختلاط . — كما أنه لا يمكن أيضاً أن يقال — هذا فرق بين الاختلاط وبين الزيادة .

لا عن الغذاء ولا عن صورة الخاتم إن الأولى باختلاطها بالجسم والثانية باختلاطها بالشمع قد أعطتا شكلا ما للكلمة بتمامها . ينبغى الاعتراف أيضا بأنه لا الجسم ولا البياض ولا، بالاختصار، كفيات الأجسام وتغايرها يمكنها أن تختلط بالأشياء ما دام أنه يرى على الضد من ذلك أن الاثنين يبقيان . كذلك أيضا البياض والعلم في الواقع لا يمكنهما أن يربكا خليطا ولا أيضا أى واحد من الكيفيات أو الخواص التى ليست قابلة للانفصال .

§ ٥ — وأيضا يخدع نفسه من يقرر أن الأشياء جميعها كانت سابقا مندمجة وأن الكل قد وجد مختلطا لأن كلا لا يمكن البتة أن يختلط بكل على السواء . يلزم دائما أن كلا الشئيين اللذين يختلطان يمكن أن يبقى على حدة . وحينئذ فإن كفيات الأشياء لا يمكنها أن تكون منفصلة عنها أبدا . ولكن لما أن من بين الأشياء بعضها تكون بالقوة المحضة والآخر بالفعل المحض فيتبع من ذلك أن الأشياء التى تختلط يمكنها من جهة أن تبقى بعدُ ومن جهة أخرى ألا تبقى . فإذا كان في الواقع انخيلط الحاصل من الاختلاط هو شيئا مخالفا فانه يكون كذلك دائما بالقوة للشئيين اللذين كانا

— صورة الخاتم — أضفت الكلمة الأخيرة التى يدل عليها السياق فيما يلى . وربما كان اختيار المثلين غير حسن لأن الغذاء يمكن أن يعتبر كأنه مختلط بالجسم الذى يحميه . ولكن بالديهية طابع الخاتم لا يختلط به . — لا الجسم ولا البياض — حفظت عبارة النص على إيجازها ، فان البياض والجسم الذى هو أبيض لا يختلطان ولكن البياض هو في الجسم . — كفيات الأجسام وتغايرها — التى هى في الأشياء . ولكن بدون أن تختلط بها . — أن الاثنين يبقيان — عبارة النص أكثر إبهاما ، ويجب أن يعنى بالاثنين الجسم والكيفيات التى تكيفه . — البياض والعلم — يعنى كفيين عوضا عن جسم وكيف . — الكيفيات أو الخواص — النص غير محدد البتة . — التى ليست قابلة للانفصال — على تقدير « عن الموضوعات التى هى فيها » وكل هذه الفقرة مغلقة جدا بل ربما كانت دقيقة فيما يظهر .

§ ٥ — وأيضا يخدع نفسه — هذا نقد موجه الى أنكساغوراس الذى كان يرى أن جميع الأشياء في الأصل كانت مختلطة في العاء قبل أن يأتى العقل ويرتب العالم . ر . الطبيعة ك ١ ب ٥ ف ٤ حيث تنقض نظرية أنكساغوراس ص ٥٥٥ ٤ من ترجتنا . — كفيات الأشياء . — ر . الفقرة السابقة . — بالقوة المحضة ... بالفعل المحض — أضفت الصفتين . — شيئا مخالفا — للشئيين اللذين يكونان

يوجدان قبل أن يختلطا وقبل أن ينعديما في الخليط . وهذا إنما هو على التحقيق الجواب على المسئلة التي أثارها النظرية التي تكلمنا عليها آنفا . ويظهر أن الأخلط تتألف من أشياء كانت من قبل منفصلة ويمكن أن تكونه أيضا من جديد . وعلى ذلك الأشياء المختلطة لا تبقى بالفعل كما يمكن ويبقى الجسم والبياض الذي يشخصه . وليست هي كذلك تكون فاسدة ، سيان أحد الاثنين على حياله والاثنان جميعا معا ما دامت قوتها محفوظة دائما .

§ ٦ - ولكن لنعد هذا الى ناحية ولننتقل الى المسئلة الآتية التي تعصر في معرفة ما إذا كان الاختلاط هو شيئا يمكن حواسنا أن تدركه . مثال ذلك حينما الأشياء المختلطة تكون مقسومة الى أجزاء من الصغر بمكان وتكون موضوعة على قرب بعضها عند بعض حتى لا يعود أحدها مميذا من الآخر بوجه محسوس فهل يوجد فيها حينئذ أخلط أو لا يوجد؟ ولكن أليس ممكنا أيضا أن في الخلط الأشياء كيفما انفقت تكون موضوعة أجزاء أجزاء بعضها بجانب الأخرى ؟ لأن هذا يسمى أيضا اختلاطا وعلى هذا النحو يقال إن التبن مختلط بالحلب حينما يكون موضوعا بجانب كل حبة تبنة .

الخليط . - في الخليط - أضفت هاتين الكلمتين . - الجواب على المسئلة - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - التي تكلمنا عليها آنفا - في أول هذا الباب . - أيضا من جديد - بعد أن حصل الخلط . - الذي يشخصه - أضفت هاتين الكلمتين . - قوتها - يعني إمكان رجوعهما الى ما كانا عليه قبل الاختلاط .

§ ٦ - المسئلة الآتية - يعني التي ترتبط بالمسائل التي تقدمتها والتي هي بقية لها . - يمكن حواسنا أن تدركه - ربما كانت المسئلة على هذا الوجه غير موضوعة وضعا حسنا فان الاختلاط هو دائما قابل لأن تدركه حواسنا ولكن حواسنا تارة تميز العناصر التي تركب منها الخليط وتارة لا تميزها . - مثال ذلك - ليس النص واضحا هكذا . - بوجه محسوس - أو "بحواسنا" . - هل يوجد فيها حينئذ اختلاط أو لا يوجد؟ - هذا هو أول أنواع الاختلاط فان الحواس لا يمكنها بعد أن تميز العناصر التي ركبته . - ولكن أليس ممكنا أيضا - أحببت أن أصوغ هذه الجملة في صيغة الاستفهام حتى تكون مقابلة للجملة التي سبقها . وهذا هو التعبير الثاني للاختلاط فان الشيثين يقيان باعتبار أن أجزاءهما إنما اجتمعت بعضها الى بعض . - التبن مختلط بالحلب - المثل في غاية الوضوح وهذا المثل ليس البتة كترج الماء والتبذ إذ أن فيه أحد السائلين لا يمكن مطلقا تمييزه عن الآخر كما كان ذلك مفروضا في الإيضاح الأول .

§ ٧ - اذا كان جسم هو قابلاً للتجزئة واذا كان جسم متى كان مختلطاً بجسم آخر يجب أن يكون مجانساً له فقد يلزم أن كل جزء اتفق من الخليط ينضم الى جزء آخر اتفق . ولكن بما أن الجسم لا يمكن البتة أن يكون مقسوماً الى أجزائه الصغرى وبما أن الانضمام ليس هو البتة الاختلاط بل هو شيء آخر تماماً فبالبين لا يمكن أن يقال بعدد إن الأشياء اختلطت متى حفظت ذواتها على ما كانت في جزيئات صغيرة . حينئذ يكون الضم ولكن لا يكون لا خلط ولا مزج ، وحدّ جزء من الخليط لا يمكن بعدد أن يكون هو الحدّ الذي قد يعطى للخليط بتمامه . أما نحن فنقول إنه لكي يوجد اختلاط حقيقي يلزم أن الشيء الخليط يكون مركباً من أجزاء متجانسة ، وكما أن جزءاً من الماء هو ماء كذلك أيضاً يجب أن يكون أى جزء اتفق من الخليط . ولكن اذا لم يكن الاختلاط إلا انضمام جزيئات الى جزيئات فليس يوجد ولا واحد من الأحداث التي أتينا على تحليلها . وإنما يكون فقط في نظر الأعين أن الشئين يظهر أنهما مختططان . وكذلك الشيء عينه يظهر مخلوطاً للرأى فلان الذي ليس له نظر نفاذ في حين أن "لينسيه" يجد أن ليس هناك اختلاط .

§ ٧ - اذا كان جسم هو قابلاً للتجزئة — يظهر أن هذا هو رد من أرسطو على النظريتين السابقتين . وعلى هذا الوجه فهم فيلوبون وسان توماس هذه الفقرة . ولكن المعارضة ليست بيّنة في النص الذي بقي غامضاً على رضى جهدى في استجلانه ولم أستطع أن أجعل الترجمة أجلى منه بكثير . — الى أجزائه الصغرى — يعنى أن القسمة لا يمكن أن تصل الى جواهر فردة وأنها (أى القسمة) ممكنة دائماً كما يقرره أرسطو بالأقل في الذهن ان لم تكنها في الخارج . — الانضمام — يمكن ترجمتها أيضاً التأليف . — في جزيئات صغيرة — كالحب والتبن اللذين سبق الكلام عليهما . — لا خلط ولا مزج — كلمتا النص هما من حيث الاشتقاق أكثر انفصالاً من الكلمتين اللتين استعملتهما في الترجمة . — اختلاط حقيقى — أضفت كلمة حقيقى زيادة في بيان الفكرة . — الشيء الخليط — يعنى الناتج المتحصل من الاختلاط . — جزيئات الى جزيئات — ليس النص على هذه الصراحة . — ولا واحد من الأحداث التي أتينا على تحليلها — ليس النص على هذه الصراحة . — في نظر الأعين — لا في الواقع .

§ ٨ — إن التجزئة لا تفسر الاختلاط كما لا يفسره اجتماع جزء انفق بجزء آخر ما دامت التجزئة لا يستطيع حصولها بهذه الطريقة .

وحيث إن الأيكون اختلاط ممكنا وإما أنه يلزم اتخاذ نحو آخر من النظر لكي يُبسط كيف يمكن أن تقع هذه الظاهرة . ولندكر بدياً أن من بين الأشياء ، كما قلنا ، بعضها فاعلة والأخرى قابلة لفعل تلك ، بعضها له تأثير مكافئ وهي تلك التي مادتها واحدة بما هي مستطبعة أن تفعل بعضها في الأخرى أو تفعل بعضها بالأخرى على السواء . وأخرى تفعل مع بقائها غير قابلة للانفعال وتلك هي التي مادتها ليست واحدة ، وهذه ليس فيها اختلاط ممكن . من هذا يرى كيف أن الطب لا يختلط بالأجسام ليفعل الصحة ولماذا الصحة لا تختلط به أيضا . § ٩ — بل من بين الأشياء التي يمكنها أن تفعل وتنفعل على طريق التكافؤ كل تلك التي تكون سهلة التجزئة ، حينما يختلط منها عدد عظيم بعدد قليل من أشياء أخر وكمية عظيمة بكمية أقل عظم لا تنتج على التحقيق اختلاطاً بل نموا للعنصر الغالب . وحيث إن أحد الشئين المختلطين يتغير في الذي هو غالب . على ذلك نقطة من النبيذ لا تمتزج بكمية من الماء تكون عشرة آلاف ضعف . لأنه في هذه الحالة النوع يتحلل ويتغير بتلاشيه في كتلة الماء كلها . ولكن متى كانت الكميتان متساويتين تقريبا فينثذ

§ ٨ — إن التجزئة لا تفسر الاختلاط — النص غير محدد ، وقد اخترت المعنى الذي عينه فيلويون . — كما لا يفسره اجتماع — الشأن هنا كما في الملاحظة السابقة . — مادامت التجزئة لا يستطيع حصولها — يعنى أنها تقف عند حدّ الدرات والأجزاء التي لا تجزأ التي لم يقبلها أرسطو البتة . — اتخاذ نحو آخر من النظر — ليس في النص الكلمة واحدة مهمة وقد ظننت أنه يجب على تحديد المعنى . — ولندكر بديا — أضفت هذه الكلمات التي تدل القرينة على مفهومها . — كما قلنا — ر . ماسبق في الباب السابع . — الطب — يظهر لي أن في اختيار المثل شيئا من الغرابة وقد نبه فيلويون مثل هذا التنبيه . § ٩ — التي تكون سهلة التجزئة — كنقطة من الماء في كمية من النبيذ . — نموا — مهما كان ضعيفا مع ذلك بنسبة الأشياء المختلطة . — للعنصر الغالب — في المزيج النهائي .

كل عنصر يفقد من طبعه ليأخذ من طبع العنصر الذى هو أغلب . فالمزيج لا يصير واحدا منهما مطلقا بل يصير شيئا وسطا ومشتركا .

§ ١٠ — فبين إذا أنه لا يكون اختلاط لإحينا تكون الأشياء التى تفعل لها مقابلةً ما بينها لأنها إذاً يمكن أن تقبل تأثيرا ما بعضها من بعض . ومن الأشياء الصغيرة ما يزيد اختلاطها بالأشياء الصغيرة باقترابها منها لأنها حينئذ تداخل بأسرع وبأسهل بعضها فى بعض . ولكن كمية كبيرة تحت فعل كمية كبيرة أيضا لا تنتج هذه النتيجة إلا مع الطولى .

§ ١١ — على ذلك بين الأشياء القابلة للتجزئة والمنفصلة الأشياء التى تتحد بسهولة يمكنها أن تختلط . لأن هذه الأشياء تنقسم بلا عناء إلى أجزاء صغيرة . وهذا إنما هو بالتحقيق ما يعنى بقولنا نتحد بسهولة . مثال ذلك السوائل من بين جميع الأجسام هى الأكثر قابلية للزج لأن السائل من بين الأشياء القابلة للتجزئة هو الذى يتعين ويتحد بأسهل ما يكون بشرط ألا يكون دبقا . فان الأجسام الدبقة لا تزيد على أن تصير جملة الحجم أضخم وأعظم ولكن حينما يكون أحد الشئين المختلطين هو وحده المنفعل أو أنه يكون كثيرا وأن الآخر يكونه قليلا جدا فالخليط

— فالمزيج لا يصير — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — مطلقا — أضفت هذه الكلمة .

§ ١٠ — مقابلة ما — عبارة النص هى : ” تضاد ” . — يمكن أن تقبل تأثيرا ما — فى حين أنها تحدث فعلا ما . — يزيد — أعنى بأكثر سهولة وبأسرع ما يكون كما يدل عليه الكلام الآتى . — لا تنتج هذه النتيجة — أو ” الاختلاط ” .

§ ١١ — القابلة للتجزئة والمنفصلة — يعنى التى يمكن بسهولة أن تنقسم وأن تقبل فعلا ما بعضها من قبل البعض الآخر . وربما كان يلزم أن يقال ” فاعلة ” بدل ” قابلة للقسمه ” . ولكن ليس ولا نسخة واحدة تعطى هذا التصحيح . — التى تتحد بسهولة — مثل السائل الذى ضرب فيما يلى بوضوح تماما ماذا يعنى هذا . — يتعين ويتحد — ليس فى النص إلا كلمة واحدة . — الأجسام الدبقة — عبارة النص غير محددة ولكن المعنى الذى اتخذته هو الذى اتخذته فيلوبون . وبدلا من الأجسام الدبقة قد يمكن أن يفهم أن المقصود هو السوائل على العموم التى بامتزاجها تصير الكمية الكلية أكثر عظما . — ولكن حينما يكون أحد الشئين المختلطين — ليس النص على هذا القدر من البيان . — هو وحده المنفعل — على تقدير ” فى المزيج ” . ولكن العبارة غير جلية ويجب أن يفهم أن أحد الجسمين المزوجين يفعل بشدة

الناتج من الأثنين إما ألا يكون أعظم البتة أو ألا يكاد يكونه . وهذا هو ما يقع بالنسبة للقصدير مختلطا بالنحاس لأنه يوجد بعض أجسام حائرة بعضها بالنسبة للبعض الآخر وهى تكون من طبع مشكل . فيمكن أن يلاحظ أن تلك الأجسام لا تختلط إلا اختلاطا ناقصا وإلى حد معين . فقد يقال إن أحدهما هو مجرد مأوى فى حين أن الآخر هو الصورة . وهذا على التحقيق هو ما يحصل بالنسبة لهذين الجسمين اللذين سميا آنفا . لأن القصدى الذى هو كجرد تغير للنحاس بدون مادة يكاد يتلاشى بالتام وينعدم بالخليط الذى لا يعطيه إلا لونا ما . وتحصل الظاهرة عينها أيضا بالنسبة لأجسام أخرى .

١٢٤ — فىرى إذا بحسب جميع التفاصيل المتقدمة أن الاختلاط ممكن وأنه هو

ما هو ويرى كيف يكون وما هى الأشياء التى بينها يمكن أن يحصل وهى تلك التى يمكنها أن تقبل فعلا بعضها من قبل البعض الآخر والتى هى قابلة للتحديد بسهولة وقابلة للتجزئة بسهولة . وإن الجواهر من هذا القبيل ليست تفسد ضرورة فى الاختلاط ولكنها لا تبقى فيه بعدُ مطلقا بأعيانها ، فإن اختلاطها ليس مجرد ضم

فى الآخر ويتلوه بحيث يلاشيه . — ألا يكون أعظم البتة — لأن أحدهما يتلاشى بالتام بوجه التقريب فى المزج . — حائرة — النص هنا يتخذ عبارة مجازية محضة فانه يقول : ” رُئى ” ولم أجد ما يقابلها فى لغتنا . وذلك مجاز جرى ، ويظهر أن فيلو بون دهش له أيضا ، على أن المثل المضروب لذلك يفهم معنى هذه النقطة . — الاختلاط ناقصا — وحينئذ لا يكون هذا اختلاطا حقيقيا ما دام أن أحد الجسمين يتلاشى بالكافة تقريبا . — هو الصورة — أو النوع . — اللذين سميا — زدت هاتين الكلمتين لتتام المعنى . — كجرد تغير ... بدون مادة — معنى الصورة أو النوع التى تكيف الخليط من غير أن تغير مادته مطلقا . وهذا يظهر أنه غاية فى الدقة والخفاء . — لونا ما — الذى ليس هو لون القصدى والذى لا يجيل لون النحاس الا بعض الشيء .

١٢٥ — فىرى إذا — حصل مضبوط لكل نظرية الاختلاط . — أن الاختلاط يمكن — ر . م سبق

ف ٠٢ — هو ما هو — بحسب النظريات الخصوصية لأرسطو ، هذا هو موضوع كل هذا الباب . — قابلة للتحديد بسهولة وقابلة للتجزئة بسهولة — كالسوائل . — ليست تفسد ضرورة — لأنها تبقى فيه بالقوة .

وإن الجسمين لا يكونان بعدُ مدركين بالحواس . ولكن يقال على شيء إنه مختلط متى كان وهو مستطيع أن يتحدد بسمولة يمكنه أن يفعل وينفعل معا وأنه يختلط بشيء له أيضا هذه الخواص أعيانها لأن الشيء المختلط لا يكونه البتة إلا بالاضافة الى شيء يكون وإياه من المتفقة أسماؤها (هو مونيم) . والحاصل أن الاختلاط هو اجتماع الأشياء المختلطة مع استحالة لها .

— وإن الجسمين لا يكونان بعد مدركين بالحواس — ليس النص على هذا القدر من الضبط . ولكن المعنى الذى اتخذته ينتج مما قيل سابقا فى الفقرة السابعة . فان الثبن والحب ليسا مختلطين بالمعنى الخاص ولكنهما منضمان . — يقال على شيء إنه مختلط — هالك التعريف الحقيق للاختلاط على رأى أرسطو . — يكون وإياه من المتفقة اسمائها (هو مونيم) — وبعض ناشرى الكتاب يقول ” مجانسا له “ (هو موجين) وهبذه ربما كانت أحسن ويظهر أن سان توماس اختارها . — والحاصل — النص ليس على هذا القدر من الصراحة .

الكتاب الثاني

الباب الأول

نظرية عناصر الأجسام — عددها — شاهد من أميدقل — المادة ليست منفصلة عن الأجسام كما هو في طيماوس أفلاطون فيما يظهر — نقض هذه النظرية — إنها حقة بجزئها باطلة بالجزء الآخر — شاهد من المؤلفات المختلفة السابقة — نظرية جديدة على المبادئ العنصرية للأجسام — طبعها وعددها .

§ ف ١ — سبق الكلام على الاختلاط وعلى التماس وعلى الفعل وعلى الانفعال ووضح كيف أن هذه الظواهر تقع في الأشياء التي تكابد تغيرات طبيعية . وقد عو بلج زيادة على ذلك كون الأشياء وفسادها المطلقان وبيّن بأى طريقة وفي أي الأحوال وإذا هما يحدثان . وقد درست على السواء الاستحالة وحالة الموجود المستحيل . وفي النهاية قد بيّنت فصول كل واحدة من هذه الظواهر . والآن يبقى علينا أن ندرس ما يسمى عناصر الأجسام لأن الكون والفساد في كل الجواهر التي تركيبها الطبيعية لا يمكن أن يظهرها بدون الأجسام التي تدركها حواسنا .

§ ك ٢ ب ١ ف ١ — سبق الكلام على الاختلاط — تلخيص لكل ما سبق في الكتاب الأول فان نظرية الاختلاط قد عرضت في الباب العاشر منه . — وعلى التماس — لم يكن ذكر التماس إلا عرضاً لأنه لم يفرد للتماس نظرية خاصة . ر . ك ١ ب ٦ . — وعلى الفعل وعلى الأفعال — ر . ك ١ ب ٦ و ٧ وما يليهما — التي تكابد تغيرات طبيعية — بصرف النظر عن التغيرات التي تحدثها الصناعة أو إرادة الإنسان . ما سبق ك ١ ب ١ ف ١ . — كون الأشياء وفسادها المطلقان — ر . ك ١ ب ١ و ٣ وما بعدهما . — الاستحالة وحالة الموجود المستحيل — ر . ك ١ ب ٤ . — فصول كل واحدة من هذه الظواهر — في أثناء بيان كل واحدة من تلك النظريات الخاصة قد بينت الفصول التي تفصل كل واحدة من الظواهر التي كانت على التعاقب موضع الدرس .

§ ٢ — من الفلاسفة من يزعمون أن جميع العناصر مكوّنة من مادة واحدة بالحقيقة والعدد ويفترضون أنها هي الهواء أو النار أو جسم ما وسط بينهما جاعلين هذه المادة جسما جوهريا متميزا تماما ومنفصلا . وآخرون يرون أنه يوجد أكثر من عنصر واحد ويتبلون حينئذ على السواء : هؤلاء النار والأرض ، وأولئك الهواء ثالثا مع العنصرين المتقدمين . وآخرون مثل أمبيدقل يزيدون الماء كعنصر رابع . وفي هذه المذاهب المختلفة إنما هو باجتماع هذه العناصر وافتراقها أو استحالتها يعلل كون الأشياء وفسادها .

§ ٣ — فلنسلم بلا أدنى صعوبة أن هذه الأوليات للأشياء يمكن بغاية الموافقة أن تسمى مبادئ وعناصر وأنه إنما بتغيرها بتجزئة أو تركيب متكافئ أو أى نوع آخر من التغيير الذى تعانیه يأتي كون الأشياء وفسادها . ولكن يخدع المرء نفسه بالتسليم بأنه يوجد مادة واحدة بعينها خارج جميع العناصر وجعلها منفصلة وجسمانية . لأن من المحال أن هذا الجسم إذا كان مدركا بجواسنا يمكن أن يوجد من غير أن يعرض أضعادا ما . ويلزم ضرورة أن هذا اللامتناهى الذى اتخذه بعض الفلاسفة مبدأ لهم يكون خفيفا أو ثقيلًا باردا أو حارا .

§ ٢ — هي الهواء — كما كان يعتقد ديوجين الأبلوني وأنكسيميون . — أو النار — كما كان يعتقد هيرقليطس الإفيروسى وهيباس كما روى فيلو يون . — جسم ما وسط — كان هذا مذهب أنكسيمندروس الذى كان يفترض عنصرا خامسا آخذا من طبع الأربعة الأخرى وهو مع ذلك متميز عنها . — جاعلين هذه المادة — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — هؤلاء النار والأرض — كما هو مذهب برمينيد . — وأولئك الهواء ثالثا مع العنصرين — ذلك كان مذهب يون الشيزوى اذا صدق تفسير فيلو يون . — مثل أمبيدقل — إنما هو دائما أمبيدقل الذى ينسب إليه أرسطو نظرية العناصر الأربعة . ر . أيضا الطبيعة ك ٣ ب ٧ ف ٩ وما بعدها من ترجمتنا .

§ ٣ — هذه الأوليات للأشياء — حفظت عبارة النص بذاتها . — أى نوع آخر من التغيير — مثلا لا يمكن إلا الاستحالة عند المذاهب التى لا تقبل الاعصرا واحدا لأنه بتغير هذا العنصر الوحيد الى ما لا نهاية له تتكون جميع الظواهر الأخرى . — وجسمانية — هذه هي ترجمة الكلمة الواردة في النص بالضبط . — اذا كان مدركا بجواسنا — ويجب أن يكونه ما دام أنه جوهرى ومنفصل عن جميع الأخرى . — من غير أن يعرض أضعادا ما — عبارة النص هي ”بلا تضاد“ . — هذا اللامتناهى — أو ”هذا غير المحدود“ .

§ ٤ — ولكن الطريقة التي تُشرح بها هذا المبدأ في "طياوس" ليس فيها شيء من الضبط لأنه لم يُقل على وجه جليّ ما إذا كان هذا الأصل لجميع الأشياء متميِّزا ومنفصلا عن العناصر. والمحقق هو أن طياوس لم يرجع في واحد منها إلى هذا المبدأ ولو أنه قال مع ذلك إنه الموضوع السابق لكل ما يسمى بالعناصر كما أن الذهب هو على الأسبقية موضوع المصنوعات الذهبية. ومع ذلك فإن هذا الإيضاح ليس حسنا على الصورة التي ألقى بها إلينا. فإنه يجوز تماما انطباقه على الحالات التي يوجد فيها استحالة بسيطة، ولكن بالنسبة للحالات التي فيها كون وفساد يكون محالا أن تسمى الأشياء بالتي منها تأتي. صدق طياوس إذ يقول إنه لأدخُل في باب الحق أن يقرر أن كل مصنوع من الذهب هو ذهب لكن مع أن عناصر الأشياء تكون جامدة فانه يجوز تحليلها إلى حدّ السطوح. ومحال أن سطوحا تتكوّن المادة الأولية التي يكلموننا عنها § ٥ — نحن أيضا نعتزف أنه يوجد مادة ما للأجسام التي تدركها حواسنا ولكن هذه المادة التي منها يأتي ما يسمى

§ ٤ — هذا الأصل لجميع الأشياء — ر. ترجمة طياوس أفلاطون لكوزان ص ١٥٢ .
 — متميِّزا ومنفصلا عن العناصر — القدر حق إن لم يكن مهما جدا . — على الأسبقية — أضفت هاتين الكلمتين . — موضوع المصنوعات الذهبية — ر. طياوس ص ١٥٤ من ترجمة كوزان . — على الصورة التي ألقى بها إلينا — وفي الواقع أن طياوس لا يتكلم الا على التصاور المتعاقبة لسبيكة الذهب ولا يتكلم البتة على كونها الأصلي . — أن تسمى الأشياء — التعبير ليس واضح البيان ، وهو بعينه الذي استخدمه طياوس في هذا الموضوع . فانه يمكن أن يقال على الشيء المصنوع من سبيكة الذهب إنه ذهب ولكن بالنسبة للشيء الذي يتكوّن والذي يتولد من لا شيء لا يمكن أن تعطى اسم الشيء الذي خرج منه مادام أنه لم يأت من شيء آخر . — التي منها تأتي — اذا كان الأمر بصدد الكون "والتي اليها تنعدم" اذا كان الأمر بصدد الفساد . — صدق طياوس — ليس النص على هذه الصراحة . — لأدخُل في باب الحق أن يقرر — ر. طياوس لأفلاطون ص ١٥٤ ترجمة كوزان . — الى حدّ السطوح — ر. كتاب السماء ك ٣ ب ٧ وما بعده . فإن أفلاطون لما حلل الأجسام الى سطوح قد نزع منها كل حقيقة . وإن التحليل البالغ الى هذا الحدّ البعيد قد أفسدها — يكلموننا عنها — أضفت هذه الكلمات .

§ ٥ — نحن أيضا نعتزف — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — منها يأتي ما يسمى بالعناصر — هذه الفكرة لا يظهر أنها عريقة في الصحة . وإن المراد بالمادة هنا انما هو حال منطقيّة للأجسام أكثر

بالعناصر ليست منعزلة البتة بل هي توجد دائماً مع أضداد . على أن هذا الموضوع قد دُرس في موطن آخر بأوسع من ذلك وأضبط § ٦ — على أنه لما أن الأجسام الأول يمكن أيضاً بهذه الطريقة أن تأتي من المادة فيلزم التكلم على هذه الأجسام مع التسليم بأن المادة هي المبدأ والمبدأ الأول للأشياء ولكنها غير منفصلة عنها وأنها موضوع الأضداد . فان الحار مثلاً ليس هو مادة البارد كما أن البارد ليس مادة الحار . ولكن المادة هي موضوع الاثنين .

§ ٧ — حينئذ بادئ بدء الجسم الذى هو مدرك بالقوة بإحساسنا هذا هو المبدأ ثم بعد ذلك تأتي الأضداد كالحار والبارد مثلاً . وفي المقام الثالث النار والماء والعناصر الأخرى المشابهة . هذه الأجسام كلها تتغير تغيراً بعضها الى بعض ولكن لا بالطريقة التى يقول بها أمبيدقل وفلاسفة آخرون، لأنه بحسب نظرياتهم

منه حالاً حقيقية . فقد يمكن حينئذ أن هذه الجملة لم تكن الا تديلاً أضافه الى النص بعض المفسرين . ومع ذلك فان هذه الجملة موجودة في نص فيلوبون . — ليست منعزلة البتة — وبقية على طريق الاستقلال عن الأجسام كالمادة التى أخطأ أفلاطون ، على رأى أرسطو ، في قولها . — مع أضداد — فان المادة لها دائماً كيف يميزها لا انفكك لها عنه — في موطن آخر — في الطبيعة ك ١ ب ٨ خصوصاً ف ٢٠ ص ٤٨٤ من ترجمتنا . وفي كتاب السماء ك ٣ . — بأوسع من ذلك وأضبط — ليس في النص الا كلمة واحدة .

§ ٦ — الأجسام الأول — حفظت للنص عبارته بتمامها ، ولكن المراد هنا هو العناصر . — موضوع الأضداد — ر . الطبيعة ك ١ ب ٨ ص ٤٧٣ من ترجمتنا . — مثلاً — أضفت هذه الكلمة . — ليس هو مادة — بل هو الضد وتحت الضدين الموضوع الذى يكيفانه على طريق التناوب .

§ ٧ — الجسم الذى هو مدرك — هو المادة المفهومة على المعنى المنطقي أى المحسوسة بالقوة ولكنها ليست مدركة الا على شكل واحد من الضدين . — النار والماء . — يعنى الأربعة العناصر مع جميع الأجسام الخاصة التى تركيبها على حسب نظريات أرسطو التى هي أيضاً نظريات الأقدمين . — الطريقة التى يقول بها أمبيدقل وفلاسفة آخرون — المعنى ليس بيننا وقد جعله الإيجاز في التعبير غامضاً . فان أمبيدقل

قد لا يكون بعدُ حتى ولا الاستحالة. وإنما هي المقابلات بالأضداد هي التي لا تتغير بعضها الى بعض. على أنه لما كانت تلك هي مبادئ الأجسام فلا بد مع ذلك من دراسة كفياتها وعددها لأن الفلاسفة الآخرين استخدموا ذلك في مذاههم بعد أن قبلوها على طريق الفرض ولكنهم لا يقولون لماذا هذه الأضداد لها الطبع الفلاني وأنها في العدد الذي نراها عليه .

وفلاسفة آخرون يرون العناصر غير قابلة للتغير مطلقا ومن ثم لا يمكن أن يفهم مع عدم قابلية التغير نظرية الاستحالة مهما كانت مسلما بها . — وإنما هي المقابلات — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — في مذاههم — . أضفت هاتين الكلمتين .

الباب الثاني

حد الجسم كما تعرفه لنا حاسة اللمس — تعديد الأضداد الأصلية التي يعرضها الجسم المحسوس باللمس —
فصول هذه الأضداد — الفعل المتباين للبارد والحر والجاف والسائل — علامة جميع الفصول الأخرى بهذه
الفصول الأربعة الأصلية .

§ ١ — ما دمنا نبحث فيما هي مبادئ الجسم المدرك بجواسنا أعنى الجسم الذى
يستطيع اللمس أن يدركه وما دام أن جسما يعرفنا إياه اللمس هو الذى يكون حسه الخاص
هو اللمس فينتج بالبداهة أن جميع المقابلات بالأضداد التى يمكن مشاهدتها فى الجسم
لا تؤلف أنواعه ومبادئه ولكنها إنما هي فقط أنواع ومبادئ الأضداد التى تخص
حاسة اللمس . إن الأجسام تمتاز بأضدادها ، ولكن بأضدادها التى يمكن لللمس أن
يبينها لنا . لذلك نرى لماذا أنه لا البياض ولا السواد ولا الحلاوة ولا المرارة
ولا أى واحد من الأضداد المحسوسة ليس عنصرا للأجسام .

§ ٢ — وهذا لا يمنع أن يكون النظر حاسة أسمى من اللمس وبالنتيجة أن
موضوع النظر هو أسمى أيضا . ولكن النظر ليس عرضا للجسم الملموس بما

§ ب ٢ ف ١ — الجسم المدرك بجواسنا — الجسم المادى والمحسوس . — أعنى الجسم الذى
يستطيع اللمس أن يدركه — يلاحظ فيلورن بون بحق أن أرسطو يشغل أولا بجاسة اللمس لأن هذه الحاسة
أكثر الحواس إدراكا ممكنا . فان من الأجسام التى تخفى على نظرنا ما ندركه بجواسنا . وذلك كالهواء
إذ بينما لا يمكننا أن نراه يؤثر فى إحساسنا بأن بلامتنا . — يعرفنا إياه اللمس — عبارة النص هي :
”جسم قابل لللمس“ . — التى يمكن مشاهدتها فى الجسم — أضفت هذه العبارة لبيان الفكرة تماما .
— لأتولف أنواعه ومبادئه — هذا التفوق الذى لحاسة اللمس يتقدم تمييز الكيفيات الأول والثوانى للأجسام
ويذكر به . تلك هي النظرية التى قبلتها بعد ذلك المدرسة الإريوسية . — ليس عنصرا للأجسام —
عبارة النص : ”لا تكون عناصر“ .

§ ٢ — أن يكون النظر حاسة أسمى — ر . كتاب النفس ك ٢ ب ٧ ص ٢٠٨ من ترجمتنا
فى نظرية الرؤية . — من اللمس — ر . كتاب النفس ب ١١ ص ٢٣٧ . — أن موضوع النظر هو
أسمى أيضا . ر . أول ما بعد الطبيعة : ك ١ ب ١ ص ١٢١ من ترجمة كوزان الطبعة الثانية .
فان أرسطو يجعل فيها النظر أعلى مرتبة من جميع الحواس كما فعل هنا . — ليس عرضا — أو ”كيفا“ .

هو ملموس بل هو يرجع الى شىء مغاير تماما يمكن مع ذلك أن يكون متقدما عليه بطبعه — ٣ — حينئذ بالنسبة للموسات أنفسهم يلزم الفحص والتمييز بين الفصول الأولى لها ومقابلاتها الأولى بالأضداد . المقابلات والمضادات التي يبينها لنا اللمس هي الاتية : البارد والحر ، اليابس والرطب ، الثقيل والخفيف ، الصلب واللين ، الدبق والفريك ، الأملس والخشن ، الكثيف والمتخلخل . من بين هذه الأضداد الثقيل والخفيف ليسا لفاعلين ولا منفعلين لأنه ليس لأنهما يفعلان أحدهما في الآخر أو لأنهما ينفعلان أحدهما من الآخر أعطيا الاسم الذي يحملانه . ومع ذلك يلزم أن العناصر يمكن أن تفاعل وتتفاعل بعضها من بعض على طريق التكافؤ ما دام أنها تختلط وتتعير على طريق التكافؤ بعضها الى بعض . § ٤ — ولكن الحر والبارد واليابس والرطب هي مسماة كذلك أولاها لأنها تفاعل والأخرى لأنها تتفاعل . فإن الحر هو الذى يجمع ما بين الجواهر المتجانسة لأن التفريق الذى يقال عن النار إنما تفعله إنما هو فى حقيقة الأمر

— الى شىء مغاير تماما — حفظت عبارة النص على عدم تحددتها . — متقدما عليه بطبعه — أى للشىء الخاص بحاسة اللمس .

§ ٣ — بالنسبة للموسات أنفسهم — حفظت كلمة النص بعينها التى لاختفاء فى معناها بعد الايضاحات السابقة . فان الملموسات هي الأجسام التى تعرفها لنا حاسة اللمس فقط . — الفحص والتمييز — ليس فى النص الاكلمة واحدة . — ومقابلاتها الأولى بالأضداد — عبارة النص : ”التضاد“ . — لأنهما يفعلان أحدهما فى الآخر — عبارة النص ليست على هذا الوضوح . — أعطيا الاسم الذى يحملانه — عبارة النص أكثر إيجازا .

§ ٤ — أولاها لأنها تفاعل — يظهر أن فعل البارد وفعل الحر متكافئان تماما وأنهما يفعلان ويقبلان على السواء . ويعنى بأولاهما الحر والبارد وبأخرها اليابس والرطب . وقد عنى فيلويون بأن يوضح فى إطناب لماذا يجعل أرسطو من البارد والحر عنصرين فاعلين ومن اليابس والرطب عنصرين منفعلين . ر . عن هذه النظرية كلها الكتاب الرابع من الميتورولوجيا ب ا وما بعده . ص ٢٧٣ من ترجمتنا — هو الذى يجمع — وبهذا المعنى أن الحر يفاعل . — الجواهر المتجانسة — هذا يقال خصوصا على الجواهر التى تسيح وتذوب تحت فعل النار فيكون قوامها اذا كاسوائل . — فى حقيقة الأمر — زدت هذه الكلمات

تركيب الأشياء التي من نوع واحد ما دام أن الذي يحصل إذاً هو أن النار تخرج الجواهر الغريبة وتنفيها . والبرد على ضد ذلك يجمع ويركب على السواء الأشياء التي من نوع واحد والتي ليست من نوع واحد . ويسمى سائلا ما ليس محدودا في صورته الخاصة ولكنه يمكن مع ذلك أن يقبل بسهولة صورة . واليابس على ضد ذلك هو ما كان بالله من صورة محددة تماما في حدودها الخاصة لا يقبل صورة جديدة إلا بعناء . § ٥ — من هذه الفصول الأول إنما يأتي المتخلخل والكثيف والدبق والفريك والصلب واللين والفصول الأخرى المشابهة . إذاً فإن جسماله خاصة إمكان أن يملأ الأين بسهولة يتصل بالسائل لأنه غير محدد هو نفسه وأنه يخضع من غير أدنى عناء إلى فعل الشيء الذي يلمسه تاركا ذاته تأخذ صورة ذلك الشيء . كذلك المتخلخل يمكنه أن يملأ الأين على سواء لأنه لما لم يكن له إلا أجزاء خفيفة وصغيرة كان يبيد الملاء ويلاص تماما وهذه خاصة تميز على الخصوص الجسم المتخلخل . حينئذ بالبدئية المتخلخل يقارب السائل في حين أن الكثيف يقارب اليابس . ومن جهة أخرى الدبق يتعلق أيضا بالسائل لأن الدبق ليس إلا نوعا من السائل مع

— تخرج ... وتنفي — ليس في النص الكلمة واحدة . — البرد على ضد ذلك يجمع — وعلى هذا المعنى فالبرد هو فاعل كالحرارة . — والتي ليست من نوع واحد — فان الثلج يجلد ويجمع غالبا الجواهر الأكثر تغائرا . — ما ليس محدودا في صورته الخاصة — فان السائل لم يكن له البتة الصورة الحارة له . أما هو نفسه فليس له صورة في كثره . — في حدودها الخاصة — أو ” في سطحه الظاهر الخاص “ .
— صورة ... حدود — النص يستخدم لفظا واحدا للدلالة على صورة أو حدود .

§ ٥ — من هذه الفصول الأول — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — والفصول الأخرى المشابهة — التي قد لا تكون الا ثانوية بالنسبة للفصول الأول للبارد والحرار واليابس والرطب . — له خاصة إمكان أن يملأ الأين — ليس في النص الكلمة واحدة . ويمكن أيضا أن يفهم من الأين « الأمكنة الفارغة أو التجايف » كما فهم فيلوبون . — يتصل بالسائل — عبارة النص بالضبط : « هو من السائل » أي جزء منه . — خفيفة وصغيرة — هذا غير صحيح تماما وإن السطح مهما يكن متخلخلا فإنه لا يحسن أن يملأ الأين بحسب الوضع الذي يعطى اياه . — يتعلق أيضا بالسائل — أو ” من السائل “
كما ذكر في المتخلخل .

بعض كفيات كالزيت . ولكن الفريك يتعلق باليابس لأن الفريك إنما هو التام ليس . ويمكن القول بأنه لم يتجمد إلا لخلوه من كل سائل . ويمكن أن يقال أيضا إن اللين جزء من السائل لأن اللين هو ما يطاوع عند التوائه على نفسه ودون أن ينتقل كما أن السائل يفعل هذا الفعل بالضبط أيضا . تلك هي العلة في أن السائل لم يسم لنا في حين أن اللين يتعلق بصنف السائل وأخيرا فالصلب يتعلق باليابس لأن الصلب هو شيء من المتجمد والمتجمد يابس .

٦٤ — على أن يابسا وسائلا لفظان يحملان على معان شتى ، فان السائل والمبتل يمكن أن يعتبرا كقابلين لليابس كما أن اليابس والمتجمد هما مقابلان للسائل . وكل هذه الخواص المختلفة تتعلق بالسائل واليابس محمولين على المعنى الأولى لهاتين الكلمتين ، لأنه من حيث إن اليابس هو مقابل للمبتل وإن المبتل هو ما كان به على سطحه سائل غريب في حين أن المتقع هو ما به السائل الى باطنه . ولما أن اليابس هو على ضد ذلك ما كان خلوا من كل سائل غريب فيبين بذاته أن المبتل يتصل بالائل في حين أن اليابس المقابل له يتصل باليابس الأولى .

— كالزيت — كان يمكن إيجاد مثل أكثر انطباقا . — من كل سائل — أو ”من كل رطوبة“ .
 . - ودون أن ينتقل - كحال الماء الذي تنفصل جزيئاته في حين أن الجسم اللين تبقى جزيئاته متصلة مع مطاوعتها
 لضغط الواقع عليها . — يتعلق بصنف السائل — ”أو هو من السائل“ . — من المتجمد — هذا هو لفظ النص بعينه تركته على عمومته .

٦٥ — يابسا وسائلا — أو ”يابسا ورطبا“ وقد آثرت كلمة سائل حتى تكون مقابلة أظهر بالمبتل الذي سيأتي ذكره . — اليابس والمتجمد — ربما يمكن أن يقال أيضا ”اليابس والمتجمد“ .
 — هذه الخواص المختلفة — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — على المعنى الأولى لهاتين الكلمتين
 — ر . الملاحظة في ف ٣ . — المتقع — أو ”المغمور“ . — يتصل بالسائل — ر . ملاحظتنا على هذا التعبير في الفقرة السالفة .

§ ٧ - ويُجرى هذا المجرى أيضا في السائل والمتجمد فان السائل لما كان ما به رطوبة خاصة والمتجمد ما هو خلو منها يجب أن يستنتج منه أن هذين الكيفيين أحدهما يتعلق بصنف السائل والآخر بصنف اليابس .

§ ٨ - فبين حينئذ أن كل الفصول الأخرى يمكن أن يرجع بها الى الأربعة الأولى وأن هذه لا يمكن أن ينزل عددها الى أقل من ذلك لأن الحار ليس هو والرطب أو اليابس شيئا واحدا كما أن الرطب ليس هو الحار ولا البارد . كذلك البارد واليابس ليسا تابعين أحدهما للآخر كما أنهما ليسا تابعين للحار ولا للرطب . والحاصل أنه لا يوجد ضرورة إلا هذه الأربعة الفصول الأصلية .

§ ٧ - في السائل ... بصنف السائل - يظهر أن هنا تكرارا في الكلمات لا فائدة منه وقد اضطرت أن أتبع الأصل . ولم يفسر فيلويون هذا العيب الذي ربما لم يفتن له .

§ ٨ - كل الفصول الأخرى - التي ذكرت ووضحت بعد الفصول الأربعة الأولية والأصلية . - الى الأربعة الأولى - البارد والحار واليابس والرطب . - الى أقل - يعنى الى اثنين بدل أربعة . - والرطب - أو "السائل" . - الأصلية - أضفت هذا الوصف . ر . الكتاب الرابع من الميتيورولوجيا ب ١

الباب الثالث

تراكيب العناصر بين بعضها والبعض - ليس منها الا أربعة لان الأضداد خارجة عنها - نظريات سابقة على عدد العناصر - برمينيد - أفلاطون - أمبيدقل - طبع العناصر المختلفة - الأمكنة المختلفة التي تسفلها في الأين .

§ ١ - لما أنه يوجد أربعة عناصر وأن التراكيب الممكنة لحدود أربعة هي ستة ، ولكن أيضا لما أن الأضداد لا يمكن أن تزوج بينها مادام البارد والحر واليابس والرطب لا يمكن البتة أن تندمج في شيء واحد بعينه ، فبين أنه لا يبقى إلا أربعة تراكيب للعناصر . فمن جهة ، حار ويابس ، حار ورطب ، ومن جهة أخرى بارد ويابس ، بارد ورطب . § ٢ - تلك هي نتيجة طبيعية لوجود الأجسام التي تظهر بأنها بسيطة : النار والهواء والماء والأرض ، فالنار حارة ويابسة والهواء حار ورطب مادام أن الهواء نوع من البخار . والماء بارد وسائل وأخيرا الأرض باردة ويابسة . ينتج منه أن توزيع هذه الفصول بين الأجسام الأول يفهم جد الفهم وأن عدد هؤلاء وهؤلاء هو على تمام التناسب .

§ ٣ - وفي الحق أن كل الفلاسفة باعترافهم للأجسام البسيطة بأنها عناصر قبلوا منها تارة واحدا وتارة اثنين وتارة ثلاثة وتارة أربعة . § ٤ - فأما الذين لم يقبلوا

§ ١ - لما أنه يوجد أربعة عناصر - هذه هي عبارة النص ولكن الحار والبارد ، واليابس والرطب أولى بها أن تكون خواص للعناصر من أن تكون عناصر بالمعنى الخاص . - أن تزوج بينها - لأنها تنفاسد . - أنه لا يبقى الا أربعة تراكيب - ليس النص على هذه الصراحة . - رطب - أخذت اللفظ الأكثر استعمالا عادة ولكن اللفظ الإغريقي يفيد سائلا كما يفيد رطبا . § ٢ - التي تظهر بأنها بسيطة - أسلوب هذه العبارة لا يدع محلا لأقل شك في بساطة العناصر بالإطلاق على حسب نظريات أرسطو . وقوله تظهر بأنها بسيطة يفيد أن بساطة العناصر يمكن أن يتحقق بالمعانية . - والماء بارد وسائل - اخترت هنا لفظ سائل بدل رطب لأنه أنسب للآ .

§ ٣ - للأجسام البسيطة بأنها عناصر - الظاهر أنه ينتج من هذه الفقرة أنه ولا واحد من الفلاسفة قد قبل أكثر من أربعة عناصر . ومع ذلك فإن أرسطو نفسه في الميتورولوجيا قبل فيما يظهر خامسا وهو الإثير . ر . الميتورولوجيا ك ١ ب ٣ ف ٤ ص ٩ من ترجمتنا .

منها إلا واحدا فمضطرون الى توليد كل الأخرى من تكثيف هذا العنصر أو تخفيفه .
 و بالتبع يقبلون مبدأين المتخلخل والكثيف أو الحار والبارد لأنها في هذا المذهب
 هي الفواعل المؤلفة والعنصر الوحيد يكون خاضعا لفعالها بما هو مادة § ٥ — وأما
 الفلاسفة الذين هم كبرميند يقبلون عنصرين النار والأرض ، فيعتبرون العناصر
 الوسيطة الهواء والماء مزيجاً من ذينكم العنصرين . كذلك الحال عند الذين
 يقبلون عناصر ثلاثة كما فعل أفلاطون في تقاسيمه لأن عنده العنصر الوسط ليس
 إلا مزيجاً . وحينئذ الذين يقبلون عنصرين والذين يقبلون ثلاثة يوشك أن
 يكونوا على اتفاق تام لولا أن بعضهم يقسم العنصر الوسط الى اثنين وأن الآخرين
 يتكون له وحدته . § ٦ — ومنهم كأبيدقل من يعترفون جلياً بأربعة عناصر غير أنه
 هو أيضاً ينزلها الى اثنين لأنه يقابل بالنار كل العناصر الأخرى مجتمعة .
 فعلى رأى أبيدقل يكون لا النار ولا الهواء ولا أى واحد من العناصر الأخرى

§ ٤ — تكثيف... أو تخفيفه — ر . الطبيعة ك ١ ب ٦ ف ١ ص ٤٦١ من ترجمتنا . — هذا
 العنصر — أضفت هاتين الكلمتين لتام الفكرة . — الفواعل المؤلفة — أو ”الصانعة“ . — خاضعا لفعالها —
 — ليس النص على هذه الصراحة . — بما هو مادة — أهل لأن تقبل الأضداد على التعاقب .
 § ٥ — كبرميند — في الطبيعة ك ١ ب ٦ ف ١ أن المبدأين المنسوبين الى برميند هما المتخلخل والكثيف
 أو الحار والبارد وليسا هما النار والأرض مع أن النار يمكن أن تشخص بالحار والأرض بالبارد . — في تقاسيمه —
 قد يظهر أن هذا يدل على عنوان خاص لمؤلف لأفلاطون ولكن فيلويون بناء على قول مفسرين سابقين
 يؤكد أن المؤلف المنسوب الى أفلاطون تحت هذا الاسم كان متحلاً . ويرى الاسكندر الأفروديزي أن
 المقصود هنا هو تلك الآراء غير المكتوبة لأفلاطون التي يرويها أرسطو بالصراحة في الطبيعة ك ٤ ب ٤
 ف ٤ ص ١٥٠ من ترجمتنا . وقد ظن شراح آخرون أن المقصود هو التقاسيم المبينة في محاوراة أفلاطون
 المعنوية ”السفسطائي“ . و يظهر أن تفسير الاسكندر هو الأقرب للاحتال . — ليس المزيجاً —
 كما يرى برميند . — يوشك أن يكونوا على اتفاق تام — ما دام أنه مزيج في عرف الطرفين .
 — العنصر الوسط الى اثنين — قد لا يكون هذا مطابقاً تماماً لما قيل آنفاً فان برميند يظهر أنه يقبل
 عنصرين وسطين لا واحداً ولا يمكنه أن يدمج الهواء والماء . § ٦ — كأبيدقل — ر . سبق
 ب ١ ف ٠٢ — كل العناصر الأخرى مجتمعة — ليس النص على هذا الضبط . — فعلى رأى أبيدقل —
 أضفت هذه العبارة لأنه يظهر لي أن كل ما سيأتي لا يمكن إسناده الا الى أبيدقل . وهذا تفسير مان توماس

بسيطا بل ممزوجا. فان الأجسام البسيطة هي جميعها بسيطة بلا شك، ولكنها ليست مع ذلك ممتاثلة . مثلا الجسم المشابه للنار هو من نوع النار ولكنه مع ذلك ليس بالضبط نارا . والجسم المشابه للهواء هو من نوع الهواء دون أن يكون هواء . وكذلك الحال في بقية العناصر . ولكن النار هي إفراط في الحرارة كما أن الثلج إفراط في البرودة لأن التجلد والغليان هما إفراطان من جنس ما أحدهما للبارد والثاني للحر . فاذا كان اذاً الثلج هو تجسد السائل والبارد ، فالنار تكون أيضا غليان الحار واليابس . فانظر لما اذا لا يمكن أن يتولد شيء لا من الثلج ولا من النار .

§ ٧ - الأجسام البسيطة بما هي في عدد الأربعة تتعلق اثنين اثنين بكل واحد من مكاني الأين . فالهواء والنار هما من المكان المائل نحو الحد الأقصى . والأرض والماء بالمكان الذي هو نحو المركز . وإن العناصر الطرفية والخالصة أكثر

وجامعة كرميرا . ويظهر أن فيلويون يظن أن هذه هي فكرة أرسطو الخاصة . - بل ممزوجا - من الصورة والهيولى كما يقول فيلويون . - الأجسام البسيطة - عبارة النص غير محددة وهي " البساط " . ومن الجائز أن يكون المراد هنا الأربعة العناصر الخاصة الحار والبارد واليابس والرطب ، وعلى الرغم من الجهد الذي بذلته لا تزال هذه الفقرة غامضة . - الجسم المشابه للنار - هو المركب من الحار واليابس . ر . ما سبق ف ٢ . - ولكنه مع ذلك - ليس النص على هذه الصراحة . - الجسم المشابه للهواء - وهو المركب من الحار والرطب . ر . ما سبق ف ٢ . - التجلد والغليان - من الغريب أن ترى هاتان الظاهرتان متقابلتين في نظريات القدماء . وقد لزم أن تمر قرون عديدة حتى ينتج هذا التقابل نتائج العملية فيؤسس عليه ميزان الحرارة (الترمومتر) هذه الآلة العجيبة التي تصلح لتحديد درجة حرارة الأجسام . - فانظر لما اذا لا يمكن أن يتولد شيء . - لا يظهر أن المعاني مرتبطة جيداً الارتباط بعضها ببعض وقد يمكن أن تكون هذه الجملة ليست الا تذييلا .

§ ٧ - الأجسام البسيطة - هذه هي عبارة النص بعينها ويظهر أن أرسطو هنا يرجع الى الكلام على مذهبه الخاص وأن المراد هنا الكلام على المذاهب الخاصة لأبيدقل . - بكل واحد من مكاني - فوق وال تحت . - الأين - أضفت هذه الكلمة . - من المكان المائل نحو الحد الأقصى - عبارة النص غير محددة قليلا ومع أني حددتها نوعا ما فم أبلغ جعلها أجلى بيانا . - الذي هو نحو المركز - تلاحظ هنا الملاحظة السابقة . - العناصر الطرفية - يعني التي هي في النقط الأكثر مقابلة من الأين للركز وللحيط الأقصى . - والخالصة أكثر من غيرها - هذا يجب أن يعني به حركة هذه العناصر أولى من أن

من غيرها هي النار والأرض . والعناصر الوسطى والأكثر ممازجة هي الماء والهواء .
 وفي كل طائفة أحد الاثنين هو ضد للآخر لأن الماء ضد النار والأرض ضد الهواء
 مادام أن لها في تركيبها كيفيات متضادة § ٨ — ومع ذلك فعلى القول بالاطلاق
 الأربعة الأجسام البسيطة لا يتعلق كل واحد منها إلا بكيف واحد . على ذلك
 الأرض هي من اليابس أكثر من أن تكون من البارد والماء هو من البارد أكثر من
 أن يكون من السائل . والهواء هو من السائل أكثر من أن يكون من الحار والنار
 هي من الحار أكثر من أن تكون من اليابس .

يعنى به تركيبها . وقد يمكن أن يقال « الأظهر » في اتجاهها . — والأكثر ممازجة — هذه هي عبارة
 النص بعينها ولكنه يلزم أن يفهم أن هذا ينطبق خصوصا على الحركة . — هو ضد للآخر — في الطائفة
 الأخرى . — الأرض ضد الهواء — التقابل ليس بين الظهور . — كيفيات متضادة — انظر ما يلي .
 § ٨ — فعلى القول بالاطلاق — زدت فظ "القول" . — الا بكيف واحد — عبارة النص غير
 محدودة . — أكثر من أن تكون — هذا يناقض قليلا مفهوم قوله «على الاطلاق» في أول الجملة .
 — من البارد أكثر من أن يكون من السائل — يظهر أن الأمر على ضد ذلك أن الماء سائل أكثر منه
 باردا . فهو سائل قبل كل شيء . ولكن المذهب الذي وضع هنا يقتضى هذا التناظر في الوضع . فقد تركت
 السيولة للهواء وربما قد يمكن أن يقال أيضا بدل السيولة السائلة .

الباب الرابع

نظرية تبدل العناصر بعضها ببعض — فصول العناصر فيما بينها يمكن أن تكون أكثر أو أقل عددا — سهولة التبدل وصعوبته — أمثلة مختلفة بحسب تجاور العناصر أو البعد بينها في النظام الذى هى مرتبة به وبحسب تماثل كميات العناصر أو تقابلها — خاتمة الجزء الأول لنظرية التبدل المتكافئ بين العناصر .

§ ١ — بعد أن بينا فيما سبق أن الأجسام البسيطة يكون بعضها بعضا على طريق التكافؤ وأن المعاينة الحسية تدلنا على أنها تتكون بهذه الطريقة لأنه إن لم يكن كذلك فقد لا توجد استحالة ، ما دامت الاستحالة لا تنطبق إلا على كميات الأشياء التى يمكن لمسها ، فيلزمنا أن نقول بأى طريقة يحصل تغير العناصر بعضها الى بعض وما إذا كان ممكنا أن كل عنصر يتولد من كل عنصر أو اذا كان هذا ممكنا فقط بالنسبة للبعض ومحالا بالنسبة للبعض الآخر .

§ ٢ — فاذا كان ثم أمر بديهى فذلك هو أن كلها يمكن بالطبع أن تتغير بعضها الى بعض لأن كون الأشياء يروح الى الأضداد ويحىء من الأضداد . وكل العناصر لها تقابل بعضها بالنسبة الى البعض الآخر لأن فصولها أضداد وحينئذ فى بعض

§ ١ — بعد أن بينا فيما سبق — ر . كتاب السماء ك ٣ ب ٧ ف ١ ص ٢٦٥ من ترجمتنا . ويظهر بناء على هذه الفقرة أن كتاب السماء كان فى فكرة المؤلف مرتبطا بهذا الكتاب كما يعتقد المفسرون إذ وضعوا الكتابين أحدهما تلو الآخر . — المعاينة الحسية — عبارة النص « الحس » . — لأنه ان لم يكن كذلك فقد لا توجد استحالة — الدليل ليس جيد البيان إذ أن الاستحالة مختلفة عن الكون وأنها تقتضيه . فانه يلزم أن يوجد الشيء قبل أن يستحيل ولكن وجود العنصر لشيء لا ينتج منه أن هذا العنصر يأتى من عنصر آخر . — التى يمكن لمسها — ر . ما سبق ب ٢ ف ١ . — تغير العناصر بعضها الى بعض — يمكن مراجعة كتاب السماء وآب الميتو رولوجيا أيضا ك ١ ب ٢ و ٣ من ترجمتنا .

§ ٢ — أمر بديهى — بالدليل أكثر منه بالمشاهدة . — يروح الى الأضداد — حفظت عبارة النص على فرط إيجازها . ومع ذلك فهى مفهومة بسهولة بعد التفاصيل التى تقدمت . فان الشيء يتكونه يذهب من الوجود الى الوجود وعلى ضد ذلك بفساده يذهب من الوجود الى الوجود فهو يجاوز ضدًا ليذهب الى الضد الآخر . — لها تقابل — اتخذت لفظا أعم من لفظ النص الذى هو "تضاد" . — فصولها أضداد — ر . ما سبق ب ٢ ف ٢ .

العناصر الفصلان هما ضدان ومثال ذلك في الماء والنار فان أحدهما يابس وحرار في حين أن الآخر سائل وبارد . وبعض العناصر الأخرى ليس لها إلا واحد من الفصلين كالهواء والماء فان أحدهما هو سائل وحرار والثاني بارد وسائل .

§ ٣ — وحينئذ فمن البين أنه على العموم كل عنصر يمكن بالطبع أن يأتي من كل عنصر . وليس من الصعب الاقتناع بهذا بأن يشاهد كيف تحصل الظاهرة بالنسبة لكل عنصر على حدته . لأنه سيري أن كلها تأتي من كلها . والفرق الوحيد إنما هو أن التغير يتكون بكثير أو قليل من السرعة وبكثير أو قليل من السهولة . وكلما كان بين العناصر نقط ارتباط تحولت بعضها الى بعض سريعا جدا . وما ليس بينها نقط ارتباط لتغير ببطء . وعلة ذلك أن شيئا واحدا بمفرده يتغير بأسرع من عادة . وعلى ذلك فالهواء يأتي من النار بتغير أحد الكيفين ليس الا ، ما دام أن أحدهما يابس وحرار والثاني حار وسائل . وينتج منه أنه اذا كان اليابس مغلوبا بالسائل فيتكون الهواء ثم إنه من الهواء يتكون الماء اذا كان الحار هو المغلوب بالبارد لأن أحدهما كان سائلا وحرارا والثاني كان باردا وسائل فيكفي اذا أن الحرارة وحدها لتغير لأجل أن يتكون الماء .

§ ٤ — وبهذه الطريقة عينها أيضا أن الأرض تأتي من الماء وأن النار تأتي من الأرض لأن هذين العنصرين أيضا لهما أحدهما قبل الآخر نقطة جمع ووصل

— فان أحدهما هو سائل — قد اضطررت للاحتفاظ بلفظ ” سائل “ المطبق على الهواء كما هو أيضا في النص .

§ ٣ — بأن يشاهد — وصية جديدة بمنظ المشاهدة . — نقط ارتباط — ربما كان أضبط أن يقال « تركيب » يمكن . فان الحد المستعمل في النص فيه تفاوت لم أستطع تحصيله مباشرة . ر . الفقرة الآتية . — تحولت — أو « مرت من واحد الى الآخر » . — أحد الكيفين — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — كان — قد حافظت على أسلوب النص وهذا يتعلق بالنظريات التي بسطت آنفا . — يابس وحرار ... حار وسائل — أى أن كيفي الحار يجتمعان ماداما متماثلين . فلا يسبق للتغير الا اليابس والسائل . — كان سائلا — حفظت صيغة الماضي الناقص كما هي في الأصل .

§ ٤ — نقطة جمع ووصل — ترجمت هنا بوضوح معنى الكلمة الإغريقية التي هي خاصة بالأشياء التي يمكن جمع أجزائها لتؤلف كلاً بعد أن فصلت .

فان الماء سائل وبارد والأرض هي باردة ويابسة بحيث إنه اذا كان السائل هو المغلوب تُتكوّن الأرض . ومن جهة أخرى بما أن النار يابسة وحارة والأرض يابسة وباردة فاذا فسد البارد فمن الأرض تُتكوّن النار . فيرى حينئذ أن كون الأجسام البسيطة يحصل بالدور وطريقة التغير هذه هي أسهل الطرق لأن العناصر التي تُتعاقب لها دائما بينها نقط. جمع ووصل .

§ ٥ — والماء يمكن أيضا أن يأتي من النار والأرض من الهواء وبالعكس يمكن أن يأتي أيضا الهواء والنار من الماء ومن الأرض . ولكن هذا التحول هو أصعب لأن موضوع التغير أشياء أكثر عددا . وفي الواقع لأجل أن تأتي النار من الماء يلزم أن يفسد أولا البارد والسائل . وكذلك لأجل أن يأتي الهواء من الأرض يلزم أن البارد واليابس يفسدان . وهذا اللزوم واجب أيضا لأجل أن الماء والأرض يأتیان من النار ومن الهواء لأنه يلزم حينئذ أن يكابد الكيفان التغير .

§ ٦ — وأيضا الكون الذي يحصل بهذه الطريقة هو أبسطاً . ولكن اذا فسد أحد كفيي كل واحد من الاثني فيكون التحول أسهل غير أن هذا التحول لا يحصل بعد حينئذ

— هو المغلوب — بالكيف الآخر الذي هو أقوى منه . فان السائل المغلوب يتلاشى ولا يبقى من الكيفين الا البرودة التي هي الكيف المشخص للأرض . — فن الأرض تتكون النار — كل هذه النظريات تظهر لنا غريبة في هذه الأيام ولكن يجب الرجوع الى زمن أرسطو . وقد كانت هذه النظريات مقبولة بلا نزاع الى القرن السادس عشر . — العناصر التي تتعاقب — ليس في النص الا كلمة واحدة غاية في عدم التحديد ، فان العناصر المتعاقبة هي التي لها كفيات مشتركة . — جمع ووصل — ر . ما سبق في أول هذه الفقرة .

§ ٥ — والماء يمكن أيضا أن يأتي من النار — ليس بين الماء والنار نقطة مشتركة ما فلاجل أن يتغير أحدهما الى الآخر لابد من الوسطاء . وهاهنا الهواء هو الذي له نقط مشتركة بينه وبين الماء من جهة وبينه وبين النار من جهة أخرى . — هذا التحول — عبارة النص أشد إبهاماً . — البارد والسائل — اللذان هما كيفا الماء . — البارد واليابس — كيفا الأرض الخاصان . — الكيفان — لفظ النص غير محدد .

§ ٦ — الكون — كون العنصر الجديد الناتج من تحول العناصر الأخرى . — لا يحصل بعد حينئذ من الواحد الى الآخر — وحينئذ يوجد جسم ثالث مكون من الكيوف الباقية . ينازع فيلويون في صحة هذه النظارية التي هي مع ذلك كما يقول هو كانت مقبولة عند الإسكندر الأفروديزي .

من الواحد الى الآخر على طريق التكافؤ . غير أنه من النار ومن الماء تأتي الأرض والهواء، ومن الهواء ومن الأرض تأتي النار والماء . وفي الواقع اذا فسد بارد الماء ويابس النار يتكون الهواء لأنه لا يبقى بعدُ إلا حار أحدهما وسائل الآخر . ولكن إذا فسد حار النار وسائل الماء لتتكون الأرض لأنه لا يبقى حينئذ إلا يابس أحدهما وبارد الآخر .

§ ٧ — وكما هو الأمر في الهواء والأرض يكون في تكوّن النار والماء لأنه إذا فسد حار الهواء مع يابس الأرض يتكوّن الماء ما دام أنه سيبقى سائل أحدهما وبارد الآخر . ولكن حينما يكون المنعدم هو سائل الماء وبارد الأرض تتكوّن النار لأنه يبقى حار أحدهما ويابس الآخر وهما الكيفان الخالصان بالنار .

§ ٨ — وهذا الإيضاح لكون النار يتفق جدا مع الحوادث التي يشهد بها الحس لأنه إنما هو اللهب الذي هو على الأخص نار واللهب ليس إلا الدخان المحترق والدخان يتركب من هواء وأرض .

§ ٩ — في العناصر التي تتوالى وتتعاقب ليس ممكنا متى كان أحد الكيفين قد فسد في واحد أو في الآخر أن يحصل مرور وتحوّل للعناصر إلى أى جسم آخر

— غير أنه من النار ومن الماء — لا يظهر أن المعاني متعاقبة تماما . — يتكون الهواء — عنصر مخالف للنار والماء اللذين أنجياه . — تتكون الأرض — الملاحظة عينها . — يابس... وبارد — اللذان هما كيفا الأرض . § ٧ — سائل أحدهما — السائل يظهر أن استعماله خاص بالماء . دون سواه . ولكن في هذه النظريات يلزم قبوله أيضا بالنسبة للهواء . لأن لفظ رطب يظهر أنه أحسن استعمالا في بعض الأحوال . ويمكن أيضا أن تستعمل كلمة "لطيف" للهواء . ولكن هذه الكلمة لا توافق تماما كلمة النص . — وهما الكيفان الخالصان بالنار — ر . ماسبق ب ٣ ف ٢ .

§ ٨ — وهذا الإيضاح لكون النار — ليس النص على هذه الصراحة . — يتفق جدا مع الحوادث — لا يظهر أن هذا الاتفاق تام كما يظن المؤلف ولكن هذا لا يمنع من أن النمط الذي يورثه باتباعه طيب وحق ولو أنه لم يحسن تطبيقه . — الدخان يتركب من هواء وأرض — لأن الدخان على رأى أرسطو هو تجزئ الخشب . ر . الميتور ولو جياك ٤ ب ٩ ف ٢ ص ٣٣٩ من ترجمتنا .

§ ٩ — التي تتوالى وتتعاقب — مثال ذلك الهواء بعد النار والماء بعد الهواء . والأرض بعد الماء . ما دامت العناصر الأربعة مرتبة على هذا النظم . — مرور وتحوّل — ليس في النص الا كلمة واحدة .

لأن البواقي التي تبقى في الاثنين هي إما متماثلة أو متضادة . وحينئذ لا من بعضها ولا من الآخر يمكن أن يتحصل جسم . مثال ذلك إذا فسد يابس النار وإذا فسد أيضا سائل الهواء لا توجد نتيجة ممكنة مادامت الحرارة هي التي تبقى من طرف ومن آخر . وكذلك الحال فيما إذا كانت هي الحرارة التي تنعدم من الاثنين فإنه لا يبقى بعد إلا ضدان وهما اليابس والسائل ، ويُجرى هذا المجرى في جميع الأحوال الأخرى مادام أنه في الأحوال التي من هذا القبيل يبقى دائما تارة الكيف المماثل وتارة الكيف المضاد ، وعلى هذا فمن البين حينئذ أنه لأجل تكوين العناصر مارة ومتغيرة من واحد إلى واحد يكفي أن كيفا واحدا يفسد . ولكن بالنسبة للعناصر التي تمر من اثنين إلى واحد فقط . هنالك يحتاج إلى فساد عدة كيفيات .

§ ١٠ — وعلى جملة من القول فإنه قد وضع أن كل عنصر يتولد من كل عنصر وقد بين بأية طريقة يحصل تحول بعضها إلى بعض .

— البواقي التي تبقى في الاثنين — ليس النص على هذه الصراحة . — نتيجة ممكنة — يعني جسما ثلثا مخالفا للجسمين اللذين أنجبا . — الحرارة هي التي تبقى — وفي هذه الحالة هي النار . — ضدان — يترافعان ولا يمكنهما أن يجتمعا مادام أنهما يتفاسدان على التكافؤ . — مارة ومتغيرة — ليس في النص الكلمة واحدة . — من واحد الى واحد — التعبير ليس بينا جدا ولم أزد على أن حصلته بعينه . — كيفا واحدا — الكيف المضاد . والنص ليس على هذا القدر من الضبط . — عدة كيفيات — كلمة النص في غاية الإبهام .

§ ١٠ — وعلى جملة من القول — عبارة النص هي بالبساطة : ” حينئذ ” .

الباب الخامس

بقية نظرية تبدل العناصر — من المحال ألا يوجد إلا عنصر واحد منه تأتي كل العناصر الأخرى —
 في هذا الافتراض قد تحصل استحالة العنصر الوحيد ولكن لا يحصل البتة كون حقيق للعناصر المختلفة —
 شاهد من طيماوس لأفلاطون — عرض جديد للطريقة التي بها تتغير العناصر بعضها الى بعض — يحصل التبدل
 بسرعة متناسبة مع وجود كيف مشترك — نسبة العناصر الأطراف بعضها الى بعض ونسبة العناصر الأوساط —
 الحدود الضرورية لهذا التحول — لا يمكن التمشي الى اللانهاية في أى واحدة من الجهتين — البيان الحرفي
 لهذا المبدأ .

§ ١ — التفاصيل السابقة لا تمنعنا تقدير هذه المسائل على ضوء آخر. فإذا كانت
 مادة الأجسام الطبيعية هي ، كما يرى بعض الفلاسفة ، الماء والهواء أو عناصر
 من هذا القبيل فيلزم أن تكون واحدا أو اثنين أو عدة من هذه العناصر .
 وفي الحق لا يمكن ألا تكون جميع الأشياء إلا عنصرا واحدا أحدا . مثلا أن
 الكل لا يكون إلا هواء أو ماء أو نارا أو أرضا ما دام التغير يحصل في الأضداد .
 وفي الواقع لنفرض أن الكل هو من الهواء وأن الهواء يسبق في جميع التغيرات
 فسيحصل من ثم مجرد استحالة ولن يحصل بعد كون .

§ ٢ — وإمكن في هذا الافتراض عينه ايس ممكنا ، فيما يظهر ، أن يكون الماء في آن
 واحد هواء أو أى عنصر آخر مشابه . فسيوجد دائما بين الكيفيات تقابل وخلاف

§ ١ — التفاصيل السابقة — ليس النص على هذه الصراحة . — على ضوء آخر — عبارة النص
 بالضبط هي : « هكذا » يعنى « بالطريقة الآتية » . — فإذا كانت مادة الأجسام الطبيعية — يجب أن
 يعنى ها هنا بالأجسام الطبيعية أولا بعض العناصر ثم بعد ذلك جميع الأجسام التي تولفها العناصر الأولية
 براكيبها . — كما يرى بعض الفلاسفة — وعلى الأخص فلاسفة مدرسة يونيا . — عنصرا واحدا
 أحدا — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — ما دام التغير يحصل في الأضداد — وأن تقبل واقعية
 التغير المدرك بجواسنا . — في جميع التغيرات — أضفت هذه الكلمات لبيان الفكرة .

§ ٢ — أن يكون الماء — بعض الناشرين ثبت النار بدل الماء ، وأظن أن هذه هي الرواية الحققة لأنها
 هي وحدها التي تتفق مع كل ما يلى . ويظهر أن فيلوبون أيضا على ذلك . ولكنى لم أجسر على تغيير النص
 لأن هذا التغير لا يستند إلى أية نسخة مخطوطة . — بين الكيفيات — أضفت هاتين الكلمتين لتتام المعنى .

حيث لا يكون للنار إلا واحد من الطرفين الحرارة مثلا . ولكن النار لن يمكنها البتة أن تكون بالبساطة هواء حارا لأن هذا إنما هو استحالة . ولا يظهر أن الأمر تقع على هذا النحو . ومن جهة أخرى إذا فرض على العكس أن الهواء يأتي من النار فهذا التغير لا يمكن حصوله إلا بالتغير من الحرارة إلى ضدها فهذه الكيفية المضادة ستكون إذا في الهواء . وحينئذ سيكون الهواء شيئا باردا وبالنتيجة من المحال أن تكون النار هواء حارا لأنه قد ينتج منه أن العنصر الواحد قد يكون حارا وباردا في آن واحد . وسيوجد حينئذ خلاف هذين العنصرين شيء ما آخر سيبقى مماثلا وهو أية مادة أخرى عامة للاثنين .

§ ٣ - قد يكون التديل عينه منطبقا في حق كل عنصر آخر تغير الهواء . ولا يمكن أن يوجد منها واحد قد يكون المنبع الوحيد الذي منه تكون قد خرجت الأخرى كلها . وليس يوجد خلاف هذه العناصر عنصر آخر وسيط ، كأن يكون مثلا عنصرا وسطا بين الهواء والماء أو بين الهواء والنار ، أثقل من الهواء والنار وأخف من كل الأخر . لأن هذا الوسيط حينئذ يكون بمقابلة الأضداد هواء ونارا معا . ولا يمكن ثانی الضدين هو العدم وبالتبع لا يمكن أن يثبت هذا العنصر الوسيط وحده ، كما يقوله بعض

- واحد من الطرفين - هذه هي كلمة النص بعينها أثبتنا وربما قد لا تكون الكلمة المختارة . - الحرارة - بافتراض أن الهواء حار وسائل كما سبق في ف ٢ و ٣ . - الأمور تقع على هذا النحو - ليست عبارة النص على هذه الصراحة . - أن الهواء يأتي من النار - كما افترض أنفا من أن النار هي التي كانت تأتي من الهواء فيلزم أن الهواء يمكن أن يأتي من النار أيضا ما دام أنه لم يفترض إلا عنصر واحد أحد . - من الحرارة - التي هي في النار بالبداهة . - إلى ضدها - الذي هو البرودة . - هذه الكيفية المضادة - ليس في النص إلا اسم إشارة غير محدد . - وسيوجد حينئذ - هذه هي النظرية التي سيقف عندها أرسطو فيأيلي . - أية مادة أخرى عامة للاثنين - هي المادة بالقوة المحضة لا بالفعل والتي يمكنها أن تقبل على التناوب صورة كل واحد من الأضداد ونوعه . ر . طيأوس أفلاطون ترجمة كوزان ص ١٢٢

§ ٣ - في حق كل عنصر آخر غير الهواء - النص مبهم جدا . - قد يكون المنبع الوحيد - النص مبهم جدا أيضا . - عنصر آخر وسيط - كما كان يرى أنكسيمندروس على رواية فيلو بون . - هو العدم - ر . الطبيعية ك ١ ب ٨ ف ١٠ ص ٤٨٠ من ترجمتنا . فان العدم هو ثاني الضدين بمعنى أن هذا الضد

الفلاسفة ، عن اللامتناهي وعن الحاوى . فيلزم إذًا إما أن كل واحد من العناصر المعروفة يمكن أن يكون على السواء هو ذلك الوسيط وإما ألا يمكن ولا واحد منها أن يكونه .

§ ٤ — ولكنه إذا لم يكن أجسام محسوسة سابقة على تلك فالعناصر التي نعرفها هي كل هذه الموجودة، فيلزم حينئذ إما أن تثبت العناصر الى الأبد كما هي دون أن يتغير بعضها الى بعض وإما أن تتغير على الدوام . يمكن أن يسلم أيضا إمكان تغيرها جميعا أو أن بعضها يمكن أن يتغير وأن الأخرى لا يمكنها ذلك كما قال أفلاطون في طيماوس . ولقد وُضِعَ فيما سبق أن العناصر تتغير بالضرورة بعضها إلى بعض ولكنه قد يُبين أيضا أنها لا تتغير بسرعة على السواء تحت هذا التأثير المتبادل وأن التغير يحصل أسرع بالنسبة للتي بينها نقطة صلة أعنى كيفاً مشتركاً، وأبطأ بالنسبة لتلك التي ليس لها من ذلك . فاذا لم يكن إذًا إلا مقابلة واحدة بالأضداد على حسبها تتغير الأجسام فيلزم بالضرورة حينئذ أن يوجد جسمان لأن الهيولى إنما هي التي تصلح وسطا للضدين غير مدرك وغير منفصل ولكن لما أنه يوجد بالمعينة عناصر أكثر فإن أقل ما يمكن أن يوجد من المقابلات إنما هو اثنان ومتى وجد

الثاني لا يوجد الا متى انقطع وجود الآخر . — وعن الحاوى — حفظت لفظ النص على ابهامه . ر . على اللامتناهي الطبيعة ك ٣ ب ٦ ف ٤ ص ٩٧ من ترجمتنا . الفلاسفة الذين بشر اليهم هنا أرسطو بلاشك هم أتباع فيثاغورث . ر . كذلك أيضا الطبيعة ف ١٢ ص ١٠٠ . — يمكن أن يكون على السواء هو ذلك الوسيط — ليس النص على هذا القدر من البيان . ولكن المعنى الذي وفيناه ظاهر من شرح فيلو بون .

§ ٤ — أجسام محسوسة — عبارة النص غير محددة . — فالعناصر التي نعرفها — زدت ” التي نعرفها“ . — كما هي — زدتها أيضا . — كما قال أفلاطون في طيماوس — ر . طيماوس ترجمة كوزان ص ١٦٦ وما بعدها . — فيما سبق — ر . ما سبق ب ٣ و ٤ . — أعنى كيفاً مشتركاً — زدت هذه العبارة على جهة التذييل . — مقابلة واحدة بالأضداد — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — للضدين — أضفت هذا الجار والمجرور لاتمام الفكرة . ر . الطبيعة ك ١ ب ٨ من ترجمتنا . — عناصر أكثر — ليس النص على هذه الصراحة .

اثنان فلا يمكن أن يوجد ثلاثة حدود فقط بل يلزم مطلقاً أربعة كما قد تدل عليه المشاهدة . وهذا إنما هو عدد التراكيب اثنين اثنين لأنه ولو أنها ستة في المجموع إلا أن منها اثنين لا يمكن البتة أن يكونا لأنهما ضدان أحدهما للآخر . ومع ذلك فقد عولجت هذه المسائل فيما سبق .

§ ٥ — مع أن العناصر تُتغير بعضها إلى بعض فإن من المحال أن يوجد مبدأ التحول لا في أحد الطرفين ولا في الوسط . وإليك ما يشبهه : فأما الطرفان فإنه ليس ممكناً أن تكون كل الأشياء من النار كما أنها لا تكون كلها من الأرض ، لأن هذا يرجع إلى القول بأن الكل يتولد من النار أو أن الكل يتولد من الأرض . ولكن لا يمكن أن يقال أيضاً ، كما يريد بعض الفلاسفة ، إن الوسط هو المبدأ وإن الهواء ينقلب إلى نار وإلى ماء ولا إن الماء ينقلب إلى هواء وإلى أرض . لأنني أكرر أن الأطراف لا يمكن البتة أن يتغير بعضها إلى بعض .

§ ٦ — على ذلك يلزم إيجاد نقطة وقوف ولا يمكن من جهة ولا من أخرى السير إلى اللانهاية على خط مستقيم لأنه يترتب عليه وجود مقابلات وأضداد غير متناهية العدد لعنصر واحد أحد . فلنرمز للأرض بحرف α وللماء بحرف μ وللهواء

— فيما سبق — ر . ما سبق ب ٣ ف ١

§ ٥ — مبدأ التحول — عبارة النص هي بالبساطة "مبدأ" . — من النار ... من الأرض — بأن النار والأرض هما العنصران الطرفان . — الهواء ينقلب إلى نار — بما أن الهواء عنصر وسيط . — الماء ينقلب إلى هواء — الملاحظة عليها . — أكرر — أضفت هذه الكلمة . — أن يتغير بعضها إلى بعض — لأن الأطراف هي أضداد تتفاسد ولكنها لا تتبدل على طريق التكافؤ .

§ ٦ — يلزم إيجاد نقطة وقوف — التي هي أحد الطرفين . — إلى اللانهاية على خط مستقيم — يعني من غير أن يرد على عقبيه ليذهب من جديد من الطرف الثاني إلى الطرف الأول كما ذهب أولاً من الطرف الأول إلى الطرف الثاني ومع ذلك فإن هذه الفكرة ليست بيّنة ببيان كافٍ . — مقابلات وأضداد — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — فلنرمز للأرض بحرف Γ — [بالفرنساوية وقد رضع بدلها في النص العربي

بحرف ه وللنار بحرف ن . فإذا تغير ه إلى ن وإلى م فالتقابل يكون بين ه ، ن . ولنفرض أن هذين الضدين هما البياض والسواد . ومن جهة أخرى إذا تغير ه إلى م فسيكون تقابل آخر لأن م ، ن ليسا متماثلين ولتكن مقابلة السيولة واليبوسة مرموزا لليبوسة بحرف ي وللسيولة بحرف س فاذا كان حينئذ الأبيض هو الذى يمكث ويبقى فيكون الماء سائلا وأبيض ، فإذا لم يكن أبيض فيكون أسود ما دام أن التغير لا يحصل إلا إلى الأضداد . فيلزم حينئذ بالضرورة أن يكون الماء إما أبيض وإما أسود ويمكن افتراض أنه في الحالة الأولى . وبالطريقة عينها أيضا ي السيولة يكون لحرف ن وحينئذ ن أعنى النار تتغير كذلك إلى ماء لأنهما الضدان ، والنار كانت سوداء أولا ثم يابسة بعد ذلك كما كان الماء سائلا أولا ثم أبيض .

§ ٧ - فبين إذا أن كل العناصر يمكن أن يتغير بعضها إلى بعض . والكيوف الباقية ستوجد في (ا) الأرض كما يوجد فيها نقطتنا الاجتماع والارتباط الأسود والسائل ما دام أن هذين الكيفين لم يتركبا معا بعد بأية طريقة كانت .

حرف ا] في النص أخذت حروف الرمز من أوائل أسماء العناصر كما به اليه فيلويون كما فعلت في الترجمة . ومع ذلك فان هذا المثل الحرفي لم يأت ببايضاح كبير . - البياض والسواد - - نيه سان توماس بحق الى أن هذه الأمثلة ليست مخارة وأن هذه ليست هي الكيفيات العادية للعناصر . - م ، ن ليسا متماثلين - بل هما ضدان بالعرف العام ما دام أنهما الماء والنار . - السيولة - يمكن أن تترجم أيضا "اللطوبة" . - أعنى النار تتغير كذلك إلى ماء - كل هذه التناير هي نظرية محضة ولا تطابق حقيقة الواقع في شئ . والمؤلف هاهنا ليس متمسكا بنهج المشاهدة الذى طالما أوصى به .

§ ٧ - أن كل العناصر - قد يكون من الممكن تخصيص هذه القضية التي هي أعم مما يلغى بعض الشئ، وقصرها على عنصرى الأرض والنار . - الكيوف الباقية - يعنى التي لم يتألف أحدها مع الآخر بعد . - نقطتنا الاجتماع والارتباط - يعنى الكيفيات المشتركة للعنصرين والتي بها يمكن أن يجتمعا ويتركبا بحيث إن أحدهما يتغير إلى الآخر .

§ ٨ — وهالك البرهان على أنه لا يمكن هاهنا أن يتمشى إلى اللانهاية ، مبدأ اعتمدنا عليه من قبل أن نقرر الإيضاح الذى سبق ، وذلك هو أنه إذا فرض أن النار المرموز لها بحرف ن تتغير إلى عنصر آخر ولا ترجع إلى الوراء وأنها مثلا تتغير إلى ر فن ثم يكون بين النار وبين ر مقابلة بالأضداد مختلفة عن المقابلات المذكورة آنفا ما دام أن ر لا يمكن أن تكون ممانثة لأى واحد من العناصر المرموز لها بالحروف أ ، م ، ه ، ن ولنفرض أن الكيف ك هو كيف ن وأن الكيف ي هو كيف ر فتكون ك حينئذ لكل العناصر أ ، م ، ه ، ن لأن كل هذه العناصر يتغير بعضها إلى بعض . ولكن مع التسليم بأن هذا لم يوضع بعد فان من البين على الأقل أنه إذا تغير ر من جديد إلى عنصر آخر فن ثم يكون تقابل آخر بالأضداد ويكون بين ر وبين النار ن . وتكون الحال كذلك دائما بالنسبة للحد المزيدي وأنه يوقع دائما مقابلة مع الحدود السابقة بحيث إنه إذا كانت هذه الحدود غير متناهية بالعدد فتكون كذلك مقابلات غير متناهية بالعدد لعنصر واحد أحد . وإذا كان هذا ممكنا فن ثم يكون من المحال أن يعطى أى قول شارح وأن يوضع كون أى عنصرا ما دام أنه يلزم ، إذا كان واحد يأتي من الآخر ، أن يجتاز من المقابلات عدد ما ذكرنا بل وأزيد

§ ٨ — مبدأ اعتمدنا عليه — ر . ٥ ف ٦ . — الإيضاح الذى سبق — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — ولا ترجع إلى الوراء — يعنى إذا توالى التغير على خط مستقيم وإذا لم تتغير النار على التعاقب إلى هواء وماء وأرض لتتغير الأرض بعد ذلك إلى ماء وهواء ونار . — المذكورة آنفا — ر . ٥ و ٦ — لا يمكن أن تكون ممانثة — يعنى أن « ر » تكون مفروضة عنصرا خامسا خارجا عن النار والهواء والماء والأرض . — الكيف « ك » — عبارة النص هى فقط « ك » . — فتكون « ك » حينئذ لكل العناصر — ما دام أنه للعنصر « ن » بواسطة « ر » ولسائر الأخرى بواسطة « ن » . — للحد المزيدي — كما زيدت « ر » على أربعة العناصر الأخرى . — إذا كانت هذه الحدود غير متناهية بالعدد — يجب أن يعنى بالحدود العناصر الجديدة التى قد تفترض تلوا العنصر الخامس كما افترض الخامس تلوا للاربعة الأول . — لعنصر واحد أحد — ما دام أن جميع العناصر يمكن أن يتغير بعضها إلى بعض على التعاقب . — أى عنصرا — عبارة النص غير محددة . — ما ذكرنا — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — بل وأزيد منه — هذا غير مفهوم تماما ما دام قد افترض أن عدد الأوساط غير متناه .

منه . وينتج من ذلك أنه بالنسبة لبعض العناصر لا يكون تغير ممكن البتة، مثال ذلك إذا كانت الأوساط غير متناهية بالعدد وهذا لا زم إذا كانت العناصر غير متناهية بالعدد هي أنفسها، وعلى ذلك مثلا لا يكون تغير من هواء الى نار إذا كانت المقابلات التي تُجتاز هي غير متناهية بالعدد . § ٩ — وأخيرا كل العناصر أيضا تنتهي الى عنصر واحد لأنه يلزم أن تكون كل هذه المقابلات متعلقة إما بالمقابلات من أعلى بالعناصر التي هي أسفل من ن وإما بالمقابلات من أسفل بهذه العناصر نفسها بحيث إن الكل ينتهي إلى واحد .

— لبعض العناصر — عبارة النص غير محددة ، ويظهر لي أن هذا يرجع بالضرورة الى العناصر . — إذا كانت الأوساط غير متناهية بالعدد — كما افترض سابقا ، فإن الهواء والنارهما مع ذلك عنصران متجاوران كلاهما فاذا لم يمكن تغير أحدهما الى الآخر على طريق التكافؤ فن باب أولى العناصر المتباعدة كالنار والأرض . § ٩ — وأخيرا — أضفت هذه الكلمة لبيان أن هذا هو تمام كل ما سبق . ومع ذلك فلا يرى قوة هذا البرهان المبني على فرض عنصر خامس وسلسلة متناهية من العناصر . حتى لو فرض أنه لا يوجد إلا أربعة عناصر فإدام أنها يمكن أن يتغير بعضها إلى بعض كما يقره أرسطو فإنه يظهر أيضا أنه يمكن أيضا أن تنتهي الى واحد . ومع ذلك فاني لست واقفا بأن يكون المراد هنا هو العناصر ما دام أن عبارة النص غير معينة كما في بعض الفقرات الأخرى . ومن الممكن أن تكون جميع الأوساط هي التي تنتهي الى الواحد . — كل العناصر أيضا تنتهي الى عنصر واحد — حفظت عدم التعيين الموجود في النص . وما زالت هذه الفقرة مغلقة على الرغم من توضيحات فيلوبون الذي يستند مع ذلك الى الإسكندر الأفروديزي . والظاهر أن هذا الأخير كان لديه نص أرسطو كما وصل الينا ، ومن المحتمل أنه لا محل لافتراض أي تحريف هاهنا . وإن الفكرة العامة لهذا التديل هي مع ذلك جلية وإن كانت التفاصيل ليست دائما كذلك . فعلى رأى أرسطو أن أربعة العناصر يمكن أن يتغير بعضها الى بعض . ولكن هذا التغير لا يصبح أن يكون غير متناه . ويلزم الاستمساك بالأربعة العناصر التي تدرکہا حواسنا وبالأربع الكيفيات التي تشخصها وتميزها . وقد فسر سان توماس هذه الفقرة بالاختصار الذي ليس من عادته . ولم يكن هذا الإيجاز ليساعد على جلاء المعنى .

الباب السادس

إبطال نظرية أميدقل على مقارنة العناصر بينها سواء بالنسبة إلى الكم أم بالنسبة إلى الأثر والتناسب —
 في مذهب أميدقل نمو الأشياء يرجع الى مجرد جمع — إنه لا يفسر أيضا كون الأشياء ، بل أخضعه لسلطان
 المصادفة ، ولا علة الحركة الأصلية ولا طبع النفس الحقيقي — شواهد مختلفة من شعراً أميدقل .

§ ١ — حينما يرى أن فلاسفة يقبلون تعدد عناصر الأجسام وينكرون في آن واحد
 أن العناصر تتغير بعضها إلى بعض ، كما يفعل أميدقل ، قد يمكن أن يُسألوا في شيء
 من الدهش كيف يستطيعون إذاً أن يقرروا أن العناصر هي قابلة للمقارنة بعضها
 ببعض . هذا مع ذلك هو ما يزعمه أميدقل إذ يقول :
 ” لأن العناصر كلها كانت متساوية فيما بينها “

فاذا كانت المساواة في الكم لزم أن يوجد بين الأشياء المقارنة شيء مشترك
 يصلح لقياسها ، مثال ذلك إذا كان من كوتيل [ربع لتر] واحد من الماء يمكن إيجاد
 عشرة كوتيلات من الهواء فذلك بأن العنصرين كانا من بعض الوجوه شيئاً واحداً
 ما دام أن قياسهما واحد . § ٢ — فاذا كانت الأشياء ليست قابلة للمقارنة هكذا
 بالنسبة إلى الكم أي أن الكمية الفلانية مضارعة الكمية الفلانية فيلزم على الأقل أن تكونه

§ ب ٦ ف ١ — حينما يرى — ليس النص على هذه الصراحة . — في آن واحد — أضفت
 هذه الكلمات حتى تكون المقابلة بين المعاني أظهر . — كما يفعل أميدقل — . ما سبق ب ٣ ف ٦ .
 — قابلة للمقارنة — التعبير مبهم ولم أشأ أن أزيد عليه ما يعينه . وإن الأمثلة التي ستذكر فيما بعد مستقل
 من إبهامه شيئاً . — كانت متساوية — ها هنا أيضاً قد حصلت عبارة النص على ما فيها من عدم التعيين .
 — فاذا كانت المساواة في الكم — على تقدير المادى ليقابل بكم القوة الذي سيجيء الكلام عليه فيما يلي .
 — يمكن إيجاد عشرة كوتيلات من الهواء — أو « إذا كان كوتيل من الماء يقابل عشرة كوتيلات
 من الهواء » وهذا ليس إلا مجرد فرض وليس معناه أن أرسطو يظن أن هذه هي في الواقع النسبة بين
 الهواء والماء .

§ ٢ — الأشياء — أو « العناصر » . — مضارعة — أو « آتية من » .

بعلاقة الأثر الذى يمكن أن تحدثه . مثال ذلك : إذا كان كوتيل من الماء يمكن أن يحدث من البرودة ما تحدثه عشرة كوتيلات من الهواء فحينئذ تكون العناصر قابلة أيضا للمقارنة بينها بعلاقة الكمية لا من حيث هى بالضبط كمية مادية ولكن من حيث إنه يمكنها أن تحدث فعلا ما .

٣٤ — قد يمكن أيضا مقارنة القوى أو الطاقات ليس فقط بمقياس الكمية مباشرة بل أيضا بالتنسيب والتشبيه . على ذلك يمكن أن يقال إن الشيء الفلانى حاز كما أن الشيء الآخر أبيض . فكاف التشبيه تين علاقة المشابهة إذا كان المعنى هو الكيف ، فان كان المقصود الكم فهى تقيّد المساواة . ولكن من السخف ، فيما يظهر ، أن الأجسام التى لا يمكن أن تتبدل بعضها ببعض لا تكون قابلة للمقارنة فيما بينها بعلاقة المشابهة وأن تكون فقط بمقياس قوتها ولأن الكمية الفلانية من النار مثلا يمكن أن تكون أيضا حارة وتحدث الحرارة التى تحدثها الكمية الفلانية من الهواء التى هى أعظم منها . وفى الواقع أن جوهرها من هذا الطبع إذا كانت كميته أعظم يمكنه أن يصير بالتنسيب مكافئا لأنه سيكون والآخر من جنس واحد .

— الأثر الذى يمكن أن تحدثه — ليس النص على هذا الوضوح . — يمكن أن يحدث من البرودة كان من حق هذه العبارة أن تكون أوسع مما هى . — مادية — أضفت هذا الوصف . — أن تحدث فعلا ما — عبارة النص بالضبط هى : « بما هى مستطبعة شيئا ما » .

٣٤ — القوى أو الطاقات — ليس فى النص إلا كلمة واحدة . — مباشرة — أضفت هذه الكلمة لبيان الفكرة . — بالتنسيب والتشبيه — ليس فى النص إلا كلمة واحدة . — فكاف التشبيه — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — ولكن من السخف فيما يظهر — الرأى الذى يقنقه أرسطو هنا يجب أن يكون مستندا أيضا الى أميديل على رغم أن هذا التعيين لم يذكر فى النص صراحة . — قابلة للمقارنة فيما بينها — لم يذكر فيما سبق أن هذا الرأى هو رأى أميديل . — المشابهة — أو «التنسيب» . — مثلا — أضفت هذه الكلمة . — الكمية الفلانية من الهواء التى هى أعظم منها — فى نسبة حرارة الهواء الى حرارة النار . أما القاعدة فهى مع ذلك صحيحة . فإن جسمين مكيفين بكيف واحد يمكن أن يوازن بينهما بالزيادة على أضف الاثنى .

§ ٤ — أزيد على ذلك أنه على حسب مذهب أمبيدقل لا يوجد نمو ممكن إلا النمو الذى يحصل بالجمع وهكذا هو يفترض أن النار تنمو بالنار حين يقول :
 ”الأرض تنمى الأرض والهواء ذاته ينمى الهواء“
 حينئذ ليس هذا إذاً إلا مجرد إضافة ولا يظهر أن الأشياء التى تنمو يمكن أن تنمو هكذا .

§ ٥ — ولكنه أعسر أيضاً على أمبيدقل أن يوضح كون الموجودات فى الطبع لأن كل الموجودات التى تولد وتتكون بحسب القوانين الطبيعية أو تولد دائماً بطريقة منتظمة أو بالأقل على الغالب بهذه الطريقة ، والموجودات التى تكون على ضد هذا النظام الثابت أزلاً أو بالأقل الأكثر فى العادة هى ثمرة علة انتفاكية وثمره المصادفة . فما هو الفاعل إذاً فى أن من إنسان يولد إنسان إما دائماً وعلى حسب قاعدة أزلية وإما بالأقل بحكم العادة الغالبة ، كما أن من القمح يأتى دائماً قمح لا شجرة زيتون؟ أم هل العظام لا تتكون أيضاً بالطريقة عينها؟ كلا إن الأشياء لا تكون بالمصادفة وبالانتفاك كما يقول أمبيدقل بل هى تتكون بنوع ما من العقل .

§ ٤ — أزيد على ذلك... هو يفترض — ليس النص على هذا القدر من الظهور . — حين يقول — أضفت هاتين الكلمتين . — تنمى الأرض — عبارة النص بالضبط : « تنمى نوعها الخاص » وقد بين أرسطو فيما سبق أن نمو الأشياء لا يمكن أن يحصل بمجرد الإضافة ك ١ ب ٥ ف ٨ . — ولا يظهر — يحال على المرجع السابق .

§ ٥ — على أمبيدقل — أضفت هاتين الكلمتين اللتين تفهمان من صوغ النص . — فى الطبع — بصرف النظر عن الأشياء التى توجد بها صناعة الانسان . — علة انتفاكية وثمره المصادفة — إن إبطال نظرية المصادفة هذا هو مطابق تمام المطابقة ، حتى فى لفظه أحياناً ، للنظرية الواردة فى الطبيعة ك ٢ ب ٤ ف ٨٠٦ ص ٣٢٠٣١ من ترجمتى وأيضاً فى الباب الخامس وما يليه . — أم هل العظام لا تتكون أيضاً — لا يرى جيداً لماذا مثل بالعظام هنا . وإن كان أمبيدقل فى الحق يستعمل هذا المثل غالباً ، — كما يقول أمبيدقل — ر . الطبيعة ك ٢ ب ٨ ف ٣ ص ٥٤ وما بعدها من ترجمتنا . — بنوع ما من العقل — أم « بنوع ما من الفطنة » .

§ ٦ — فما هي إذا العلة في كل هذه الظواهر؟ إنها ليست في الحق لا الأرض ولا النار، وليست كذلك العشق والتنافر لأن أحدهما ليس علة إلا لتأليف الأشياء والآخر لتفريقها. تلك العلة إنما هي أصل لكل شيء. وليست فقط كما يقول أمبيدقل:

« اختلاط وتنافر للأشياء المختلطة »

فهى ليست إذا ما يسمى بالمصادفة وليست هذه بعلة. لأنه ممكن تماما أن يوجد أحيانا اختلاط اتفاقى ومشوش. § — ٧ — إذا ما هو علة لكل واحد من الموجودات الطبيعية إنما هو تركيبها، إنما هو الطبع الخاص لكل واحد منها مما لا يقول عنه أمبيدقل كلمة واحدة. بل يمكن التأكيد بأنه لم يدرس الطبع حقيقة ولو أن الطبع هو بالضبط النظام والخير لجميع الأشياء. ولكن أمبيدقل لا يشيد مطلقا إلا بذكر الامتزاج والاختلاط ومع ذلك فليس هو التنافر بل هو العشق الذى فصل العناصر وهما على رأيه متقدمان على الله ذاته لأن عناصر أمبيدقل هي أيضا آلهة.

§ ٦ — إنها ليست في الحق لا الأرض ولا النار— هذه الجملة واردة على صيغة تهكية. — العشق والتنافر— المبدآن العظيان عند أمبيدقل. ر. الطبيعة ك ٧ ب ١ ف ٤ ص ٤٥٥ من ترجمتنا. — إنما هي أصل لكل شيء. — معنى صورته الجوهرية. وكان يمكن أرسطو أن يترقى أيضا إلى أعلى من ذلك ويتساءل إلام يجب أن يرجع في أصل كل شيء. — وليست هذه بعلة — أو نوعا من التناسب والنظام. وإن اللفظ المستعمل في النص هو في غاية السعة. — لأنه ممكن تماما — يظهر أن فيلو بون لم يفهم هذه الجملة الصغيرة لأنه لم يفسرها. — اتفاق ومشوش — ليس في النص إلا كلمة واحدة.

§ ٧ — إنما هو تركيبها — والترجمة الحرفية هي: « كونها على ما هي عليه ». ومع ذلك فإن هذا غير صحيح جدا فإنه لا يمكن أن يقال إن تركيب الموجودات هو علتها الحقيقية. — النظام والخير لجميع الأشياء. — على هذا المعنى يمكن القول بأن هذا هو علتها الغائية. — الامتزاج والاختلاط — ليس في النص إلا كلمة واحدة. — العشق الذى فصل — لا يظهر أن هذا مطابق تماما لآراء أمبيدقل. وفي الحق أنه لأجل الجمع يلزم ألا التفريق ولكن أمبيدقل إنما يسند التفريق إلى التنافر. — على رأيه — أضفت هاتين الكلمتين لبيان الفكرة. — الله ذاته — إله أمبيدقل هو « السفوروس » الذى يحيط بكل شيء. فارة ينبسط بالتنافر وتارة يتقبض بالعشقى. ر. الطبيعة ك ١ ب ١ ف ٤ في التعليقات ص ٤٥٥ من ترجمتنا.

§ ٨ — إنه لا يتكلم كذلك على الحركة إلا بطريقة غاية في العموم لأنه لا يكفي أن يقال إن التنافر والعشق هما اللذان يعطيان الحركة إذا لم يعين أن العشق ينحصر في أن يسبب النوع الفلاني من الحركة والتنافر في أن يسبب النوع الفلاني منها .
 وحينئذ كان يجب على أميدقل هاهنا إما أن يحدد الأشياء بالضبط ، أو أن يتصور فرضا ما ، أو أن يوضح توضيحا قويا أو ضعيفا مع ذلك ، أو أن يخلص منه بأية طريقة أخرى . § ٩ — رد آخر . إن الأجسام هي تارة متحركة بالقسر وضد الطبع وتارة هي ذات حركة طبيعية . مثال ذلك النار تتجه إلى فوق من غير أن يكون ذلك بالقسر ولا تتجه إلى تحت إلا بالقسر فالحركة الطبيعية هي ضد الحركة القسرية فالنتيجة كما أنه يوجد حركة قسرية يوجد أيضا حركة طبيعية .
 فهل هو إذاً العشق أو ايس هو العشق الذي يكون هذه الحركة الأخيرة؟ متى كان للأرض حركة تحملها إلى تحت فإنما هي حركة مضادة للائتلاف وتشبه الانفصال . إذاً يكون التنافر هو أولى من العشق في أن يكون علة الحركة الطبيعية وبالنتيجة يكون

٨ — غاية في العموم — ويمكن أن يترجم أيضا : « أسط مما ينبغي » فان عبارة النص تؤدي المعنيين . — إذا لم يعين — ليس النص على هذه الصراحة . — بالضبط — زدت هذا القيد لتعام المعنى . — يخلص منه بأية طريقة أخرى — عبارة النص فيها من طابع المألوف العرفي نحو ما في العبارة التي ترجمناها بها .

§ ٩ — رد آخر — ليس النص على هذا القدر من التعيين . — بالقسر وضد الطبع — ر . الطبيعة لك ٨ ب ٤ ف ٢ ص ٤٨١ من ترجمتنا وما بعدها . — كما أنه يوجد حركة قسرية — على تقدير « بحسب نظريات أميدقل » . — هذه الحركة الأخيرة — زدت وصف « الأخيرة » ليعين المعنى . — تحملها إلى تحت — وفي نسخ أخرى ربما كانت هي الأكثر غندا « إلى فوق » بدلا من « إلى تحت » . ولكن هذا لا يتفق مع تقارن النص . فان أرسطو يرد بأنه حتى لو كانت الأرض محمولة إلى تحت بحركتها الطبيعية فان الحركة أشبه بالتفريق منها بالجمع . ما دامت الأرض أو بعض أجزائها على الأقل تتجه إلى المركز حيث النار يجب أن تلقاها بحركة قسرية لتنضم إليها . — فإنما هي حركة مضادة — ايس النص مثل الترجمة في الوضوح . وفي كل هذه الفقرة شيء من الخفاء . — للائتلاف — زدت هذه الكلمة . — الحركة الطبيعية — التي تفرق بين الأشياء بدلا من

العشق أولى من التنافر في أنه مضاد للطبع . فإذا لم يكن لا التنافر ولا العشق يكونان الحركة فلا يكون للأجسام أعيانها لا حركة ولا سكون . ولكن هذا إنما هو نتيجة باطلة .

§ ١٠ — يعترف أميدقل أن الأجسام بالبدئية في حال حركة لأن التنافر هو الذي فصلها . والإيثير قد ارتفع في الملاء الأعلى لا بواسطة التنافر ولكن كما يقول أحيانا أميدقل بضرب من المصادفة :

”الهواء حينئذ يطير هكذا ولكن في الغالب على خلاف ذلك“

وأحيانا يقول أميدقل أيضا إن النار اضطرت أن تنبج بالطبع إلى فوق وأن الإيثير قد جاء .

« يتكى بقوة على قواعد الأرض »

وأخيرا يعلمنا أميدقل أن العالم هو مسير الآن بالتنافر كما كان سابقا مسيرا بالعشق سواء بسواء .

١١ — فإذا هو إذاً على رأيه المحرك الأول والعللة الأولى للحركة ؟ حقا ليس هو العشق والتنافر ولو أن كليهما مع ذلك يسبب نوعا ما من الحركة . وإذا كانا هما المحرك الأول الذي يوجد فيكونان المبدأ الحقيقي للأشياء .

أن تجمعها والتي توجه النار إلى فوق في حين أنها توجه الأرض إلى تحت . — لا التنافر ولا العشق — في مذهب أميدقل . — نتيجة باطلة — يقبل أرسطو كقاعدة لا تحتل الجدل أن الحركة موجودة . ر . الطبيعة ك ١ ب ٢ ف ٦ ص ٤٣٦ من ترجمتنا .

§ ١٠ — يعترف أميدقل — النص لا يذكر هنا أميدقل وعبارته هي : « الأجسام يظهر أنها في حركة » . ولكن هذا بالبدئية يرجع إلى مذهب أميدقل كما تعينه القرينة . — الهواء حينئذ يطير هكذا — هذا البيت بعينه قد استشهد به في الطبيعة ك ٢ ب ٤ ف ٦ ص ٣٢ من ترجمتنا . — وأخيرا يعلمنا أميدقل — هذا الأسلوب التهكمي موجود في النص .

§ ١١ — على رأيه — زدت هاتين الكلمتين لأنه يظهر لي أن الكلام لا يزال مسوقا إلى إبطال مذهب أميدقل . — نوعا ما من الحركة — فان العشق يجمع العناصر والتنافر يفرقها وفي هذا نوع مزدوج من الحركة . — وإذا كانا هما المحرك الأول — النص ملتبس ويمكن أن يفهم على عدة معانٍ . فأما فيلور يون فلم يوضحه وأما سانت توماس فإنه أعطى المعنى الذي احتضرتة تقريرا .

١٢§ — وأخيرا فليس أقل سخفا أن يُفترض أن النفس تأتي من العناصر أو أنها واحد من العناصر لأنه كيف تُتكوّن إذا الاستحالات الخاصة للنفس! . مثال ذلك كيف يفهم أن يكون لها أو لا يكون لها صنعة الموسيقى! كيف يفهم الذكر والنسيان! من البين أنه إذا كانت النفس من النار يكون لها بما هي نار جميع الكيفيات التي تُتعلق بالنار . وإذا كانت النفس مزيجاً من العناصر كان لها كيفيات الأجسام وليس ولا واحد من كيفيات النفس بجسمانيّ . على أن هذه المناقشة تُتعلق بدراسة غير هذه قطعاً .

١٢§ — وأخيرا — أضفت هذه الكلمة لأبين في آن واحد أن هذا هو آخر الانتقادات الموجهة إلى نظرية أميدقل ولأبين أن هذا الدليل الأخير مغاير للدلة السابقة . — الاستحالات — أو «الكيفيات» ولكن حصلت لفظ النص بذاته . — الخاصة للنفس — يعني كل التأثيرات الأخلاقية أو العقلية . — من النار... بما هي نار... بالنار — هذا التكرير هو في النص . فافترض الأول إنما هو أن النفس هي عنصر النار مثلا . والفرض الثاني إنما هو أنها مزيج من العناصر . — بدراسة غير هذه قطعاً — وفي الحق أن هذه المناقشة موجودة في كتاب النفس ك ١ ب ٢ ف ٦ ص ١١٢ من ترجمتنا . حيث يعيب أرسطو كما يعيب هنا نظرية أميدقل التي استشهد لها بعدة أبيات من الشعر تشمل عليها .

الباب السابع

بقية إبطال مذهب أميدقل — متى أنكر أن العناصر يمكن أن تتغير بعضها الى بعض فلا يمكن توضيح تكون الجواهر العنصرية المختلفة — شاهد من أميدقل — صعوبة توضيح تكون الجواهر المختلفة ليست أقل عظاما متى سلم بأحدية المادة — تعيين نظرية جديدة فيها تكون الأضداد هي التي يفعلها المتكافئ تكون جميع جواهر الطبيعة .

§ ١ — نأتى الى ما يختص بالعناصر التي منها الأجسام مركبة . جميع الفلاسفة الذين يقبلون عنصرا مشتركا أو الذين يقبلون أن العناصر تتغير بعضها الى بعض يجب عليهم بالضرورة أن يعترفوا أيضا بأنه اذا تحقق أحد هذين الفرضين تحقق الثانى على السواء . ولكن هؤلاء الذين لا يريدون أن العناصر يمكن أن يتوالد بعضها من بعض ولا أن يأتى كل واحد من كل واحد إلا أن يكون كما يجيء اللين من حائط ، هؤلاء إنما يقررون نظرية باطلة لأنه حينئذ كيف يُجعل من هذه العناصر العظام أو اللحوم أو أى جواهر آخر مشابه .

§ ٢ — فى الحلق أن هذه الصعوبة تبقى . وإلى هؤلاء الذين يقبلون أن العناصر تتوالد يمكن أن توجه اليهم مسألة كيف تبلغ هذه العناصر أن تكون شيئا مغايرا لها

§ ب ٧ ف ١ — التي منها الأجسام مركبة — ليس المقصود هنا بعد كون العناصر بعضها من بعض بل تركيبها لتؤلف جميع الأجسام الموجودة فى الطبيعة . — عنصرا مشتركا — يعنى المادة التي بالقوة وهى العنصر المشترك لجميع الأجسام . — أحد هذين الفرضين — يعنى أن العناصر لها مادة مشتركة اذا تغير بعضها الى بعض ، وأنها اذا تغيرت هكذا فذلك أن لها مادة مشتركة . — يجيء اللين من حائط — فان اللين يكون الحائط بما هى مضاف بعضها الى بعض وليست مركبة ومتحدة بعضها مع بعض . كذلك العناصر تكون مجموعة ولا تتحد لتكون الأجسام التي تدخل فى تركيبها . إن المقارنة صحيحة ولكن العبارة ليست من السعة على ما ينبغى . وهذا المثل الخشن المضروب لا يخجلو من بعض الشذوذ . — أو أى جواهر آخر مشابه — يعنى متجانس تماما . وفى المذهب الذى ينتقده أرسطو لا تكون العناصر المجموعة بعضها مع بعض وليست مركبة حقيقة .

§ ٢ — أن العناصر تتوالد — هذه هى النظرية المضادة لنظرية أميدقل الذى كان يعتقد أن العناصر غير قابلة للتغير . — شيئا مغايرا لها أنفسها — بافتراض أن أربعة العناصر هى أصل لجميع الأجسام التي

أنفسها؟ . مثال ذلك اذا كان من النار يأتي الماء واذا كان من الماء تأتي النار
فذلك لأن بينهما موضوعا مشتركا . ولكن من العناصر يخرج في الحق أيضا اللحم
والنخاع فكيف تتكوّن هذه الجواهر ؟ .

§ ٣ — بأى وجه يمكنها أن تتكوّن على حسب نظريات هؤلاء الذين
يتبعون مذهب أميدقل؟ بالضرورة ليس بين هذه العناصر إلا جمع كما تجمع مواد
حائط يتكوّن من آجر وأحجار . في خليط من هذا القبيل تبقى العناصر هي ما هي
وتوضع أجزاء بعضها الى جانب البعض الآخر . وحينئذ على هذا المنوال، بناء
على هذه النظريات، إنما يتكوّن اللحم وسائر الأشياء المشابهة له .

§ ٤ — ولكنه ينتج منه أن النار والماء لا يخرجان البتة من جزء كيف اتفق
من أجزاء اللحم، كما في تصاوير الشمع من هذا الجزء يمكن أن تخرج كرة ومن ذلك
يخرج هرم . فكل ما يرى هو أن الواحد والآخر من هذين الشكلين يمكن أن يأتي
أيضا على السواء من كل واحد من جزأى الشمع . وعلى هذا النحو حينئذ أن من اللحم

نشاهدها وأن الأجسام هي شديدة التميز عن العناصر التي تكونها . وإنما لمشكلة أن يعرف كيف يمكنها
أن تأتي منها . — اذا كان من النار يأتي الماء . — ر . ما سبق ب ٥ ف ٦ . — من العناصر — عبارة
النص غير معينة .

§ ٣ — الذين يتبعون مذهب أميدقل — والذين يعتقدون أن العناصر غير قابلة للتغير دون أن يمكن
أن تتغير بعضها الى بعض . — كما تجمع مواد حائط — النص أقل صراحة . — من آجر وأحجار —
فان المواد مجموعة بعضها الى بعض مجرد جمع وليست متحدة معا . — بناء على هذه النظريات — زدت
هذه الكلمات لإتمام الفكرة . — وسائر الأشياء المشابهة له — يعنى كل الأشياء التي لتجانسها المطلق لا يمكن
أن تميز فيها العناصر التي دخلت في تأليفها . ويمكن أن تصاغ هذه القضية في صيغة الاستفهام .

§ ٤ — ولكنه ينتج منه — حافظت على لفظ الأصل على ترّده . — لا يخرجان البتة — على
تقدير "معا" . — يعنى أن النار والماء، مجتمعين مجرد اجتماع، ليسا البتة مطلقا متحدّين في التراكيب التي
يركبانها . — من جزء كيف اتفق من أجزاء اللحم — حيث تكون مماثلة تمام التماثل . — في تصاوير الشمع — ليس
النص على هذا القدر من الصراحة . — من كل واحد من جزأى الشمع . — ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

يخرج عنصرا النار والماء وأنه قد يكونان معا من أى جزء اتفق ولكن مع مبادئ أميدقل لا يكون تعبير هذا ممكنا ويلزم أن كل عنصر يأتي من مكان آخر أو من جزء آخر كما في الحائط فانه من مكان مختلف تأتي الآجرّة والحجر .

§ ٥ — كذلك الحال أيضا بالنسبة للفلاسفة الذين لا يقبلون إلا مادة وحيدة لجميع العناصر فإن شأنهم لا يخلو من الحيرة في إيضاح كيف أن جوهرًا يمكن أن يتألف من عنصرين مثلا من الحار والبارد أو من النار والأرض . فاذا كان اللحم يتكوّن من الاثنين وهو ليس مع ذلك لا أحدهما ولا الآخر ولا مجزّد جمع لهذين العنصرين حافظ اطبعهما الخاص فماذا يبقى إذا لُقبِل إلا أن يكون المركب الذي تتكوّن منهما بهذه الطريقة هو المادة المحضة؟ لأن فساد أحد العنصرين يكون إما العنصر الآخر وإما المادة . § ٦ — ولكن من حيث إن الحار والبارد يمكن أن يكونا أقوى أو أضعف فيجب أن يقال إنه متى كان أحدهما بالفعل مطلقا وبالكمال فلا يكون الثاني بعدُ إلا بالقوة . ومتى كان الموضوع ليس له مطلقا أحد الكيفين وكان البارد مثلا هو نصف حار والحار نصف بارد، لأن الإفراطين إلى جهة أو إلى أخرى

— أميدقل — زدت هذا الاسم الذي تعينه القرينة . — تعبير هذا ممكنا — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — من مكان آخر — التعبير بالمكان معناه هنا الجزء ، والمثل الآتى يفهم المعنى تماما ، فان الآجرّة موضوعة بجانب الحجر ، وذلك إنما هو في موضع آخر أي في محل آخر من الحائط .

§ ٥ — الذين لا يقبلون إلا مادة وحيدة — يظهر أن هذه هي نظرية أرسطو الخاصة ، لأنه يقبل أن جميع العناصر يمكن أن تتغير بعضها الى بعض ولكنه لا يعتقد أن هذه النظرية نفسها بمنزل عن كل انتقاد . — جوهرًا — عبارة النص هي "شيئا ما" . — المادة المحضة — أضفت كلمة "المحضة" مع أنها ليست في النص ولكن القرينة كلها تعين هذا المعنى ، فان المادة المحضة هي هنا الهوىلى أى المادة بالقوة . — أحد العنصرين — النص أقل صراحة . — وإما المادة — على تقدير "بالقوة المحضة" فان العنصرين يتاحيان في المركب الذي يؤلفانه ولا يبقى الا مادة الاثنين في حالة الالوجود .

§ ٦ — فيجب أن يقال — من الممكن أن تكون الجملة استفهامية أو تقريرية على السواء . — بالفعل ... وبالكمال — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — مثلا — زدت هذه الكلمة . — إلى جهة أو إلى أخرى — ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

يتماحيان على طريق التكافؤ بالمزج ، فحينئذ لا يوجد بالضبط لا مادة محضة ولا واحد أو الآخر من هذين الضدين الموجودين مطلقا بالفعل وبالكمال ولا يوجد إلا وسيط. ولكن على حسب ما أن أحد الاثنين يمكن أن يكون بالقوة حارا أكثر منه باردا أو العكس يكون الجسم في هذه النسبة عينها بالقوة أكثر حرارة أو برودة مرتين أو ثلاث مرات أو على أية نسبة أخرى .

§ ٧ — على ذلك كل الأشياء الأخرى تأتي من مزج الأضداد أو العناصر . والعناصر أنفسها تأتي من هذه الأضداد التي هي بوجه ما العناصر بالقوة لا كما تكونه المادة بل بالطريقة التي ذكرت آنفا . وبهذه الطريقة تكون النتيجة التي نتحصل مزيجا في حين أنها بالطريقة الأخرى إنما هي المادة المحضة .

§ ٨ — ومع ذلك فالأضداد أيضا هي قابلة على معنى الحد الذي أعطى في مجوئنا الأولى . مثال ذلك الحار بالفعل هو بارد بالقوة والبارد بالفعل هو حار بالقوة

— مادة محضة — زدت الصفة كما في الفقرة السابقة . — إلا وسيط — ومع ذلك فان تعيين هذا الوسيط صعب لأنه يتعلق بحساسة كل مشاهد . — أحد الاثنين — ليس النص أكثر تعينا في العبارة .

§ ٧ — كل الأشياء الأخرى — يعني كل الأجسام المركبة والمختلطة كما نشاهدها في الطبيعة كلها . — بوجه ما العناصر — زدت كلمة "العناصر" أخذا بشرح فيلوبون . — كما تكونه المادة — التي هي ليست شيئا الا بالقوة وليس لها حقيقة فعلية في حين أن الأضداد لها تلك الحقيقة الفعلية . — التي ذكرت آنفا — في الفقرة السابقة . — مزيجا — من جوهرين بالفعل يؤلفان جوهرًا جديدًا بامتزاجهما . — المادة المحضة — زدت كلمة "المحضة" .

§ ٨ — في مجوئنا الأولى — ر . ١٠ ، سبق ف ٦ . و يظن فيلوبون أن المقصود هنا نظرية الفعل والانفعال المبسوط في الكتاب الأتزل . ر . ١٠ ، ما سبق ك ١ ب ٧ ف ٥ . — الحار بالفعل — يمكن ترجمتها أيضا : "الجسم الذي هو حار بالفعل ... الخ" — البارد بالفعل — أو "الجسم الذي هو بالفعل وبالحوال بارد" .

أيضا بحيث إنهما لولا موازنة تامة لتغير أحدهما الى الآخر . ويُجرى هذا المجرى في جميع الأضداد الأخرى التي يراد ذكرها . وعلى هذا النحو أن العناصر بدياً تتغير ثم إن منها بعد ذلك تأتي اللحوم والعظام وسائر الجواهر المشابهة فيصير الحار بارداً والبارد حاراً بمقدار ما تقترب من الحدّ الوسط . فهناك لا يوجد بعدُ لا أحد الضدّين ولا الآخر . فالوسط متعدّد وليس قابلاً للتجزئة . كذلك الأمر أيضا في السائل واليابس ، وإن العناصر الأخرى من هذا القبيل حينما تكون قد وصلت إلى الوسط تكوّن اللحم والعظام والجواهر المشار إليها .

— لولا موازنة تامة — عبارة النص هي "إن لم يكونا متساويين" . — لتغير أحدهما الى الآخر —
 يعنى أن أحدهما يمكن أن يحل محل الآخر على التعاقب بما أن أحد الضدين قد صار كائناً وأحال الآخر إلى
 ألا يكون إلا بالقوة . — التي يراد ذكرها — زدت هذه الكلمات . — تغير — بعضها الى بعض .
 — تأتي اللحوم والعظام — في هذه الأيام تعرف الكيمياء العضوية كذلك بأن المركبات تأتي من اتحاد
 الأجسام البسيطة . غير أن الأجسام البسيطة ليست هي التي كان يقبلها القدماء . والعلم يمكنه أن يبين بالتحاليل
 المضبوطة كيف تتألف التراكيب . — بمقدار — لفظ النص هو « حينما » الخ . — الضدين — أضفت
 هذا اللفظ . — الوسط متعدّد — ر . في هذه النظرية الطبيعة ك ٨ ب ١٢ ف ٩ ص ٥٣٢ من
 ترجمتنا وأيضا ك ٥ ب ١ ف ١٢ ص ٢٨٠ . — وليس قابلاً للتجزئة — وذلك ما لايسمح له بأن
 يتكيف على التعاقب بكيفيات متضادة . — كذلك الأمر أيضا في السائل واليابس — يظهر أن هذا تكرير
 لما سبق بيانه آنفا على جميع الأضداد الأخرى .

الباب الثامن

التركيب العام للأجسام المختلطة - يوجد في كلها من الأرض ومن الماء اللذين هما عنصران ضروريان - وفيها أيضاً من الهواء ومن النار وهما ضد العنصرين الأولين - ظاهرة التغذية التي يستشهد بها سندا لهذه النظرية - كيف أن النار هي العنصر الوحيد، من العناصر البسيطة، الذي يغذى نفسه .

§ ١ - كل العناصر المختلطة المنتشرة حول المكان المركزي هي مركبة من جميع العناصر البسيطة . وعلى هذا فإن فيها جميعها من الأرض لأن كل واحد من هذه الأجسام هو الأحسن، وعلى الغالب، في المكان الخاص به . ويوجد أيضاً من الماء في كل المختلطة لأنه يلزم أن تكون المركبة محددة وأن الماء من بين الأجسام البسيطة هو الوحيد الذي يتحدد بسهولة . ومن جهة أخرى فإن الأرض لا يمكنها البقاء بدون الرطب الذي يسكنها مجتمعة . وإذا خلت تماماً من الرطب سقطت تراباً .

§ ٢ - تلك هي العلة في وجود الماء والأرض في جميع الأجسام المختلطة . ولكنه يوجد فيها أيضاً هواء ونار، لأن هذين العنصرين هما ضدان للأرض وللماء فإن الأرض ضد للهواء والماء ضد للنار بمقدار ما يكون جوهر ضد لجوهر آخر .

§ ب ٨ ف ١ - حول المكان المركزي - يعني حول الأرض التي هي في نظريات أرسطو مركز العالم ونحوها تُجبه الأجسام ذات الثقل . - فإن فيها جميعها من الأرض - لأن كل الأجسام المختلطة التي تذكر هنا هي ذات ثقل . - هو الأحسن وعلى الغالب - حفظت عبارة النص على ما هي عليه من عدم التعيين ومعنى ذلك أن ذوات الثقل تُجبه نحو الأرض وتقف بها في سقوطها . - الخاص به - هذا يمكن أن يعني به "الأرض" أو أي واحد من الأجسام المختلطة . كان توماس وأهل جامعة كويمبرا يفهمون أن المقصود هو الأرض . وأما فيلوبيون فإنه يفهم على الضد أن المقصود هي المختلطة التي يتحد مكوناتها الخاص بمكان الأرض التي هي المركز على السواء . - محددة - أو "أن يكون لها شكل محدود تماماً" . - الرطب الذي يسكنها مجتمعة - وهذا إما هو ما يسميه العلم الآن بقوة التماسك . - سقطت تراباً - زدت الكلمة الأخيرة لتتام الفكرة .

§ ٢ - الماء والأرض في جميع الأجسام المختلطة - ليس النص على هذه الصراحة تماماً . - الأرض ضد للهواء - بوزنها وبكيفية الخاصة بها . - بمقدار ما يكون جوهر - ر . المقولات ب ٥ ف ١٨ ص ٦٨ من ترجمتنا .

§ ٣ - على هذا حينئذ ما دامت أكوان الأشياء تأتي من الأضداد فيلزم ضرورة أنه متى وجد طرفا الضدين في الأشياء فإن الآخر من الضدين يوجد فيها على السواء .
وبالنتيجة في كل مركب تُلقى جميع الأجسام البسيطة .

§ ٤ - يظهر أن ظاهرة التغذية معتبرة في كل واحد من الموجودات تشهد بصحة هذه النظرية . فان كل الموجودات تتغذى بعناصر مماثلة للعناصر التي تركيبها فكلها تتغذى من عدّة عناصر بل إن تلك التي يظهر عليها أنها تتغذى من عنصر وحيد كالنباتات التي تتغذى بالماء هي تتغذى في الواقع بعناصر عديدة على السواء .
ذلك بأن الأرض هي دائماً ممتزجة بالماء فترى كيف أن الزرع في ريمم الزراعى لا يزيدون على أن يمزجوا الماء بالأرض .

§ ٥ - ولكن من حيث إن التغذية تُتعلق بالمادة ومن حيث إن الموجود المتغذى على هذا النحو مع أنه مشمول ومظروف في المادة هو الصورة والنوع

§ ٣ - أكوان الأشياء تأتي من الأضداد - ر . ماسبق ك ١ ب ٣ وما يليه . - طرفا الضدين -
أرباعاً أظهر "الضدان المتطرفان يعنى الأرض والماء" . - الآخر من الضدين - الهواء بما أنه ضد الأرض والنار بما أنها ضد الماء . ومع ذلك فتلك فروض منطقية محضة . ولكن في الفقرة التالية سيستشهد أرسطو بما هو واقع . - وبالنتيجة - لا يبين على النتيجة أنها مضبوطة الى حد التحرج . - جميع الأجسام البسيطة - يعنى العناصر الأربعة الأرض والماء والهواء والنار مع أربعة الكيفيات الباردة والرطب واليابس والحار .

§ ٤ - ظاهرة التغذية - عبارة النص هي بالبساطة : "التغذية" . - تشهد بصحة هذه النظرية - النص أوجز من ذلك . - تتغذى بعناصر مماثلة - القضية عامة ولكنها مع ذلك غير كاذبة . - تتغذى ... تتغذى ... كل هذا التكرار هو في الأصل . - في ريمم الزراعى - أضفت هذه الكلمة الأخيرة التي تدل عليها القرينة . - أن يمزجوا الماء بالأرض - عبارة النص ليست على هذه الصراحة .

§ ٥ - تتعلق بالمادة - حفظت نظم النص ولكنه كان أوضح أن يقال إن التغذية هي مادة الموجود المتغذى . - الموجود المتغذى ... هو الصورة والنوع - أو بعبارة أخرى "الذات" في حين أن الغذاء الذي يقومه "ليس الامادة" . - مشمول ومظروف - ليس في النص الاكلمة واحدة .

فطبيعى أن يظن أنه من بين الأجسام البسيطة النار هي وحدها التي تقتدى .
 أما سائر الأخرى فهي لا تزيد على أن يكون بعضها بعضا على طريق التكافؤ كما زعم
 القدماء وذلك بأن النار وحدها هي على الأخص التي تمثل الصورة ما دام أنها دائماً
 بطبعها الخاص متجهة نحو الحد . وكل شيء هو بالطبع مسوق نحو المكان الخاص
 به . ولكن صورة كل الأشياء ونوعها توجد دائماً في الحدود التي تعينها .

٦٤ — فیری إذا بما تقدم أن جميع الأجسام تتركب من جميع العناصر البسيطة .

— فطبيعى — أو "مطابق للعقل" . — من بين الأجسام البسيطة — يعنى العناصر الأربعة .
 — وحدها التي تقتدى — به فيلويون على أن هذا على الأخص إنما هو تعبير شعري . — لا تزيد على أن
 — النص ليس على هذا القدر من الصراحة . — القدماء — وهذا هو أيضا رأى أرسطو . — التي
 تمثل الصورة — أو : "أتى تتعلق بالصورة" . — نحو الحد — يعنى نحو طرف الجهة العليا . ومن حيث
 إن الحد يعين نوع الأشياء وصورتها فعلى ذلك النار، فيما يظهر، تتعلق بالصورة أكثر . ومع ذلك يمكن
 أن يقال إن كل هذه النظريات على جانب عظيم من الدقة . — التي تعينها — زدت هذه العبارة .
 ٦٥ — فیری إذا — ملخص الباب . — بما تقدم — زدت هذه العبارة . — جميع الأجسام —
 على تقدير "المختلطة" . — من جميع العناصر البسيطة — يعنى الأرض والماء والهواء والنار . ولا حاجة
 للإلحاح في بيان الفرق بين هذه النظريات وبين النظريات التي قبلها العلم في الوقت الحاضر وأقترها .

الباب التاسع

الهبولى والصورة — المبادئ الأولى للاشياء — ضرورة مبدأ ثالث وهو العلة المحركة — إبطال نظرية المثل على نحو ما عرضها أفلاطون في الفيديون — إن المثل لا يمكن أن تفسر كون الأشياء — إنها لا تكون — يرى أن طائفة من الأشياء تتكون تحت أعيننا بعقل أخرى — إبطال النظرية التى تفسر كون الأشياء بحركة المادة — المادة قابلة لفاعلة — أمثلة مختلفة مستخرجة من طرائق الفن .

§ ١ — لما أنه توجد أشياء كائنة وقابلة للدثور وأن كل ما يتولد ويكون يوجد فى المكان الذى يحيط بالمركز فيلزم بدياً الكلام على كون الأشياء مأخوذاً فى كل عمومته وبيان عدد مبادئه ومن أى طبع هى . وبهذه الطريقة ندرس بطريقة أسهل الحوادث الجزئية بعد أن نكون قد حصلنا على معرفة الحوادث العامة . § ٢ — وتلك المبادئ هى هاهنا من حيث العدد والجنس على ما هى عليه المبادئ التى تكتشف فى الموجودات الأزلية والأولى . وأحد هذه المبادئ هو كهيولى والآخرو هو كصورة ولكنه يلزم منها زيادةً على ذلك ثالث ينضم إلى هذين الاثنين الآخرين . لأن هذين

§ ٩ ف ١ — كل ما يتولد ويكون — النص يقول بعبارة أكثر عموماً أيضاً : ”التولد“ . — يوجد فى المكان الذى يحيط بالمركز — هذا التعبير على جانب من الغرابة . فانه يدل فقط على أن الأجسام المختلطة التى يمكن مشاهدتها توجد على سطح الأرض المعتبرة مركز العالم . ومع ذلك فإن هذه العبارة لم تظهر لفيلىون على شئ . من الصعوبة فلم ينشأ أن يفسرها . — على كون الأشياء — الملاحظات السابقة . — الحوادث الجزئية ... الحوادث العامة — هذا ليس هو النمط العادى لأرسطو وإنه ليشتمى من الحوادث الجزئية الى الحوادث العامة لا من هذه الى تلك . وليس النص من الضبط بقدر ما عليه ترجمتى إياه .

§ ٢ — فى الموجودات الأزلية والأولى — إنما الأجرام السماوية هى المعتبرة أزلية وغير قابلة للتغير وأنها أوائل كل الأجسام . — هو كهيولى — حفظت نظم النص ولكن يمكن ترجمته هكذا : ”يقوم مقام الهبولى ... مقام الصورة“ . — ينضم الى هذين الاثنين — زدت هذه الكلمات لأحصل كل قوة العبارة الإغريقية . وهذا المبدأ الثالث إنما هو العلة المحركة أو بالأولى العلة الفاعلة . ويلزم أن يقارن بهذه النظريات نظريات الكتاب الأول من الطبيعة ب ٨ ص ٤٧٣ من ترجمتنا .

الاشئين ليسا أقدر على تكوين شىء هاهنا ،نمها في الأول . § ٣ — وعلى هذا
 إذاً إنما هي الهىولى التى فيما يتعلق بالموجودات الكائنة هى العلة فى أنها يمكن أن
 توجد وألاً توجد . فمن بين الأشياء ما توجد بالواجب ، مثال ذلك الجواهر
 الأزلية ، ومنها ما يجب ألا توجد ، فبالنسبة للأولى من المحال ألا توجد ، وبالنسبة
 للأخرى من المحال أن توجد . لأنه لا يمكن أن شيئاً يكون على خلاف ما يقضى
 به الواجب . ولكن هناك أشياء أخرى يمكن أن توجد وألاً توجد على السواء .
 وهذه هى على التحقيق كل ما هو كائن وهالك . لأن هذه الأشياء تارة توجد وتارة
 لا توجد . فحينئذ الكون والفساد لا يتعلقان إلا بما يمكن أن يوجد وألاً يوجد .
 § ٤ — وذلك بما هو هىولى إنما هو علة الأشياء الكائنة . ولكن بما هو
 غرض غائى فالعلة إنما هى الصورة والنوع . وهذا هو حدّ الماهية لكل
 شىء . § ٥ — ولكنه يجب أن يضاف الى هذين المبدأين مبدأ ثالث . هذا
 المبدأ لا يظهر على الفلاسفة أنهم لمحوه إلا كما فى الحلم ولم يتكلم عنه ولا واحد
 منهم بنوع من الضبط فقد ظن بعضهم كسقراط فى « الفيدون » أن طبع المثل

— ليسا أقدر — الهىولى والصورة كلاهما عقيم بدون المبدأ الثالث الذى يحى ، فيعطيهما الفعلية بأن
 يجمعهما . § ٣ — هى العلة فى أنها يمكن أن توجد وألاً توجد — وقد يمكن عكس القضية يقال : " إن
 إمكان الوجود وعدم الوجود هو من حيث المادة علة الموجودات الكائنة " . — فن بين الأشياء — أو " من
 بين الجواهر " أو " من بين الموجودات " . — الجواهر الأزلية — يعنى " الأجرام السماوية " .
 — يمكن أن توجد وألاً توجد على السواء — أو بعبارة أخرى كل الموجودات المكثات . — كل ما هو
 كائن — أو " ما هو مخلوق " . — وهالك — كما هو أكثر الموجودات الخاضعة لمشاهدتنا .
 § ٤ — الأشياء الكائنة — والهالكة . — بما هو غرض غائى — عبارة النص هى بالضبط
 من حيث هو " لماذا " . — إنما هى الصورة والنوع — النوع يحد مع " المثال " كما سيرى بعد .
 — حدّ الماهية — أو " علة الماهية " .

§ ٥ — أن يضاف ... مبدأ ثالث — هو العلة الفاعلة . — إلا كما فى الحلم — الانتقاد
 على جانب من الشدة والاستهانة . ر . الكتاب الأول ما بعد الطبيعة ترجمة كوزان . ب ٤ وه
 — فى " الفيدون " — ر . فيدون أفلاطون ترجمة كوزان ص ٢٨٣ — طبع المثل — أو " الأنواع " لأن

قد يكفى لتعبير كون الأشياء . لأن سقراط وهو يعيب على الآخرين أنهم لم يقولوا شيئا في هذا الصدد يفترض أن من الأشياء التي توجد بعضها هي المثل والأخرى تلتقى هذه المثل التي تشاركها ، وأن كون كل شيء هو مسمى بحسب مثاله ، وأن الأشياء تتكون متى تلتقى هذا المثال وأنها تفسد متى تعدمه . وبالنتيجة اذا كان كل هذا حقا فيكون سقراط يرى أن المثل هي بالضرورة علة كون الأشياء وفسادها . وآخرون على الضد قد ظنوا أنهم يرون هذه العلة في المادة نفسها لأنه منها على رأيهم تصدر الحركة .

§ ٦ — ولكن ليس الأولون ولا الآخرون على حق، لأنه اذا كانت المثل هي في الحق عللا فالما ذا لا تكون دائما بطريقة مستمرة ؟ ولماذا هي تكون تارة ولا تكون تارة أخرى مع أن المثل تبقى دائما هي والأشياء التي يمكن أن تشاركها ؟ زد على هذا أنه يوجد أشياء يرى جليا أن العلة فيها إنما هي شيء آخر غير المثال . فانما الطبيب هو الذي يعمل الصحة ، وإنما العالم هو الذي يعمل العلم مع أن الصحة ذاتها والعلم ذاته موجودان هما والكائنات التي يقومان بها . كذلك الحال أيضا في جميع الأشياء المصنوعة بحسب الفن الذي يمكن أن يتمها .

الكلمة هي بعينها . — أنهم لم يقولوا شيئا — هذه العبارة قد تدل على السواء إما على أن الفلاسفة الذين يطعن عليهم سقراط قد لزمو الصمت أو أنهم لم يقولوا شيئا يعتد به . — بعضها هي المثل... الخ — تلخيص صحيح للفيثون . — كون كل شيء . — هذا هو نظم النص بعينه . — اذا كان كل هذا حقا — في هذا القيد نوع من النفي ومن الانتقاد . — وآخرون — لم يقل فيلو بون من هم هؤلاء الفلاسفة الآخرون ولكن من المحتمل أن يكون المقصود ديمقريطس ومدرسته . — على رأيهم — زدت هاتين الكلمتين .

§ ٦ — ليس الأولون ولا الآخرون — يعني ذأ نلاطون ولا الماديين . — عللا — كذلك عبارة النص مهمة أيضا . — غير المثال — زدت هاتين الكلمتين . — الذي يعمل الصحة . — ربما كان يلزم أن يزداد "في الجسم" لتوفية قوة العبارة الإغريقية . — الصحة ذاتها — يعني مثال الصحة . — العلم ذاته — يعني مثال العلم . — هما والكائنات التي يقومان بها — على ذلك يلزم خلاف مثال الصحة ومثال المريض وجود الطبيب وخلاف مثال العلم والتلذذ يلزم المعلم الكفء لتلقي ما يعلم . — بحسب الفن الذي يمكن أن يتمها — ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

§ ٧ — ومن جهة أخرى حينما يدعى أن المادة هي التي تكوّن الأشياء بالحركة التي تعطيها إياها فلا شك في أن هذا الرأي هو أكثر موافقة للطبع من نظرية المثل لأن ما يحيل الأشياء ويغير أشكالها يمكن أن يظهر أكثر من غيره بمظهر العلة في كونها . وعلى العموم في كل كائنات الطبيعة كما في كل كائنات الفن يُنظر عادة الى كل ما يعطيها الحركة كأنه هو الفاعل لها .

§ ٨ — ومع ذلك فان هؤلاء الفلاسفة الأخيرين ليسوا على حق لأن الانفعال والتحرك إنما هما الخاصتان اللتان تتعلقان بالمادة في حين التحريك والفعل يختصان بقوة مغايرة تمام المغايرة . وهذا هو ما يمكن مشاهدته أيضا في كل ما يعمله الفن كما في كل ما يعمله الطبع . إذا فليس الماء نفسه هو الذي يوجد الحيوان الذي يخرج من باطنه (بل هو الطبع) . كذلك ليس الخشب هو الذي يصنع السرير بل هي الصناعة . ومن ثم يمكن استنتاج أن هؤلاء الفلاسفة لم يحسنوا هم أيضا التعبير . وخطوهم آت من أنهم أغفلوا العلة الأهم من جميع العلل بمذاهبهم الماهية والصورة . § ٩ — وينتج منه فوق ذلك أنهم ينسبون الى الأجسام قوى يجعلونها بها نتوالت بحالة ميكانيكية أكثر مما ينبغي بتركهم الى ناحية العلة التي ترجع الى النوع .

§ ٧ — ومن جهة أخرى — الى أنصار المادة يوجه أرسطو القول هنا بعد أن أجاب على أفلاطون . — من نظرية المثل — ليس النص على هذا القدر من التعيين — ما يحيل الأشياء — ربما يلزم أن يحمل هذا التعبير على معنى أوسع قليلا من المعنى الذي يعبر به أرسطو عادة . § ٨ — الانفعال — أو ”القبول“ . — بقوة مغايرة تمام المغايرة — هذه هي ألفاظ النص بعينها . ويمكن ترجمتها أيضا ”بقدره مغايرة“ . — الذي يخرج من باطنه — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — (بل هو الطبع) — وضعت هذه العبارة بين قوسين لأنها لا توجد إلا في بعض المخطوطات وليست ضرورية . وشرح فيلوبون يدل عليها بالاقضاء . — الماهية والصورة — قد يكون لازما أن يقال ”الماهية الدائمة“ .

§ ٩ — ميكانيكية أكثر مما ينبغي — هذه عبارة الأصل بمحرفها وليست غاية في البيان . ر . الفقرة التالية . ويظهر أن هذا الرد يكاد يدخل بتمامه في غضون الرد المتقدم كما نبه اليه أهل جامعة

ولما أنه تبعاً لقوانين الطبيعة كما يقولون الحار يفرق والبارد يجمد ولما أن كل واحد من العناصر الأخرى يفعل وينفعل على طريقته فإن ذلك كافٍ عندهم في التقرير بأنه أيضاً من هذا أو بهذا يكون سائر الأشياء ويفسد . ويظهر لهم أن النار نفسها تقبل الحركة وتتفعل § ١٠ — يوشك أن يكون هذا الخطأ هو عينه خطأ من يذهب إلى اعتبار المنشار وما أشبهه من الآلات الأخرى العلة الحقة لكل ما تصنع ويرجعها إليها بحجة أنه بمجرد ما ينشر يلزم ضرورة أن يُقطع الخشب وبمجرد ما يُصقل بالفارة فهناك ضرورة أيضاً أن ينصقل اللوح وهلم جرا . وبالنتيجة مع أن النار هي أفعال العناصر وأنها توصل الحركة الأقوى فانهم لا يرون كيف أنها تفعل وأنها تفعل أبدأ من الآلات العادية .

§ ١١ — أما نحن فلما أننا تكلمنا فيما سبق على العلة على العموم لم نتصد

ها هنا إلا لدرس الهيولى والصورة .

كوبيرا . أما فيليبون فإنه بناء على رأى اسكندر الافروريزى يظن أن هذا الانتقاد موجه على الخصوص إلى برمينيد . — الحار يفرق — مثلاً حينما يصهر بعض الجواهر . — والبارد يجمد — هذا حق في بعض الأحوال ولكنه ليس حقاً في جميعها . — من العناصر الأخرى — ليس النص على هذا القدر من التعيين — النار نفسها — التي تعتبر أفعال العناصر تصير منفعة في هذا المذهب . — تقبل الحركة — أو "تتحرك" .

§ ١٠ — يذهب إلى اعتبار المنشار — ر . ما سبق في أول الفقرة التاسعة . فتلك هي المبادئ

الميكانيكية التي إليها ينسب الفلاسفة كون الأشياء . — ويرجعها إليها — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — فهناك ضرورة أيضاً — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — أردأ — أى بنظام أقل . — العادية — زدت هذه الكلمة . § ١١ — فيما سبق — يظن فيليبون أن المراد هنا كتاب الطبيعة ولكن الأولى بالمراد هو الكتاب الأول من مابعد الطبيعة الذي فيه أرسطو قد درس العلة . — لم نتصد ها هنا إلا لدرس — ليست عبارة النص على هذا القدر من الصراحة .

الباب العاشر

كون الأشياء وفسادها هما متصلان كالحركة ويتعلقان بالنقطة الدائرية للعالم — ضرورة حركتين —
النقطة الدائرية المائلة تسد هذه الضرورة — انتظام الكون والفساد الطبيعيين — المدة الدورية
للكائنات — فعل الله — القوانين الثابتة التي وضعها في أودية الأشياء. — النظام العجيب للعالم —
تغير الأجسام إنما هو الذي يحفظ مدتها — المحرك الأول غير المتحرك هو المبدأ الوحيد للحركة العالمية —
اتصال الحركة يتعلق باتصال المتحرك .

§ ١ — يلزم أن يزداد على ذلك اعتبار آخر وهو أنه بما أن حركة النقطة أزلية
كما سبق بيانه فينتج منه بالضرورة أنه بهذه المثابة يجب أن يكون كون الأشياء
متصلاً أيضاً على السواء . لأن هذه الحركة تسبب إلى ما لا نهاية كون الأشياء
بأن تأتي بالعلة التي يمكنها أن تكون الأشياء ثم تأتي بها ثانية . وهذا يبرهن لنا
في آن واحد على أن ما قدمناه صحيح وعلى أنه كان لنا الحق في أن نجعل النقطة
لا الكون هي أول التغاير . وفي الحق أنه أدخل في باب المعقول أن يجعل ما هو
موجود علة لتكوين ما لم يوجد من أن نجعل ما لم يوجد العلة الفاعلة لتكوين ما هو
موجود . وإن ما هو خاضع للنقطة موجود في حين أن الشيء الذي يكون ويصير
هو غير موجود . وذلك ما يجعل أن النقطة متقدمة على الكون .

§ ١ — يلزم أن يزداد على ذلك اعتبار آخر — قد اضطرت الى التوسع في عبارة النص حتى يتبدأ
هذا الباب على وجه أليق . — كما سبق بيانه — في الكتاب الثامن من الطبيعة ب ١٠ ص ٥١٨ وما يليها
من ترجمتي . — كون الأشياء — عبارة النص « التولد » . — هذه الحركة تسبب الى ما لا نهاية —
تلك هي فكرة عظمى في ربط كون الأشياء وفسادها بالعلة العامة التي تحرك العالم . — تأتي ... ثم تأتي بها
ثانية — هذه المقابلة هي في النص . — ما قدمناه — ر . الطبيعية ك ٨ ب ١٠ ص ٥١٨ وما بعدها .
حيث أرسطو قد فصل الكلام تفصيلاً لإثبات أن الحركة الدائرية هي الأولى والأصلية لجميع الحركات .
— ما هو موجود ... ما لم يوجد — عبارة النص : « الموجود ... واللا موجود » . — يكون ويصير
— ليس في النص الاكلمة واحدة . — متقدمة — أو أعلى .

٢ § — بعد أن فرضنا و بينا أن في الأشياء كونا وفسادا متصلين وأن حركة النقلة هي علة تولد الأشياء يجب أن يكون من البين لدينا أنه ما دامت حركة النقلة وحيدة فمن المحال أن الكون والفساد يوجدان جميعا في آن واحد ما دام أنهما ضدّان لأنّ علة موجودة وباقية هي بعينها وفي الظروف بعينها لا يمكن البتة أن تعمل إلا المعلول بعينه على حسب نظام الطبيعة . وبالنتيجة فإما أن الكون هو الأزلّي وإما أن الفساد هو الأزلّي § ٣ — وعلى ذلك يلزم أن يوجد عدّة حركات وحركات متضادات إما باتجاهها وإما بتفاوتها لأنّ علل الأضداد هي أضداد كذلك . وليست النقلة الأولى إذّا على التحقيق هي التي يمكن أن تكون علة كون الأشياء وفسادها . بل النقلة على حسب الدائرة المائلة . فان في هذه النقلة حقا يوجد في آن واحد اتصال لحركة واحدة وإمكان لحركتين ، لأنه يلزم بالضرورة من أجل أن الكون والفساد يمكن أن يكونا متصلين أن تكون الحركة سرمدية حتى لا تتخلف هذه التغيرات نفسها أبدا . ومن جهة أخرى يلزم أن يكون عدد الحركات اثنين حتى لا تكون إحدى هاتين الظاهرتين هي التي تبقى وحدها على الدوام .

٢ § — فرضنا و بينا — واقع الكون والفساد المتصلين للأشياء تشهد لنا به الحواس ، ولا محل لفرضه ولا لتبيان . ولكن فلاسفة معاصرين لأرسطو كانوا يذهبون الى حدّ إنكار الحركة . ر . الكتاب الأول من الطبيعة ب ٢ وما يليه . — في آن واحد — أضفت هذا القيد لأحصل كل قوّة عبارة النص . — فاما أن الكون هو الأزلّي واما أن الفساد هو الأزلّي — أو بعبارة أخرى : أحد الاثنين لا الاثنان جميعا .

٣ § — حركات متضادات — ر . حدّ الحركة المضادة في الطبيعة ك ه ب ٧ ص ٣٢٠ وما بعدها من ترجمتنا . — على حسب الدائرة المائلة — بناء على ما سيأتى وبناء على شرح فيلويون يلزم أن يعنى بالدائرة المائلة دائرة فلك البروج أو دائرة سمت الشمس . وبحسب ما تكون الشمس أقرب منا أو أبعد يحصل كون الأشياء أو فسادها . قد لا تكون نظرية أرسطو صحيحة ولكنها في الحق كيسة للغاية . ان الحركة اللامتغيرة المائلة منذ الأزل تبقى منطبقة على السماء . ولكن الحركة المتفاوتة الخاضع لها العالم الأرضي هي في الشمس والسيارات التي تسيرها . — اتصال لحركة واحدة وإمكان لحركتين — من هنا علنا الكون والفساد المتعاقبين للأبديين للأشياء . — إحدى هاتين الظاهرتين — ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

§ ٤ — وعلى ذلك إذا إنما نقلة العالم هي علة الأبدية وأن ميل الدائرة إنما هو الذى ينتج التقريب أو التباعد لأنه قد يمكن أن تكون العلة تارة بعيدة وتارة قريبة . وبما أن المسافة غير متساوية فالحركة تكون غير متساوية كذلك . وعلى ذلك إذا كانت الحركة بشهادتها وقربها تسبب كون الأشياء فإن هذه الحركة نفسها بغياها وابتعادها تسبب فساد الأشياء . وفوق ذلك فانها اذا كُوت باقترابها عدّة مرات فانها تُفسد بابتعادها عدّة مرات أيضا لأن علل الأضداد هي أضداد بعضها لبعض .

§ ٥ — يلزم أن يزداد على هذا أن الفساد والكون الطبيعيين يتحققان فى زمان متساو . وهذا هو الفاعل فى أن زمن مدّة كل كائن وزمن حياته يمكن أن تعبر بالعدد وتعين بهذه الطريقة . وفى هذا ترتيب ينتظم جميع الكائنات فان المكث والحياة هما دائماً مقيسان بمدّة ما تمضى . غير أن هذه المدّة ليست واحدة بالنسبة للجميع على السواء . بل هي أقصر بالنسبة للبعض وأطول بالنسبة للبعض الآخر . وأن المدّة التى يقاس بها وجود الكائنات هي بالنسبة لهؤلاء سنة وبالنسبة لهؤلاء هي أكثر فى حين أنه بالنسبة لموجودات أخرى المقدار هو أقل . § ٦ — إن الظواهر المحسوسة

§ ٤ — نقلة العالم — يعنى حركة النقطة الأزلية التى تسلط على السماء والكواكب الثابتة على مذهب أرسطو . — ميل الدائرة — زدت المضاف اليه . — أن تكون العلة — عبارة النص غير معينة بالمرّة فاضطرت الى تعيينها . — بشهادتها وقربها — هذا يمكن أن ينطبق على الشمس التى هي ليست فقط أكثر أو أقل بعدا من الأرض بحسب الفصول بل إن نورها هو تارة شاهد وتارة غائب بحسب النهار والليل . — باقترابها عدّة مرات — حفظت عبارة النص على ما بها من تردد . ومعنى ذلك أنه يلزم أن تقرب الشمس أو تباعد عدّة مرات متوالية لتحدث بعض الآثار . — علل الأضداد — أو ” الأضداد هي علل للأضداد “ .

§ ٥ — يتحققان فى زمان متساو — لا يلزم أن يؤخذ هذا بخرج أكثر مما ينبغى . فان أرسطو يريد أن يقول إن الزمان الذى فيه يمكن للشمس أن تفسد هو مساو للزمان الذى فيه يمكنها أن تكون . فان دورية الفصول متساوية دائماً . — وزمن حياته — لأن مدّة الحياة لكل كائن متغيرة بحسب الأوضاع التى وضعها فيه الطبيعة كما سيقال بعد . — ترتيب ينتظم جميع الكائنات — معلوم أن أرسطو كان يهدم دائما مذهب المصادفة والاتفاق . ر . ما سبق ب ٦ ف ٥ والطبيعة ك ٢ ب ٤ و١ بعده .

§ ٦ — الظواهر المحسوسة — كذلك يوصى أرسطو هنا كما فى كل موطن آخر بنط المشاهدة .

لشاهدة بصدق ما نقوله هنا . متى تطلع الشمس يحصل كون . ومتى تغرب يحصل فساد . وهاتان الظاهرتان تتحققان في أزمان متساوية لأن زمن الفساد الطبيعي هو مساوٍ لزمن الكون . ولكنه يقع غالباً أن الفساد أسرع بـعلة تفاعل العناصر بينها . وفي الحق متى كانت المادة غير منظمة ولا واحدة بعينها في كل مكان لزم أيضاً أن الأكوان التي تخرج منها تكون غير منظمة مثلها وأن يكون بعضها أسرع والآخر أبطأ . وحينئذ يمكن أن يصير كون البعض فسادا للبعض الآخر .

§ ٧ - على أن الكون والفساد كما قلنا يجب أن يكونا دائماً متصلين ولا ينبغي البتة أن يتخلفا للأسباب التي ذكرناها . ومع ذلك فإن هذا مفهوم جدّاً لأن الطبيعة كما نقترّر تبحث دائماً عن الأحسن في كل الأشياء . والوجود هو أحسن من العدم، وقد عدّدتنا في موضع آخر المعاني المختلفة للفظ "وجود" . ولكنه لا يمكن أن الوجود يبقى في كل الأشياء ما دام أن بعضها هي أكثر ابتعاداً جدّاً عن المبدأ . وأخذنا بالطريق الوحيد الذي بقي نقول إن الله قد كمل الكل

— متى تطلع الشمس — هذا ليس حقاً إلا بمقدار ما . وإنما لمبالغة في فعل الشمس أن يسند إليها كون جميع الأشياء . — في أزمان متساوية — يعني أنه في آخر العام يكون الزمن الذي فيه غابت الشمس مساوياً للزمن الذي فيه طلعت . — الفساد الطبيعي — الراجع إلى شهادة الشمس أو غيابها . — الفساد أسرع — العلة عنها يمكن أن تفعل في الكون أيضاً . — العناصر — النص أقل صراحة وقد اضطررت إلى جعل الترجمة أضبط .

§ ٧ — كما قلنا — سواء في هذا الباب ف ٣ أ وفي الطبيعة ك ٣ ب ٥ ف ٤ ص ٩٤ من ترجمتي . — كما نقترّر — هذا هو أحد المبادئ التي أحسن أرسطو في تقريرها وحسن استعمالها . ر . الطبيعة ك ٨ ب ٧ ف ٦ ص ٥١٠ من ترجمتي . — في موضع آخر — خصوصاً في المقولات ب ٢ ف ٢ ص ٤ ٥ من ترجمتي . وفي الطبيعة ك ١ ب ٣ ف ١ ص ٣٨٤ من ترجمتي . وفيها بعد الطبيعة ك ٤ ب ٧ ص ١٠١٧ طبعة برلين . — الوجود يبقى في كل الأشياء — على تقدير الوجود «الأزلي» ولكنني اضطررت لاستيفاء التردد الواقع في النص . — عن المبدأ — الذي كونها والذي يحفظها . — أخذنا بالطريق الوحيد الذي بقي — ربما كان في ذلك تضييقاً لقسوة الله . — الله قد كمل الكل — هذه الفقرة تذكر بعض الشيء بنظريات طليموس

بأن جعل التولد متصلا وأبديا . فالوجود هو إذا ملتك ومتصل بقدر ما يمكن لأن كونا أبديا وصيرورة مستمرة هما أقرب ما يمكن من الوجود ذاته . وحينئذ فعلة هذا الكون، كما طالما قد قيل ، إنما هي النقطة الدائرية لأنها هي وحدها التي تكون متصلة . § ٨ — فانظر كيف أن جميع الأشياء التي تتغير بعضها إلى بعض ، بحسب خواصها القابلة والفاعلة ، كالأجسام البسيطة مثلا ، لا تزيد أيضا على أن تقلد هذه النقطة الدائرية التي هذه الأشياء تكررهما . وفي الحق أنه متى كان الهواء ينجى من الماء والنار ينجى من الهواء ثم الماء ينجى في دوره من النار فيمكن القول بأن الكون قد حصل دوريا ما دام أنه رجع على نفسه . وعلى هذا إذا فإن حركة هذه الظواهر بامتدادها على خط مستقيم تقلد الحركة الدائرية وتصير متصلة .

§ ٩ — وهذا يسمح لنا في آن واحد باستجلاء مسألة يثار تأثيرها أحيانا وهي كيف يمكن ، مع أن كل جسم متمكن في المحل الخاص به ، ألا تكون الأجسام المركبة منفصلة

التي ربما كانت هي التي أوحىها . — متصلا وأبديا — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — ملتك ومتصل ... كونا أبديا وصيرورة مستمرة — التنبيه السابق عينه . — من الوجود ذاته — على تقدير «الأولى» . — كما طالما قد قيل — في هذا الباب ذاته وفي الطبيعة ك ٨ ب ١٢ ف ٤٦ و ب ١٣ ف ٥ ص ٥٥٠ و ٥٥٢ من ترجمتي .

§ ٨ — كالأجسام البسيطة — يعني العناصر العادية الأرض والماء والهواء والنار . — لا تزيد أيضا على أن تقلد — ليس النص على هذه الصراحة . — هذه الأشياء تكررهما — أضفت هذه الكلمات . ومع ذلك يمكن أن يرى أن هذه المشاهدة بين التغير المتكافئ للعناصر وبين الحركة الأزلية التي تحرك السماء هي مشابهة قسرية . ولكنه يلزم تذكر ذلك المركز العظيم المسند إلى أربعة العناصر في نظريات أرسطو . ر . على الأخص الميتورولوجيا ك ١ ب ٢ و ٣ ص ٤ وما بعدها من ترجمتنا . — وفي الحق أنه متى كان الهواء ينجى من الماء — على رأى أرسطو أن الماء يتبخره بصير هوا . — ثم الماء ينجى في دوره من النار — لان النار تتغير إلى هواء والهواء في دوره إلى ماء . — تقلد — هذا التكرير موجود في الأصل .

§ ٩ — يثار تأثيرها أحيانا — أو «يثيرها بعض الفلاسفة» . — منفصلة ومنحلة — ليس في النص إلا كلمة واحدة ويلزم أن يفهم أن المراد هو تحلل الأجسام المختلطة حيث كل واحد من العناصر التي تؤلفها ينجى إلى المكائ الخاصة به فالارض إلى تحت والنار إلى فوق والهواء والماء إلى الأماكن

ومنحلة أثناء المدة غير المنتهية للأزمان . والسبب في ذلك بسيط وهو أنها تتغير وتتحوّل بعضها إلى بعض . فإذا كان كل واحد منها يبقى في محله الخاص ولم يعدله جاره فتكون من زمان طويل قد انفصلت وانزلت . فهذه الأجسام تتغير إذاً على أثر حركة نقلة مزدوجة ومن أجل أنها تتغير لا يوجد ولا واحد منها يمكن أن يبقى البتة في مكان ثابت ومعين .

§ ١٠ — فيمكن أن يرى إذاً بناء على ما تقدم أنه يوجد على الحقيقة كون للأشياء وفساد وما هي العلة فيهما كما أنه يرى ما هو المخلوق والقابل للفساد . ولكن ما دام أنه يوجد حركة فيلزم أن يوجد محرك كما بين ذلك في مؤلفات أخرى . وإذا كانت الحركة أزلية يلزم أن يكون موجوداً شيئاً ما أزلت أيضاً . ولما أن الحركة متصلة فهذا الشيء الذي هو أحد يجب أن يكون هو عينه أبداً غير متحرك ولا مخلوق ولا قابل للاستحالة . حتى مع افتراض أن الحركات الدائرية أمكن أن تكون كثيرة بالعدد فقد يمكن أن تكون عديدة ولكنها جميعها ما دامت فإنها يجب

المتوسطة . — أثناء المدة غير المنتهية للأزمان — لأن هذه التغيرات بطيئة للغاية وتستدعي أزماناً طويلاً جداً . — وهو أنها تتغير وتتحوّل — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — قد انفصلت وانزلت — التنبيه السابق عيه .

— حركة نقلة مزدوجة — ر . ما سبق ف ٤ . وهذه الحركة المزدوجة هي التي يحدتها ميل الدائرة الذي هو تارة يبعد الشمس عنا وتارة يقربها منا . وبحسب شرح فيلوبون إنما هي الحركة التي تذهب من الشرق إلى الغرب والتي ترجع من الغرب إلى الشرق . — ومن أجل أنها تتغير — وتختلط بعضها ببعض .

§ ١٠ — المخلوق والقابل للفساد — حفظت قصداً عبارة النص على قلة تعيينها . — في مؤلفات أخرى — هي الطبيعة ك ٨ ب ١٥ ص ٥٥٨ وما بعدها من ترجمتي، وما بعد الطبيعة ك ٧ ب ٦ وما بعده ص ١٩٢ من ترجمة كوزان الطبعة الثانية . — أن يكون موجوداً شيئاً ما — قد يكون أكثر بياناً أن يقال : محرك ما أزلت . — كثيرة بالعدد ... عديدة — هذا التكرار موجود في النص .

بالضرورة أن تكون خاضعة لمبدأ واحد أحد. ومن جهة أخرى مادام الزمان متصلًا
 وجب أن تكون الحركة متصلة مثله لأنه من المحال أن يوجد زمان بدون حركة .
 فان الزمان هو إذا العدد لشيء ما متصل أعني للنقطة الدائرية كما قلنا ذلك بدياً .
 § ١١ — ولكن هل الحركة متصلة لأن المتحرك الذى يقبلها هو متصل أيضا؟
 أم هل هى كذلك بعلّة اتصال المكان الذى تقع فيه، أريد أن أقول الأين، أو بعلّة
 اتصال الكيف الذى يكيف الشيء؟ من البين أن الحركة هى متصلة بسبب أن
 المتحرك متصل لأنه كيف يمكن أن يكون كيف شيء متصلاً إلا إذا كان ذلك
 باتصال الشيء نفسه الذى فيه يظهر هذا الكيف؟ إذا كانت الحركة ليست متصلة
 إلا بسبب المكان الذى هى فيه فهذا لا يمكن حينئذ إلا بالأين الذى له وحده خاصية
 الاحاطة بها لأن له عظاماً . ولا يوجد عظم متصل إلا لعظم الدائرة لأن هذا العظم
 هو دائماً متصل بنفسه . وعلى ذلك فالعامل فى اتصال الحركة إنما هو الجسم الذى
 له النقطة الدائرية وإنما الحركة فى نوبتها هى العاملة فى أن الزمان يكون متصلاً .

— مادام الزمان متصلاً — ر . على علاقات الزمان بالحركة الكتاب الرابع من الطبيعة ب ١٤ وما بعده
 ص ٢٢٤ من ترجمتى . — بدياً — يرى فيلويون أن المقصود بهذا كتاب الطبيعة الذى هو يتقدم
 فى ترتيب الدراسة كتاب السماء وهذا الكتاب و يلزم الرجوع الى الكتاب الرابع والكتاب السابع من الطبيعة .
 § ١١ — ولكن هل الحركة متصلة — هذه المسئلة المهمة قد طرحت على البحث وحلت فى الكتاب
 الثامن من الطبيعة ب ١٥ وما يليه ، وفى الكتاب الثانى عشر من ١٠ بعد الطبيعة ب ٦ وما يليه على وجه فيه
 بعض المغايرة لما قررنا . — اتصال المكان ... اتصال الكيف — ليس النص على هذا القدر من
 الصراحة . — الذى يكيف الشيء؟ — زدت هذه الكلمات لتكون الفكرة أكثر بياناً . — المتحرك
 متصل — هذا غير مفهوم تماماً . فان الاتصال يمكن أن يكون إما اتصال الزمان أو اتصال المادة .
 — إلا بالمكان — عبارة النص أقل ضبطاً . — الذى له وحده خاصية الاحاطة بها — وسعت عبارة
 النص لجعلها أبين . — الا عظم الدائرة — ر . الطبيعة ك ٨ ب ١٢ فى ٤١ ص ٥٤٧ من ترجمتى
 وب ١٤ ف ١ ص ٥٥٣ — دائماً متصل بنفسه — لأن المحيط يرجع على ذاته . — الجسم الذى له
 النقطة الدائرية — والأزلية، يعنى السماء .

الباب الحادى عشر

نظرية تعاقب الأشياء الأبدى المنتظم — على أى مقدار يكون تدخل الوجوب — الأشياء الواجبة والأشياء الممكنة — الوجوب المطلق — الوجوب الاضافى — علاقة الواجب والأزلى — كون الأشياء لا يمكن أن يكون أبديا الا اذا كان دائريا — ترتيب الأشياء العجيب — الحركة الدائرية للفلك الأعلى تنظم كل الحركات السفلى ، حركة الشمس ، وحركة الفصول وكل الحركات الأخرى — أبدية الأنواع — فناء الأشخاص المتعاقب — أزلية بعض الجواهر — خاتمة الكتاب .

§ ١ — لما أننا، فى جميع الأشياء التى تتحرك بحركة متصلة إما لتكون وإما لتستحيل وإما بالاختصار للتغير، نرى دائما حادثا يوجد بعد آخر وظاهرة لتكون على أثر أخرى بحيث لا يقع لا خلو ولا تخلف فيلزمنا أن نفحص ما إذا كان يوجد شىء ما بالواجب أو أنه ممكن فى حق جميع الأشياء ألا تكون إذا لم يكن شىء موجودا بالواجب . وبديهى أن بعض الأشياء هى واجبة وهذا هو الحامل على أن القول على شىء بالتعيين إنه سيوجد هو مغاير تماما للقول بأنه يجب أن يوجد . لأنه ما دام قد حق القول على شىء بأنه سيوجد فيلزم أيضا أن يحق القول ذات يوم على شىء إنه موجود فى حين أنه متى صدق القول بالبساطة على شىء إنه يجب أن يوجد فلا شىء يمنع من ألا يوجد : مثال ذلك قد يمكن جدا أن إنسانا كان يجب أن يتزهه ألا يتزهه .

§ ١ — لا خلو ولا تخلف — ليس فى النص الأكلة واحدة . — اذا كان يوجد شىء . ما واجب — على نظرية الوجوب . ر . الطبيعة ك ٢ ب ٩ ص ٦١ من ترجمتى .
— بعض الأشياء هى واجبة — تلك هى النتائج الضرورية لفرض ما ولكن الفرض نفسه ليس واجبا . — بالتعيين — زدت هذه الكلمة زيادة فى تحديد الفكرة . — بأنه يجب أن يكون — يوجد فى عبارة النص نحو من الاحتمال ليس موجودا فى التعبير الفرنسي . — بالبساطة — زدت هذه الكلمة أيضا . وربما كان من الأحسن أن يستعاض فى الترجمة عن عبارة "يجب أن يكون" بعبارة "يمكن أن يكون" ، فان هذه الصور الدقيقة من الصعب نقلها من لغة الى لغة أخرى .

٢§ - ولكن لما أن من بين الأشياء التي هي موجودة ما يمكن أيضا ألا توجد فبديهى أن يكون الأمر كذلك أيضا بالنسبة للأشياء التي تصير وتكون وأنه ليس هناك أيضا وجوب . فهل جميع الأشياء التي تكون هي في هذه الحالة أم هل هي ليست فيها ؟ أو ليس يوجد منها ما يجب بالضرورة أن يكون ؟ أو لا يكون الأمر بالنسبة الى الصيرورة كما هو الحال بالنسبة للوجود ؟ أو ليس يوجد أيضا أشياء لا يمكن ألا تكون في حين أن أخرى يمكن أن تكون ؟ مثال ذلك وجوب أن توجد المتقلبات الدورية وليس ممكنا أنها لم تكن أصلا .

٣§ - والحق هو أنه إنما يلزم بالضرورة أن المتقدم يكون لأجل أن المتأخر يكون أيضا في دوره . مثال ذلك لكى يوجد بيت يلزم بدياً أن يوجد أساس . ولأجل أن يوجد أساس البيت يلزم ملاط . ولكن هل لأن الأساس قد عمل يكون واجبا أن البيت يقام أيضا ؟ أم هل ليس هذا واجبا إلا إذا كان البيت نفسه واجبا على الاطلاق؟ وعلى هذا الوجه إذا من الضرورى فى الواقع أنه مادام الأساس قد عمل فالبيت يكون أيضا لأن هذا هو فى الحقيقة علاقة المتقدم بالتأخر أنه إذا كان المتأخر يجب أن يكون فيلزم وجوبا أيضا أن يكون المتقدم قد كان من قبله .

— ٢§ — التى تصير وتكون — ليس فى النص إلا كلمة واحدة و يلزم الالتفات الى التمييز بين الوجود وبين الصيرورة . فان أحدهما أزل أو على الأقل باق فى حين أن الآخر حادث ومؤقت . — بالنسبة الى الصيرورة — جئت بهذا التعبير الذى هو أولى ما يوفى عبارة النص . — لا يمكن ألا تكون — يعنى أنها واجبة . — المتقلبات الدورية — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — ٣§ — المتقدم... المتأخر — الأمثلة التالية تبين معنى هاتين الكلمتين . — بيت ... أساس — يكاد يكون هذا المثل هو عين المثل الذى ضرب فى الطيعة ك ٢ ب ٩ ف ٢ ص ٦٢ من ترجى لتبيان الفكرة عنها . — ملاط — عبارة النص بالضبط "الحما" . — إلا إذا كان البيت نفسه — ليس النص على هذه الصراحة . — فالبيت يكون أيضا — ولكن فقط لأنه هو نفسه واجب وليس البتة لأنه يجب ضرورة أن يكون النتيجة للأساس . — المتأخر — إنما هو هنا البيت . — المتقّم — إنما هو الأساس الموضوع ليحمل البناء . الأساس ضرورى للبيت ولكن البيت ليس ضروريا للاساس .

§ ٤ — وإذا كان حينئذ المتأخر واجبا لزم أن يكون المتقدم واجبا كذلك . وإذا كان المتقدم واجبا وكان المتأخر واجبا مثله فذلك ليس بسببه بأية طريقة ما بل فقط لأنه كان المفترض وجوب المتأخر نفسه . وعلى هذا إذاً فإنه حيثما كان المتأخر واجبا كان التكافؤ . ودأماً حينئذ متى كان المتقدم فواجب أن المتأخر يكون في دوره .

§ ٥ — إذا سار التعاقب إلى اللانهاية نازلاً من درجة إلى درجة فمن ثم لا يكون واجبا أن المتأخر يكون مطلقاً . ولكن حتى هذا لا يكون واجبا بحسب الفرض الموضوع آنفاً لأنه سيوجد دائماً شئ آخر يتقدم بالضرورة على المتأخر . وهذا الشئ الآخر يجب أن يكون بالضرورة أيضاً . وبالنتيجة كما أنه لا يوجد مبدأ ممكن للانهاية فلن يوجد كذلك حد أول عامل على أن الأخير يجب أن يكون بالضرورة . § ٦ — ولكن حتى في الأشياء التي لها حد متته لا يصدق القول بأنه يوجد وجوب لأن تكون الكائنات على الإطلاق . مثال ذلك أن البيت قد كان

§ ٤ — مثله — زدت هذا اللفظ . — بسببه — فإلبيت ليس واجبا أصلاً بالنظر إلى الأساس في حين أن الأساس واجب بالنظر إلى البيت . — كان المفترض — إنما هو بالفرض الصرف أن البيت واجب ولكنه ليس كذلك بالنظر إلى المواد التي تأسس عليها . — كان التكافؤ — يعنى أن الأول ضرورى للثاني بقدر ما يكون الثاني للأول .

§ ٥ — التعاقب — العبارة الإغريقية غير محددة . — إلى اللانهاية — يفترض الشراح أن المقصود التناسل على خط مستقيم متناهماً أو غير متناه عوضاً عن تناسل دائرى راجع على نفسه كتولد العناصر . — نازلاً من درجة إلى درجة — عبارة النص هي بالبساطة : ” نحو التحت “ . — بحسب الفرض الموضوع آنفاً — ليس النص على هذا القدر من التحديد . ويمكن ترجمته هكذا : ” هذا لا يكون واجبا حتى على طريق الفرض “ . — لأنه سيوجد دائماً — يعنى قبل الحد الأخير المفروض أنه واجب توجد سلسلة حدود متقدمة وهي لأنها غير متناهية لا يمكنها أن تنفذ . ومع ذلك فإن كل هذه الفقرة غامضة قليلاً ويظهر أن فيلوبيون يشكو من غموضها . — عامل على أن الأخير — النص ليس على هذا القدر من الضبط ، ففي اللانهاية لا يوجد حد أول ولا حد آخر إذ لا أول لها كما لا آخر لها .

§ ٦ — التي لها حد متته — أو ” آخر “ . — لأن . . . الكائنات — عبارة النص غير محددة .

لأن الأساس قد كان . لأنه إذا البيت كان من غير وجوب وجود دائم بالضرورة فينتج منه أن ما يمكن ألا يكون دائما يكون دائما . ولكن شيئا لا يمكن أن يكون دائما من حيث كونه إلا إذا كان هذا الكون واجبا لأن الواجب والأزلى يتمشيان معا . فما يكون وجوبا لا يمكن ألا يكون . وعلى هذا إذا كان وجوبا فهو بذلك نفسه أزلى . وإذا كان أزليا فهو واجب الوجود وكذلك الحال أيضا إذا كان كون الشيء واجبا فهذا الكون هو أزلى أيضا وما دام أزليا فهو واجب الوجود على سواء .

§ ٧ — وإذا كان إذا الكون المطلق لشيء هو واجبا لزم ضرورة أن يكون هذا الكون دائريا ويرجع على نفسه لأنه يلزم مطلقا إما أن للكون حدا أو أن ليس له حد . فان لم يكن له لزم أن يقع على خط مستقيم أو على دائرة . ولكنه ليكون أزليا محال أن يكون على خط مستقيم لأنه حينئذ لا يكون له ابتداء لا من تحت كما نرى أخذنا بالأشياء التي ستكون ولا من فوق إذا أخذنا بالأشياء التي قد كانت . ولكنه يلزم ضرورة ابتداء للكون من غير أن يكون محدودا وأنه يجب أن يكون أزليا .

— لأنه إذا البيت كان — تابعت بالضبط أسلوب النص . ولكن ليس جيدا لبيان وفيه معان وسطاء محذوفة سيبت الفموض . واليك شرحا يجلو غامض هذه الفقرة : ” حتى في الأشياء التي لها آثر معين ليس من الضروري دائما أن يتبع المتأخر المتقدم مثال ذلك أساس البيت يمكن أن يعمل دون أن يعمل البيت ضرورة بعده مع أن الأساس ضروري للبيت . لأنه إذا كَوّن البيت من غير أن يكون مع ذلك واجبا فينتج منه أن شيئا ممكنا انقطع عن أن يكون ممكلا ليصير واجبا“ . — ما يمكن ألا يكون دائما — يعني ما هو ممكن . — الواجب والأزلى يتمشيان معا — أو ” الواجب هو في آن واحد أزلى أيضا “ .

§ ٧ — دائريا ويرجع على نفسه — هذا أحد المبادئ المهمة المقررة في كتاب الطبيعة ك ٨ ب ١٣ و ١٤ ص ٥٥١ وما بعدها . فان الحركة الدائرية هي الوحيدة التي يمكن أن تكون أزلية . — للكون — أو التناسل . — لا من تحت ولا من فوق . — ر . ما سبق ف ٥ ” من تحت “ يدل على السلسلة النازلة فانه يسار مما هو كائن لأجل افتراض كل تعاقب الكائنات . ” من فوق “ يدل على السلسلة الصاعدة ما دام أنه يسار مما هو كائن للصعود الى ما قد كان . فلا يوجد إذا ابتداء لا من إحدى الجهتين ولا من الأخرى والسلسلة غير متناهية في الجهتين لأن الخط المستقيم يمتد على امتداد غير متناه . — يلزم ضرورة ابتداء — هذا يظهر أنه يناقض آراء أرسطو المعروفة على أزلية العالم وزد على ذلك أنه ليس للدائرة ابتداء بالمعنى الخاص . — للكون . . . الكون — النص ليس على هذا القدر من الضبط .

فيوجد إذًا ضرورة لأن يكون الكون دائريا . وعلى هذا النحو أن التكافؤ أو الرجوع يكون واجبا . ومثلا لو أن شيئا كائن بالواجب لكان المتقدم على هذا الشيء هو واجبا أيضا وإذا كان هذا المتقدم واجبا يلزم وجوبا أيضا أن المتأخر يكون . وهالك إذًا اتصالا أزليا حقيقيا لأنه لا يهيم أن يقع الاتصال بين وسيطين أو عدة وسطاء . على هذا فالوجوب المطلق لا يوجد إلا في الحركة وفي الكون الدائري . ومتى وجدت الدائرة فكل شيء يكون أو كان بالواجب . وكذلك إذا وجد وجوب فالكون يقع دائريا .

٨ § — كل هذا الترتيب هو غاية في المعقول . ومادام قد بين أيضا في موطن آخر أن الحركة الدائرية هي أزلية كما هي الحال في حركة السماء فبديهي أن كل ذلك يقع وسيقع بالواجب وأن كل الحركات التي نتصل بتلك والتي تلك تنتجها هي واجبة مثلها . لأنه إذا كان الجسم الذي يقبل أزليا الحركة الدائرية يوصلها إلى جسم آخر فينتج منه أن حركة هذه الأجسام الأخر يجب أن تكون دائرية أيضا . ومثلا لما أن النقلة تحصل بطريقة ما في الأفلاك العليا فيلزم أن الشمس تتحرك بالطريقة عينها . ومتى كان هذا هكذا بالنسبة إلى الشمس فالفصول بهذه العلة مجرى دائري وترجع دوريا . ومادامت كل هذه الظواهر العظمى تقع بهذه الطريقة فكل الظواهر السفلى تحصل بالانتظام عينه .

— التكافؤ أو الرجوع — ليس في الأصل إلا كلمة واحدة . — اتصالا أزليا حقيقيا — ليس في الأصل إلا وصف واحد . — وسطاء — التعبير الإغريقي غير محدد بالمرّة لذلك لم أكن أكثر منه ضبطا .

٨ § — هو غاية في المعقول — اعترف دائما أرسطو بنظام الطبيعة العجيب من غير أن يجعل مع ذلك لمشيئة الله وعنايته الإلاهية دخلا مباشرا . — قد بين أيضا في موطن آخر — في الكتاب الثامن من الطبيعة كما يقول فيلوبون . — الجسم الذي يقبل أزليا الحركة الدائرية — هذا هو المتحرك الأول يعني السماء أو جزء العالم الأبعد عن الأرض . — بطريقة ما — زدت هذه العبارة لتام الفكرة . — هذه الظواهر العظمى — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — بالانتظام عينه — ليس النص على هذا القدر من الضبط .

٩٤ — ولكن حينما توجد أشياء تتحقق بالفعل على هذا النحو ومثلا حينما الماء والهواء يكون لهما هذه الحركة الدائرية ما دام أنه لأجل تكوين السحاب يلزم أن تكون قد أمطرت ولأجل أن تمطر يجب أن يوجد السحاب فكيف يحصل أن الناس والحيوانات لا تعود هي أيضا على نفسها بحيث إن الشخص نفسه يظهر مرة أخرى ؟ لأنه من أن أباك قد كان ، لا ينتج ضرورة أنك كان يجب أن تكون . والذي هو ضرورى فقط إنما هو أنه إذا كنت فيلزم أن أباك قد كان . والعلّة في ذلك هي أنه إنما هذا تناسل يقع على خط مستقيم .

١٠٥ — غير أن مبدأ البحث الذى تنصدى إليه هاهنا سيكون أيضا أن نساءل عما إذا كانت كل الأشياء تعود أيضا إلى أعيانها أو لا تعود وعما إذا كان حقا ان بعضها يعود بالعدد وبالشخص في حين أن الأخر لا تعود إلا بالنوع . بالنسبة لجميع الأشياء التى يمكث جوهرها غير قابل للفساد فى الحركة التى يلقاها من البين أنها تبقى دائما عدديا متماثلة ما دام أن الحركة تطابق حينئذ المتحرك . ولكن كل الأشياء التى على ضد ذلك جوهرها قابل للفساد فانها يجب ضرورة أن تم هذه

٩٤ — لها هذه الحركة الدائرية - والمتكافئة بحيث إن احدهما تولد الأخرى . - لأجل تكوين السحاب يلزم أن تكون قد أمطرت - ر . الميتورولوجيا ك ١ ب ٦ ص ٥٤ وما بعدها من ترجمتى . - والعلّة في ذلك هي - ليس النص على هذا القدر من التحديد . - تناسل - أو كون .

١٠٥ — مبدأ — يظهر أن هذا أولى به أن يكون الملخص والمتعم ما دام أن هذه المناقشة هي آخر هذا الكتاب . - بالعدد وبالشخص - ليس فى النص إلا كلمة واحدة . - لا تعود إلا بالنوع - يعنى أن الشخص يتغير كمن الأب إلى الابن وأن النوع يبقى هو عينه فى الكائنين اللذين يخلف أحدهما الآخر . - بالنسبة لجميع الأشياء - جواب على السؤال الموضوع آنفا . - عدديا متماثلة - وعلى ذلك فالشمس هي دائما بعينها كما نبه اليه فيلويون . فان جوهرها غير قابل للفساد ولا تتغير فى الحركات القائمة بها . - الحركة تطابق - عبارة النص بالضبط هي : " الحركة تتبع المتحرك " . وهذه العبارة ليست جلية وفيلويون لم يفسرها . وأظن أنه يريد أن يقول إن الحركة هي أزلية وغير قابلة للفساد كالجسم الذى تحل به .

الرُّجعى لا عدديا بل فقط بالنوع وعلى هذا النحو أن الماء يأتى من الهواء وأن الهواء يأتى من الماء، يأتى هو فى نوعه لكن لا هو ذاته عدديا . غير أنه إذا كان من الأشياء ما ترجع عدديا أيضا بأعيانها فليست البتة هى التى جوهرها هو بحيث إنه يمكن ألا يكون .

تم كتاب كون الأشياء وفسادها

— لا عدديا — يعنى لأن الشخص يبقى هو ما هو . — بالنوع — كما يرى هذا من الأب إلى الابن . فان الأب يهلك ولكن النوع يبقى متقولا منه إلى الكائن الذى ولده . — ذاته عدديا — وشخصيا فان الهواء بالنوع مشابه للهواء المتقدم الذى دثر . ولكنه ليس هو عينه . — هو بحيث إنه يمكن ألا يكون — يعنى أنه ممكن وليس واجبا . ويلاحظ أن نظرية الأبد الأزلى لبعض الأجسام وللأنواع ارتقاء وعظمة جديرة بالكتاب السابع من ما وراء الطبيعة والكتاب الثامن من الطبيعة . وهذا إنما هو أيضا نقض جديد لمذهب المصادقة والاتفاق الذى طعن فيه أرسطو دائما . ر . مقدمتنا للطبيعة لأرسطو ص ٩٣ و ١٠٣ وما بعدها من المجلد الأول . ومقدمة كتاب الساء ص ٩٤ وما بعدها .

تحقيق

على

الكتاب الموسوم

”في ميليسوس وفي إكسينوفان وفي غرغياس“

لترجمة هذا الكتاب الصغير اعتمدت على طبعة ف. ج. ١٠. ٠ ملامخ المنشورة سنة ١٨٤٦ والمنقولة في مجموعة فيرمين ديدو الإغريقية^(١). وهذه الطبعة جيدة قد أعادت الى سيرته الأولى بطريقة توشك أن تكون نهائية كآبا مهما جدا على ما فيه من نقص. وقد استعان ملامخ لإصلاح النص فوق أعمال من تقدمه نسخة مخطوطة من مكتبة ليزج العمومية يظهر أنها أضبط النسخ التي وصلت إلينا. وهذه المخطوطة كان قد استعانها بعض الشيء أوليار يوس وهو يعمل لمجموعة فريسيوس الإغريقية (طبعة هارلس ج ٣ ص ٢٨٤). ولم تبدئ البحوث الأدخل في باب الحد والنفع إلا على يد فلورن الذي نشر سنة ١٧٠٩ شرحه المسمى :

“Liber de Xenophane, Zenone et Gorgia, Aristoteli vulgu tributus, passim illustratus”.

(1) Aristotelis de Melisso, Xenophane et Gorgia disputationes, cum Eleaticorum philosophorum Fragmentis et Ocelli Lucani qui fertur de universi naturâ libello, conjunctim edidit, recensuit, interpretatus est Frid. Guil. Aug. Müllach, Berolini, 1846, XXX – 210. Bibliothèque grecque de Firmu Didot. Fragmenta philosophorum Graecorum. pages 270 et suiv.

وبعد أربع سنين هذا ج . ل . إسبلنج حذو فلبورن في بحثه مدرسة
ميجار فأبرز الجزء الأول من الكتاب " في اكسينوفان وزينون وغير غياس " (١) .
وكان بين يدي إسبلنج مخطوطة ليزج استخراج منها عدة إصلاحات وبهذه
المساعدة تسنى له أن نشر نصا محسنا جدا وقرن به تعليقات ممتعة على الفقرات الأشد
غموضا، ولكنه لم يقرن به ترجمة . وإنما كان الجديد في هذا التحقيق هو أن
إسبلنج كان يجعل الجزء الأول من الكتاب مخصوصا بمذاهب ميليسوس وكان
يثبت يبراهين قاطعة أن اسم ميليسوس كان يجب أن يستبدل باسم زينون . وقد قبل
من يومئذ رأى إسبلنج هذا وإني لذا كر الآن السبب الذي يوجب قبوله .

ولم يستطيع إسبلنج مع فحصه مخطوطة ليزج مقابلتها بطريقة مضبوطة تماما
واعتمد على الأخص على الإصلاح الخفيف الذي عمله فيها أولياربوس . غير
أن كر . دان . بك مغير جامعة ليزج الشهير الذي كان قد يسر بحوث إسبلنج
قد أخذ على عاتقه إتمام تلك البحوث فنشر في السنة عينها كل الروايات المختلفة
في تلك المخطوطة الثمينة على هذا الكتاب وعلى بعض مؤلفات أخرى لأرسطو (٢) .
وهذه النسخة المطبوعة التي اعتد بها ملاحظ فضل اعتداد لم تكن ، فيما يظهر ، لتقدر
بل لم تكن لتعرف عند علماء اللغة الذين اشتغلوا بعد ذلك إما بأمر مدرسة إيليا
على العموم وإما على الخصوص بالكتاب الخاص الذي فيه فحست مذاهب

(1) "Commentarius in primam partem libelli de Xenophane, Zenone et Gorgia, praemissis Vindiciis philosophorum Megaricorum, Berolini, 1793, 8°. XIV-83.

وكان اسبلنج يتبع طبعة اسبلورج في أكثر كتابه .

(2) Solemnia Doctorum philosophiae et magistrorum artium
a. d. XIV febr. M D CCXCIII antiquo ritu creandorum indicit Chr.
Dan. Beckius. Praemissa est varietas lectionis libellorum Aristotelicorum e codice Lipsiensi diligenter enotata.

وإن دانيال بك من الرجال الذين قد أعطوا في الثلث الأول من هذا القرن (التاسع عشر) في الدراسات
الفلسفية في ألمانيا نهضتها القوية .

إكسينوفان وميليسوس . فالمجمع العلمى ببرلين مثلا لم ينتفع بها فى طبعته حق الانتفاع حتى إن ملاحظ قد أظهر الأسف لهذا الإهمال الذى كان اتقاؤه ميسورا^(١) .

فى سنة ١٨٤٣ أى بعد اثنتى عشرة سنة قد سدد تيودور برج بعض هذا النقص فاعتمد على روايات بك ووضع شرحا أمتع من كل ما تقدمه من الشروح . ومع أن هذا العمل قد كان موضع المدح والاستحسان فانه لم يثن ملاحظ عن إعادة النظر من جديد فنشر ، بعد عمل برج بثلاث سنين ، الطبعة والشرح اللذين ذكرتهما آنفا . غير أن ملاحظ وإسبلنج لم يترجما الكتاب مع أن ترجمة كتاب مثل هذا محروم أشد ضرورة من ترجمة غيره . فظلت خير ترجمة لاتينية هى ترجمة جان برناردان فيليشانو المعلم فى البندقية سنة ١٥٥٢ ولكن مع أن هذه المخطوطة التى ترجمت قليلة التحريف فإنه كان من الممكن أيضا بل من النافع تصحيحها وضبطها وقد نقلت فى طبعة المجمع العلمى فى برلين .

تلك هى الأعمال التى تناولت الكتاب على ميليسوس وإكسينوفان وغير غياس حتى الآن . وإنه لينبغى أن يضم إليها تحقيق "م . هنرى إدوارد فوس" على غير غياس الليونبومى إذ أنه نشر فيه ، من غير ترجمة النص ، الجزء الذى يتعلق على الأخص بغير غياس ، أى الباب الخامس والسادس من هذا الكتاب الذى ترجمه ، وذيله بتفسير . وبعد هذه التفاصيل اللغوية يلزمنا الكلام على الكتاب ذاته : فى أية حال وصل إلينا ؟ ومن هو مؤلفه على المشهور ؟ وما هى قيمته الذاتية ؟ .

(١) ظهرت طبعة أرسطو العامة التى أنجزها بكر و برانديس تحت رعاية المجمع العلمى ببرلين سنة ١٨٣١

(2) Regiae universitati litterarum Frederico - Alexandrinae D. XXIII mensis Augusti MDCCCXLIII sacra saecularia prima agenti gratulatur academia Marburgensis. Praemissa est Theodori Bergkii commentatio de Aristotelis libello Xenophane, Zenone, et Gorgia, Marburgi, 1843.

(3) De Gorgia leontino commentatio, interpositus est Aristotelis de Gorgia liber emendatus editus ab. H. Ed. Foss, Halis Saxonum, 1828, 8°, IV - 186. Le traité sur Gorgias et le commentaire sont pages 110 et suivantes.

فأولا ما هو العنوان الذي يجب أن يعنون به هذا الكتاب الصغير؟ عند القدماء جميعا تقريبا وعند المتأخرين إلى بحوث إسبلدنج كان عنوانه المجمع عليه على العموم هو: "في إكسينوفان وفي زينون وفي غرغياس". أو بحسب مخطوطة ليزج "في زينون وفي إكسينوفان وفي غرغياس" فإن إسبلدنج بتقريبه شواهد "سمبليسوس" العديدة من تحاليل هذا الكتاب أبان بطريقة لا تحتمل النقص أن المقصود في الجزء الأول هو ميلسوس لا إكسينوفان فانه في شرحه المتع على كتاب الطبيعة لأرسطو قد نقل فقرات تامة من ميلسوس على الموجود أو الطبيعة. وهي مشابهة حتى في ألفاظها في بعض المواطن كل المشابهة للتفاصيل المسطورة في هذا الكتاب الذي ترجمه. فلما وضع إسبلدنج هذه الموافقات بعضها قبالة البعض الآخر وقارن بينها وجها لوجه لم يعد بعد في الإمكان إنكار أن ميلسوس هو الفيلسوف المتكلم عنه في البابين الأولين.

الى هذا الدليل الذي يكفى وحده في إثبات المطلوب ينضم دليل آخر وهو أنه في فهرس "ديوجين اللايرثي" (ك ٥ و ١ وف ٢٥ طبعة فرمين ديدو ص ١١٦) ذكر صريح لكتاب أرسطو على مذاهب ميلسوس. وهذا الذكريس مفردا بل يؤكد ديوجين أن أرسطو قد نقد أيضا آراء زينون وكذلك قد بحث بحثا خاصا في مذاهب أتباع فيثاغورث وأرخيتاس وسبوسيب وإكزينوقراط... الخ.

وفهرس ميناش المجهول واضعه يؤيد شهادة ديوجين اللايرثي وإنه ليدكر أيضا بحوث أرسطو في مذهبي ميلسوس وغرغياس. وما من شيء أقرب الى الاحتمال من أن يكون أرسطو قد اشتغل بمذاهب ميلسوس إذ أن ما بين أيدينا من كتبه يدلنا على شدة اضطلاعهم بجميع الفلسفات المتقدمة على فلسفته. وهو يذكر ميلسوس غالبا. وإتنا ذاكرون أكثر من مرة ماذا قاله عنه وعن إكسينوفان سواء في علم الطبيعة أو في علم ما بعد الطبيعة أو في غيرها.

وعلى هذا فالحق في جاب "إسبلدنج" في أن الجزء الأول من هذا الكتاب

يتعلق بميلسوس.

ربما نتساءل كيف كان لهذا الشك سبيل الى هذه النسبة . إذا كان أرسطو ينقد ميليسوس أو فيلسوفا آخر بعينه فيكون واجبا عليه فيما يظهر أن يسميه بأسمه إذ لا مسوغ لهذا الإبهام الذي لا يفسر . ولكنه لسوء الطالع لم يفعل ، بل قنع في هذه الكتب بأن يقول دائما : ” هو “ دون أن يعين اسما مرجعا لهذا الضمير . ولا سبيل الى معرفة من هو المعنى بالنقد إلا تعترف صاحب المذهب المنقود من مذهبه نفسه . وعلى ذلك فإن هذا الكتاب إنما كتب بغير عناية في شكله الظاهر على الأقل وإن مؤلفه أيا كان قد أخطأ في أنه لم يكن مبينا حتى لقد احتيج الى فطنة الفلاسفة المتأخرين لسد هذا النقص الذي ربما لا يكون منشؤه إلا خطأ ناسخ .

وإن ما أقوله هنا عن ميليسوس يوشك أن يكون منطبعا على إكسينوفان أيضا . فانه ليس مسمى كذلك في الجزء الثاني من الكتاب ولكنه مع ذلك لا سبيل الى الشك في أمره لأن مذاهبه معروفة أكثر من مذاهب ميليسوس . فنسبة ما يقال هنا اليه لا يتطرق اليها الخطأ .

إن هذا اليقين ينسحب من باب أولى على غرغياس الذي هو غير مسمى أيضا في أول الجزء الثالث (ب ٥ و ٦) الذي يخصه ولكن براهينه قد نقلت الينا على يد سكستوس أمپيريكوس (adversus mathimaticos evlogicos ك ٧ ج ٢ ص ٢٨٥ طبعة سنة ١٨٤٢ ج ١ ص ١٣٤) وإنها تماثل على الإطلاق البراهين التي تراها في هذا الكتاب .

من هذا أستنتج أن العنوان النهائي الذي يجب أن يجمه هذا الكتاب هو ” في ميليسوس وفي إكسينوفان وفي غرغياس “ فان هذا العنوان يتفق تماما وما يحويه الكتاب ، وقد أحسن ملاحظ في اتخاذه . ومنذ الآن لا يمكن إلا اتخاذه هذه الصيغة عنوانا لهذا الكتاب كما فعل ملاحظ . أما أنا فاني لم أتردد لحظة في اتخاذاها . وفي الحق إنه ليبقى أن تعين ” زرينون “ في عنوانات النسخ المخطوطة لا مسوغ له . غير أني سأحاول فيما يلي مقتضيا أثر ملاحظ اكتشاف المصدر الذي يمكن أن

يكون صدر عنه هذا التعيين . والآن أسوق القول الى ما كنا بصددده من حيث العنوان لنفرغ منه .

قد راجع بيكر مخطوطتين معنوتين بعنوانين يخالفان العنوان العادي مغفلا فيهما ذكر الأسماء الأعلام . فالعنوان فيهما بالبساطة هو : ” كتاب أرسطو على المذاهب ” أو : ” كتاب أرسطو على مذاهب الفلاسفة ” فالعنوان الأول هو لمخطوطة في مكتبة سنت مرك في البندقية q . والثاني لمخطوطة في الفاتيكان B^a بحسب تعريف بيكر . واختلاف هاتين الروايتين مهم من حيث افتراض أن الشكوك كانت متسلسلة حتى في الأزمان القديمة إلى صحة العنوان المشهور . ومن المحتمل أنهم لم يكونوا ليتعرفوا إكسينوفان وزينوف في الجزء الأول والثاني (ب ١ و ٢ و ٣ و ٤) . وتلقاء هذا الغموض استحبوا عدم التعيين . فقد كان وسمهم الكتاب بأنه ” على المذاهب الفلسفية ” لا مسئولية فيه لأنه هو مع ذلك على سمته صحيح إن لم يكن مضبوطا . وما كنت لأتخذ هذا الوسم دون غيره ولكنه يلزم أن يقام له وزن ولذلك ذكرته .

أما وقد تحدد العنوان وبيّن على هذه الصورة فمن هو مؤلف الكتاب ؟ أرسطو هو أم هو آخر ؟ .

مخطوطة في الفاتيكان مرقومة R^a طبعة برلين تنسب هذا الكتاب إلى تيوفراسط أو على الأقل هي تدرجه ضمن كتب أخرى كلها لتلميذ أرسطو وخليفته . وإن ما يجعل لهذا الفرض محلا من الشبه بالحق والثقة هو أن سمبليسيوس في شرحه على كتاب الطبيعة (الورقة 6A) يستشهد بفقرة من تيوفراسط فيها ينقل هذا المؤلف عن إكسينوفان آراء مطابقة تمام المطابقة لما نقرؤه في هذا الكتاب . ولا شك في أن هذين السبيين هما الحاملان م . برنديس في ” تاريخه للفلسفة الإغريقية واللاتينية ” (جزء ١ ص ٣٥٨) على أن يسحب هذا الكتاب من أرسطو ليرده إلى تيوفراسط . ولكن هذا التغيير لم يحل محل القبول من ذوق علماء اللغة ولو أنه صادر

عن حكم لا يقل عنهم في العلم ولا في الحدق ، فقد صرح م . تيودور بـرج أن هذا الكتاب على رأيه ليس أحق بتيوفراسط منه بأستاذه .

وإني هنا على رأي مـلاخ وأرى كما يرى أن ذلك تجاوز أبعاد جدًا مما ينبغي . وقد نهبت الساعة أن هذا الكتاب لم يكن ليكتب بالعناية المطلوبة مادام الفلاسفة الذين تتقدفيه مذاهبهم ليسوا معينين بأسمائهم ولكن في مجموع تأليف أرسطو كما نقلته إلينا القرون كم من غلطات من هذا النوع ، وكم من إهمال في التحرير ، وكم من قطع لم تتم ، وكم من صحف مشوشة حتى في أجمل كتبه مثل " ما بعد الطبيعة " مثلا ! على أن الأسباب التي حملت أرسطو على أن يترك كل مخطوطاته في حالة نقص معروفة . فانه لم يكذب ينشر شيئًا مدّة حياته . ولم يكن إلا حين ناهزت سنه للخمسين عول على إظهار شيء من تعاليمه . فلما فوجئ بالحركة الموجهة ضد المقدونيين بعد وفاة الإسكندر واضطر الى هجرة آتينا على عجل مشردًا منفيًا لم يسكن إلى محل طمأنينة أن عاجلته المنون لا تعرف كيف كانت ولكن المعروف أنها كانت ميتة عنيفة في سن الثانية والستين . فجمع تيوفراسط كل ما كان تركه أستاذه من الأعمال والأوراق ، ولم ينشر منها شيئًا هو نفسه أيضا فيما يظهر . وبقية الحكاية معروفة فإن العالم الغربي لم يكذب يعرف مؤلفات أرسطو إلا حينما جىء بها من آتينا بعناية « سـلا » فرتبت بطريقة حسنت أو ساءت بعناية « أندرونيكوس الرودسى » . وقد يكون من الغريب أن مخطوطات أهلها المؤلف بحكم الضرورة وأهلها خليفته الأول هي أحسن نظاما في الترتيب من غيرها . فإن التشويش أو بالأولى النقص في كتبنا هذا لا يطعن فيه . بل إني قائل إن هذا الكتاب على ما وجدناه عليه ليس فيه من عدم النظام والحرم مثل ما في مؤلفات أرسطو التي لا شك في صحة نسبتها إليه . بل قد يكون هذا الكتاب أبعد عن سوء التأليف فان الأجزاء الثلاثة التي يتألف منها متميز بعضها عن بعض ومتابعة من غير خلط ، وعرض المذاهب المتقدمة فيه هو من الوضوح والتنسيق بمكان . وإذا كان لم يتقبل على العموم بقبول حسن فذلك لأن طابعه الأولين قد شوّهوه بأغلاط شتى تلاقها من بعد ذلك عناية المتأخرين

وحذفهم حتى لم يبق منها شيء . وإني ألقت إلى هذا نظر القارئ الفطن الذي يريد فحص هذا الكتاب الصغير لأن يأخذ بالطبعة التي أصلحها ملاح و تبرجتى هذه . ومهما يكن هذا الكتاب ” في ميليسوس وإكسينوفان و غرغياس “ ظنينا في نسبه الى أرسطو فانه لا شيء فيه يبعده عن مدرسة المشائين الملاصقة عهدا بأرسطو . وإني لألقى القيادة الى رأى ملاح الذى يميل الى اعتبار هذا الكتاب خلاصة من مؤلفات أرسطو التي ذكرها ديوجين اللايرثى كما ذكرناه آنفا . وقد تكون هذه الخلاصة من وضع بعض المشائين ، كما يحتمل أن يكون تيوفراسط قد اقتبس كذلك من مؤلفات أرسطو ما رواه عن إكسينوفان كما يذكره لنا سمبليسيوس . وإن في مؤلفات أرسطو لخلاصات من هذا القبيل . والشاهد على ذلك أسلوب ” علم الأخلاق الكبير “ وأسلوب ” علم الأخلاق الى أوديم “ فانهما ليسا الا تحاليل ممتعة كثيرا أو قليلا لكتابه ” علم الأخلاق الى نيقوماخوس “ . ولقد أستطيع أن أستنتج أنه إن كان هذا الكتاب ليس من عمل أرسطو ولا من عمل تيوفراسط فهو على أقل ما يكون من زمان لا يبعد كثيرا عن زمانهما . وهذا وحده يكفى في أن يجعل له أهمية إنكارها محال .

ولقد تأخذ بي القيمة العالية لما يحويه هذا الكتاب بالنظر الى تحريره فضلا عن أن ميليسوس وإكسينوفان و غرغياس رجال ثلاثة كبار لا يمكن لتاريخ الفلسفة أن يهمل تذكارهم . ولو أنهم هنا لم يرتبوا على مقتضى الترتيب الزمانى فإن هذا لا ينقص قيمة القول فيهم . ولن تجد فى أى كتاب آخر قولاً على ثلاثة الفلاسفة المذكورين مستفيضا كما فى هذا الكتاب ولا شك فى أنه يرغب فى أزيد من ذلك ، ولكن هذه المقاطيع هى كل ما لدينا عن مجموع مذاهبهم ، والشكر علينا واجب لمن حفظ الكتاب على هذه الصورة . فإن مدرسة إيليا على رغم أغلاطها بالغة غاية المجد وإنه الى جانب آرائها الدقيقة الخافية فى وحدة الموجود ولا تحركه فمن المشوق الاستماع الى نظرياتها السامية العميقة على وجود الله وقدرته الكلية . وبهذه المثابة فإن إكسينوفان الذى يعتبر مؤسس مدرسة إيليا رجل كبير المقام وإنه قد تنبأ قبل

سقراط وأفلاطون بنبوءات خليفة بهما . وميليسوس وان لم يكن في مستوى إكسينوفان يستحق على الأقل ألا ينسى . وأما غريغاس فهما كان سفسطائيا فهو لا يحط مطلقا قدر الطائفة التي يضعونه فيها ، وفي الحق حسبنا أن نذكر أن أفلاطون وضع تحت هذا الاسم الشهير واحدة من أجمل محاوراته .

ولكن كيف في النقد الموجه لمدرسة إيليا ومذاهب أهلها يغفل المؤلف أمر زينون؟ كان اسم زينون في عنوان الكتاب في أكثر النسخ المخطوطة فلماذا لم يكن له وجود في صلب الكتاب؟ من أين هذا الإغفال وهذا النقص؟ يرى ملاحظ بحق أن هذا الكتاب الذي ليس له الآن إلا ثلاثة أجزاء كان يجب أن يكون فيما سبق مؤلفا من أربعة أجزاء، وأن نقد زينون كان يجب أن يتلو نقد إكسينوفان . وهذا الفرض مقبول وقد يستتج طبعاً من أن أرسطو قد فخص مذاهب زينون كما فخص مذاهب الفلاسفة الثلاثة الآخرين . ويؤيد ملاحظ هذه القرينة بفقرة في هذا الكتاب (ب ٥ ف ٣) حيث ذكر فيها اسم زينون عقب اسم ميليسوس بالصراحة . وإلى هذه الفقرة يمكن أن يضاف أيضاً فقرتان تكادان تكونان في المعنى عينه (ب ٦ ف ٦ و ٩) . وهكذا دون أن نخرج من هذا الكتاب الصغير يمكننا أن نجد براهين تكفي للقول بأنه كان لهذا الكتاب جزء رابع أفرده القول فيه على زينون ولكنه غير موجود الآن . وهذا الجزء كان يأتي في الترتيب عقب الجزء الخاص بإكسينوفان .

وفوق ذلك فإن في الفقرة الأولى من الباب الثاني يرى أن ميليسوس مسمى ومقرباً من إكسينوفان الذي لا يجيء فخص مذهبه إلا بعد فخص مذهب ميليسوس . فيظهر من المحقق إذاً أن غرض مؤلف هذا الكتاب الصغير أن يدرس ميليسوس قبل إكسينوفان . كذلك يوجد هذا الترتيب في فهرس ديوجين اللايرثي . فإن كتاب أرسطو على ميليسوس مقدم على كتبه على غريغاس وإكسينوفان وزينون . ولكنه لو روعي الترتيب الزمني كما كان يجب أن يعمل لكان إكسينوفان هو الأول وزينون الثاني وميليسوس الثالث وغريغاس الأخير . لا ينبغي أن يعلق على هذه المسائل من حيث الترتيب الزمني أهمية كبرى . ولكن تعاقب المذاهب لا يوجد فهمه اذا

خلطت العصور من غير ترتيب وإنما ينفع الفلسفة ذاتها أن يتخرج في ترتيب عصورها بالتسلسل على قدر الامكان .

يوشك ألا يكون من الأهمية بمكان ذكر أن يكون أرسطو هو الذى أخطأ في الترتيب اذا كان هو مؤلف الكتاب أو أن مختصره هو الذى ارتكب هذا الخطأ فإنى تارك الى جانب مسألة الترتيب التى هى مادية محضة لأقول بعض كلمات على الفلاسفة الثلاثة المذكورين فى كتابنا هذا .

اشتهر إكسينوفان بأنه كان رئيساً لمدرسة إيليا وهذا هو المجد الذى يسند عادة إليه وإن كان أفلاطون فى الفقرة الوحيدة التى ذكر فيها إكسينوفان يشير ، فيما يظهر ، إلى أن مدرسة إيليا أقدم منه (الفسطاطى ص ٢٤١ من ترجمة كوزان — وص ١١٩ ب ٤٤ من الطبعة الإغريقية فى طورينو سنة ١٨٣٩) . لما نفى إكسينوفان من وطنه كولوفون إلى يونيا آسيا الصغرى يظهر أنه هاجر إلى صقلية واحتمى فيها بمدينة زنكل ثم بقطنة ، ثم ذهب إلى إيليا التى كان قد أسسها حديثاً الفوكيون سنة ٥٣٦ قبل الميلاد على شواطئ إغريقيا الكبرى وعلى بحر طرهينيا ، وأنشأ فيها هو نفسه هذه المدرسة التى اشتهرت بها تلك المدينة الجديدة . ولا يدري أمات بها أم رجع إلى كولوفون . والظاهر أنه عمر طويلاً متى سلم بصحة ما نقل الينا من بعض أبيات يقول فيها^(١) : إن سنه أربت على الثانية والتسعين . وفى الحق أن هذه الأبيات يمكن أن تفسر بمعنى آخر تدل به على أن إكسينوفان كانت سنه وقتئذ سبعة وستين عاماً وأن الحوادث التى قيل فيها الشعر حصلت حين لم يبلغ عمره إلا خمسة وعشرين ، فانه يقول : ” اذا صح أنى أستطيع الكلام على هذه الأشياء بصورة مضبوطة“ . يقول ديوجين اللايرثى : إنه ظهرت آثاره نحو السادسة والستين أولية يعنى نحو السنة ٥٤٠ وبفرض أنه كانت سنه فى هذا الحين ٤٥ أو ٥٠ سنة فيكون ميلاده متأخراً قليلاً عما يفترض له إذ يقال : إنه ولد سنة ٦١٧ قبل الميلاد .

(١) ديوجين اللايرثى ك ٩ ب ٢ ص ٢٣٤ طبعة فيرمين ديدو .

وإن ما يجعل على الظن بأن ميلاد إكسينوفان يجب أن يكون أقرب من ذلك هو أنه استشهد بفيثاغورث^(١) الذي ربما قبل آراءه في التناسخ . ولقد نعلم بشهادة شيشيرون الصريحة (الجمهورية ك ٢ ب ١٥) أن فيثاغورث لم يأت سيباريس وقروطون إلا في سنة ٦٢ أولمبية أى السنة الرابعة من حكم طرخان العظيم أعنى سنة ٥٣٠هـ أفىكون من المحتمل أن إكسينوفان تكلم عن فيثاغورث وهو حى بما تكلم به . وحينئذ ألا يلزم عليه أن يُنزل بالعصر الذى عاش فيه وبميلاده الى أنزل من ذلك . واليك هذه الأبيات :

« لما رأى ذات يوم كلبا يضربه بالسوط صاحبه »

« أخذته الشفقة بهذا الكائن الشقي »

« فقال : لا تضرب تلك هى روح صديق »

« تعرفته بسماع صراخه »

وقد زاد ديوجين اللايرثى الذى روى هذه الأبيات فى ترجمة فيثاغورث — فى موضع آخر^(٢) أن إكسينوفان كان يحارب مذهب حكيم ساموس ومذاهب طاليس وإبيمينيد كما أنه كان ينقد بحدة ما كان يصور به هيزيود وهوميروس الآلهة وشهواتهم ونقائصهم . وقد كان إكسينوفان يودع أفكاره القصائد والجماسيات التى كان يقرؤها . بل قد يكون محتملا أنه كان يرتزق على دأب ”رهبسود“ بإنشاد قصائده ليطرب السامعين ويستجدي سخاءهم .

وإذا كان إكسينوفان قد طعن فى آراء طاليس وفيثاغورث وإبيمينيد فيجب أن يكون متأخرا عنهم وليس محالا أن يكون قد عاش الى زمن الحرب الأولى الميضية (سنة ٤٩٠ قبل المسيح) .

(١) ديوجين اللايرثى ك ٨ ب ٨ ص ٢١٣ طبعة ديدو .

(٢) ديوجين اللايرثى ك ١١ ب ٢ ص ٢٣١ طبعة ديدو .

وهناك واقعة قد لا استطاع الشك فيها ما دام أرسطو يشهد لها (الميتافيزيقا
 لك ١ ص ١٤٦ ترجمة كوزان) . وهى أن پرمينيد كان تلميذ إكسينوفان . وعلى هذه
 النقطة كل القدماء على وفاق . غير أننا نعلم يقينا من أفلاطون (تينيت ص ١٥٤
 — والسفسطائى ص ١٦٤ ترجمة كوزان) أنه حينما جاء پرمينيد آتينا مع زينون
 كانت سنه ٦٥ سنة (الپرمينيد ص ٦ ترجمة كوزان و ص ٧٥١ طبعة طورينو ١٨٣٩) .
 وبفرض أن سقراط كان حديث السن عند حوارہ پرمينيد المنقول لنا فى المحاوره
 المشهوره بهذا الاسم ولم يكن عمره إلا عشرين سنة ، فإن هذا يتقلنا الى سنة ٤٥٠
 قبل الميلاد . وعلى هذا الفرض يكون پرمينيد قد ولد فى سنة ٥١٥ ولتلقى العلم على
 إكسينوفان يلزم أن يكون هذا الأخير قد مات فى نحو العهد الذى ذكرناه آنفا .
 غير أنى تارك مرة أخرى هذه المجادلات التاريخية لأقف برهة عند آراء
 إكسينوفان الفلسفية التى لها فى نظرى أهمية أخرى . ولئن كان فيما يتعلق به نقطة
 مجمع عليها فإنما هى أن أفكاره فى الآلهة ، بل يمكن أن يقال أفكاره فى الله ، كانت
 أصح وأرقى من أفكار معاصريه . وهذا الكتاب الذى ترجمه يكفى وحده فى إثبات
 هذه الدعوى ، غير أن الشواهد على ذلك متواترة أكثرها جوهرية شاهد إكسينوفان
 نفسه . ولم تتخذ المسيحية فى أمره فان كليمان السكندرى (استروماتس ك ٥
 ص ٦٠١) يثنى على فيلسوف كولوفون بأنه نزه الله تعالى عن التجسد وبأنه قال :
 ” واحد قد ير على كل شىء ملك الأشدئين قوة فإله لا يشبهنا لا بالعقل
 ” ولا بالجسم وإن الناس بتصويرهم الآلهة على صورتهم يسندون إليهم أفكارهم
 ” وأصواتهم ووجوههم “ .
 ويروى كليمان السكندرى فوق ذلك أبياتا أخرى تكرر هذه الفكرة عينها فى قالب
 آخر ، وفيها يقول إكسينوفان :

(١) ر . التحقيق الخاص لفكتور كوزان فى الجزء الأول من القطع الفلسفية .

” اذا كان للثيران والأسود أيّد تصوّر كما يصوّر الناس لأعطت الآلهة التي“
 ”تصوّرها أجساما أشبه بأجسامها، ولكانت الخليل تصوّروهم بصور خيل والثيران“
 تصوّروهم بصورة ثيران“ .

منذ إكسينوفان قلدت هذه الأبيات التي هي غاية في الحق ألف مرة. وليكلا
 يصوّر الناس الله على صورتهم حين يحاولون تصويره اضطروا أن يكفوا على
 الاطلاق عن تمثيله كما يهدى اليه بعض الديانات المتشددة الى الغاية .

بعد أبيات إكسينوفان يمكن الاستظهار بشهادة أرسطو في مؤلفاته الأخرى
 غير هذا الكتاب الذي ترجمه مثل ما في الخطابة : (ك ٢ ب ٢٣) حيث ينقل
 أنه على رأى إكسينوفان أن ”من الإلحاد الاعتقاد بولادة الآلهة وبموتهم لأنه على
 كل واحد من الوجهين تقع برهة لا يكون للآلهة وجود“ . وفي موضع آخر بعد
 هذا بقليل يروى أرسطو جواب إكسينوفان على أهل إيليا الذين كانوا يسألونه :
 أيجب عليهم أن يقربوا قربانا إلى ”لوقوتوا“ ويجأروا بالنواح عليها؟ فقال لهم :
 ”إذا صح في نظركم أنها آلهة فلا ينبغى أن تبكوها . فإن لم تكن إلا هالكة فلا ينبغى
 أن تقرب لها القرابين“ . يسند بلوطرخس أيضا إلى إكسينوفان فكرة مماثلة
 لهذه فيها أن المخاطبين هم المصريون عوضا عن أهل إيليا ، وأوزيريس عوضا
 عن عذراء لوقوتوا ص ٤٦٣ وأما طريوس ص ٩٣٣ طبعة فرمين ديدو
 ”إيزيد وأوزيريد“ .

من هذه الأفكار السامية الحقّة في حق الله تفهم علة حَقّ إكسينوفان على
 الشعراء الذين كانوا يحطون من الجلالة القدسية والذين هم كهوميروس وهيزيود
 لا يحجمون عن أن يسندوا إلى الآلهة كل ما يحط من الشرف في نظر الناس
 كالسرقفة والزنا والكذب والغدر (سكستوس أمپيريكوس بيرون هيپوتيب .
 ك ا ب ٣٣ ص ٩٩ طبعة ١٨٤٢ . (Adversus Mathem. Physicos) ك ٩
 ص ٦١٢ . (Grammaticos) ك ١ ص ١١٢) .

وفي موضع آخر تكلم أرسطو أيضا على آراء إكسينوفان هذه. وفي كتابه "الشعر" ذكر أن الفيلسوف كان يطعن في المعاني التي يتصورها العامة في حق الآلهة (ر . الشعر ٢٥ ف ١١ ص ١٤٢ من ترجمتي) .

وأخيرا ذكر أرسطو إكسينوفان أيضا فيما بعد الطبيعة (ك ١ ب ٤ ص ١٤٦ ترجمة كوزان سنة ١٨٣٨) .

وفي هذا الموضع الأخير لم يحفل أرسطو بنظريات إكسينوفان على الوحدة التي خلطها بالله فلم يرف في هذه النظريات ما ينبغى من الضبط من حيث إن هذه الوحدة ليست عقلية كوحدة پرمينيد ولا مادية كوحدة ميليسوس . بل يزيد على ذلك أيضا أن أفكار إكسينوفان في هذه النقطة أفكار جافية كأفكار ميليسوس الذي لا يفرق بينه وبينه .

ها نحن أولاء قد أتينا على كل ما وجد في أرسطو تقريبا على إكسينوفان . ولكن تلك الفقرة المذكورة في " ما بعد الطبيعة " عظيمة الأهمية من حيث إنها ترينا رأى أرسطو في أن مذاهب ميليسوس ليست بعيدة عن مذاهب إكسينوفان . وذلك يدلنا على حكمة الجمع بينهما في كتاب واحد إذا كان أرسطو هو مؤلف هذا الكتاب وإن لم يكن فكيف تشنى لمؤلف آخر أن يجمع بينهما دون أن يقرب بينهما قسرا . غير أنه كان يلزم مراعاة للترتيب الزماني أن يتكلم على ميليسوس بعد إكسينوفان . ولكن ربما كان هذا مجرد خطأ مادي في الوضع سببه إهمال نساخ . ولما أنه ليس بين الجزأين الخاصين بإكسينوفان وميليسوس ارتباط ضروري ، فليس في التشويش مستنكر ولا مستعصى عن الفهم .

أما ميليسوس الذي نضعه في الصف الثاني سواء في الأهمية والترتيب الزماني فإنه رجل يسترعى الاهتمام وإن كان أقل رفعة من سابقه . قد ولد في ساموس كفيثاغورث وتبوأ فيها مركزا عظيما ودافع عن وطنه بمهارة وشجاعة عند ما حاصره الآتييون قبل حرب پيلوبونيز بجمس عشرة سنة . ولقد نجح ميليسوس في كسر الحصار واتخذ لقومه منه مخرجا قادهم به حتى أتلف أعمال الحصار ووصل الى

أسطول الأعداء وحرّبه كله تقريبا . كل ذلك في غيبة بيريكليس الذي كان قد غادر الحصار لملفاة السفن الفينيقية الآتية لنصرة مدينة ساموس . فأمكن المدينة أن تحصل على ما تقصمها بالحصار من التموين وذلك بفضل النصر الذي أحرزه ميليسوس . ولكن الدائرة قد دارت على أهل ساموس حين رجع بيريكليس من غيبته فانهزم ميليسوس في حرب برية واضطرت المدينة الى التسليم على شروط أقسى ما تكون . لم يذ كر طوسيديد الذي روى هذه الوقائع (ك ١ ب ١١٦) ميليسوس ، غير أن بلوطرخس ذكره في ترجمة بيريكليس (ب ٢٦ ف ٣ ص ١٩٩ من طبعة فيرمين ديدو) على صورة لا تحتمل الشك ؛ لأنه يقول بالصراحة : إن ميليسوس بن ايتاجين كان فيلسوفا . وزاد على ذلك بلوطرخس نقلا عن أرسطو من غير أن يبين موضع النقل : أن ميليسوس كان قد هزم قبل ذلك بيريكليس في واقعة بحرية أخرى . وذلك إنما يعطى من مقدرة ميليسوس الحربية فكرة أسى .

ومهما يكن من الأمر فان من المحقق أن ميليسوس كان به تحت ثياب الفيلسوف وطنى وسياسى وقائد بحرى ورجل حرب . وذلك من الندرة في تاريخ الفلسفة بحيث يجب علينا التنبيه اليه كما فعل بلوطرخس (باب ٣٢ ص ١٣٧٧ طبعة فيرمين ديدو Adversus Coloten) . ولما أن ساموس قد ساهمها الآتيون صنوف القسوة فمن المظنون أن ميليسوس ذلك الوطنى الغيور والذي كان له حظ عظيم في مقاومة الفاتحين لم يشأ أن يبتقى تحت الحكم الآتى وأنه هاجر في هذا الظرف العسير . وكان ذلك في الأولمبية الرابعة والثمانين أى السنة ٤٤١ قبل الميلاد . وهذا التاريخ مضبوط ومتفق تماما مع شهادة أبلودور التي نقلها الينا ديوجين اللايرى (ك ٩ ب ٤ ص ٢٣٣ طبعة فيرمين ديدو) .

كذلك لا يرى لماذا لم يمكن أن يكون ميليسوس تلميذا لبرمينيد كما يقوله أيضا ديوجين اللايرى . فان التواريخ لا تقف دون ذلك . ولما أن ميليسوس هو من أتباع مدرسة إيليا فيمكن بسهولة أن يكون تلقى مذهبه من خليفة إكسينوفان . ولقد قرن أرسطومرات عديدة ذكر برمينيد بذكر ميليسوس في كتاب الطبيعة (ك ١

ب ٢ ف ١ و ٥ ص ٤٣٣ و ٤٣٦ من ترجمتي) ليفندهما جميعا في نظرية وحدة الموجود ولا تحركه . كذلك فعل أفلاطون في كتابه "تيتت" (ترجمة كوزان ص ١٤٤) . وإن هذا على التأكيد لا يكفي لإثبات أنه كان بين الفيلسوفين علاقة أستاذ وتلميذ، غير أن هذه التقاريب لا تنفي هذا الظن الكثير الاحتمال في شيء (ر . أيضا الطبيعة ك ١ ب ٣ ف ٩ و ب ٤ ف ١) . وفي ما بعد الطبيعة في الفقرة التي استشهدنا بها أنفا اسم ميليسوس مقترن باسم پرمينيد . وكذلك في كتاب السماء (ك ٣ ب ١ ف ٢ ص ٢٢٣ من ترجمتي) . ومن ذلك أستنتج أن دعوى ديوجين اللايرثي مهما كانت فريدة لا ترفض بهذا الازدراء الذي لاقت من بعض مؤرخي الفلسفة . فان ميليسوس لما هاجر إلى إيليا في إغريقيا الكبرى يمكن جيدا أنه قد سمع دروس پرمينيد الذي استمر يلقى دروس إكسينوفان .

وعلى جملة من القول لا يعرف شيء عن حياته ؛ ولكن من العدل أن يفترض أن نهايتها كانت مطابقة لبدايتها .

كان كتاب ميليسوس موسوما " في الوجود " بل ربما كان موسوما "في الطبيعة" عنوان شائع جد الشيوخ عند أكثر فلاسفة تلك الأزمان القديمة وإذ الطبيعة في مجموعها هي موضوع درسهم حتى يتبأ لهم تحليل مفصل ما كان يؤسس إلا على مشاهدات أكثر عددا . نحن نعرف مؤلف ميليسوس هذا بالمختصر الموجود في هذا الكتاب الذي ترجمه والشواهد التي نقلها سيميليسيوس في شرحه على الطبيعة لأرسطو إما لأنه كان بين يديه النسخة الأصلية لكتاب ميليسوس وإما ، وهو الأرجح ، لأنه لم يكن لديه إلا ملخصات تيوفراسط الذي يستشهد به . لا أريد أن أختصر أنا أيضا تلك المختصرات المختلفة ولكنني أقنع بأن أحيل على قطع ميليسوس التي سوف نذكرها بعد أخذنا عن إسبلدنج وملاخ . وفيها يرى مذهب الفيلسوف السموسي ، على ما وصل إلينا بالأقل . وزيادة على ذلك يرى لماذا كان كتابنا الصغير أمينا على المؤلف الذي يعزفه للناس في حين أنه ينقض مذهبه ! .

بعد إكسينوفان وميليسوس لا أقول شيئا عن زينون ما دام كتابنا لا يتكلم عنه وإن ذكره الوارد في عناوين بعض المخطوطات يجب أن يعتبر كسهو . فيبقى غرغياس الذى يجب أن يكون كلامنا عليه موجزا جدا لأنه معروف أكثر ولأنه لا يكاد يكون إلا سفسطائياً^(١) .

ولد غرغياس في ليونتيوم بصقلية نحو الواحدة والسبعين أولمبية وبلغ من الكبر مبلغا عظيما حتى لقد بلغ على ما يظهر الثامنة والتسعين أولمبية أعنى أنه لم يمّت إلا في سن الثامنة أو التاسعة بعد المائة كما يقول كل كتاب الزمن القديم بالإجماع . ولا يعرف عن حياته العملية تفاصيل طويلة . أما عائلته فالظاهر أنها كانت ، فيما يظهر ، عائلة ممتازة وكان أخوه "هيروديكوس" ، الذى لا ينبغي أن يلتبس بهيروديكوس السامبرى ، طبيبا حاذقا (ر . غرغياس لأفلاطون ص ١٨٥ و ٢٠٩ ترجمة كوزان) . وهذا يدل فيما يظهر على أنه كان في سعة من العيش وعلى جانب عظيم من الثقافة العقلية . وأما غرغياس فانه اجتهد على الأخص في الخطابة وكانت فنا مخترا حديثا وقتئذ حصل منه على اسم كبير في صقلية وأفاد من تعليمه إياه فوائد أكبر . ولا شك في أن قدرته الخطابية هي التي أكسبته ثقة مواطنيه إذ استنجدوا آتينا ضد سيراقوزة والمدائن الأخرى الدورية . فبعثوا غرغياس يطلب مساعدة الجمهورية ويظهر أن التاريخ المضبوط لسفارته هذه هو السنة الثانية للأولبياد الثامنة والثمانين أى سنة ٤٢٧ قبل الميلاد . ويظهر أن سقراط الذى رآه بلا شك لم يكن ليستهن بفصاحته التي كثر اللفظ بشأنها في آتينا وصارت مصدر ثروة لهذا المعلم الحسن البيان (ر . هيباس لأفلاطون ص ١٠٠ ترجمة كوزان) . ولقد ظن أن أرسطوفان في روايته المضحكة عن الطيور كان يريد أن يستهزئ بغرغياس لأنه كان يرى أسلوبه متفخفا وغير طبيعى .

(١) ر . التحقيق الخاص (H. E. Foss, Halis Saxonum , in 8^o, 1828)

منذ هذه السفارة المشهورة التي ربما أتبعها غرغياس بالعودة ثانية إلى آتينا بل بالاقامة فيها لم يعرف لحياته العملية أثر آخر . وكل ما يعلم عنه أنه في آخر حياته أقام في تساليا حيث استمع إليه "إيزوقراط" وأنه عاش زمنا طويلا في لاريسا أثرى مدن تلك الجهة بسبب نفوذ عائلة الألووين . ولئن رجعنا إلى كلمة طيبة رواها أرسطو (السياسة ك ٣ ب ٩ ص ١٢٧ من ترجمتي طبعة ثانية) لوجدنا أن غرغياس لم يكن عظيم الاحترام لوطنية اللارسيين ولا يعلم أن هذا السفسطائي الشهير قد مات بين ظهراني هؤلاء . ومع أنه صار من الثروة على جانب عظيم ومن الزهو بحيث إنه وضع لنفسه تماثلا من الذهب في معبد دلفوس فإنه كما يقال كان على بقية من قناعة تضرب بها الأمثال . ويقال : إن تقشفه المتناهى هو الذى أطال عمره إلى ذلك الحد . ويزعم لوسيان خبثا منه بلا شك أن غرغياس لما ملّ الحياة ترك نفسه يموت جوعا (Macrobioi ب ٢٣ ص ٦٤٣ طبعة فيرمين ديدو) .

ولم يكن مشرفا مركز غرغياس في المحاوراة التي وضعها أفلاطون وسماها بأسمه . ففيها بين له سقراط أن فن الخطابة الذى يزعمه ليس فنا كما يزعم وضيق عليه في المناقشة حتى بهت بأن جعله يقع في التناقض المبين وألجأه إلى تبرير الظلم والقسوة . وساء دفاع غرغياس عن دعواه الخسارة غير أنه كان يسبغ عليه من القصد وحسن الذوق ما لم يكن لپولوس وعلى الأخص قليقليس اللذين يسوقان المعانى التي لا يجيدان فهمها سوفا إلى النهاية . وينصبان نفسيهما أشياعا عميا للقوة على الحق وللشر على الخير وللضلال على الهدى . ولقد يتعرف من دهاء غرغياس خلقه العام الذى يسند إليه بل ربما كان الى هذا الدهاء أيضا ينسب تأثير مركزه السياسى أيضا فإنه لم يكن فى بلده ويجب عليه أن يدارى الآتينيين الذين كان ينتظر منهم نصرة وطنه ، يداريهم حتى فى المناقشات النظرية البحتة .

وأما كتاب غرغياس فكان عنوانه "فى الوجود أو فى الطبيعة" ولا يعلم ماذا كان يحوى على العموم ولكنه يرى على قدر الكفاية من كتبنا هذا ماذا كانت

فكرته العامة . في الواقع إنما هي لا أدريّة مطلقة . وفي هذه النقطة لا محل للتردد في الحكم فان سكستوس أمپيريكوس الذى يظهر أنه كان بين يديه نسخة غريغياس نفسها قد نقل إلينا كما بيناه أنفا تحليلا مطابقا تمام المطابقة لما سنجد هنا (ك٧ ص ٢٨٥ — ٢٩٠ طبعة ١٨٤٢ Adversus Mathematicos, Logicos).

وإنه ليضع غريغياس في صف الفلاسفة الذين يابون على الإنسان أية ملكة للحكم على حقيقة الأشياء وينكرون إمكان الاهتداء لذلك . وما ذلك إلا مذهب فقير يحوى في نفسه كما في كل لا أدريّة مطلقة تناقضا ليس منه محيص . ولما ترعزع الإيمان بالمنطق ترعزع بالأخلاق على السواء فلا عجب أن يكون سقراط قد أقام حربا عوانا على السفسطائيين الذين يفسدون العقول والأخلاق .

يظهر أن كتاب غريغياس الذى في عنوانه وحده ازدراء بالذوق العام قد ألف أو ظهر في الأولمبية الرابعة والتسعين أعنى سنة ٤٠٣ قبل الميلاد . وكان ذلك في آخر حرب بيلوبونيز وكان الطرف سيئا للتنازع في حقيقة الأشياء إذ كانت إغريباكلها تعاني من الشرور ما لاشبهة فيه . ومتى يمكن أن تكون اللا أدريّة في وقت مناسب؟ لقد كان ذلك لأربع سنين قبل الحكم على سقراط إذ نشأت ضلالة أخرى كان يمكن للآدري أن يسخر منها كما يسخر من هزيمة آتينا في نزاعها مع هذا الحكيم جزاء له على ما كاله لها من صنوف التهم . ومع ذلك فان غريغياس في شيخوخته الطويلة قد عاش بعد سقراط وهجر أيضا آتينا إلى بلاد أقل منها قرى فيها لم تكن لا أدريته لتعزيه بعض الشيء عن نفيه .

والى تقدّر فكرة غريغياس تقديرا تاما قد أثبتت قطعة سكستوس أمپيريكوس .

فمن السهل مقارنتها بكتيبنا هذا الذى لها به ارتباط بين .

يجب أن يرى بناء على كل ما تقدم أن كتابنا الصغير مهما كان فيه من النقص والعيوب والغموض حتى بعد البحوث التى تناولته لا يزال على جانب من الأهمية . وحين كان النص مملوءا بالأغلاط كان يمكن إهماله واعتباره غير معقول تقريبا فأما

منذ ملاحق فقد أصبح هذا الازدراء لا محل له وأنا من جهتي دون أن أكون مرتاحا تماما لا أجد أن هذا الكتاب أكثر غموضا من كثير من الكتب الأخرى في مؤلفات أرسطو. مع الإصلاحات التي تناولته والتي هي مقبولة جد القبول لأن أكثرها قام الدليل على صحته من المخطوطات التي درست خير دراسة، مع هذه الإصلاحات يقف القارئ جيدا على ما أراده المؤلف وإن أسلوبه لمن البيان على قدر المطلوب. فان لم تكن هذه الرسالة التي ليست بعد كل شيء إلا مجموع مذكرات إن لم تكن من قلم أرسطو فانها ليست غير خليقة بأن تنسب اليه كما قد ظن ذلك زمانا طويلا. وعلى الأخص فليست قليلة الفائدة من حيث تاريخ الفلسفة. وبهذا العنوان وعلى هذا الاعتبار يستوصى بها كل أصدقاء الفلسفة القديمة.

أما فيما يتعلق بموضوع المذاهب وبمركز مدرسة إيليا فقد قلت بعض كلمات في مقدمتي على هذا المجلد. وتصديت لأن أبين في هذا البحث أن الفلسفة الإغريقية جدتنا المحترمة كانت نشأت باجتماع ظروف سعيدة قبل الميلاد بستة قرون في المستعمرات التي أسست على شطوط آسيا الصغرى. وقد أعلنت هذا الحادث كواحد من أعظم تواريخ العقل البشرى. وعينت الحوادث السياسية الكبرى التي في وسطها تجت هذه النتيجة. واستخلصت من هذه اللوحة مهما كان موضعها من قلة الكمال نتائج قد تكون أوسع من إطارها. ألا إنما في تلك البيئة يجب أن نحل فلاسفتنا لفهمهم جد الفهم ولنقدر حق قدرها تلك القيمة السامية لهؤلاء الأساتذة معلمى الحكمة القديمة والذين مهدوا لنا فلسفتنا الحالية والذين لا يزالون يشجعوننا حتى على هذا البعد الشاسع.

في ميليسوس وفي إكسينوفان وفي غرغياس

مذاهب ميليسوس

الباب الأول

الموجود هو أزليّ غير متناه واحد ولا متحرك — أركان الوحدة ونتائجها — الاختلاط — ظاهر الأشياء هو ضدّ الوحدة — الحذر الذي ينبغى أخذه من شهادة الحواس — ردود على نظرية الوحدة وعلى اللاأدرية — الآراء المضادة لهذا المذهب — شواهد من هيزيود وبعض فلاسفة آخرين .

§ ١ — هو يقتّر أنه إن يكن من شيء فذلك الشيء يجب أن يكون أزليا مادام أنه — على رأيه — من المحال أبدا أن يتولد شيء من لا شيء . وسواء أكان في الواقع أن الكل قد خلق أم أن الكل لم يكن يخلق فيلزم على ذلك في الفرضين أن الأشياء التي خلقت تكون أخرجت من لا شيء مادام أنه ما من واحد من جميع

ب ١ — مذاهب ميليسوس — زدت هذا العنوان الذي ليس في الأصل الإغريقي . ر . ما سبق في التحقيق الذي أجريناه على هذا العنوان وعلى نسبة المذاهب التي يشملها البابان الأولان الى ميليسوس .

§ ١ — هو يقتّر — حفظت عبارة النص على إبهامها . وقد كان يحسن أنت يسمي الفيلسوف بالصریح . ومع العنوان الذي سمحت لنفسى بوضعه لهذا الباب يذهب الشك في الشخص المقصود . ولكنى لم أسمح لنفسى بأن أدخل هذه الزيادة على النص نفسه في أول جملة وفي بدء هذه الرسالة . وأما في غضون الأبواب فقد زدت اسم ميليسوس مرات عدّة كما فعلت بالنسبة لإكسينوفان وغرغياس ، وفيما يتعلق بالإسناد الى ميليسوس ر . ما سيأتى ب ٤ ف ١ — إن يكن من شيء . — ر . ما سوف يلى من قطع ميليسوس القطعة الأولى . — على رأيه — زدت هذه العبارة لأؤدّى قوة النص الإغريقي . — أم أن الكل لم يكن يخلق — وأنه لم يكن الاعدد ما من الأشياء كان قد خلق . — في الفرضين — النص ليس على هذا القدر من الصراحة .

الأشياء التي تكوّنت على هذا النحو كان يوجد من قبل . § ٢ — وأنه اذا قيل إن من الأشياء ما كان موجودا من قبل ومنها ما جاء بعد ذلك لينضم اليه نتج من ذلك أن الكل الذي هو واحد قد زاد بالعدد وبالكَم . وهذا نفسه الذي به يصير أكثر عددا وأكبر يجب أن يأتي أولا من لا شيء لأن الأكثر لا يمكن أن يكون في الأقل ولا الأكبر في الأصغر .

§ ٣ — ومتى كان الكل أزليا يجب أن يكون بهذا عينه لا متناهيا لأنه لا يكون هناك مبدأ يأتي منه كما أنه لا يكون له آخر متى بلغه انتهى . وكل لا متناه يجب ضرورة أن يكون واحدا لأنه اذا وجد عدّة لا متناهيات بل لا متناهيات اثتان حدّد بعضها بعضا على التكافؤ . § ٤ — ولما كان واحدا وجب أن يكون متشابها في جميع أجزائه لأنه اذا كان غير متشابه فهذا وحده لا يكون بعدّ واحدا . ولما لم يكن واحدا كان كثرة . ولما كان الواحد أزليا لا قابلا لأن يقاس متشابهها في جميع أجزائه وجب أن يكون غير متحرك لأنه لا يمكن أن يتحرك إلا في شيء ينطلق أمامه ولكن الانطلاق لا يمكن أن يكون إلا للذهاب في المِلء أو في الخلق . فمن جهة المِلء لا يمكن بعدّ أن يقبل شيئا ومن جهة أخرى انخلو نفسه ليس شيئا .

— التي تكوّنت على هذا النحو — والتي هي بالنتيجة ليست أزلية .

§ ٢ — أن الكل الذي هو واحد — عبارة النص هي بالبساطة "الواحد" . — بالعدد وبالكَم — عبارة النص : "يصير متعددا وأعظم" .

§ ٣ — كان الكل أزليا — ر . ما سوف يجيء . في قطع ميليسوس القطعتين ٢ و ٣ . — بهذا عينه لا متناهيا — يكاد يكون ذلك تكرارا لأن الأزلى ليس الا الامتاهي في المدة . — حدّد بعضها بعضا على التكافؤ — تلك هي العبارات عينها التي ينقلها سمبليسيوس . ر . ما سوف يجيء . من قطع ميليسوس القطعتين ٣ و ١٠

§ ٤ — وجب أن يكون متشابهها في جميع أجزائه — راجع قطع ميليسوس القطعة ٤ . — وجب أن يكون غير متحرك — راجع القطعة ٤ . — في شيء ينطلق أمامه — راجع القطعة ٥ من قطع ميليسوس . — انخلو نفسه ليس شيئا — راجع القطعة الآتية الذكر .

§ ٥ — لما كان الواحد هو ما قلنا آنفا ينتج من ذلك أنه لا يمكن أن يلحقه تعب ولا ألم ويجب أن يكون سليما وبغير مرض . كما أنه لا يمكن أن يغير وضعه ليتخذ أحسن منه ولا أن يتحوّل ليأخذ نوعا آخر ولا أن يختلط بشيء آخر . وفي كل هذه الأوضاع الواحد يصير كثرة وإذاً يكون اللاموجود هو المتولد . والموجود يكون هو الذى قد فسد بالضرورة . § ٦ — وكل هذا محال مطلقا . وفي الحق إذا كان الواحد مقولا على الخليط لأنه تألف من عدة أشياء فيلزم حينئذ أن يكون مسبوقا بوجود عدة أشياء وأن هذه الأشياء تكون قد تحزّرت بعضها نحو الأخرى . وليس الاختلاط في الواقع إلا تركب عدة أشياء في شيء واحد أو إنما هو بجمع بين الأشياء المختلطة عن طريق التصنيف . وعلى هذا النحو قد تختلط الأشياء لأنها تنفصل بعضها عن الأخرى . ولما أن هذا الجمع يحصل في سحق الأشياء فقد يجب أن يوجد جليا كل واحد منها برفع الأشياء الأولى التي اختلطت باقترابها بعضها من بعض . وليس توجد واحدة من هاتين الحالتين .

§ ٧ — وهكذا على هذه الطريقة تكون الأشياء، على رأى ميليسوس، متكثرة ولا تظهر لنا البتة بوحدة، وبالنتيجة لما أنه ليس ممكنا أن يكون الحال هكذا على هذا الوجه وأنه لا يمكن أن تكون الأشياء متكثرة فيلزم القول بأن هذا ليس إلا ظاهرا

§ ٥ — لا يمكن أن يلحقه تعب ولا ألم — يمكن أن تحمل هذه العبارة على المادى أو على المعنوى على السواء . القطعة ٤ من قطع ميليسوس . — سليما وبغير مرض — ربما كانت هذه المعانى أضيق مما ينبغى وفيها يعتبر الواحد كما لو كان جزءا إنسانيا . القطعة ١١ . — هو المتولد — هذه هي عبارة النص الإغريقي بالضبط .

§ ٦ — إذا كان الواحد مقولا على الخليط — ر . على نظرية الاختلاط ما سبق في كتاب الكون والفساد ١ ب ١٠ . — التصنيف — يظهر أن الكلمة التي يستخدمها النص هنا كانت خاصة بلهجة الابدرياتيين . ر . تفسير سمبليسيوس على كتاب السماء الورقة ١٥١ . — لأنها تنفصل — أو يمكن أن تنفصل . ومن المحتمل أن يكون لفظ فصل هاهنا مأخوذا على معنى تمييز . — في سحق الأشياء — هذه هي عبارة النص وإن لم تكن مضبوطة تماما .

§ ٧ — على رأى ميليسوس — زدت هذه العبارة لأحصل النص في كل قوته . — ليس الا ظاهرا خدعا — تلك هي لا أدريه مدرسة إيليا التي باياتها العقل أكثر مما ينبغى لم تبق للحواس ما يتناسب

خداعا كما أنه مع ذلك يوجد كثير من الأشياء تخدع حواسنا وتغزها ولكن العقل يؤكد لنا أن تلك الأشياء ليست موجودة، بل هو يؤكد لنا أن الموجود لا يمكن أن يكون كثرة وأنه واحد أزلي لا متناه متشابه في جميع أجزائه .

§ ٨ — وحينئذ هل تكون عنايتنا الأولى بعدم قبول كل ظاهر وألا نثق منه إلا بما هو الأحق ؟ ولكن إذا كان كل ما يظهر لنا أنه حق ليس صحيحا ولا يستحق على ذلك تصديقنا فقد نحسن صنعا بعدم قبول هذه القاعدة أيضا : أنه لا شيء البتة يمكن أن يأتي من لا شيء لأنه ربما كان هذا أيضا واحدا من تلك الآراء القليلة الصدق والكثيرة العدد التي نحن جميعا قد تصورناها بواسطة إدراكات قليلة الصدق أو كثيرته .

§ ٩ — ولكن إذا كانت كل إدراكاتنا ليست فاسدة وإذا كان بعض آحادها صحيحا فيلزم أن يختار إما الرأي الذي قام الدليل على صحته وإما الآراء التي تظهر أنها

معها ر . فيما سوف يجيء شيئا من هذه المعاني في القطعة ١٧ من قطع ميليسوس . — العقل يؤكد لنا — إذا طبق هذا في حق الله فالنظرية لا جدال فيها فوحدايته بديهية في حكم العقل كإلهيته وكامل قدرته . ولكن ذلك لا يمنع تكثر الكائنات بأشخاصها ويلزم العقل التسليم به من غير أن يستطيع مع ذلك أن يفسره .

§ ٨ — هل تكون عنايتنا — صيغة الإثبات هنا أولى فيما يظهر ولكنني اضطررت إلى اتباع النص . وهذا المرهو أمم متركه لنا الأقدمون على نمط مدرسة إيليا ومنطقها . — كل ظاهر — أو كل ما يظهر لعقلنا لأن المراد هنا ليس هو الظاهر الحسى . — ليس صحيحا ولا يستحق على ذلك تصديقنا — ليس النص على هذا القدر من السعة . — بعدم قبول هذه القاعدة أيضا — الأمر على الضد من ذلك فإن مدرسة إيليا قد قبلت هذه القاعدة كل القبول واتخذتها أساسا لنظرياتها على الأزلية ووحدة الموجود . — قليلة الصدق — ليس النص على هذا القدر من التعيين ، ولكنه على التحقيق يشمل هذا المعنى .

§ ٩ — كل ادراكاتنا ليست فاسدة — في هذا التحفظ شرف عظيم لمدرسة إيليا ويجب اعتباره والاعتداد به . فان السفسطائيين وعلى الخصوص فروطاغوراس قد ذهبوا بعيدا في المعنى المضاد بأن قرروا أن الانسان هو معيار الكل وقد جرم هذا الافراط الى لا أدريه غريغاس المطلقة . ر . فيما يلي الباب الخامس والسادس من هذا الكتاب وتحليل مذهب غريغاس الذي قام به سكستوس أمبيريكوس . — إما الرأي الذي قام الدليل على صحته — مبدأ جميل قد كرره فيما بعد أفلاطون وديكارت بصورة أخرى ليست أشد جزمًا . — التي تظهر أنها أحق — والتي هي غير قابلة للايضاح وصالحة ، من ثم ، لإيضاح سائر البقية . هذا هو المذهب العظيم لأرسطوطاليس في الأناطوطيقا الثانية . وهذا هو الأساس الذي إليه يستند كل برهان سواء أكان هذا الأساس مكشوفًا أو مخبئًا . ر . ترجمتنا لأناطوطيقا الثانية ، منطق ارسطو ج ٣ ك ١ ب ٢ ص ٩ .

أحق . لأن هذه الأخيرة تكون دائماً أمتن من الآراء التي يجب أن يدلل عليها من بعد بمساعدة تلك المبادئ الأولى .

§ ١٠ — فلنسلم ، إذا شئت ، بأن هذين الرأيين مضادان أحدهما للآخر كما يفترض ميليسوس : بادئ بدء أنه عند تأييد الكثرة يُضطرُّ الى استخراجها من الوجود . ثم لما كان هذا محالاً وجب أن يُستنتج من ذلك أن الموجودات ليست متكثرة والموجود بما هو موجود فقط هو لامتناه وبما هو لامتناه هو واحد . § ١١ — نزع أن هذين الرأيين لا يثبتان لأحدهما ولا الآخر أن الموجود هو واحد أو أنه كثرة . ولكن إذا كان أحد الاثنين أحق وأمتن فتكون النتائج التي تستنتج منه هي أيضاً أجلى وضوحاً . فان كان لنا هذان الاعتقادان معاً أن لاشيء يمكن أن يأتي من لاشيء وأن الموجودات هي متكثرة ومتحركة فلما أن هذا الأخير يظهر لنا حقيقة بالثقة فهو أولى من الآخر بتصديق الناس . وبالنتيجة إذا كان هذان الرأيان هما متضادين في الواقع وإذا كان من المحال أن شيئاً يأتي من لاشيء وأن الموجودات متعددة فإن هاتين النظريتين تتباطلان وتُتفاسدان على التكافؤ .

— بمساعدة تلك المبادئ الأولى — التي هي في ذاتها غير قابلة للبرهان لأنها بديهية .

§ ١٠ — كما يفترض ميليسوس — عبارة النص هي فقط « كما يفترضه » ر . ما سبق ف ١ والتحقيق . وهذه الجملة كلها قلقة في ترجمتنا كما هي ، كذلك في النص الإغريقي . — يضطر الى استخراجها من الوجود — ر . ما سبق آفاق ف ١ .

§ ١١ — نزع — قد لا تكون عبارة النص على هذه الصراحة . — فتكون النتائج التي تستنتج — أو النتائج التي تستخرج منها . على أن من البين أن المبدأ الذي يسارمه بما أنه هو ذاته أمتن فالبرهان الذي ينتج منه هو أمتن أيضاً . — هذان الاعتقادان — العبارة الإغريقية تدل مباشرة على ” فرضين وهيين “ . — لاشيء يمكن أن يأتي من لاشيء . — هذا حق متى طبق على موجودات الطبيعة ولكنه ليس حقاً بهذا المقدار متى طبق في حق الله . وحينما يكون الأمر متعلقاً بالله فيلزم أن يوصل الى خلق حقيقي . — الموجودات هي متكثرة ومتحركة — كما تشهد لنا به حواسنا شهادة غير مجزعة . — هاتين النظريتين تتباطلان — وحينئذ يمكن أن شيئاً ما يأتي من العدم وأن الموجودات هي متحركة .

§ ١٢ — لكن لماذا إذاً يكون رأى ميليسوس أحق! إنه يمكن أيضاً تأييد الرأى المضاد ما دام أن ميليسوس قد وضع استدلاله من غير أن يكون قد دال على أن الرأى الذى يصدر عنه هو الحق أو على الأقل أنه أمتن من الرأى الذى يقصد الى أن يبرهن على فساده . وهذا من جانبه ليس إلا فرضاً محضاً أن يرى أن مجيء الأشياء من لاشيء أشبه بالحق من أن تكون متعدّدة . § ١٣ — ولقد أصاب من قال على ضد ذلك ها هنا إن أشياء لم تكن قد كانت وإن كثيراً من الأشياء اخرج من العدم . وليس هؤلاء الذين افكروا هذه الأفكار من أناس كيفما اتفق . بل هم مشهورون بأنهم أعقل الناس . مثال ذلك قال هيزيود :

”كان العماء موجوداً قبل كل الأشياء
 ”ثم ظهرت الأرض ذات الصدر الفسيح
 ”وهى الأساس الأزلّى لكل ما تحمل
 ”
 ”ثم بعد ذلك العشق الذى هو أقدر الآلهة“.

§ ١٢ — رأى ميليسوس — عبارة النص غير معينة ولا تسمى ميليسوس ر . ما سبق ف ١ .
 — مادام أن ميليسوس — التنبه السابق . — الذى يقصد الى أن يبرهن على فساده — عبارة النص ببساطة
 ”التي عليه يبرهن“ . — ليس إلا فرضاً محضاً — الحد الذى يستعمله النص ها هنا هو بعينه من جهة
 الاشتقاق الذى فى الفقرة السابقة . — أشبه بالحق — أو بعبارة أخرى أن الخلق من العدم أكثر احتمالاً
 من وحدانية الموجود . فانه يمكن أن يفهم على وجه أحسن أن الأشياء أتت بها من لاشيء من أن يفهم أنها
 متعددة . والسبب فى ذلك أن التعدد بدهى فيما يظهر فى حين أن الخلقه مخفى فى ظلمات الماضى والبداية .
 § ١٣ — قد كانت — هذه الجملة فى المخطوطات واردة على صيغة التنبى لا على صيغة الإثبات
 كما ينبه اليه م . م . م . وقد اقترح إسبلنج موحها . وإنى أرى كما يرى م . م . م . م . م . م . م . م .
 لتابع المعانى . — من أناس كيفما اتفق — من العوام . — هيزيود — راجع التوجوفى البيت
 ١١٦ وما بعده ص ٣ من طبعة فيرمين ديدو . وإن هذه الأبيات التى لم يستشهد بها ها هنا بالنص
 موجودة فى الطبيعة لأرسطو . ك ١ ب ٢ ف ٧ ص ١٤٢ من ترجمتنا وفى ما بعد الطبيعة ك ١ ب ٣
 ص ١٣٨ من ترجمة كوزان .

فعلى رأى هيزيود سائر الأشياء تولد من هذا ولكن المبادئ الأول لم تتولد من شيء . § ١٤ — ومن الفلاسفة من يقولون بأن لاشيء يكون وأن الكل يصيروهم يؤكدون كذلك أن كل الأشياء التي تصير تولد من أشياء غير موجودة . وبالنتيجة يمكن أن يقال إن عند بعض الفلاسفة الصيرورة يمكن أن تُنتج حتى من اللاموجود .

— لم تتولد من شيء — أول هذا أن يكون نتيجة مستخرجة من أفكار هيزيود لفكرة من أفكاره الخاصة . § ١٤ — ومن الفلاسفة — كان من الحسن أن يسمى هؤلاء الفلاسفة الآخرين . — بأن لاشيء يكون — أو يوجد . — وأن الكل يصير — قد يكون هذا هو رأى هيرقليطس إذ يظن أن كل الأشياء هي في مدّ أبدى . — تولد من أشياء غير موجودة — النتيجة بينة بذاتها فيما يظهر وأن ما يصير لم يكن قبل أن يصير . — الصيرورة يمكن أن نخرج حتى من اللاموجود — أو أن الأشياء التي تتولد تخرج من أشياء ليست موجودة .

الباب الثاني

تمة تفنيد ميليسوس — ردود على مبدأ أنه ليس شيء يأتي من لا شيء — تولد الأشياء وكونها بعضها من بعض على التكافؤ — نظريات أمبيدقل وأنكساغوراس وديموقريطس وبرمينيد وزينون — شواهد من شعر أمبيدقل وهيزيود — الموجود ليس ضرورة واحداً أزلياً ولا متناهياً .

§ ١ — نحن لا نستغل يبحث ما إذا كان ما يقوله ممكناً أو ممتنعاً . لكن هنا نقطة يجب علينا أن نعيها بعض الالتفات وهي ما إذا كانت مثل تلك النتائج تنتج بلا تخلف من فروضه أو إذا كانت الأشياء يمكن أن تكون ضد ما يعتقد لأنه يمكن في الحلق أن يكون الواقع مخالفاً تمام المخالفة . § ٢ — فهو يقرر بادئ بدء أن ليس شيء يمكن أن يأتي مما هو ليس موجوداً . ولكن يرد عليه هذا السؤال : أمن الضروري إذا أن تكون جميع الأشياء بلا استثناء غير مخلوقة ؟ أو ليس من الممكن أيضاً أن تأتي الأشياء بعضها من بعض وأن هذه السلسلة يمكن أن نتمشى إلى ما لا نهاية ؟ أو ليس من الممكن أيضاً أن تكون رجعي دائرية بحيث إن الواحد يأتي من الآخر وأنه على ذلك يوجد دائماً موجوداً وأن كل واحد قد أمكن أن يخرج على هذا النحو من جميع الأخر على التكافؤ في عدد غير متناه من المرات ؟ على هذا المعنى لا شيء

§ ١ — ما إذا كان ما يقوله — ميليسوس وقد حفظت النص على ما فيه من عدم التعيين الشخصي . — بعض الالتفات — وربما يمكن أن يقال "التفا جدياً" . — من فروضه — أو "المبادئ التي يسلمها" .

§ ٢ — فهو يقرر بادئ بدء — ليس النص على هذا القدر من الضبط وعبارة عامة وهي ما دام قد تقرر... الخ . — بلا استثناء — زد هذا القيد لأحصل كل قوة العبارة الإغريقية . — غير مخلوقة — ر . ماسبق في الفقرة الأولى حيث هذا التحفظ . بعض الأشياء هي أزلية وغير مخلوقة والبعض الآخر ليس كذلك . — أن تأتي الأشياء بعضها من بعض — هذا يمكن بلا شك ولكن لا بد بادئ بدء من افتراض وجود بعض أشياء تكون أزلية بالنتيجة . وهذا الاعتراض لا يرد مباشرة على نظرية ميليسوس . — رجعي دائرية — هذا هو ما ذكر آفا بعبارة أخرى . ولكن الكون ليكون على التكافؤ يلزم ضرورة أن يكون مسبوفاً بوجود ما قد لا يكون أزلياً وباقياً . — يوجد دائماً موجوداً — مؤقت ووسيط ولكن التعاقب مع ذلك هو أزلي إذا لم تكن الموجودات أزلية .

يمنع أن الكل قد خلق وأصير حتى مع التسليم بذلك الفرض أنه ليس شيء يمكن البتة أن يأتي من لا شيء . وبما أن الموجودات على ذلك غير متناهية فيمكن إذًا ، كما يشاؤه ، أن تسمى بجميع الأسماء التي لا تناسب إلا الوحدة لأنه يطبق هو أيضا على اللامتناهي كيفية أنه كل وأنه يسمى كلا .

§ ٣ — حتى من غير أن يفرض أن عدد الموجودات غير متناه يمكن أن يفهم أن كونها دائري . فإذا كان كل يصير وأن لا شيء يوجد كما يزعم بعضهم فكيف يوجد إذا أشياء أزلية ؟ ولكن ميليسوس يتكلم عن الموجود كأنه كائن وكأنه مسلم به على الاطلاق . فإنه يقول : ” إذا الموجود لم يصير وإذا هو يكون فيلزم أن يكون أزليا“ . وهذا إنما هو تسليم بأن الوجود يتعلق ضرورة بالأشياء . § ٤ — وأكثر من ذلك أنه مع الافتراض ، بقدر ما يراد من الافتراض ، بأن الوجود لا يمكن أن يصير وأن الموجود لا يمكن أن ينعدم البتة فما الذي يمنع أيضا أن من الأشياء ما تولد ومنها ما تكون أزلية ؟ تلك إنما هي نظرية أميدقل نفسه . فإنه مع أنه مسلم وفقا لرأى ميليسوس بأن من الممتنع أن أى شيء اتفق يخرج مما لم يكن وأنه

— أن الكل قد خلق — في التعاقب لا في البدء . — أنه كل وأنه يسمى كلا — وبعبارة أخرى اللامتناهي هو كل وهذا هو ما يسمى بالكل .

§ ٣ — كونها — بعضها بواسطة البعض الآخر . — دائري — وبالنتيجة على التكافؤ ، فإن الثاني يكون الأول كما أن الأول قد يكون الثاني . — كما يزعم بعضهم — هيرقليطس وفروطاغوراس مثلا . — ولكن ميليسوس — عبارة النص : ” ولكنه “ . ر . ماسوفيجي ، القطعة الأولى وما يليها من قطع ميليسوس . — فانه يقول — هذه الصيغة تدل على أن القول المروي هو من كلام ميليسوس .

§ ٤ — بأن الوجود لا يمكن أن يصير — يعنى أن ما لم يكن لا يمكن أن يكون أبدا . — وأن الموجود لا يمكن أن ينعدم — وأنه أزلي . — من الأشياء . — التي هي موجودة أو التي وجدت فيما سبق . — نظرية أميدقل — لم يذكر أبيات أميدقل بنصها ولكن المعنى قد حصل بالضبط . ر . قطع أميدقل لليتين ١٠٢ و ١٠٣ طبعة فيرمين ديدورس ٠٣ — وفقا لرأى ميليسوس — ليس الاسم في النص

لا سبيل مطلقاً لأن شيئاً وجد مرةً يمكن أن ينعدم البتة ” ما دام أن الموجود يبقى دائماً حيث أمكن وضعه“ مع كل هذا لا يزال هذا الفيلسوف يؤيد أن من الأشياء ما هو أزلى كالنار والماء والأرض والهواء وأنه إنما من هذه الأشياء أتت وتأتى جميع الأخر . وعلى رأيه ليس للوجودات كون آخر غير هذا . وأن الكون ليس في الحقيقة إلا اختلاطاً وتحللاً . وهذا ما يسمى عاقياً كون الأشياء وطبعها .

§ ٥ — ومع ذلك فإن أمبيدقل يزعم أن الصيرورة لا تنطبق على الأشياء الأزلية وأن ما هو موجود لا يصير . فتلك في نظره محالات واضحة إذ يقول : “كيف يمكن في الحق أن يقال: إن شيئاً يزيد الكل؟ ومن أين يأتي ذلك الشيء؟” “إنما هو من اختلاط النار وتركبها ومن جميع العناصر التي تصحبها أن نخرج تكثير” “الأشياء . وبانفصال هذه العناصر وتباعد بعضها عن بعض تنعدم الأشياء من” “جديد . والتكثير يأتي من الاختلاط والتفترق ولو أنه بالطبع لا يوجد إلا أربعة” “عناصر بصرف النظر عن العلل بل عنصر واحد أحد“ .

الإغريق ولكنه يستنتج من العبارة نفسها التي استخدمها المؤلف . — ما دام أن الموجود يبقى دائماً — هذا الشاهد بيت من أبيات أمبيدقل روى بمعناه بالضبط دون لفظه . ر . البيت ٤ ١٠ في المرجع السابق . — كالنار والماء... الخ — الأربعة العناصر التي يسلم بها أمبيدقل أيضاً . — إلا اختلاطاً وتحللاً — تلك هي عبارة أمبيدقل بالنص . ر . قطع أمبيدقل البيتين ١٠٠ و ١٠١ في المرجع السابق . وإن أرسطو يذكر أيضاً هذا البيت في كتاب الكون والفساد ٢ ب ٦ ف ٦ . — عامياً — عبارة النص : عند الناس . ر . قطع أمبيدقل البيت ١٠١

§ ٥ — ومع ذلك فإن أمبيدقل — النص لا يسمى ها هنا أمبيدقل . ولكن كل ما يلي يثبت تماماً أن القول إنما هو بصدده . — الصيرورة — أو التولد . — كيف يمكن في الحق — ليست هذه تعابير أمبيدقل بالضبط ولكن المعنى هو معناه . ر . قطعه البيتين ٩٤ و ٩٥ في المرجع السابق ذكره . ر . ر . أيضاً الطبيعة لأرسطو ٨ ب ١ ص ٤٥٥ من ترجمتنا . — بصرف النظر عن العلل — عبارة النص : دون العلل ، ومن المحتمل أن أمبيدقل يعنى ها هنا بالعلل العشق والتنافر اللذين يجمعان أو يخلان الأشياء بأن يكونا ويفسدا دورياً السفيروس . ر . الطبيعة لأرسطو ٣ ب ٤ ف ١٣ ص ٩٣ من ترجمتنا .

§ ٦ — حتى مع افتراض أن العناصر لا متناهية منذ الأصل لتكوّن الأشياء بتركبها ونفسدها بافتراقها كما يدعى أحيانا أنه كذلك كان يفكر أنكساغورس الذي كان يعتبر هذه العناصر الأزلية غير المتناهية كمصدر لجميع الأشياء التي لتكوّن . وقد لا ينتج من هذا أيضا أن الكل هو أزلّ بلا استثناء . بل يوجد دائما بعض أشياء قد تأتي وتكون أت من موجودات متقدمة وتنفى في جواهر أخرى .

§ ٧ — بل يمكن أيضا ألا يكون إلا صورة واحدة للكل كما كان يؤكده أنكسيمندروس وأنكسيمين إذ يؤيدان أحدهما أن الكل هو من الماء والآخرو هو أنكسيمين أن الكل إنما هو من الهواء . § ٨ — وإنما هذه هي أيضا نظرية جميع من يفهمون على هذا النحو "الكل" كوحدة . وذلك إنما هو تبعا لأن "الواحد" يتغير بالصور أو بعدد أكبر أو أصغر وتبعا لأنه رقيق قليلا أو كثيرا أو لأنه سميك أن الأشياء مهما كانت متعددة ولا متناهية تتوالد . وحينئذ "الواحد" مع بقاءه هو هو يكون بقية الأشياء ويشكلها .

§ ٦ — بتركبها ... بافتراقها — على حسب نظريات أميدقل . — أنكساغوراس — ر . الطبيعة لأرسطو ك ٣ ب ٤ ف ٨ ص ٩٠ . م . ترجمتنا . — بلا استثناء . — أضفت هذه الكلمات . — في جواهر أخرى — هذا التعبير يكاد لا يكون أرسطوطاليا . وليس من عادته أن يستعمل لفظ الجوهر في مثل هذا المعنى .

§ ٧ — ألا يكون إلا صورة واحدة — هذه الجملة هي الترجمة المضبوطة للنص الإغريقي ولكن ما يلي يثبت أن المعنى بلفظ "الصورة" هو "العنصر" وإن آراء أنكسيمندروس وأنكسيمين هي معروفة حق المعرفة فإن أحدهما يريد أن يستخرج كل العالم من الماء كما كان يزعم طاليس والآخري يريد أن يستخرج العالم من الهواء .

§ ٨ — كوحدة — أو كواحد . ولقد حفظت أسلوب النص و ربما كان أجلى من ذلك أن يتكلم على اتحاد المادة وحينئذ يرجع الى مذهب الذرات كما سنين فيما بعد بمناسبة ديمقريطس . — تبعا لأن الواحد يتغير بالصور — الجملة طويلة بعض الشيء ولكنها كذلك أيضا في النص الإغريقي فوجب علينا الاحتفاظ بأسلوبها . — يكون ... ويشكلها — ليس في النص إلا فعل واحد .

§ ٩ — أما ديمقريطس فإنه من ناحيته يقول على السواء إن الماء والهواء وكل واحد من الأشياء المختلفة هكذا هي متحدة وإنه لافرق بينها إلا في المجرى والتماس والاتجاه . وما المانع أيضا، في هذا الفرض، من أن الأشياء المتكثرة نتولد وتتعدم ما دام ”الواحد“ يتغير أبدا من الموجود إلى الموجود بالفروق التي ذُكرت من غير أن ”الكل“ في مجموعه يصير بذلك أبدا لا أصغر ولا أكبر ؟ § ١٠ — وفوق هذا ما ذا يمنع أن أجساما متعددة كما يشاء نتولد من أجسام أخر وتتحلل إلى أجسام أخر أيضا بحيث تكون دائما على كمية متساوية في تحللها وبحيث إنما تتعدم من جديد .

§ ١١ — لكن حتى مع التسليم بهذا والتسليم بأنه يوجد شيء غير مخلوق فإذا يزيد هذا في إثبات أن الموجود هو لا متناه ؟ على رأى ميليسوس الموجود لا متناه إذا هو يوجد وألا يكون قد ولد البتة . لأن الحدود على رأيه هي هنا

§ ٩ — ديمقريطس — هو في طريقته أيضا نصير للوحدة لأن ذراته هي على الاطلاق متناهة ولا تختلف إلا بالعدد وبالصورة وبالتماس وبالحركة . — الأشياء المختلفة هكذا — كان الأحسن أن يقول يظهر لنا أنها مختلفة بهذا القدر لأنها في الواقع هي بعينها على حسب ديمقريطس . — في المجرى والتماس والاتجاه — هذه الكلمات الثلاثة مستعارة من ديمقريطس والظاهر أنه هو واضعها أو على الأقل هو الذى في المجموعة نقلها من معناها العادى . على أنى لا أجد هذا المر من هذا الكتاب موجودا في قطع ديمقريطس الإغريقية لغيرهين ديدو . فان المجرى والتماس والاتجاه متعلقة بالذرات اذ تتركب في الخلو بعضها مع بعض . — من الموجود الى الموجود — دون أن شيئا ما يمكن أن يتولد من العدم وذلك بأن الذرات منصورة أزلية ر . كتاب السماء ك ٣ ب ٤ ف ٥ ص ٢٥٠ من ترجمتنا .

§ ١٠ — وفوق هذا — هذا يظهر أنه تبع للأفكار المنسوبة ها هنا الى ديمقريطس . وهذه الفقرة لا تكاد تكون إلا تكريرا لما سبق . — على كمية متساوية — الكمية والعدد الكلى للذرات لا ينقصان ، وفقط المركبات التي تركيبها تلك الأجزاء التي لا تنجزأ هي التي تحتوى منها على عدد أكبر أو أصغر .

§ ١١ — أن الموجود هو لا متناه — ليس النص على هذا القدر من الضبط واللفظ الذى استعمله هو غير محدد . — على رأى ميليسوس — هذا يتعلق بميليسوس لا بديمقريطس ولكن النص قد وضع الفعل مطابقا لضمير الغائب من غير أن يعين بالاسم الفيلسوف الذى يقصد تعيينه . — اذا هو يوجد — ر . ماسبق ف ١ . — وألا يكون قد ولد البتة — إن لانهاية الموجود تنتج ، على رأى ميليسوس ، من أزليته .

بداية الكون ونهايته . غير أن الموجود مع أنه غير مخلوق ألا يمكن أن يكون له حدود أخرى غير المذكورة آنفاً ؟ فإذا كان اللا متناهي قد خلق فلا بد من أن يكون له على رأى ميليسوس هذه البداية التي منها يخرج ليكون .

§ ١٢ — فماذا يمنع إذاً — حتى بدون أن يكون قد كُتِن — أن يكون له بالأقل بداية ؟ لا البداية التي منها أتى — اذا شئت — بل بداية أخرى . وأن الأشياء مع كونها أزلية يتحدّد بعضها ببعض على طريق التكافؤ § ١٣ — بل ماذا يمنع أن ” الكل ” الذي يكون غير مخلوق أن يكون لا متناهيًا وأن جميع الأشياء التي هي فيه تكون متناهية باعتبار أن لها بالبساطة بداية ونهاية في كونها .

§ ١٤ — ألا يمكن أيضاً كما ينبغي برمينيد أن ” الكل ” مع أنه واحد وغير مخلوق يكون متناهيًا ” بأن يكون من جميع الجهات مشابهاً لكُتلة كرة مضبوطة الشكل وأن يكون متساوي الأبعاد من المركز من غير حاجة أصلاً الى أن يكون

— بداية الكون — أو عبارة أخرى ” بداية تغير الموجود ” . لأن الموجود بما هو أزل يمكن أن يصير غير ما هو ويختول ولكنه لا يولد على الحقيقة . — حدود أخرى غير المذكورة آنفاً — يعنى ابتداء النفاير التي يمكن أن يعانها ونهايتها . — على رأى ميليسوس — أضفت هذه الكلمات التي تستنتج من سياق الكلام ومن التعبير الذي يستعمله المؤلف ر . فإيا سوف يلي القطعة ٢ من قطع ميليسوس .

§ ١٢ — حتى بدون أن يكون قد كُتِن — أعنى مع بقائه أزلياً . — بل بداية أخرى — هذا لا ينطبق الا على التغير الذي يصير الموجود غير ما هو ويحمله من غير أن ينزع شيئاً من أزلته . — يتحدّد بعضها ببعض — بأن تتوالد على طريقة التكافؤ .

§ ١٣ — متناهية — بالكَم دون أن تكون بالعدد وأن يكون بعضها بعضاً بتسلسل مؤبد . — بالبساطة — زدت هذه الكلمة التي تفهم من القرينة فيما يظهر لى .

§ ١٤ — كما ينبغي برمينيد — يظهر على حسب هذه الفقرة أن رسالتنا الصغيرة هذه مع انطباقها على ميليسوس وإكسينوفان على وجه الخصوص قد تكون انتقاداً عاماً لمدرسة إيليا . ر . قطع برمينيد البيت ١٠٢ وما بعده في القطع الفلسفية الإغريقية لقرمين ديدوص ١٢٤

في الجزء الفلاني أو الفلاني أكبر أو أجمد مما هو؟“ . § ١٥ — ولما أن له وسطا وأطرفا فله حدّ مهما كان غير مخلوق ما دام أن ”الكل“ مع أنه واحد كما يعترف به ميليسوس نفسه فانه، من حيث كونه جسما، كل أجزائه بلا استثناء مشابهة بعضها لبعض . ومن هذه الجهة إنما هو يقتر التشابه المطلق ”للكل“ ولا يقول كما يقول فلاسفة آخرون إن ”الكل“ مشابه لشيء آخر غير ذاته . تلك هي النظرية التي يبطلها أنكساغوراس بقوله : إذا كان اللا متناهي مشابها من جهة أن يكون مشابها لمغايرله فمن ثم هما اثنان بل أكثر . وحينئذ لا يوجد بعد لا ”واحد“ ولا لا متناه . § ١٦ — ولكن قد يمكن أن ميليسوس يعني هو أيضا أن اللا متناهي مشابه لإضافيا لذاته أو يقول بعبارة أخرى إن ”الكل“ هو مشابه لأن أجزائه متشابهة بما أن هذا ”الكل“ هو مع ذلك من الماء أو من الأرض أو من شيء آخر .

§ ١٧ — من البين أن ميليسوس مع تسليمه هكذا بالوحدة يرى أن كل جزء من الأجزاء هو نفسه جسم لا يمكن أن يكون لا متناهيا . لأن ”الكل“

§ ١٥ — ميليسوس نفسه — ليس في النص الاسم الظاهر بل هو استخدم ضمير الغائب كما هو الحال في كل موطن . — هو يقرر — أي ميليسوس ولكن هذا يمكن على سواء أيضا أن ينطبق على مذهب پرمينيد كما يرى في الأبيات التي ذكرت آنفا . — التي يبطلها أنكساغوراس — قد يمكن أن يفهم منه أيضا كما فهم م . ملاح ”التي يؤيدها أنكساغوراس“ . وعلى ذلك يكون أنكساغوراس من رأى ميليسوس وپرمينيد ، عوضا عن أنه يبطل رأى الفلاسفة الذين يقررون أن الكل هو مشابه لآخر غيره وهذا في الواقع شيء واحد . ر . قطع أنكساغوراس لشارباخ ص ١٠١ . ولكن نظرية أنكساغوراس يظهر أنها ترجع فقط الى العقل لا الى العالم . فان العقل الأعلى لا يمكن في الحق أن يتغير فإنه دائما مشابه لذاته ولا يمكن أن يكون شبيها لأى ما كان .

§ ١٦ — ميليسوس — التنيه السابق ، أي أن ميليسوس ليس مسمى ها هنا أيضا . — إضافيا لذاته — النص أقل ضبطا : ”هل يعنى الشبيه نسبيا إليه“ .

§ ١٧ — ميليسوس — كررت ها هنا أيضا اسم ميليسوس كما فعلت فيما سبق ولولم يكن مذكورا في النص . — كل جزء من الأجزاء هو نفسه جسم — ر . ماسوف يلى من قطع ميليسوس القطعة ١٦ .

هو وحده لا متناه . و بالنتيجة أن هذه الأجزاء التي ليست مخلوقة أيضا يصلح بعضها حدودا لبعض على التكافؤ . § ١٨ — ولكن إذا كان "الكل" أزليا ولا متناها فكيف يمكن أن يكون "واحدا" مع كونه جسما ؟ ثم إذا كان مركبا من أجزاء متغايرة فأذا يعترف ميليسوس نفسه بأن "الكل" هو كثير ومتعدد . ومع التسليم بأنه من الماء أو من الأرض أو من أى عنصر آخر فينئذ يكون للموجود عدّة أجزاء كما أن زينون يحاول أيضا أن يثبت أن "الكل" يجب أن يكون له أجزاء كثيرة إذا كان هو واحدا على الوجه الذى يدعون .

§ ١٩ — ومتى كانت أجزاؤه متعددة لزم أن يكون بعضها أصغر وبعضها أكبر أعنى مختلفة جد الاختلاف حتى بدون أن يأتى التخالف من زيادة جسم ما أوفقد جسم ما . ولكن إذا كان "الكل" ليس له جسم ولا طول ولا عرض فكيف يكون لا متناها ؟ وما المانع إذا أن يكون يجموعه كثرة وواحدا بالعدد ؟ بل ما المانع أن الأشياء مع كونها هكذا متكثرة وأكثر من واحد أن تكون على عظم غير متناه ؟ § ٢٠ — قد يزعم إكسينوفان أن عمق الأرض وعمق الهواء غير متناه . ولكن

— هو وحده لا متناه — زدت كلمة « وحده » لبيان الفكرة . — يصلح بعضها حدودا لبعض على التكافؤ — ر . ما سبق ف ١٢ .

§ ١٨ — مع كونه جسما — أى أنه بالنتيجة ذو أجزاء مختلفة . — ميليسوس نفسه — اسم ميليسوس ليس مذكورا فى النص الذى ليس فيه دائما إلا ضمير غائب . — كما أن زينون يحاول أيضا أن يثبت — ان ذكر زينون هذا يسمح لنا أن نقدر أن رسالتنا الصغيرة هذه كان ينبغى أن تعرض أيضا للمذهب على حدة . ر . التحقيق الذى سبق .

§ ١٩ — بعضها أصغر — حتى من غير اختلاف الامتدادات يكفى أن توجد عدة أجزاء لتكون مميزة ولو كانت مع ذلك متساوية تمام التساوى . — من زيادة جسم ما — لا يمكن أن تكون زيادة ولا نقص لأى ما مادام أن المقصود هو "الكل" . — متكثرة وأكثر من واحد — ليس فى النص إلا كلمة واحدة . — على عظم غير متناه — عبارة النص بالضبط "غير متناهية فى العظم" .

§ ٢٠ — قد يزعم إكسينوفان — رأى إكسينوفان هذا مذكور فى كتاب السماء لك ٢ ب ١٣ ف ٧

أمبيدقل يبطل هذه النظرية إذ يبين في انتقاده المحكم أنه إذا كانت الأشياء كما يزعمون
فن المحال مطلقاً أن تكون البتة .

”إن أسس الكرة والأثير غير الملموس التي أكثر ما يكلموننا عنها ليست“
”إلا كلمات فارغات يكررها لسان الحمقى بلا داع“ .

§ ٢١ — لكن العالم يمكن أن يكون واحداً من غير أن يكون هناك سنف
في افتراض أنه ليس متشابهاً في جميع أجزائه . وفي الحق إذا كان العالم كله ماء
أو كله ناراً أو أى عنصر آخر من هذا القبيل فيمكن جيداً أن يقال بوجود عدّة
أشياء ولو أن الموجود يبق واحد وأنه يلزم دائماً أن يكون كل واحد من هذه
العناصر مشابهاً لذاته . لأنه لا يمكن أن يكون الجزء العلانى متخلخلاً والآخر كثيفاً
إلا أن يوجد خلو في باطن المتخلخل . ولكن لا شىء يمنع أنه بالنسبة لبعض
الأجزاء يوجد في المتخلخل خلو منفصل تماماً بحيث إن جزءاً بعينه من ”الكل“ يكون
كثيفاً وآخر بعينه يكون متخلخلاً مع أن الكل مع ذلك باق هو ما هو . ولكن لما
أن ”الكل“ ملىء بالمتخلخل حينئذ لا يكون أقل امتلاء من الكثيف .

§ ٢٢ — وإذا كان ”الكل“ غير مخلوق فكيف يمكن أن يستتج من هذا
وحده أنه لا متناه وأنه لا يمكن أن يوجد أيضاً واحد بعينه أو آخر يكون متناهما

ص ١٩٤ من ترجمتنا . في تلك الفقرة أيضاً يذكر أرسطو انتقاد أمبيدقل ويستشهد بالبيت عنه الذى
استشهد به هنا .

§ ٢١ — أنه ليس متشابهاً في جميع أجزائه — إن تخالف الأجزاء لا يمنع الوحدة بل قد يكون شرطها .
— بوجود عدّة أشياء — أو بعبارة أخرى أن الموجودات متكررة بما هي موجودات خاصة ، وإن هذا غير مانع
وحدة المجموع . — لأنه لا يمكن — بقدر ملاحظ أن هذه هي نظرية ميليسوس التي يبطلها المؤلف ولا شىء .
في النص يعزز أو يرفض هذا التقدير . — خلو في باطن المتخلخل — اضطرت لاستخدام هذه الصيغة
لتحصيل كل قوة النص الاغريقي . — باق هو ما هو — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — لما
أن ”الكل“ ملىء . — يمكن أن تقدر هنا هذه العبارة «على رأى ميليسوس» على حسب تقدير ملاحظ .
القطعة ٥ من قطع ميليسوس .

§ ٢٢ — من هذا وحده — يظهر أن الرد واضح للغاية وما دام العالم واحداً فيظهر أن من
الضرورى أن يكون لامتناها . لأنه من المحال على عقلنا أن يفترض له حدوداً .

مثله؟ ولماذا يستلزم كونه غير مخلوق التسليم فوق ذلك بأنه واحد وأنه لا متناه بهذا السبب وحده؟ وكيف حينئذ يكون اللامتناهي هو ذلك "الكل" الذي يتوهمونه؟ .

§ ٢٣ — يقول ميليسوس إن الموجود لا متحرك إذا كان ليس ثم من خلق . لأن الأشياء لا تتحرك البتة إلا بأن تتغير بالآين . غير أنه بادئ بدء كثير من الناس من لا يوافقون على هذه النقطة ومع تسليمهم بوجود الخلق فانهم لا يقبلون أن يكون جسما . يمكن أن يعنى بالأشياء هنا نحو ما يعنيه بها هيزيود حين يقول في الحلقة "إنما هو العماء الذي ظهر بادئ الأمر" مفترضا بذلك أنه كان يلزم قبل كل شيء أن يوجد محل للوجودات . هذا هو ما يعنى بالخلو الذي يعتبر كنوع آنية تكون خالية من وسطها .

§ ٢٤ — على أنه حتى مع عدم وجود خلق فإن العالم يمكن أن يتحرك أيضا على السواء . وإن أنكساغوراس الذي اشتغل أيضا بهذه المسئلة لم يقنع بإثبات أنه لا يوجد خلق بل أثبت فوق ذلك أن الموجودات تتحرك على سواء من غير أن

— ولماذا يستلزم — هذا ليس في معظمه الا تكريرا لما سبق . — يتوهمونه — صيغة النص صيغة جمع يمكن أن تعود على ميليسوس وإكسيدوفان وپرمينيد وزينون .

§ ٢٣ — يقول ميليسوس — وهنا أيضا ليس ميليسوس مذكورا بالاسم . — بأن تتغير بالآين — تلك هي حركة النقلة . ولكن حركة الاستحالة يمكن أن تحصل من غير تغير في الآين . — هيزيود — ر . ماسبق . ب ١ ف ١٣ — في الحلقة — وأحسن من هذا "في كون الأشياء" . — العماء الذي ظهر بادئ الأمر — العماء لا يشبه بالخلو . إنه ، اذا شئت ، عدم النظام ولكن الأشياء موجودة ما دام تدخل العقل ضرور يا لتنظيمها . — هذا هو ما يعنى بالخلو — هذا متنازع فيه جدا فان العماء لم يكن ليفهم قط على هذا المعنى .

§ ٢٤ — فان العالم يمكن أن يتحرك أيضا على السواء — أو "أن ذلك لا يمنع حصول الحركة" . — أنكساغوراس الذي اشتغل أيضا بهذه المسئلة — وفي رواية بعض المخطوطات "الذي اشتغل بهذه المسئلة من قبله" . — أنه لا يوجد خلق — ر . الطبيعة لأرسطوك ٤ ب ٨ ف ٣ ص ١٩٤ من ترجمتنا ^{١٢٢} حيث لا يظهر على أرسطو أنه قدر تقديرا حسنا نظريات أنكساغوراس على الخلو كما فعل هنا .

يكون الخلق ضروريا . § ٢٥ — وفي هذا المعنى عينه قال أمبيدقل إن الأشياء متى تم تركيبها تحركت طوال الزمان من غير أن يوجد ، على رأيه ، ما لا يفيد في ” الكل “ ولا أن يوجد خلق كذلك . وفي الحق من أين يمكن أن يحدث الخلق؟ يقول أمبيدقل لأن الأشياء متى تركبت في صورة واحدة بطريقة أنها تؤلف الوحدة :
 ” فلا شيء يكون خلوا ولا شيء زائد “

أليس يمكن في الواقع أن الأشياء تتحرك بعضها في بعض وأن الكل يكون دائريا مادام أن الشيء يتغير الى آخر وهذا الآخر الى ثالث . وما دام أن شيئا بعينه يتغير دائما آخر الأمر الى الأول ؟ .

§ ٢٦ — وفوق ذلك لا ينبغي نسيان تغير الصورة هذا الذي يغير الشيء ولو أنه يسبق في الحيز عينه ، تغير يسميه فلاسفة آخرون وميليسوس نفسه الاستحالة وإذا لا شيء مما قال يدفع أن هذا النوع من الحركة يوجد في الأشياء حينما تمر من الأبيض الى الأسود أو من المتزالي الحلول لأنه ليكن الخلق غير موجود وليكن الملىء لا يمكن أن يقبل شيئا فذلك لا يمنع الاستحالة أن تكون ممكنة .

§ ٢٥ — متى تم تركيبها — بواسطة العشق على حسب أمبيدقل وتم افتراقها بعد ذلك بالتنافر . ر . الطبيعة لأرسطوك ٨ ب ١ ف ٤ ص ٤٥٥ من ترجمتنا . — طوال الزمان — ليس معنى ذلك أبديا ولكن المقصود هنا هو في مسافة من الزمن فيها السفيروس ينسبط أو يتقبض في ذاته (ر . تعليقات كتاب الكون والفساد ك ١ ب ١ ف ١٠) . — يقول أمبيدقل — ر . قطع أمبيدقل البتين ٩٤ و ١٦٦ من القطع الفلسفية الإغريقية طبعة فيرمين ديدو . — في صورة واحدة — هذه عبارة النص بعينها . — فلا شيء . يكون خلوا — البيت ليس مذكورا بتمامه في النص . — وأن الكل يكون دائريا — يظهر جليا أن هذا هو رأى أمبيدقل فإن العشق والتنافر بفعلهما على التناوب يؤلفان تماما شكل دائرة .

§ ٢٦ — وميليسوس نفسه — وليس اسم ميليسوس مذكورا في هذه الفقرة أيضا . ر . ما سبق ب ١ ف ١ . — الاستحالة — ر . في الطبيعة ما يختص بحركة الاستحالة ك ٣ ب ١ ف ٨ ص ٧١ من ترجمتنا وكذلك الكون والفساد ك ١ ب ٤ . — الاستحالة أن تكون ممكنة — حركة الاستحالة بما أنها تقع في الشيء ذاته لا حاجة لها بمجيز جديد كحركة النقلة بل ولا كحركة النمو ذاتها .

§ ٢٧ — وبالتبع فلا ضرورة لأن كلا يكون أزليا وأن كلا يكون واحدا أولاً لأن "الكلمة" يكون لامتناهيا . ولا ضرورة أيضا لأن يوجد عدّة لامتناهيات ولا وحدة متماثلة في كل مكان ولا وحدة غير متحركة سواء مع ذلك وجدت الوحدة أو الكثرة .

§ ٢٨ — ومتى سلم هذا لا يرى شيء في نظريات ميليسوس يدفع أن الموجودات تتغير ترتيبا وكيفا ما دامت الحركة هي هكذا في الوحدة التي تختلف حينئذ بالأكثر والأقل والتي تستحيل بطرائق شتى بدون أن ينضم إليها شيء أو اذا انضم إليها شيء فبدون أن يكون هذا الشيء جسما وإذا كانت عدّة أشياء هي التي تنضم فبدون ألا تريد على أن تترج بعضها ببعض وتفصل على التكافؤ .

§ ٢٩ — ولكن الاختلاط ليس فيما يظهر هو الجمع أو التركيب اللذين يتكلم عنهما ميليسوس واللذين بدونهما ربما تنعزل الأشياء في الحال بل بدونهما لا تظهر الأشياء باستقلالها التام إلا بعد أن يباعد بين بعضها وبين البعض الآخر إذ هي

§ ٢٧ — وبالتبع — يظهر أن هذا هو ملخص الاعتراضات السابقة كلها ولكن النتيجة لا يظهر أنها لازمة . — كلا يكون أزليا — كما يزعم ميليسوس . وهذه الجملة التي هي محرفة في أكثر المخطوطات هي كما أؤيدها الآن في مخطوطة ليزج وكذلك في ترجمة فليسيانو كما نبه إليه ملاحظ .

§ ٢٨ — في نظريات ميليسوس — بدلا من الاسم الظاهر ليس في النص إلا ضمير غير معين والظاهر أنه يكفي قبول حركة الاستحالة لينهدم دفعة واحدة مذهب ميليسوس في وحدة الموجود ولا تحركة . — ترتيبا وكيفا — عبارة النص بالضبط " أن تكون الموجودات مرتبة على وجه آخر ولا تكون مستحيلة " . — بالأكثر والأقل — مثال ذلك أن تكون أكثر أو أقل بياضا، أكثر أو أقل سوادا لأن الكلام هنا هو بصدد استحالة بسيطة وليس مقصودا غيرها حتى ولا النمو . — فبدون أن يكون هذا الشيء جسما — والواقع أن في الاستحالة ليست هنا إضافة ما من أي نوع كان . فان الاستحالة تقع بحركة لوجود داخلية بحته . — أن تترج بعضها ببعض — كما يمكن الكيف أن تختلط وأن تفصل على التكافؤ في موجود واحد أحد بعينه .

§ ٢٩ — اللذين يتكلم عنهما ميليسوس — الملاحظة ها هنا كالملاحظة السابقة فيما يتعلق بذكر اسم ميليسوس الذي لم يذكر اسمه هنا أيضا . والظاهر أن العبارتين المذكورتين في هذا الممر هي من خصائص لغة ميليسوس الفاسفية . — بدونهما — جملة النص فيها من التحير والتردد ما في الترجمة وهاك شرحا يمكن

تحتاج ، في حين أنه يلزم لوجود اختلاط حقيقي أن كل أجزاء الشيء المختلط تكون بحيث لا يمكن حل تركيبها بعدد . لكن بشرط أن كل واحد من الأجزاء المخلوطة يكون على وفاق تام مع مجموع الخليط لأنه بما أنه لا يوجد جواهر فردة فينتج من ذلك أن كل جزء هو مختلط مع كل جزء كيفما اتفق مشابه مطلقا للكل .

أن ينير الفكرة : ” لا يفهم ميليسوس حق الفهم ما هو الاختلاط اذ يسميه جمعا وتركيبا . وهو يظن أنه في الخليط يمكن عند الارادة عزل الأشياء من جديد في الحال أو على الأقل عزلها تماما بعد تنقية بها بظهر كل واحد منها على الحالة الخاصة به . وليس الاختلاط هو ذلك أبدا . ولأجل أن يكون حقيقيا يلزم أن تكون الأجزاء فيه مركبة تماما بحيث لا يمكن حل ذلك التركيب وأن كل جزء يكون مشابها مطلقا للكل الذي هو منه . لا يوجد جواهر فردة ومن ثم كل جزء من الخليط هو بالضرورة مشابه للكل الذي هو منه جزء كيفما اتفق “ .

— لوجود اختلاط حقيق — ر . على نظرية الاختلاط ما سبق في كتاب الكون والفساد ك ١ ب ١٠ .

— بما أنه لا يوجد جواهر فردة — قد أبطل دائما أرسطو مذهب الجزء الذي لا ينجزأ لديمقريطس . ر .

الطبعة المرجع المذكور قبلا .

مذاهب إكسينوفان

الباب الثالث

نظرية إكسينوفان في حق الله — الأزلية — القدرة — أحدية الله — يجب أن يتصور كأنه فلك —
الله منزّه عن الحركة والسكون ومنزه عن أن يكون متناها ولا لا متناها .

§ ١ — هو يقول إن يوجد من شيء فمحال أن هذا الشيء كان مخلوقا مطبقا هذا في حق الله ما دام أنه يلزم بالضرورة أن كل ما هو كائن يتكون من الشبيه أو من اللاشبيه . وكلا الأمرين غير ممكن ، فإنه بادئ بدء ليس تولد الشبيه من الشبيه أولى من أن يلد الشبيه نفسه لأن هذا يخالف التضاييف المتكافئ الذي بين المتساوين والأشباه . وثانيا ليس من الممكن أن غير الشبيه يخرج من غير الشبيه . فاذا كان، في الحق، الأقوى يخرج من الأضعف وإذا كان الأكبر يأتي من الأصغر والأحسن من الأقبح أو بالعكس الأقبح من الأحسن فيكون حينئذ الموجود يأتي من اللاموجود وهذا محال قطعاً . § ٢ — إذا يلزم أن يستنتج من كل هذا أن الله أزلي . إذا كان الله هو سيد الموجودات فيلزم ، على رأى إكسينوفان ،

§ ب ٣ — مذاهب إكسينوفان — لا ريب في صحة هذا العنوان فان أربعة المخطوطات مخطوطة سان مارك ومخطوطة الفاتيكان ومخطوطة أوربين ومخطوطة باريس تذكره بناية الوضوح . وبعض مخطوطات أرى فيها هذا العنوان الخطأ : ”في زينون“ . وان بحث النظريات مثبت قطعاً أن الكلام إنما هو بصدد إكسينوفان ر . ما سبق في ”التحقيق“ .

§ ١ — هو يقول — ليس إكسينوفان مذكورا بالاسم هنا كما كان الأمر في ميليسوس ر . ما سبق ب ١ ف ١ . ولم أشأ أن أذكر اسمه في الجملة الأولى من هذه الرسالة ولكني سأفعل فيما بعد حتى تكون الفكرة أشد جلاءً . — إن يوجد من شيء . — هذا الشك ، فيما يرى «برنديس» ، مضاد لأراء إكسينوفان ”(commentationes Eleadicac)“ ص ٢٧ ف ١ فهو يرى خطأ أن بداية هذا الباب تكرير لبداية الباب الأول على ميليسوس . — مطبقا هذا في حق الله — لا على العالم كما يفعل ميليسوس فيما يظهر . — تولد ... يلد — هذا التكرير هو في النص . — بين المتساوين — بالكلم . — والأشباه — بالكيف . — وثانيا — أضفت هذه الكلمة لزيادة البيان .

§ ٢ — أن الله أزلي — ان اسم الأزلي هو الاسم الخاص لله في كثير من الأحوال فان الله هو الموجود بذاته والذي كان موجودا دائما كما أنه يوجد دائما . جاء في التوراة ”أنا الموجود“ . وإن فكرة إكسينوفان

أن يكون أيضا أحدا لأنه لو كان فيه اثنان أو عدة فمن ثم لا يكون إذا سيد جميع الموجودات ولا أكبرها مادام من ثم أن كل واحد من هذه الموجودات المتكثرة قد يكون مطلقا مشابها له تماما . إن ما يحقق الله في الواقع والقدرة الإلهية إنما هو أن يتسلط على وجه السيادة ولا يكون مسلطا عليه . أن يكون سيد الجميع وأقدرهم . وبالنتيجة مادام أنه ليس الأقدر فإنه يفقد بنسبة ذلك شيئا من ألوهيته . وإن كانوا عدة وكان بعضهم أعلى أو أدنى من الآخرين من بعض الوجوه فأولئك ليسوا آلهة بعد . لأن ماهية الإله ألا يعلو عليه أحد . وإن كانوا عدة متساوين فمن ثم ليس هذا بعد طبع الإله الذي هو أن يكون الأحسن لأن المساوى ليس بالبداهة أقبح ولا أحسن من مساويه .

§ ٣ — ولما كان الله هو حينئذ كما ذكر آنفا لزم ضرورة أن يكون واحدا وإلا لا يمكن أن ينفذ كل ما يشاء . لا يمكنه ذلك مادام فيه آلهة أخرى . فيلزم حينئذ أن يكون أحدا § ٤ — ولأنه أحد فهو مشابه لذاته على الاطلاق . يرى من كل جهة ويسمع من كل جهة وعنده جميع الجهات على مقياس واحد . وإلا لزم أن بعض أجزاء الإله تكون حاكمة ومحكومة على التناوب . وهذا ممتنع بين الامتناع .

هي ها هنا تلك الفكرة بعينها . — على رأى إكسينوفان — لم يذكر النص اسم إكسينوفان وليس هنا الاسم إشارة غير معينة . ر . ما سبق ف ١ — أكبرها — عبارة النص بالضبط « أحسنا » . ويلزم أن يلاحظ أن دليل إكسينوفان هذا متين مائة وجلي جلاء . وقد تقدم بنحو قرن مذاهب سقراط وأفلاطون ويجب الاعتقاد بأنه رشح لتلك المذاهب . وكثيرا ما اتهم إكسينوفان بالشرك ولكن هذا الشرك لا أثر له هنا . وإذا كان الله مدججا في العالم فلا محل للقول بأنه المولى والقادر على كل شيء . — لأن ماهية الإله — كما يستطيع عقل الانسان أن يفهمها .

§ ٣ — لزم ضرورة أن يكون واحدا — الأدلة اللاحقة ليست أقل في قوتها من السابقة . فان قدرة الله الكاملة تستتبع وحدانيته . وان الذى حصل هنا هو فكرة إكسينوفان دون عبارته . وقد حاول ملاحظ أن يقوم الأبيات في هذا الوطن وقد قوم ثلاثة منها ولم يذكرها طبعيا في قطع إكسينوفان .

§ ٤ — يرى من كل جهة — كان يمكن المؤلف أن يذكر بيت إكسينوفان بنصه الذى حفظه لنا أيضا « سكستوس أمبير يكوس » « ... Adversus mathematicos physicos ... » ك ٩ ف ١١٤ ٥٩٦ طبعة ١٨٤٢ يتفد سكستوس أمبير يكوس وصف الإله هذا ويرى أنه لا ينبغي أن يستند إليه إلا حاسة واحدة البصر مثلا .

§ ٥ — ولما كان الله مشابها لذاته مطلقا ومن كل وجه لزم أن يكون فليكا لأنه ليس كذلك في جزء بعينه دون أن يكونه في أي جزء آخر لكانه كذلك في جميع الأجزاء بلا استثناء .

§ ٦ — وما دام الله أزليا أحدا فليكا فينتج منه أنه لا يمكن أن يكون لا متناهايا ولا أن يكون متناهايا . فانما اللا موجود هو اللامتناهي مادام ليس له أول ولا وسط ولا آخر ولا أي جزء آخر . وهذا هو اللامتناهي . ولكن الموجود ليس كاللا . وجود الموجودات ما دامت متكثرة فانها يحد بعضها بعضا على التبادل . فالأحد لا يمكن أن يشبهه لا باللا موجود ولا بالموجودات المتكثرة ما دام الأحد لا يحد شيء .

§ ٧ — الأحد — الذي إكسينوفان يسميه الله — لما كان كذلك لا يمكن أن يتحرك ولا أن يكون لا متحركا . فان اللاموجود هو في الحق لا متحرك لأنه لا موجود يأتي فيه ولا هو يمكن أن يذهب في موجود آخر . ولا حركة إلا متى كانت

§ ٥ — أن يكون فليكا — تلك هي استعارة جاء بها إكسينوفان بعد أن عاب هو نفسه الصور الباطلة التي بها يحاول الضعف الانساني أن يتمثل بها الله . الله هو الفلك الذي مركزه هو كل مكان والذي محيطه ليس في أي مكان ر . أفكار باسكال طبعة م . ص . هافيت ص ٣ سنة ١٨٥٢ . — بلا استثناء — قد أضفت هذا القيد . ويذكر ملاحظ بحق بفقرة مشابهة لهذه تماما في كتاب السماء ك ١ ب ١ ص ٥ ص ٥ من ترجمتنا .

§ ٦ — لامتناهايا متناهايا — يظهر على الضد أن معنى اللانهاية يمتشي تماما مع معنى الله فان الأزلي معناه غير المتناهي في الزمان . والقدير معناه غير المتناهي في القدرة الخ . — فانما اللا موجود هو اللامتناهي — إنما يكون مجرد سوء الاستعمال للالفاظ أن يخلط بين اللاموجود واللامتناهي فان اللا موجود ليس الا اللامتعين . وفي اللغة اليونانية المعينان مندجان في كلمة واحدة . — ولا أي جزء آخر — كل هذا هو من البداية فكان ما دام أن اللاموجود غير موجود . — يحد بعضها بعضا على التبادل — أو «هي متناهية بعضها بالنسبة لبعض الآخر» . — فالأحد لا يمكن أن يشبهه — الا بنفسه . إنه الموجود ما دام أنه الكل وليس هو في الكثرة مادام أنه الوحدة عينها .

§ ٧ — الذي إكسينوفان يسميه الله — ليس إكسينوفان مذكورا هنا كما أنه ليس مذكورا في الفقرة الأولى . وقد يكون هذا الرأي هو سبب اتهام إكسينوفان بالترك . لكن الله يمكن أن يكون أحدا مع تميزه عن العالم . — أن يتحرك ولا أن يكون لا متحركا — في الواقع أن من العسير تصور أن الله لا متحرك كما هو من العسير أن يتصور في حركة . أما عند أرسطو فانه المحرك غير المتحرك الذي يعطي الحركة للطبيعة بأسرها التي يجذبها اليه وهو باق هو نفسه في سكون أبدي غير متجزئ ، ليس له أجزاء لا جسماني الخ

الموجودات أكثر من واحد لأن من الضروري للحركة أن واحدا يتحرك في الآخر. ولا يمكن أن يتحرك شيء في الالموجود ما دام أن الالموجود لا يوجد مطلقا في أية جهة . وإذا كانت الأشياء تتغير بعضها الى بعض فحينئذ يكون الموجود أكثر من واحد .

§ ٨ — فانظر كيف يزعم إكسينوفان أنه يلزم شيثان على الأقل أو أكثر من واحد لكي توجد الحركة ، وأن الاشياء هو في سكون ولا متحرك، وأن الأحد على ضد ذلك لا يمكن أن يكون في سكون ولا أن يكون في حركة لأنه لا يشبه الالموجود ولا الموجودات المتكثرة .

§ ٩ — ومن كل هذه الوجوه فهذا — على رأى إكسينوفان — هو الله أزلّ أحد متشابه من كل جهة وفلكي لا لا متناه ولا متناه لا هو في سكون ولا هو في حركة .

٠ ك ٨ من الطبيعة الباب الأخير وما بعد الطبيعة ك ١٢ ب ٥ وراجع أيضا قطع إكسينوفان المقطوعة الرابعة التي حفظها "سبيلسيوس" و "تفسير الطبيعة لأرسطو" الورقة ٦ Fragmenta a philosophorum grecorum طبعة فيرمين ديدوس ١٠١٠ . — فان الالموجود هو في الحق لا متحرك — هذا هو تابع لنظريات إكسينوفان كما يدل عليه صوغ الجملة الإغريقية . — لأنه لا موجود يأتي فيه — ما دام أن الالموجود هو غير موجود . — ولا حركة — عبارة النص ليست على هذا القدر من الضبط . — لأن من الضروري للحركة — أضفت هذه الكلمات إذ ظهر لي أنها ضرورية . — في الالموجود — عبارة النص بالضبط "نحو الالموجود" . وهو ما يظهر لي قليل الضبط .

§ ٨ — فانظر كيف يزعم إكسينوفان — عبارة النص غير معينة وليس هنا اسم إشارة ولكن صوغ الجملة بصيغة الحال يستتبع أن العبارة هي تحصيل فكرة إكسينوفان . — على الأقل — أضفت هاتين الكلمتين . — الاشياء — هذا هو لفظ النص بعينه . — لأنه لا يشبه... — قد يكون الدليل غير قوى فيما يظهر بل يمكن أن يعلو الموجودات الى اللانهاية من غير أن يشبهها بوجه ما .

§ ٩ — على رأى إكسينوفان — الملاحظة عينها التي أبدت في الفقرة السابقة . فان إكسينوفان لم يسم هنا أيضا ولكن لاشك في أن الأمر بصدده .

الباب الرابع

إبطال نظريات إكسينوفان — استشهاد من ميليسوس — كيف يلزم أن يعنى بقدرة الله — الله ليس فلجيا — إنه لا منته — وحدانية الله ليست متنافية لكونه متناهيا — في نفي الحركة عن الله — في الحركة التي يمكن تصورها في حق الله — استشهاد من زينون .

§ ١ — ننبه تنبيها أولا ، وهو أن إكسينوفان كميليسوس يفترض أن كل ما يولد ويصير يتولد من الموجود . ومع ذلك فماذا يمنع من أن ما يولد لا يولد لا من الشبيه ولا من اللاشبيه بل يولد من اللاموجود ؟ ولكن الله ليس لا مخلوقا أكثر من الباقي إذا كانت كل الأشياء آتية من الشبيه أو من اللاشبيه . ذلك هو ما لا يمكن . وبالنتيجة إما أنه لا شيء خارج عن الله وإما أن يكون سائر الأشياء هي أيضا أزلية . § ٢ — ولكن إكسينوفان يقبل فوق ذلك أن الله هو المولى . يريد بذلك أن يقول إنه الأقدور والأحسن . ليس هذا ما يعتقد العامة وإنهم يقبلون أن الآلهة في كثير من الأشياء أعلى بعضها من بعض . على ذلك لم يستعمر إكسينوفان هذا الرأي الجريء من إجماع العامة . ولكن متى قيل إن الله هو القادر على كل

§ ١ — كميليسوس — ها هنا ميليسوس مذكور بالاسم وهذا دليل آخر على أن الجزء الأول من هذه الرسالة خاص به . ما سبق ت ١ ف ١ والتحقيق . — يفترض — عبارة النص هي على هذا المقدار من القوة . — يولد ويصير — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — ولا من اللاشبيه — هذه الكلمات التي ليست في المخطوطات قد وضعها ملاحظ تبعاً لترجمة فيليسيانو . — ولكن الله ليس لا مخلوقا — يظهر أن هذا هورد من أرسطو على مذهب إكسينوفان . ولكن من الجائز أيضا أن يكون ردا من إكسينوفان موجها للنظريات المضادة لنظرياته . — لا شيء خارج عن الله — هذا الرأي هو من الآراء التي يمكن أنها سببت اتهام إكسينوفان بالشرك . ”خارج عن الله“ هي رواية مخطوطة ليبرج وقد كانت موجودة في ترجمة فيليسيانو كما نبه اليه ملاحظ ببحق .

§ ٢ — إكسينوفان يقبل — كذلك ليس هنا اسم إكسينوفان أيضا . — ما يعتقد العامة — أو ”ما يجب أن يكون معتقدا طبقا للقانون“ . — أعلى بعضها من بعض — كذلك الإله ”مارس“ هو أشد الآلهة حربا وأشجعهم و”زهرة“ أجمل الآلهات و”ميزفة“ أحكمهم و”أيلان“ أعلمهم ... الخ . — لم يستعمر إكسينوفان — لم يذكر هنا أيضا اسم إكسينوفان ولكن هذا مدح جميل لمذهبه وللحمته . فانه كان ضد الآراء الشائعة في زمانه .

شئ فليس معناه أن هذا هو طبع الله بالنسبة لواحد آخر بل هذا هو شأنه الخاص بالنسبة لذاته . أما في علاقته مع الغير فن الجائر تماما أن الله لا يقدر عليه بعلمه وقوته التي ليس لها من شبيه بل بضعف الأغيار . وإنه لا أحد يعنى على هذا الوجه قدرة الله بل يفهم الناس أن الله له بذاته كل ما يوجد من الأحسن وأنه متزه عن النقص أيا كان ، وأن له كل ما هو طيب وجميل . وهذه الكلمات كلها فله أيضا كمال القدرة الكاملة .

§ ٣ — حقا أنه قد يمكن أيضا التسليم بوجود آلهة متعددة موصوفة بالصفات عينها جامعة بين أكبر الكلمات الممكنة مادام أنها أكبر قدرة من سائر الموجودات دون أن يكون بعضها أقوى من البعض الآخر ولكنه يوجد أيضا على ما يظهر موجودات أخرى غيره . § ٤ — في الحق هو يزعم أن الله هو القدير، ويلزم ضرورة أن يكون أقدر من بعض الموجودات . ولكن بهذا السبب وهو أن الله هو الأحد لا يليق أن يقال إنه يبصر من كل ناحية ويسمع من كل ناحية لأنه ليس لأنه قد لا يبصر من الجزء الفلاني أو الفلاني أنه لا يحسن البصر بل فقط أنه

— بالنسبة لواحد آخر — كل هذا التذليل غاية في العمق و يعطى فكرة سامية عن عبقرية إكسينوفان .
— التي ليس لها من شبيه — أضفت هذه الكلمات . — فله أيضا كمال القدرة الكاملة — ليس النص على هذا القدر من الضبط . فإن عبارته فيها ما فيها من الإبهام . ولكن المعنى لا ريب فيه .
§ ٣ — حقا أنه قد يمكن أيضا التسليم — هذه هي بالتقريب كل الملحمة هو ميريس ولو أن آلهة ذلك الشاعر بينها بعض التبعية فإن المشتري هو الأكبر والأقوى بينهم جميعا . — موجودات أخرى غيره — أو ”موجودات أخرى غيرهم“ وقد آثرت تلقاء تردد النص أن أرجع الضمير الى الله عوضا عن الآلهة .

§ ٤ — هو يزعم — حافظت على صيغة النص عوضا عن أن أكرر اسم إكسينوفان . — من بعض الموجودات — هذا هو إصلاح من عند ملاخ وهذا الإصلاح ضروري ، فيما يظهر ، ولو أنه لا تجيزه أية مخطوطة . ولكن في إيسيانوفى ترجمته كان لديه رواية من هذا القبيل فيما يظهر . — أن الله هو الأحد — كما يدعى إكسينوفان . — من الجزء الفلاني أو الفلاني — ليس النص على هذا القدر من الضبط .

لا يبصر من ذلك الجزء بعينه . بل ربما أيضا حينما يقرّر أن الله يحس من كل جهة كان معنى ذلك بالبساطة أنه بهذه الطريقة يكون أيضا أكل ما دام أنه متشابه في جميع أجزائه .

§ ٥ — اذا كان الأمر كما قرّر آنفا فلماذا يعطى صورة فلك ؟ لماذا لا يكون أولى به شكل آخر مادام أنه يسمع من كل جهة ويرى من كل جهة؟ لأنه كما أننا حين نقول إن الإسبيداج أبيض في كل نواحيه لا نريد أن نعني شيئا آخر إلا أن يكون البياض منتشرا في جميع أجزائه، كذلك ما الذى يمنع حينما يقال إن الله يرى ويسمع ويتسلط من كل مكان أن يفهم أن أى جزء من الله كيفما اتفق، له دائما هذه الصفات؟ ولا يلزم لذلك بعد أن يكون الله فليكما كما لا يلزم أن يكونه الإسبيداج .

§ ٦ — وفوق ذلك كيف يمكن أن الله من حيث هو جسم ومن حيث إن له عظما لا يكون متناهيا ولا لا متناهيا ما دام اللامتناهى إنما يقع على ما ليس له حدّ مع

— متشابه في جميع أجزائه — لا شك في أن إكسينوفان يريد أن يقول بالبساطة إن الله شاهد في كل مكان .

§ ٥ — كما قرّر آنفا — على حسب نظرية إكسينوفان . — صورة فلك — هذا في الحق مذهب مضاد لآراء الفيلسوف الذى يعيب الصفات والصور التى يسندها العائى الى الآلهة . ذلك هو أيضا قليل الشبه بالمعقول كذهب المشبه المعروف . — يسمع من كل جهة — الفلك هو الوحدة وهذا التصوير لا يتفق ومعنى أن الله لا متناه . — إن الإسبيداج أبيض في كل نواحيه — هذا التشبيه بالإسبيداج ليس متقادا ويظهر عليه نوع من الشطط . — أى جزء من الله كيفما اتفق — هذه النظريات ينبغى أن تظهر أشد ارتقاء عن الزمان الذى كان يقررها فيه إكسينوفان . ولا يمكن الشك في أنها نظر يات مع الشهادات التى نقلها لنا الزمن القديم أجمع . — أن يكونه الإسبيداج — راجع ملاحظتنا على التشبيه بالإسبيداج . ومع ذلك فان الفكرة صحيحة في موضوعها ولو كان في شكلها شئ من الشذوذ .

§ ٦ — وفوق ذلك — ردّ جديد من المؤلف على نظريات إكسينوفان . — متناهيا ولا لامتناهيا — في الحق من المحال على عقلا أن يفهم الله إلا على جهة اللامتناهى . — ما ليس له حدّ — هذا حق ولكن ما سبلى ليس كذلك حقا فإن ما هو قابل لأن يكون له حدود لا يمكن أن يكون أبدا لامتناهيا

قابليته لأن يكون له حد؟ فإن الحد يجب أن يقع على العظم وعلى العدد وعلى كل كمية أيا كانت بحيث إن عظمًا لا حد له هو يسمى لا متناهيًا . § ٧ — ومتى جعل الله فليكما فن الضرورى أن يكون له حد لأن له نهايات ما دام أن له مركزا على أبعاد مسافة ممكنة من الحد . وإذا لا بد له من مركز ما دام فليكما؛ إذ أنه يعنى بفلكي ما له مركز على مسافة متساوية من النهايات . ولا فرق بين أن يقال إن للجسم حدا وإن له نهايات .

§ ٨ — اذا كان الالموجود لامتناهيا فلم لا يكون الموجود لامتناهيا كذلك؟ ما المانع أن يكون للموجود ولالموجود بعض كيف مشتركة وتمثالة؟ فإنه لا يمكن فعلا أن يحس الالموجود . وكيف يحس ما ليس موجودا . وكذلك يمكن تماما ألا يحس فعلا ما هو موجود . يمكن قول الاثنين معا وتصورهما معا . الالموجود ليس أبيض ولكن هل ينتج من ذلك وجوب القول بأن كل الموجودات بيض

حتى ولو لم يكن له حدود . وهذا ليس إلا الامحدد واللامعين . — عظمًا لا حد له هو يسمى لامتناهيا — وربما كان الأولى أن يقال "كا" وحينئذ يكون التعبير أعم .

§ ٧ — ومتى جعل الله فليكما — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — فن الضرورى أن يكون له حد — هذا يناقض فكرة لانهاية الله ، والردي شديد القوة . — إذ أنه يعنى بفلكي — هذا في الواقع هو تعريف الفلك كما هو تعريف الدائرة على السواء بفارق واحد هو ما بين الجسم وبين السطح . — حدا ... نهايات -- هذا التائل موجود في اللغة الفرنسية كما هو في اللغة الإغريقية لأنه في الذهن دون أن يكون في اللفظ فقط .

§ ٨ — اذا كان الالموجود لامتناهيا — هذه الرواية هي التي كانت عند فيلسافانو كما تدل عليه ترجمته وهي الوحيدة التي يمكن قبولها بالنظر الى سياق النص وان كانت لا توجد في المخطوطات . — بعض كيف — "أوحالات" عبارة النص غير محجرة . — يحس ما ليس موجودا — ظننت واجبا على أن أضيف هذه الجملة . فان هذا التكرير ليس في النص . — الاثنين — الذين ينطبقان على السواء على الموجود وعلى الالموجود . وفي الحق أنت . ما لا يحس وما لا يدرك بوجه ما هو بالنسبة لنا كأنه لا موجود ولو كان موجودا . إنه بالنسبة لنا هو الالموجود ولو لم يكن في الواقع . — وجوب القول — ليس النص على هذا القدر من السعة .

حتى لا يسند شيء واحد الى الموجود والى اللاموجود ؟ أو لا يمكن أن يوجد بين الموجودات واحد لا يكون أبيض ؟ وإذا كان الأمر هكذا على نقيض القاعدة العتيقة أن الموجود لا ينحصر في أن يكون له أكثر منه في ألا يكون له فاللامتناهى قد يقبل أيضا سلبا ثانيا . وبالنتيجة فالموجود أيضا يمكن أن يكون لامتناهيا أو أن يكون له حد .

§ ٩ — ولكن ربما يكون من غير المعقول أن تلتزم الالاهية باللاموجود . فانه لا يمكن أن يقال على كل شيء إنه لا متناه لا لشيء إلا لأنه ليس له حد ، كما أنه لا يقال مثلا على اللاموجود إنه غير متساو . § ١٠ — ولكن بما أن الله واحد فلماذا لا يكون له حد ؟ لاشك في ذلك ولكن لا يمكن أن يكون له حد تلقاء إله آخر . اذا كان الله واحدا كله فيلزم أن تكون جميع أجزاء الله لا تكون

— لا يكون أبيض — كما أن اللاموجود لا يكونه كذلك . — سلبا ثانيا — ليس المعنى بين الظهور لأن اللامتناهى ليس هو ذاته سلبا . فانه لا سلب إلا في اللامحدود واللامعين ، وقد يمكن التذليل من جهات نظر شتى على أن اللامتناهى أقوى وجودا من المتناهى أو بالأولى هو الموجود الحقيقي الوحيد . من هذا ترى كيف أن الله هو لا متناه من أى ناحية يعتبره عقلنا الضعيف سواء في الزمان وفي المكان وفي القدرة وفي العدل وفي الرحمة ... الخ . — القاعدة العتيقة — لا أعرف مؤلفا آخر قد ذكر هذه القاعدة . وربما كان لهذا المتر معنى آخر غير المعنى الذى اخترته وقد يعنى به بالبساطة "على ضد ما ذكر آتقا" . وكنت أختار هذا المعنى اذا كانت هذه العبارة كررت ولو بجزئها فيما تقدم . ولكنى لا أراها جلية فيه . — وبالنتيجة فالموجود أيضا يمكن أن يكون لامتناهيا — لا يظهر أن هذه النتيجة لازمة ولكن الفكرة صادقة . فانما الموجود في الواقع هو اللامتناهى ، في حين أن اللاموجود لا يمكن أن يسمى بهذا الاسم إلا بالنسبة للموجود الذى هو سلب له .

§ ٩ — أن تلتزم — يظهر لى أن هذا النوع من الابتذال موجود أيضا في النص . — الالاهية — والأحسن : "معنى الالاهية" . — لا لشيء . إلا لأنه ليس له حد — بين أن الفرق كبير جدا بين اللامتناهى واللامحدود . — مثلا — أضفت هذه الكلمة .

§ ١٠ — لاشك في ذلك ولكن لا يمكن أن يكون له حد . — ليست عبارة النص على هذا المقدار من البيان ولكن الفكرة بيّنة فيما يظهر ولو أن المخطوطات ليست متفقة الرواية . — تلقاء إله آخر — عبارة النص "تلقاء إله" ومع ذلك فان كل هذا الموطن قد أصلح تبعا لما ارتأى "برانديز" وتبرره ترجمة فيليبسيانو .

أيضا إلا وحدة محضة . لأنه لا يفهم ، إذا كانت الأشياء المتكثرة يحد بعضها بعضا بالتبادل ، أنه يلزم على ذلك أن الأحد يكون لا حد له . لأن الكثرة والوحدة لهما عدة مجملات متشابهة تماما والموجود مشترك بين إحداها وبين الأخرى . فقد يكون من الغريب أن يذهب الى إنكار وجود الله ، ما دام وجود الكثرة أمرا مسلما ، حتى لا يشبه الله الأشياء في هذا المعنى .

§ ١١ — لماذا الله مع كونه واحدا لا يكون متناهيا ولا يكون له حدود ،

كما يقوله برمينيد وهو يعترف لله بالوحدانية حين يشبهه

« بالفلك المستدير تماما والمتساوي في جميع النقط

ابتداء من المركز »

في الواقع أن شيئا يمكن أن يكون له بالضرورة حد من غير أن يكون ذلك بالإضافة الى شيء ما . كما أنه ليس من الضروري أن ما له حد يكون له حد إضافي كالمتناهي بالنسبة لغير المتناهي الذي يليه . أن يكون متناهيا إنما هو أن يكون له نهايات ، ولكن ما له نهايات ليست له بالضرورة بالنسبة الى شيء ما . بل يوجد بعض أشياء تكون معا متناهية وملامسة شيئا ما ، ولكن من الأشياء أيضا ما هي متناهية وليست كذلك بالإضافة الى شيء ما .

— وحدة محضة — في هذا ما في الملاحظة السابقة . — الأحد يكون لا حد له — ليس ها هنا رواية أخرى ولكن الفكرة ليست جلية البيان ولو أن العبارة ذاتها جلية . فان الموجود مفهوم على جهة الوحدة التي تشمل الكل هو بالضرورة لا متناه . — الكثرة والوحدة — ر . ما سبق ب ٨ حيث الموجود واللاموجود مقارنان أيضا في هذا المعنى . — وجود الله... وجود الكثرة — هذا التكرار هو في النص . — في هذا المعنى — عبارة النص هي كذلك مهمة . والتناقض المشار اليه ها هنا قد تكرر في نظريات الإسكندر بين وقد ذهبوا فيه الى حد إنكار الوجود على الأحد كما كانوا يتصورونه مع إبتائهم الوجود للأشياء الجزئية .

§ ١١ — كما يقوله برمينيد — هذا البيت قد ذكره أرسطو بجزئه في الطبيعة ك ٣ ب ٩ ف ٤ ص ١٢٦ من ترجمتنا ر . أيضا مقطوعات برمينيد البيتين ١٠٣ و ١٠٤ طبة فيرمين ديدو . — ابتداء من المركز — أو "من مركه" هذا هو تعريف الفلك كما تعطيه الهندسة . — من غير أن يكون ذلك بالإضافة الى شيء ما — الظاهر على ضد ذلك أن معنى الحد يستتبع ضرورة معنى الاضافة . — حد إضافي — أو بالإضافة الى شيء ما . — وملامسة شيئا ما — هذا هو معنى المتناهي بعينه . — وليست كذلك بالإضافة الى شيء ما — كان ينبغي أن يذكر المؤلف هذه الأشياء على نحو أضبط من هذا .

§ ١٢ — ومن جهة نظر أخرى القول بأن الموجود والأحد ليسا لا متحركين ولا يتحركان مع ذلك بحجة أن الالاموجود لا يتحرك إنما هو قول من الغرابة بمكان ما سبقه على الأقل . إنه لا تماثل قطعا ، كما قد يمكن أن يظن ، بين أن يقال إن شيئا لا يتحرك وبين أن يقال إنه لا متحرك . فمن جهة إنما هذا هو سلب للحركة على جهة ما يقال على شيء إنه لا يكون مساويا ، وهذا يمكن أن يصدق حتى على الالاموجود ، في حين أنه من جهة أخرى يقال على شيء إنه لا متحرك لأنه فعلا على حال ما ، كما أنه يقال على شيء إنه لا مساو ؛ فهنا السكون هو ضد الحركة كما أن على العموم جميع السلوب المكونة من همزة الإزالة تنطبق على أضداد . حق أن يقال على الالاموجود إنه لا يتحرك ولكنه ليس حقا أن يقال على الالاموجود إنه في سكون . كما أنه لا ينبغي أن يقال إنه لا متحرك وهذا ماله المدلول بعينه . ولكن إكسينوفان يستعمل في حق الالاموجود لفظ السكون ويقول إن الالاموجود هو في سكون لأنه لا ثقلة له .

§ ١٢ — ليسا لا متحركين ولا يتحركان مع ذلك — ر . ماسبق ب ٣ ف ٧ وربما كان يلزم وضع صيغة المفرد موضع صيغة المتني فان الموجود والواحد متحدان كلاهما . — إن شيئا لا يتحرك وبين أن يقال إنه لا متحرك — في اللغة العادية لا فرق بين هذين التعبيرين . ولكنه يمكن أيضا تمييزهما كما قد كان ها هنا . فتي يقال على شيء إنه لا يتحرك فذلك بأن في طبيعته إمكان التحرك ومتى يقال على ضد ذلك : إنه لا متحرك فذلك بما أنه ممنوع الحركة على الإطلاق . — وهذا يمكن أن يصدق حتى على الالاموجود — ولو أن الالاموجود بكونه لا شيئا يمكن أن يوصف بكل كيف أو أن يسلب كل كيف على السواء . — لأنه فعلا على حال ما — العبارة مهمة ولم أشأ أن أحررها . — كما أن على العموم جميع السلوب المكونة — ربما لم يكن هذا إلا تديلا أضافه بعض المفسرين . — إنه لا يتحرك — يعني أنه دائما ينبغي أن يتكلم على الالاموجود بالصيغة السلبية . ومتى يقال على الضد من ذلك ” موجود ساكن “ و ” موجود لا متحرك “ فلكم إيجابات لا يحتملها الالاموجود . وكل ذلك غامض دقيق . — وهذا ماله المدلول بعينه — باعتبار أن لا فرق إلا في شكل العبارة بعض الشيء . — إكسينوفان — عبارة النص هي ” هذا “ ر . ب ٣ ف ا ب ا ف .

§ ١٣ — وكما قلنا آنفا قد يكون من الخطأ الجزم — لا لشيء سوى أن مجولا يصلح حمله على المعدوم — بأن هذا القول لا يكون صالحا بعدُ للحمل على الموجود خصوصا اذا كانت الكلمة التي تستعمل لذلك ليست إلا سلبا نحو قولهم : لا يتحرك ولا ينتقل ؛ فاني أكرر أن كثيرا من المحمولات ما يجوز حمله أيضا على الموجودات لأنه يوجد اشياء كثيرة لا يصدق عليها القول بأنها ليست آحادا بحجة أن المعدوم ليس واحدا . ثم إنه يوجد أشياء فيها السلوب بعينها تنتج الأضداد فيما يظهر . فمثلا من الضروري أن يوجد إما مساواة وإما لا مساواة ما دام هناك كم ؛ وأنه كذلك يوجد إما زوج وإما فرد ما دام هناك عدد . وكذلك أيضا يلزم أن يوجد إما حركة وإما سكون ما دام هناك جسم .

§ ١٤ — غير أنه اذا قيل إن الله والأحد لا يتحرك البتة لأن الأشياء المتكثرة تتحرك بعضها نحو البعض الآخر، فما الذي يمنع أيضا أن الله يتحرك بأن يسعى نحو شيء آخر؟ هذا قطعاً ليس لأنه ليس إلا الله بل لأنه لا واحد أحد إلا الله . واذا لم

§ ١٣ — وكما قلنا آنفا — ر . ما سبق ف ٨ و ف ١٢ . — ليست إلا سلبا — سلبا له بالنتيجة علاقة باللاموجود أكثر منها بالموجود . — أكرر — ر . ما سبق ف ٧ و ٨ . — أيضا على الموجودات — التي يمكن حملها على اللاموجود . — ليست آحادا — أى لا تكون وحدة . وكل الأشياء الشخصية هي في هذه الحالة . — تنتج الأضداد فيما يظهر — قد كان ينبغي أن يقال : « الأضداد أعيانها » كما يظهر أن ذلك ينتج من الأمثلة المضروبة . — إما حركة وإما سكون — هذه النتيجة ليست أقل ضرورة من الاثنتين الأخرين . غير أن المقابلة الصريحة لا توجد إلا في المثل الأول حيث المساواة واللامساواة معبر عنها بكلمتين أصلهما واحد ولا تختلفان إلا بالسلب وفي المثل الثاني والثالث الكلمات مختلفة ولها جميعا صورة الإيجاب ولم أستطع في لغتنا "الفرنسية" أن أحصل هذه الفروق مع شدة رغبتي فيها .

§ ١٤ — لا يتحرك البتة — قد حفظت صيغة المفرد لأن الله والأحد متحدان . — بأن يسعى نحو شيء آخر — قد حافظت على تردد النص ولكن الفكرة ليست صحيحة لأن الله بأنه في كل مكان لا يمكن أن يتحرك كالموجودات الجزئية نحو مكان لم يكن فيه . — ليس إلا الله — الفكرة تبقى غامضة كالعبارة خصوصا متى اذكر أن إكسينوفان فيما سبق قد جعل الله على كل شيء قديرا .

يتحرك هو ذاته فما المانع أن أجزاء الله بتحركها بعضها نحو بعض أن يكون الله هو أيضا له حركة دائرية ؟ .

§ ١٥ — لكن على هذا لا يكون بعدُ واحدا كما يعنى زينون إنما هو متعدّد كما قد نبه إليه ؛ لأن زينون يقرّر أن الله جسم سواء جعله هو الكل الذى نرى أو سماه باسم آخر . وإذا كان الله لا جسمانيا فكيف يكون فى الواقع فليكا ؟ ويلزم أن يكون لا جسمانيا أعنى لم يكن أصلا لكي لا يكون له حركة ولا سكون . وإذا كان جسما فما المانع أن يتحرك كما قد قيل ؟ .

— أجزاء الله — هذا فيما يظهر إدماج الله والعالم كما قد اتهم به إكسينوفان . — له حركة دائرية — باعتبار أن الحركة الدائرية هى وحدها التى يمكن أن تكون لامتناهية وأزلية . ر . الطبيعة ك ٨ ب ١٢ ص ٥٢٩ من ترجمتنا .

§ ١٥ — زينون — إن ذكر زينون بالصراحة يبيّن الاعتقاد ، فيما يظهر ، بأن هذه الرسالة يجب أن يكون لها جزء رابع فيه الكلام على زينون كما أن الكلام فى الثلاثة الأخر على ميليسوس وإكسينوفان وغرغياس ر . ما سبق فى التحقيق . — إنما هو متعدّد — الترجمة الحرفية للنص هى ” كثير من الأشياء ” . — الذى نرى — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — يكون فى الواقع فليكا — كما فيما سبق ف ١١ فى بيت پرمينيد . — أن يكون لا جسمانيا — هذا هو بالضبط ما يؤيده أرسطو فى الباب الأخير من الطبيعة ف ٢٦ ص ٥٦٩ من ترجمتنا . — كما قد قيل — أو ” كما قد قلت آنفا ” .

مذاهب غرغياس

الباب الخامس

النظريات الثلاث الأصلية لفرغياس : على الوجود وعلى امتناع العلم وعلى نقل العلم — على النظرية الأولى يجمع غرغياس بين الآراء السابقة — ميليسوس وزينون — بسط مذهب غرغياس في امتناع الوجود والمعدوم على السواء .

§ ١ — هو يقرر أن لا شيء بموجود حقيقة، وأنه إن يوجد من شيء فهذا الشيء يبقى مجهولاً عندنا، وأنه إن يوجد شيء ويمكن لأمرئ العلم به فإنه لا يمكن التعبير عنه للأغيار .

§ ٢ — فيما يتعلق بهذا القول الأول الذي هو أن لا شيء بموجود حقيقة يؤلف غرغياس بين نظريات فلاسفة آخرين، إذ يقررون أفكاراً متناقضة في أمر الحقيقة كما تظهر لنا . اعتقدوا : هؤلاء أنه لا شيء إلا الوحدة وأن الكثرة ممتنعة؛ وأولئك ، على ضد ذلك ، أن الكثرة وحدها هي الحقيقية وأن الوحدة ليست حقيقية . ذلك بأن بعضهم يرون الأشياء غير مخلوقة والآخرين يرونها مخلوقة .

§ ١ — هو يقرر — ر . ما سبق ب ١ ف ١ وب ٣ ف ١ . غرغياس ليس مذكورا هنا وشأنه في ذلك شأن ميليسوس وإكسينوفان . ولكن بخطوطة لسيج عنوان هذا الجزء من الكتاب : ”في أرسطوطاليس على غرغياس“ ولا يمكن أن يكون هاهنا أقل شك في أمر الفيلسوف الذي يخصه هذا التحليل . ر . التحقيق السابق . — لا شيء بموجود حقيقة — ر . فيما سبق ب ١ ما يتعلق بميليسوس وفيما بعد تحليل سكستوس أمبيريكوس للمذهب غرغياس .

§ ٢ — غرغياس — في هذه الفقرة أيضا لم يسم غرغياس وليس بها إلا فعل مستند الى ضمير الغائب .

— كما تظهر لنا — أو ”كما تظهر لهم“ . — يرونها مخلوقة — ر . كتاب السماء ك ١ ب ١٠ ص ٨٣

من ترجمتنا .

§ ٣ — يؤلف غرغياس بين هذين الرأيين ليدلل هكذا : ” يقول إنه يلزم ضرورة إن كان شيء موجودا أن يكون هذا الشيء لا واحدا ولا كثرة ، وأن تكون الأشياء لا غير مخلوقة ولا مخلوقة . وحينئذ لا شيء بوجود . وإذا كان في الواقع شيء فيلزم أن يكون إما أحدهما وإما الآخر . فإما أنه لا وحدة ولا كثرة وأن الأشياء ليست لا مخلوقة ولا غير مخلوقة فإنه يحاول إيضاح ذلك إما كميليسوس وإما كزينيون بعد برهانه الخاص به إذ يثبت على طريقته أن الموجود واللا موجود لا يوجدان لا أحدهما ولا الآخر . § ٤ — فعنده أنه إذا كان ممكنا أن اللاموجود يكون اللاموجود فيكون اللاموجود ليس بأقل وجودا من الموجود . لأن هذا اللاموجود يكون اللاموجود، كما أن الموجود يكون الموجود؛ بحيث إنه لا يمكن أن يقال على الأشياء إنها تكون بأقوى من أن يقال عليها إنها لا تكون . § ٥ — يقول غرغياس : ” إذا كان اللاموجود موجودا فمن ثم لا يكون الموجود بعدُ مقابله لأنه إذا اللاموجود يكون فيلزم أن الموجود لا يكون . وبالنتيجة أنه لا شيء بوجود؛

§ ٣ — يؤلف غرغياس — كذلك هنا لم يسم غرغياس . — يقول ... لا واحدا ولا كثرة — ر . ماسيلي . تحليل سكتوس أمبير يكوس في أوله . — أن يكون إما أحدهما وإما الآخر — قدحفظت عبارة النص في ترددها كله . وبعبارة أخرى ” يلزم أن يكون ما كان إما واحدا وأكثره . و يلزم أن يكون إما مخلوقا وإما لا مخلوقا “ . — إما كميليسوس وإما كزينيون — من هذه الفقرة التي قد ذكر فيها ميليسوس وزينيون بالاسم يمكن استنتاج هاتين النتيجةين : أولا أن الجزء الأول من هذا الكتاب يتعلق تماما بميليسوس ، وثانيا أن هذا الكتاب ناقص منه جزء كان فيه تحليل آراء زينيون كما حالت آراء ميليسوس وإكسينوفان وغرغياس . ر . التحقيق . — أن الموجود واللاموجود — عبارة النص حرفيا هي ” أن الموجود واللاموجود لا يكونان “ .

§ ٤ — أن اللاموجود يكون اللاموجود — كل السفسطة تعتمد على فعل ” الكون “ مستندا الى اللاموجود . ومادام أنه يقال على اللاموجود إنه كائن فيمكن أن يستنتج منه أنه هو الموجود سيان . وتلك هي دقائق غير جدية . وقد أحسن أفلاطون وسقراط في أنهما سخرا بهذه السفسطة . — أن يقال على — ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

§ ٥ — يقول غرغياس — ليس في النص إلا أن الفعل مستند الى ضمير الغائب ولم يسم غرغياس ولكنى اضطرت لإظهاره لبيان الفكرة في الترجمة . — مقابله — لفظة المقابلة أعم من التضاد . ر .

إلا أن يكون الموجود واللاموجود شيئا واحدا بعينه . ولكن إنما هما في الواقع شيء واحد ومن ثم لا يوجد شيء . لأن اللاموجود ليس يكون، فالوجود ليس يكون كذلك مادام أنه مماثل للاموجود“. هذا هو تدليل غرغياس حرفا بحرف .

المقولات ب ١٠ ص ١٠٩ من ترجمتنا . — شيئا واحدا بعينه — ويظن غرغياس أنه قد برهن على أنهما مماثلان . — ومن ثم لا يوجد شيء . — قد يمكن أيضا أن يستنتج منه أن الكل موجود الموجود واللاموجود على السواء . وتكون هذه النتيجة صحيحة كالأخرى . — حرفا بحرف — أضفت هذا القيد لأحصل قوة النص الإغريقي .

الباب السادس

نقض نظرية غرغياس الأولى — شاهد من ميليسوس وزينون — الموجود واللاموجود لا يشتهان .
والحركة هي ممكنة — شاهد من مقالات لوكيس — نقض نظرية غرغياس الثانية على امتناع العلم . ونقض
النظرية الثالثة على امتناع نقل العلم بعد كسبه — إيدان بأن نظريات الفلاسفة القدماء ستدرس بعد دراسة
خاصة .

§ ١ — لا ينتج البتة من أدلة غرغياس أن لا شيء يوجد . لأنك ترى
كيف يدل على الأشياء التي يحاول إثباتها . إذا كان اللاموجود يوجد أو بعبارة أعم
لو أن اللاشيء يوجد فال موجود هو كذلك اللاموجود على السواء .

§ ٢ — ولكن لا يظهر البتة أن الأمر هكذا ولا أن هناك أدنى ضرورة لأن
يوجد اللاموجود . كما يكون الحال في شيئين أحدهما يكون حقيقة والآخر لا يزيد
على أن يظهر . فيلزم بالضرورة أن يكون أحدهما حقا والآخر ليس كذلك . كذلك
من أن اللاموجود لا يوجد لا ينتج أن الاثنين أو أحدهما يجب أن يكونا أو ألا
يكونا . يقول غرغياس : لأن اللاموجود ليس بأقل وجودا من الموجود اذا كان
"ليس يكون" هو أيضا شيئا ما . لذلك لا يقال البتة إن اللاموجود يكون البتة بأى "

§ ١ — أدلة غرغياس — هنا أيضا ليس غرغياس مسمى . وليس في النص كما قد سبق الأفعال
مسند الى ضمير الغائب . — يحاول إثباتها — عبارة النص بالضبط : " التي يبرهن عليها " . وقد ظهر
لي أن أسلوب عبارتي أفضل . — لو أن اللاشيء يوجد — هذه عبارة النص نفسها وربما كان
الأحسن أن يقال " اذا لم يوجد شيء " . — فال موجود هو كذلك اللاموجود على السواء — يعني أن
الموجود هو اللاموجود كما هو الموجود على السواء .

§ ٢ — أدنى ضرورة — أدنى ضرورة للبرهان الذي يلجئ الى الاستنتاج الموجه بلجهة أو لأخرى .
— لا يزيد على أن يظهر — عبارة النص هي فقط " يظهر " . — من أن اللاموجود لا يوجد —
عبارة النص ليست على هذا القدر من الصراحة . — يقول غرغياس — اسم غرغياس ليس مذكورا . — اذا
كان " ليس يكون " هو أيضا شيئا ما — التناقض بين بيانا حتى في الألفاظ ولكن السفسطائي ما كان لينظر
في الأمر عن كذب هكذا . — لا يقال البتة — لا أحد إلا السفسطائيين كغرغياس والآخرين يعني

وجه كان . فاذا كان الالموجود هو في حالة الالموجود فحينئذ لا يكون الالموجود على النحو الذى يكون عليه الموجود لأنه ليس إلا في حالة الالموجود بخلاف الموجود فإنه موجود فعلا .

§ ٣ — إذا كان حقا أن الالموجود قد وجد بطريقة مطلقة فيكون على الأقل عجيبا أن يقال إن الالموجود موجود . ولكن إذا كان هذا هكذا بالمصادفة فكيف إذاً يكون الحال أبدا بالنسبة للأشياء التى يرجح فى أمرها أن تكون على ألا تكون ؟ لأنه يظهر أن النقيض نفسه قد يمكن أن يكون حقيقيا أيضا .

§ ٤ — اذا كان الالموجود يكون وكان الموجود يكون أيضا ، إذا فالكل موجود ما دام أن كل ما هو موجود وكل ما ليس بموجود كلاهما كائن من غير فرق ، وأنه ليس من الضروري البتة إذا كان الموجود كائنا أن يكون الموجود غير كائن . عينا يقال إن الالموجود يكون والموجود لا يكون فإن ذلك لم يؤثر شيئا فى أن جميع الأشياء موجودة مادام أننا لو صدقنا ذلك القول لأصبحت الأشياء التى لا تكون كائنة .

البتة بأن يؤتى الالموجود أقل حقيقة ولا أدنى وجود . — فى حالة الالموجود — إنما يدور الإبهام على صيغة المصدر مادام أن الالموجود هو الالموجود فانه موجود فى الحقيقة كالوجود سواء بسواء . — على النحو الذى يكون عليه الموجود — الجواب ليس قاطعا .

§ ٣ — قد وجد بطريقة مطلقة — أى على حد سواء هو والموجود ذاته . — عجيبا — ربما كان فى الأسلوب الإغريق نوع من التهم يناسب فى الواقع كل المناسبة الرد على هذه الدقائق . — فى أمرها أن تكون على ألا تكون — هذا بين بذاته ولكن غرغياس إذا ينال الظفر وقد استنتج منه أن لاشئ بموجود . فالدليل حينئذ مزدوج للغاية فانه يمكن أن يستنتج منه الوجود كما يستنتج منه الالموجود سواء بسواء . — النقيض نفسه — يعنى ” نقيض ما يقال هو أيضا حقيقى كالدلى يقال “ .

§ ٤ — الالموجود يكون — كما يزعم غرغياس . — كلاهما كائن — احتفظت بعبارة النص إن لم تكن قطعية فإن الالموجود حقيقة كالوجود فان السلب صادق كالإيجاب سواء بسواء . — من غير فرق — أضافت هذه العبارة التى تؤخذ من أسلوب النص . — ليس من الضروري البتة — من حيث إن فى نظريات غرغياس ، المتناقضات صادقة على السواء ، وأن الأمر وضده يمكن إقامة الدليل عليهما أحدهما كالأخر . — لو صدقنا ذلك القول — عبارة النص هى ” على حسب تدليل هذا “ يعنى غرغياس .

§ ٥ — ولكن إذا كان "يكون ولا يكون" شيئا واحدا فن ثم لا يمكن أن يقال بعدُ على شيء إنه يكون كما لا يمكن كذلك أن يقال عليه إنه لا يكون . لأنه كما أن غرغياس يقرّر أنه إذا كان الالموجود والموجود هما شيئا واحدا، فالموجود ليس يكون بأشدّ وجودا من الالموجود بحيث ينتج أن لا شيء بموجود . كذلك يمكن أن يؤيد العكس أن الكل موجود لأنه لما أن الالموجود هو كالموجود تماما فيستنتج منه أن الكل موجود بالحقيقة .

§ ٦ — بعد هذا الدليل هو يقيم دليلا آخريقول : إن يوجد من شيء فإما أن يكون هذا الشيء لالمخلوقا وإما أن يكون لمخلوقا . فاذا كان لا لمخلوقا فهو لامتناه ، على ما يفترض غرغياس بحسب مبادئ ميليسوس . ولكن اللامتناهى ليس في مكان ما ، ما دام أنه ليس في نفسه ولا في غيره ، وحينئذ يكون إذا لا متناهيان أوعدة لامتناهيات هذا الذى فى الآخروذلك الذى الآخرفيه . ولما لم يكن في مكان ما فهو لا شيء ، على حسب أدلة زينون على حيز الموجودات . وبهذه الأدلة يستنتج غرغياس أن الموجود لا مخلوق .

§ ٥ — شيئا واحدا — يعنى فى النظرية التى يعنى المؤلف بإبطالها . — أن يقال بعد — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — كما أن غرغياس يقرّر — عبارة النص هى " هذا " . — إذا كان الالموجود والموجود هما شيئا واحدا بعينه — هذا هو أساس سفسطة غرغياس . — أن لا شيء بموجود — وبعبارة أخرى أن لا شيء موجود لا صادقا ولا كاذبا . — العكس — أو بعبارة أخرى " بعكس القضية " — أن الكل موجود بالحقيقة — النص ليس على هذا القدر من السعة . ر . ماسيل فى تحليل سكستوس أمبيريكوس .

§ ٦ — على ما يفترض غرغياس — كذلك ها هنا ليس غرغياس مذكورا بالاسم . — ميليسوس — ميليسوس مذكور بالاسم صراحة ر . ما سبق ب ٥ ف ٣ والتحقق السابق . — ولكن اللامتناهى ليس فى محل ما — وبما هو ليس فى مكان فيستنتج منه أنه ليس موجودا البتة كما سيذكر فيما سيلي . — زينون — ر . ما سبق ب ٥ ف ٣ . — على حيز الموجودات — زدت المضاف إليه الأخير . راجع فيما يتعلق بنظرية زينون الطبيعة لأرسطوك ٤ ب ٣ ف ٦ ص ١٤٦ من ترجمتنا وب ٥ ف ١٠ ص ١٦١ . — يستنتج غرغياس — ليس غرغياس مذكورا بالاسم والنص ليس على هذا القدر من البيان . ر . ماسيل فى تحليل سكستوس أمبيريكوس حيث هذا التدليل على بسطة من البيان .

§ ٧ — ولكن الموجود لا يمكن كذلك أن يكون قد خلق . فانه لا يمكن في الواقع أن يكون قد نرج من الموجود ولا من المعدوم . لأنه إذا كان الموجود يسقط وهو مخلوق فلم يكن إذاً الموجود، كما أن اللاموجود لا يكون بعد اللاموجود من وقت أن يصير شيئاً ما . ومن جهة أخرى الموجود لا يمكن أيضاً أن يأتي من اللاموجود ؛ لأنه إذا كان اللاموجود لا يكون فممتنع من ثم أن أيّاً كان يتولد من لا شيء . وإذا كان بالمصادفة اللاموجود يوجد فإن الأسباب التي تجعل الموجود لا تأتي من الموجود هي عنها تجعله لا يأتي أيضاً من اللاموجود الذي هو كائن .

§ ٨ — فإذا كان حينئذ من الضروري، ما دام أن شيئاً ما موجود، أن هذا الشيء يكون لا مخلوقاً أو مخلوقاً وأن كلا الأمرين ممتنع، فينتج منه أنه ممتنع أيضاً أن يوجد أي شيء ما .

§ ٩ — يقول غرغياس : زد على هذا أنه إذا شيء يوجد فيلزم أن يكون هذا الشيء واحداً أو أكثره . فإذا لم يكن لا واحداً ولا أكثره فينتج منه ألا يوجد شيء . ذلك الشيء لا يمكن أن يكون واحداً، لأن "الواحد" يجب أن يكون لا جسمانياً

§ ٧ — لا يمكن كذلك أن يكون قد خلق — أو "أنه قد صار" هذا هو الجزء الثاني من تدليل غرغياس . — فانه لا يمكن في الواقع — على حسب تدليل غرغياس . — يسقط — هذه هي عبارة النص بعينها ، فإن الموجود ليصير يجب أن يفقد كرامة الوجود وينتدى في ألا يكون بعد ليصير شيئاً ما . — اللاموجود لا يكون بعد اللاموجود — ولكن يظهر ها هنا أن اللاموجود عوضاً عن أن يسقط فهو يسمو بوجه ما ليصير شيئاً ما . وتلك دقائق لفظية . — أيّا كان يتولد من لا شيء . — هذا هو مبدأ ميليسوس ر . ب ١ ف ١ — بالمصادفة — أضفت هذه الكلمة .

§ ٨ — لا مخلوقاً أو مخلوقاً — ر . ما سبق ف ٦ وقد اضطرت الى استعمال لا مخلوق ومخلوق لأن لم أجد خيراً منهما في لغتنا (الفرنسية) ولكنهما لا تحصلان بالضبط معنى الكلمات اليونانية . فان شيئاً إذا صار فذلك بأنه ليس أزلياً وبالأقل من جهة أن يصير وأن يتغير بالنتيجة . فإذا كان على الضد أزلياً فما كان ليصير بل يبق هو ما هو . — ممتنع ... ممتنع — هذا التكرير هو في النص . ر . فإسبيلي هذا التدليل مبسوطاً أكثر من ذلك في تحليل سكستوس أمبيريكوس .

§ ٩ — يقول غرغياس — النص لا يذكر غرغياس بالاسم وليس به إلا فعل مسند الى ضمير

واللاجسماني هو لا شيء ، كما يقول غريغاس متبعا في ذلك رأيا يقرب كثيرا من رأى زينون . وبما أن الموجود لا واحد ، فإنه ليس أيضا كثرة من باب أولى . ولكن الموجود بما هو لا واحد ولا كثرة فهو غير موجود البتة . وبالنتيجة يقول غريغاس أيضا : إذا كان كذلك فما هو إلا لا شيء . وفي الواقع اذا لم يكن لا واحدا ولا كثرة فانما هو ليس أيا كان .

§ ١٠ — يزيد على ذلك : لكن لا شيء ليس في حركة ؛ لأنه إذا كان الموجود في حركة فلا يكون بعدُ هو ما هو . وحينئذ الموجود لا يكون بعدُ واللاموجود يصير شيئا . وفوق ذلك بما أن الموجود يتحرك وينقطع عن أن يكون متصلا بانتقاله فعلى هذا المعنى هو لا يكون بعدُ . وبالنتيجة إذا كان متحركا في جميع أجزائه فهو منقسم في جميعها على الإطلاق ، وإذا كان هكذا فليس موجودا البتة . وفي هذا الصدد يقول غريغاس : إن الموجود هو ناقص من جهة ما هو منقسم — وهو يتكلم على التجربة عوضا عن أن يتكلم على الخلو كما كتبه لوكيس فيما يسمى بمقالاته .

الغائب . ر . فيما يتعلق بهذا الدليل الجديد تحليل سكتوس أمبيريكوس . — يقول غريغاس — ليس في النص اسم غريغاس . — رأى زينون — ر . ما سبق آنفا ف ٦ ب ٥ ف ٣ . — يقول غريغاس أيضا — لم يسم هنا أيضا .

§ ١٠ — لا شيء ليس في حركة — هذا الجزء من تدليل غريغاس ليس موجودا في تحليل سكتوس أمبيريكوس . وربما كانت هذه الأدلة ضد الحركة متعلقة بزينون أكثر من تعلقها بغريغاس . ولكن لا شيء في النص يدل على أنه يلزم نسبتها هنا الى زينون . — فلا يكون بعدُ هو ما هو — لأن الحركة تقتضى دائما تغيرا . — وحينئذ الموجود لا يكون بعد — اذا كان الموجود لا ينعدم بلكه فبالأقل يفقد منه جزء ويكون هو الذي يصير غير ما كان . — وينقطع عن أن يكون متصلا — لا يرى لأى شيء يمكن أن يكون هذا لازما فإن الموجود يمكن ألا يفقد شيئا من اتصاله بنقلته . — في جميع أجزائه — عبارة النص ليست بيته جثة البيان . — يقول غريغاس — ليس في النص هنا أيضا اسم غريغاس . — لوكيس فيما يسمى بمقالاته — يظهر أن المؤلف ، كما نبه اليه ملاحظ ليس هنا واثقا من كتاب لوكيس . ر . قطع ديمقريطس للملاخ ص ٣٧٤ ، بقول ديوجين الايرثي ب ٩ ف ٦ ٤ طبعة فيرمين — ديديوس ٢٣٨ إن تيوفراسط كان ينسب إلى لوكيس كتابا معنونا ” نظام العالم الكبير “ الذي كان المعتقد دائما أنه لدييمقريطس . ر . أيضا فيما سبق آراء لوكيس على الخلو في كتاب الكون والفساد ك ١ ب ٨ ف ٥ ص ٨٩ . وقد يظهر جليا على حسب هذه الفقرة الأخيرة أن لوكيس كان قد كتب بعض مؤلفات يظهر أن المؤلف قد استخلص منها ما يقوله هنا .

§ ١١ — يظن غرغياس أنه في هذا قد وثق البيان حقه . يقول : إذا ثبت حينئذ أن لا شيء فالكل حينئذ يعزب عن علمنا . فلم يبق بعد من ثم إلا ما يتصور . واللاموجود ما دام أنه غير كائن فلا يمكن البتة تصوره . ومتى كان هذا كان من المحال ، على رأى غرغياس ، ألا يكون هناك شيء باطل بل لا يكون خطأ أن يقال مثلا : إن "العربات تدرج على أمواج البحر" لأن كل هذا حق كما أن تقيضه حق . § ١٢ — ولكن كيف توجد الأشياء التي ترى أو التي تسمع بهذا السبب وحده وهو أن يتصور كل واحد منها ؟ فإذا لم يكن ذلك هو السبب الذي يجعلها تكون ، وإذا كانت الأشياء التي نتصورها لا توجد من أجل ذلك أيضا ، فهل للأشياء التي نشاهدها وجود أدخل في باب الحقيقة والفعل من الأشياء التي نتصورها ؟ § ١٣ — في الواقع ، كما أنه ممكن جدا أن كثيرا من الناس يشاهد الأشياء فكذلك من جهة أخرى كثير من الناس يتصورها أيضا . فالأشياء الذهنية هي إذاً على الاطلاق مثل الأشياء الخارجية . ولكنه لا يدري أى الفريقين هو الحقيقي . وبالنتيجة إن يوجد من شيء فمن المحال أن تكون الأشياء معلومة لنا .

§ ١١ — غرغياس — ليس غرغياس مذكورا هنا أيضا بالاسم . — فالكل حينئذ يعزب عن علمنا — هذه هي النظرية الثانية لغرغياس . ر . ماسبق ب ٥ ف ١ وتحليل سكتوس أمبير يكوس . — فلم يبق بعد من ثم — ليس النص على هذا القدر من البيان . — فلا يمكن البتة تصوره — وغرغياس مع ذلك يتصور اللاموجود مادام أنه يتكلم عنه . وكل هذا مبسوط في تحليل سكتوس أمبير يكوس . — على رأى غرغياس — كذلك لم يسم هنا . — العربات تدرج على أمواج البحر — ر . فيما سيلي تحليل سكتوس أمبير يكوس حيث هذا المثل مذكور ومضاف إلى مثل غيره .

§ ١٢ — ولكن كيف — قد احتفظت بصيغة النص . ولكن من البين أن الجملة هنا غاية في الإيجاز وأن الفكرة ليست مبسطة البسط الكافي . وتحليل سكتوس أفضل في هذا الوطن . — لا توجد من أجل ذلك أيضا — لأننا نبصرها وفي هذا مجازة باللا أدريّة إلى مدى بعيد . ولكن تلك كانت هي عادة السفسطانيين إذ يلزمهم أن يقتحموا الذوق العام .

§ ١٣ — هي إذاً على الاطلاق مثل الأشياء الخارجية — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . والتعبير الإغريقي أعم ولكن المعنى بين الجلاء . — ولكنه لا يدري — تلك سفسطة محضة لأنه في هذا الخصوص ، اللا أدري لا يتردد أكثر من العامى ويعتقد حقيقة إدراكه . — وبالنتيجة — النتيجة ليست لازمة . وفي تحليل سكتوس هذا الدليل أقوى وأتمن دون أن يكون بالغا حد القوة .

§ ١٤ — يقول غرغياس : حتى مع التسليم بأنها معلومة لنا فهل يمكننا أن ننقل التعبير عنها إلى الغير؟ كيف يمكن الإنسان أن يعلم غيره بطريق الكلام ما قد شاهده هو بالنظر؟ وكيف يمكن الإنسان لمجرد سماعه شيئا أن يفهمه جليا إذا لم يكن قد رآه؟ وفي الواقع كما أن النظر لا يدرك الأصوات كذلك السمع لا يسمع الألوان ولا يسمع إلا الأصوات؛ فالذي يتكلم يتكلم كلاما ولا يتكلم لونا ولا أى شىء آخر أيا كان. § ١٥ — لكن كيف يمكن أن يلتمس المرء في كلام الغير شيئا لم يكن هو نفسه قد تصوره؟ هل يتفق بالمصادفة أن توجد دلالة أخرى، تعطيك فكرة الشىء إن لم يكن لونه حينما يرى وصوته حينما يسمع؟ لأن المبدأ هاهنا على رأى غرغياس ليس هو لا الصوت ولا اللون بل هو مجزء الكلام. فلا يفكر الإنسان لونا بل يراه ولا يفكر صوتا بل يسمعه.

§ ١٦ — لنفترض، إذا شئت، أن ذلك ممكن وأن الذى يتكلم يعلم الشىء وعند الحاجة يمكنه أن يعرفه فكيف أن الذى يسمع الكلام يكون موقنا بأنه يفهم الشىء بعينه على هذا النحو؟ لأنه ليس ممكنا أن يكون الشىء بعينه فى آن واحد فى كائنات عدّة

§ ١٤ — حتى مع التسليم — مناقشة النقطة الثالثة . ر . ما سبق ب ٥ ف ١ ، وتحليل سكستوس أميريكوس . — يقول غرغياس — ليس فى النص إلا فعل مسند إلى ضمير الغائب . — لا يدرك الأصوات — قد كان الأحسن أن يقال : « لا يرى الأصوات » ولكنى اتبعت النص الذى يتخذ تعبيرا عاما كالذى اتخذته . — فالذى يتكلم يتكلم كلاما — هذا التكرير فى النص .

§ ١٥ — أن يلتمس — هذه هى عبارة النص بعينها . — بالمصادفة — أضفت هذه الكلمة لبيان الفكرة . — دلالة أخرى — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — على رأى غرغياس — ليس غرغياس مذكورا بالاسم هنا . وأن المعنى الذى أخترته فى ترجمتى هو الأحسن فيما يظهر لى . ولكن يمكن أن تفهم هذه النقطة على وجه آخر : « الذى يتكلم لا يتكلم لا الصوت ولا اللون إنه لا يتكلم إلا الكلام » ولا يكون هذا إلا تكريرا لما قيل آتفا ، وهذا هو الذى حملنى على اتخاذ المعنى الذى اخترته .

§ ١٦ — وعند الحاجة — أضفت هذه العبارة . — أن يعرفه — « أن يقرأه » متى كان مكتوبا . — يكون موقنا — عبارة النص « يفهمه » . — أن يكون الشىء بعينه فى آن واحد — هذا يقتضى أن يكون الشىء حقيقيا فى الذهن كما هو فى الخارج وهذا ما قد ذكر فيما سبق . وعلى حسب هذه النظرية يمكن

وفي كائنات منفصلة لأنه حينئذ يكون الشيء الواحد عدّة . يقول غرغياس : ولكن شيئا واحدا ولو كان في آن واحد في عدّة أذهان وكان فيها هو بعينه فلا شيء يمنع أنه يظهر متماثلا عند جميع الأشخاص الذين هم أنفسهم ليسوا متماثلين في الظاهر والذين هم ليسوا على استعداد واحد بعينه . § ١٧ — لنسلم أيضا أنهم في استعداد واحد أفلا يكونون إذا اثنين بالأقل أو عدّة؟ ولكن الشخص بعينه ليس له في الوقت الواحد إحساسات متشابهة فإن سمعه وبصره يعطيانه إحساسات مختلفة ، والإحساسات التي به في الحال هي مغايرة لإحساسات سابقة . فباطل إذا أن تظن أن غيرك يمكن أن يكون له إدراكات شبيهة بإدراكاتك في أي شيء كان . § ١٨ — على هذا لا يمكن العلم بشيء ما مع التسليم بوجود شيء ما . خصوصا أنه لا يمكن البتة للإنسان أن يعلم غيره ما يعلم هو ؛ لأن الأشياء ليست أقوالا وأنه لا شخص يمكنه البتة أن يفهم بالضبط ما يفهمه شخص آخر .

§ ١٩ — كل هذه المسائل المحيرة قد أثارها فلاسفة آخرون أقدم عهدا . وسندرس هذه النظريات عند البحث الذي سنعقده لمذاهبهم المختلفة .

أن يقال على الشيء إنه محال لا شيء . إلا لأنه معا في عدة أحياز أو موجودات . ومع ذلك ففي الفكرة شطط . — الشيء الواحد — عبارة النص «الواحد» . — يقول غرغياس — لم يذكر في النص اسمه . — في الظاهر — زدت هذه العبارة . — على استعداد واحد بعينه — عبارة النص غير محدّدة . § ١٧ — أفلا يكونون إذا اثنين — ليس المعنى بنا وقد حاولت أن أبينه باضافة كلمة "بالأقل" . ومع ذلك يظهر لي أنه يمكن قبول سلسلة هذه المعاني التي هي مؤلفة النتائج بعضها مع بعض . — في الوقت الواحد — عبارة النص هي كالعبارة المذكورة في الفقرة السابقة ولكنه يكلمها بأن أضاف إليها كلمة الوقت التي ربما يلزم أن تكون مقدّرة في الفقرة السابقة .

§ ١٨ — على هذا لا يمكن العلم بشيء ما — ملخص نظرية غرغياس . ر . ما سبق ب ه ف ١ . — مع التسليم بوجود شيء ما — النقطة الأولى التي كان ينكرها غرغياس الذي هو من التبصر والادّرية بمكان . § ١٩ — أقدم عهدا — من غرغياس . وربما عنى هيرقليدس الآفروزسي . — الذي سنعقده — ليس النص على هذا القدر من الصراحة ولكن يظهر أنه يعد بكتاب آخر بعد هذا .

قطع من ميليسوس

١

قال سمبليسيوس في شرحه كتاب الطبيعة لأرسطو (الورقة ٢٢) : فلننظر إذا إلى أدلة ميليسوس وهو الأول الذى أنحى عليه أرسطو . إن ميليسوس معتمدا على مبادئ الطبيعيين^(١) فى كون الأشياء وفسادها، يبدأ كتابه بالعبارات الآتية :

«إن لم يوجد شيء كيف يمكن بأى حال اعتبار هذا الأشيء كأنه شيء ما ؟
 «إن كان يوجد شيء ما فهذا الشيء إما مولود وإما أزلى . فإن كان مولودا وكان قد
 «كُون فهو لا يمكن أن يأتى إلا من الموجود أو من اللاموجود . ولكن ليس ممكنا أن
 «ما ليس شيئا ، وبالأولى ما هو موجود على الاطلاق ، يمكن البتة أن يأتى مما ليس
 «موجودا . كما لا يمكن أيضا أن يأتى مما هو موجود لأن الموجود حينئذ يكون قد وجد
 «ولم يكن به من حاجة الى أن يصير وأن يوجد . إذاً الموجود لا يمكن أن يصير
 «وإذاً فهو أزلى . ومن جهة أخرى الموجود لا يمكن أن يفسد ؛ لأنه ليس ممكنا أن
 «الموجود يتغير إلى لا موجود . وتلك هى نقطة يوافق عليها الطبيعيون . ليس
 «ممكنا أيضا أن الموجود يتغير إلى اللاموجود لأنه بهذه الطريقة أيضا الموجود
 «يبقى ولا يفسد . على ذلك فالموجود ما كان ليتمكن أن يولد وإنه لن ينعدم ؛
 «فقد كان وسيكون أبدا» .

٢

سمبليسيوس . المرجع السابق .

« لكن إذا كان ما قد ولد له أول فالذى لم يولد ليس له أول . فإذا كان الموجود
 « ليس مولودا فلا يمكن أن يكون له أول كذلك . ويمكن أن يزداد على ذلك أن ما قد
 « فسد له آخر ؛ ولكن إذا كان شيء غير قابل للفساد فليس له آخر ممكنا . إذاً فالموجود
 « بما هو غير قابل للفساد ليس له من آخر . وما ليس له لا أول ولا آخر هو بهذا عينه
 « لا متناه . وإذاً فالموجود لا متناه » .

(١) الطبيعيون . هم فلاسفة مدرسة يونيا . ر . الطبيعة لأرسطو ك ١ ب ٢ ف ١ ص ٤٣٣ من ترجمتنا .

٣

سمپليسيوس . المرجع السابق .

« إذا كان الموجود لا متناهيا فهو واحد . لأنه إذا كان موجودان فلا يمكن أن يكونا لا متناهيين مادام أنهما يحدان بعضهما بعضا . وبما أن الموجود هو لا متناه فالموجودات لا يمكن أن تكون كثرة . وإذا فالموجود هو واحد » .

٤

سمپليسيوس . المرجع السابق .

« إذا كان الموجود واحدا فهو بالتبع لا متحرك . لأن الموجود بما هو واحد هو على الدوام مشبه لذاته . الموجود بما هو باق على الدوام شبيها لذاته لا يمكن أن ينعدم » ولا أن ينمو ولا أن يتغير ولا أن يتأثر ولا أن يضمحل . فإذا كان يعاني أدنى واحد من تلك التأثيرات فلا يكون بعدُ واحدا . لأن موجودا يعاني حركة من أى جنس كان يتغير من حالة ما إلى أخرى . والموجود لا يمكن أن يكون شيئا إلا الموجود . وبالتالي النتيجة الموجود لا يمكن أن يكون له حركة » .

٥

سمپليسيوس . المرجع السابق .

« ومن جهة أخرى لا شيء من الموجود يمكن أن يكون خلوا لأن الخلو ليس شيئا . والأشياء لا يمكن أن يكون . وإذا فالموجود لا يتحرك . لأنه مادام أنه لا خلوا فلا مكان فيه يمكنه أن يتحيز . ولكن ليس ممكنا أن يدخل الموجود في ذاته مادام أنه يلزم على ذلك إذا أن يكون أكثر تخلخلا أو أكثر كثافة مما هو . وهذا ممنوع لأن المتخلخل لا يمكن أن يكون مليئا كالكثيف وما هو متخلخل هو أشد خلوا مما يمكن الكثيف أن يكونه . إذا الخلو لا يوجد . للحكم على الموجود أهو ملء أم لا فذلك يمكن معرفته بأن ينظر هل هو يمكنه أو لا يمكنه أن يقبل في ذاته شيئا ما . فان لم يقبل فذلك بأنه ملء . وإن يقبل فذلك بأنه ليس مليئا .

« لكن إذا لم يكن خلوفن ثم كل شيء مليء . وإذا كان الكل مليئا فلا حركة بعد .
 « لأنه ليس ممكنا أن تقع الحركة في الملاء كما نقوله حين نتكلم على الأجسام . وأخيرا
 « فالموجود الذي هو الكل لا يمكن أن يتحرك في الموجود ما دام أنه لا شيء خارج
 « عنه ، ولا في اللاموجود ما دام اللاموجود ليس موجودا » .

٦

سمبليسيوس . الورقة ٣٤

« لإثبات أن الموجود لا يمكن أن يكون قد خلق يعتمد ميليسوس على هذه القاعدة
 « العامة : ما قد كان دائما ويكون دائما . لأنه إذا كان قد ولد في لحظة ما ،
 « فيلزم أنه لم يكن شيئا قبل أن يولد . فإذا لم يكن شيئا حينئذ فقد كان
 « المتنع أن شيئا يولد من لا شيء » .

٧

سمبليسيوس . الورقة ٧ ، ٩ ، ٢٣ .

« قد وجه نقد الى ميليسوس هو أن لفظ البداية متعدد المعاني . فعوضا عن
 « أن يأخذ البداية بالإضافة إلى الزمان الخاص بالموجود الكائن أخذ البداية بالإضافة
 « الى الشيء تلك البداية التي لا يمكن أن تنطبق على الأشياء التي تتغير دفعة واحدة .
 « فلقد رأى ميليسوس ، حتى قبل أرسطوطاليس ، أن كل جسم متناه مع أنه أزلّي
 « ليس له إلاقوة متناهية وأن هذا الجسم معتبرا في ذاته فهو دائما على حدّ الزمان
 « بحيث إنه بما أن له من جهة العظم بداية ونهاية يجب أن تكونا
 « كلتاهما له على السواء بالإضافة الى الزمان . وعلى التكافؤ : ماله بداية ونهاية بالإضافة
 « إلى الزمان لا يمكن معا أن يكون الكل . ومن أجل ذلك يسند ميليسوس برهانه إلى
 « البداية والنهاية مطبقتين فقط على الزمان . ولا يسمى بلا بداية وبلا نهاية ما ليس الكل .
 « يعنى ما ليس مع العالم أجمع . وهذا لا ينطبق إلا على الأشياء التي لا أجزاء لها

« وغير المتناهية في وجودها ، وينطبق على الخصوص على الموجود المطلق ما دام
 « الموجود المطلق هو بالضبط الكل . وهاك مع ذلك أقوال ميليسوس أعيانها :
 « على ذلك ما لم يكن قد كَوَّن فهو كائن دائما . وقد كان دائما وسيكون دائما ؛
 « فليس له أول ولا آخر؛ ولكنه لا متناه . فاذا كان قد كَوَّن فيكون له أول لأنه يكون
 « قد بدأ يصير في حين ما ؛ ويكون له أيضا آخر لأنه يكون قد انقطع أيضا عن أن
 « يصير . فإذا لم يكن قد بدأ قط واذا لم يكن قد انتهى قط فذلك بأنه قد كان
 « دائما ويكون دائما بما أنه ليس له لا أول ولا آخر . لأن ما ليس الكل لا يمكن
 « أن يصل إلى أن يكونه » .

٨

سميليسوس . الورقة ٢٣ .

« كما أن الموجود أزلى كذلك يلزم أن يكون عظمه أبديا لا متناها » .

٩

سميليسوس . المرجع السابق .

« ماله أول وآخر لا يمكن البتة أن يكون أزليا ولا لا متناها » .

١٠

سميليسوس . المرجع السابق .

« إذا لم يكن هو أحدا فهو يحدّ آخر » .

١١

سميليسوس . الورقة ٢٤ .

إن لغة ميليسوس نفسه يمكن أن تكون قديمة ولكنها ليست غامضة . وقد
 يمكننا أن نضع تحت الأنظار هذه المؤلفات العتيقة حتى يتها للذين يقرءونها أن
 يكونوا قضاة يحسنون الحكم في إيضاحات أضبط وأوفى . وهاك اذا ما يقول
 ميليسوس ملخصا ما قد بسطه في الماضي ومتابعا نظريته على الحركة :

« على هذا إذا فالعالم، الكل، هو أزلّ لامتناه واحد ومتشابه . إنه لا يمكن أن يفنى ولا يمكن أن ينمو ولا يمكن أن تُتغير صورته ولا يمكن أن يقبل ولا يمكن أن يضمحل . فإذا هو عانى شيئا من ذلك فلا يكون واحدا . وفي الحق أنه إذا صار الموجود غيراً فيلزم ضرورة ألا يكون متشابهاً ، وأن الموجود الأزل يفنى وأن اللاموجود يصير . ولو افترض الكل ثلاثين ألف عام ليصير غيراً لآتهى بأن يفنى في كل ما يلي من الزمان . »

١٢

سمبليسيوس . المرجع السابق .

« ولكن لا يمكن أن تتغير صورته ؛ لأن النظام المتقدم للعالم لا يندم والنظام الذى لم يكن بعدُ لا يتكوّن . ولكن ما دام أنه لا شيء يولد من جديد وما دام أنه لا شيء يندم وما دام أنه لا شيء يتغير كيف يمكن أن أى موجود اتفق يمكن أن تُتغير صورته؟ إنه يكون قد تحوّل من قبل إذا كان يمكن أن يصير غير ما هو . »

١٣

سمبليسيوس . المرجع السابق .

« إنه لا ينفعل لأن الكل لا يمكن أن ينفعل ما دام أنه لا يمكن أن شيئا قابلا يكون أزليا . ومن ثم لن يكون له بعدُ قوة شيء يكون في كمال الصحة . وكذلك هو لا يكون متشابهاً إذا كان ينفعل . إنه لا يمكن أن ينفعل إلا إذا فقد أو كسب شيئا . وبهذا وحده ينقطع عن أن يكون متشابهاً . كذلك ليس من الممكن أن شيئا صحيحا ينفعل بأى ما كان ؛ لأنه حينئذ الموجود وهذا الصحيح يندم واللاموجود يكون . والدليل عينه الذى ينطبق على الانفعال ينطبق أيضا على اضمحلال ما للموجود . »

١٤

سمپليسيوس القطعة ٩ و ١٧ و ٢٤ .

« لا شى من الخلو بموجود ؛ لأن الخلو ليس شيئا . وبما هو لا شىء لا يمكن أن يكون . الموجود لا يتحرك لأنه لا محل يمكنه أن يستقر فيه ولكن الكل هو ملء . »
 « إذا كان خلو فالموجود يتميز في الخلو . ولكن ما دام أنه لا خلو فلا محل »
 « يستقر فيه . ما دام الكل ملئا فلا حركة . كذلك لا يكون لا كشيئا ولا متخلخلا »
 « لأنه ليس ممكنا أن يكون المتخلخل مليئا كالكثيف سواء بسواء . والمتخلخل هو »
 « أخلى من الكثيف . إليك كيف يلزم الحكم في الملء والخلو . »
 « إذا كان شىء يتميز أو يقبل شيئا ما فذلك بأنه ليس مليئا . فاذا لم يتميز أو اذا لم يقبل فذلك بأنه ملء . إذا ليس إلا الملء إذا لم يكن خلو . إذا كان إذاً الكل هو »
 « ملئا فلا حركة ممكنة » .

١٥

سمپليسيوس . المرجع السابق الورقة ٢٤ .

« إذا تجزأ الموجود تحرك ، ولكن حينئذ لا يتحرك كله معا » .

١٦

سمپليسيوس . ما سبق الورقة ١٩

« إذا كان الموجود يوجد فيلزم أن يكون واحدا . وبما هو واحد يلزم في آن واحد ألا يكون جسما . لأنه إذا كان له سمك كان له أيضا أجزاء ولا يكون بعدا »
 « واحدا » .

١٧

سمپليسيوس . شرح كتاب السماء . الورقة ١٧٣ .

« أوسيب وهو يستشهد أرسطوقلس (Preparation Evangelique XV) »
 « هذا هو إذاً الدليل الأقوى على إثبات وحدة الموجود . ولكن هاك من جهة أخرى أدلة

«تثبتها أيضا . إن كان موجودات متكثرة فيلزم أن يكون كل واحد منها كالموجود
«الذى أثبتت وحدته . إذا كان الأرض والنار، وإذا كان الهواء والحديد، والذهب
«والنار، إذا كان الحى والميت، إذا كان الأبيض والأسود وسائر الأشياء التى يعتبرها
«الناس حقائق، هى موجودة فى الواقع كما يقال، فيلزم أن يكون كل شئ على الحقيقة هو
«ما قد ظهر لنا بادئ الأمر، وأنه لا يتغير حاله، وأنه لا يصير غيراً بل يبقى دائماً هو ما هو .
«ولكننا نعتقد فى حالة الأشياء الراهنة أننا نحسن رؤيتها ونحسن استماعها ونحسن إدراكها .
«فالخاز يظهر لنا أنه يصير باردا والبارد يصير حارا والصلب يصير لينا واللين يصير
«صلبا والحى يظهر لنا أنه يموت ويتولد ثانيا مما ليس حيا بعد؛ فالكل بلا استثناء يظهر
«لنا أنه يصير غيراً . ولا شئ يظهر بأنه يبقى فى الحالة بعينها التى كان فيها والتى هو فيها .
«الحديد نفسه مهما كان صلبا ينبرى بملامسة الأصبع . والذهب والمجر وأى جسم آخر مما
«يظهر لنا صلبا هكذا تأتى من الماء كما يأتى منه الأرض والمجر . وبالنتيجة يمكن أن
«يقال إننا لانرى ولا نعرف الموجودات فى حقائقها . على ذلك فكل ذلك أبعد من
«أن يتطابق . إننا نقول حقا على بعض الأشياء إنها أزلية ومع ذلك نرى صورها كلها
«وخواصها كلها تتغير تحت أعيننا وتنقطع عن أن تكون على ما قد كنا رأيناها عليه
«فى كل حالة خاصة . إذا يلزم التسليم بأننا لانحسن رؤية الأشياء وأن ظهور الأشياء
«لنا متكثرة إنما هو خطأ . لأنها لو كانت حقيقية ما تغيرت ولكنها تكون على ما يظهر
«لنا كل واحد منها أنه موجود، مادام أنه لاشئ فوق الموجود الحقيقى . ففى التغير
«قد هلك الموجود، وهذا الذى يتكون هو اللاموجود . حينئذ مرة ثانية إذا كانت
«الأشياء متكثرة كما يقال فيلزم أنها كانت على الإطلاق كما يكون الموجود الأحد » .

تحليل نظرية غرغياس

لسكستوس أميريكوس

"Adversus Mathematicos-logicos"

«ك ٧، ص ٣٨٥، طبعة ١٨٤٢»

قال سكستوس بعد أن أثنى على فروطاغوراس وأوتيديم وريونيسودور الذين لم يعترفوا بالموجود وبالحقيقة إلا في الإضافي :

«غرغياس الليونتيومي قد تبوأ مكانا أيضا في طائفة الفلاسفة الذين أنكروا ملكة الحكم . ولكنه لم يتخذ في هجاته الطريقة التي اتخذها فروطاغوراس . فإنه في كتابه المعنون "في اللاموجود أو في الطبيعة" يقرر النقط الثلاث الآتية :

«أولا أنه لا شيء بموجود . وثانيا أنه إذا كان شيء موجودا فذلك الشيء هو غير قابل لأن يدركه الإنسان . وأخيرا وثالثا أن هذا الشيء لو كان قابلا لإدراكنا لما أمكن التعبير عنه ولا تفهيمه الغير .

«إليك كيف يثبت النقطة الأولى وهي أن لا شيء بموجود . إذا كان شيء موجودا فأنما هو الموجود أو اللاموجود أو الموجود واللاموجود معا . ولكن الموجود ليس موجودا كما سيسطه . واللاموجود كذلك ليس موجودا كما سيبينه . وأخيرا ما هو معا موجود ولا موجود لا يوجد كما سيبينه . إذا لا شيء بموجود . بديهي أن اللاموجود غير موجود . لأنه إذا كان اللاموجود موجودا فينتج منه «أنه يوجد ولا يوجد معا . لأنه من جهة أنه متصور لا موجودا فلن يوجد؛ ومن جهة أنه اللاموجود فهو سيوجد من جديد وعلى العكس . ولكن من السخف أن شيئا يكون ولا يكون معا . إذا اللاموجود غير موجود البتة . أضف إلى ذلك «أنه من جهة نظر أخرى إذا كان اللاموجود موجودا فالوجود حينئذ لا يوجد لأنهما على التكافؤ ضدان أحدهما للآخر، وإذا كان الموجود يصل إلى اللاموجود «فاللاوجود يصل إلى الموجود .

«ولكن مادام الموجود ليس موجودا فاللاموجود ليس موجودا من باب أولى .
 « على هذا أقول : إن الموجود ليس ، وجودا . لأنه إذا كان الموجود موجودا فإما
 « أن يكون أزليا وإما أن يكون مخلوقا وإما أن يكون معا أزليا ومخلوقا . ولكن ،
 « كما سنبرهنه ، الموجود ليس لا أزليا ولا مخلوقا ولا كليهما معا . أقول : إذاً إن
 « الموجود لا يكون . لأنه إذا كان الموجود أزليا ، مادام أنه يجب الابتداء بذلك ،
 « فليس له أول وكل ما يولد له أول . والأزلى بما هو لم يخلق لا يمكن أن يكون له
 « أول ما . وبما هو ليس له أول فهو لامتناه . وبما هو لامتناه فليس في أى مكان ما .
 « وفي الحق أنه إذا كان في مكان ما فيلزم أنه كان موجود آخر غيره وفيه يوجد .
 « وإذا كان الموجود محويا هكذا في شيء ما فلا يكون بعداً لامتناهيا مادام أن
 « الحاوى هو أكبر من المحوى . ولا يمكن أن يكون شيء أكبر من اللامتناهى .
 « إذاً اللامتناهى ليس في حيز ما .

«ولكن اللامتناهى لا يمكن أن يكون كذلك محويا في ذاته لأنه إذا يكون المحل
 « والحال يشتهان ويصير الموجود اثنين : المحل أولا ثم الجسم ، فان ما فيه الجسم
 « هو الحيز وما في الحيز هو الجسم . ولكن هذا سخف . وبالنتيجة فالموجود
 « ليس كذلك حالا في ذاته . وبالنتيجة أيضا إذا كان الموجود أزليا فهو لا متناه .
 « وبما هو لا متناه فهو ليس في أى حيز . وبما هو ليس في حيز فهو غير موجود . إذا
 « كان إذاً الموجود أزليا فلا يمكن أن يكون له كذلك أول .

« ومن جهة أخرى الموجود لا يمكن كذلك أن يكون قد خلق . فاذا كان
 « بالمصادفة قد ولد فيجب أن يكون قد أتى من الموجود أو من اللاموجود . ولكنه
 « لا يمكن أن يكون قد أتى من الموجود لأنه إذا كان الموجود موجودا فذلك بأنه
 « لم يكن قد ولد وأنه موجود من قبل . ولا من اللاموجود مادام اللاموجود لا يمكن
 « أن يكون شيئا ما أيا كان مادام أن ماهو قادر على أن يكون شيئا يجب بالضرورة
 « أن يكون قد شارك في الوجود . إذاً فالموجود لا يمكن أن يكون قد خلق .

«وقد يُثبت بالأدلة عينا أن الموجود لا يمكن أن يكون الاثنين معا . أعنى
 «أزليا ومخلوقا معا . وفي الحق أن هذين المعنيين يتفاسدان . وإذا كان الموجود
 «أزليا فهو لم يولد . وإذا ولد فليس أزليا . حينئذ مرة أخرى ، الموجود بما هو
 « لا أزلى ولا مخلوق ولا الاثنان معا فذلك بأنه لا يوجد البتة .

«دليل آخر : إذا كان الموجود يوجد فهو واحد أو كثيرة . ولكن الموجود ليس
 «واحدا ولا متكثرا كما سنرى ذلك . ومن ثم فالموجود ليس البتة . فاذا افترض
 «واحدا فهو إما كم وإما متصل وإما عظم ما وإما جسم . ولكن ماهو في أى مما من
 «هذه الأحوال ليس بعدُ واحدا . وفي الحق أنه إذا كان الموجود كما فيكون منقسما .
 «وإذا كان متصلا فيمكن فصله . وإذا افترض له في الذهن عظم فلا يكون بعدُ غير
 «منقسم . وإذا ذهب إلى حد أن يجعل جسما فإذاً يكون له الأبعاد الثلاثة ، وبعبارة
 «أخرى يكون له طول وعرض وعمق . ويكون مما لا يستطيع تأييده أن يدعى
 «أن الموجود ليس على الإطلاق شيئا من ذلك كله ، وإذاً فالموجود ليس واحدا .
 «أقول : إن الموجود ليس كذلك متكثرا لأنه ما دام ليس واحدا لا يمكن بعدُ
 «أن يكون كثرة . وفي الحق أن كثرة لا تتألف إلا من تركيب الوحدات . ومتى
 «نفيت الوحدة انتفت الكثرة حتما .

«حينئذ على ما تقدم كله يرى جليا أن الموجود ليس أكثر وجودا من اللاموجود .
 «ويمكن أن يستنتج منه أن الموجود ليس كذلك الموجود واللاموجود معا . إذا
 «كان الموجود ، في الحق ، هو ما يوجد وما لا يوجد فيئذ اللاموجود يتحد مع الموجود
 «في أمر الوجود . ومن ثم لا يوجد لأحدهما ولا الآخر . فأما أن اللاموجود
 «لا يوجد فهذا موضع اتفاق جميع الناس . ولكن قد قرر أننا أن الموجود يتماثل مع
 «اللاموجود . فالموجود إذاً ليس يوجد كذلك . ولكن إذا كان الموجود مماثلا
 «للاموجود فلا يمكن أن يكون الاثنين معا . فاذا كان الاثنين معا فلا يكون
 «مماثلا وإذا كان مماثلا فلا يكون الاثنين . وينتج منه أن الموجود هو لا شيء .»

«لأنه إذا لم يكن لا الموجود ولا اللاموجود ولا كليهما، ولا شيء وراء ذلك، فذلك
«بأن الموجود ليس شيئاً .

«الآن يلزمنا أن نوضح أنه إن كان من شيء فذلك الشيء غير معروف للإنسان وأن
«عقله لا يمكن أن يفهمه . يقول غرغياس : إذا كانت تصورات عقلنا ليست
«موجودات فالموجود لا يمكن أن يتصور . وذلك بسيط كل البساطة . وفي الحق ،
«كما أنه إذا كانت الأشياء التي تتصورها بيضاء هي في الحقيقة متصورة بيضاء فكذلك
«الأشياء المتصورة ليست موجودات ، فينتج منه بالضرورة الحتمية أنه لا يمكن
«أن تتصور موجودات حقيقية . وهذا دليل صحيح تام الصحة ومنتج جد الإنتاج .
«فاذا كانت الأشياء المتصورة ليست موجودات فالموجود لا يمكن أن يتصور .
«الأشياء المتصورة ليست موجودات كما ستقرره . وذلك فرض أول ينبغي
«التسليم به . إذا الموجود ليس متصوراً . فأما أن الأشياء المتصورة ليست
«موجودات فذلك ما هو بين بذاته . لأنه إذا كانت التصورات هي الحقائق
«فحينئذ كل ما يتصور يوجد وعلى الوجه الذي تُصور به أيا كان هذا الوجه .
«وهذا هو سخيف بالبداهة وافترضه غير معقول بالمرّة . مثال ذلك : إذا شاء المرء
«أن يفترض إنساناً يطير في الأجواء وعربات تدرج على الأمواج ، فلا ينتج من
«ذلك وحده أن الإنسان يستطيع أن يطير والعربات تدرج على أمواج البحر . على
«هذا فالتصورات التي نتصور ليست حقائق .

«يلزم أن يزداد على هذا أنه إذا كانت الأشياء المتصورة موجودات فينتج منه
«أن الأشياء التي ليست موجودة لا يمكن أن نتصور . لأن الخواص المتضادة تتعلق
«بالأضداد . واللاوجود هو نقيض الموجود . فاذا كان إذاً الموجود يمكن أن
«يتصور كما قد يعتقد فينتج منه أن اللاموجود لا يمكن أن يتصور . وهذا سخيف .
«لأن الإنسان يتصور "سيلاً" و"الشمير" وأشياء شتى أخرى ليس لها وجود ما .
«إذاً الموجود ليس متصوراً . وكما أن الأشياء المرئية هي بذلك يقال عليها إنها قابلة
«لأن ترى وأن الأشياء المسموعة يمكن أن يقال عليها إنها قابلة لأن تسمع لأن

«الإنسان يسمعها وأن المرء لا ينكر الأشياء المرئية لأنه لا يسمعها كما أنه لا ينكر الأشياء القابلة لأن تسمع بحجة أنه لا يراها فان كل واحد من هذه الأشياء يجب أن يحكم عليه بحاسته الخاصة لا بحاسة أجنبية ، كذلك الأمر في الأشياء المتصورة لأنه لا يمكن أن تُرى بالنظر ولا أن تسمع بالسمع ما دام أنها مدركة بالحاسة الخاصة بها . وبالتبع إذا كان امرؤ يتصور العربات تدرج على المياه ولا يراها فلا يلزم منه إنكار أن العربات تدرج على الماء . ولكن هذا سخف . وإذا فالموجود ليس متصورًا ولا يمكن أن يفهم .

«ولكن بافتراض أنه يفهم فلا يمكن نقله الى الغير . وفي الحق أن الموجودات التي يمكن للراء أن يراها ويسمعها وعلى وجه العموم أن يحسها هي مفروضة خارجة عنا ومن بينها المرئيات مدركة بالنظر وما يمكن سماعها مدركة بالسمع دون أن يكون البتة عكس ممكن ، فكيف يمكن حينئذ التعبير عنها للغير . وفي الواقع أن طريقة الإيضاح التي عندنا هي الكلام ، والكلام ليس هو الأشياء نفسها ولا الموجودات . إذاً ليست الموجودات هي التي نعبر عنها للغير بل هو الكلام وحده الذي هو على الإطلاق خلاف الحقائق أعينها . وإذا فكما أن المرئي لا يمكن أن يصير قابلاً لأن يسمع وعلى التكافؤ ، فكذلك الموجود المفروض أنه خارج عنا لا يمكن أن يصير هو كلامنا . وبما أن الكلام ليس موجوداً فليس من الممكن التعبير عن شيء ما للغير . وفي الواقع أن المقالة — كما يقول غريغاس — لا تتألف إلا من أشياء خارجية تأتي فتقع في ذهننا أعني أشياء تدركها حواسنا . وعلى هذا فعلى أثر تسلط ذوق ما في الأشياء المذوقة يتكون عندنا الكلام الذي نعبر به عن هذا الكيف الخاص . وتبعاً لتدخل اللون يتكون الكلام الذي نعبر به عنه . فاذا كان هذا هكذا فليس الكلام هو الذي يمثل ما هو في الخارج بل هو الشيء الخارجى الذي يعين الكلام . لا يمكن أن يقال: إن الكلام هو على الوجه الذي عليه الأشياء المرئية أو المسموعة بحيث إن الكلام بافتراضه يمكن أن يستدل به على الموجودات والموضوعات

«الخارجية . يقول غرغياس : لأنه إذا كان الكلام هو أيضا موضوعا فهو يختلف
«بالأقل عن جميع الموضوعات الأخرى . ومثال ذلك أية مسافة لا تكون بين
«الأشياء المرئية وبين الكلمات التي تعبر عنها؟ وفي الحق أنه إنما يختلف العضو الذي
«تدرك به الأشياء المرئية والذي يدرك به الكلام الذي يعبر عنها . وعلى ذلك
فالكلام لا يمكن أن يبين الجزء الأعظم للأشياء الخارجية بذواتها، كما أن أكثر الأشياء
«لا يمكن على التبادل أن يبين بعضها طبع البعض الآخر .

« تلك هي أدلة غرغياس التي هي على قدر قيمتها تفسد كل مقياس للحق،
«لأنه ليس بعدد من مقياس مادام أن الموجود ليس موجودا، وأنه لا يمكن أن
«يعلم، وأنه ليس قابلا لأن يُنقل علمه إلى الغير .

راجع أيضا Hypotyposes pyrrhoniennes ك ٢ ب ٦ ف ٥٧ و ٥٩

و ٦٤ — ص ١٣٤ و ١٣٦ من طبعة سنة ١٨٤٢



وكان تمام طبع هذا الكتاب بمطبعة دار الكتب المصرية في يوم السبت

٢٧ شوال سنة ١٣٥٠ (٥ مارس سنة ١٩٣٢) م

محمد نديم

ملاحظ المطبعة بدارالكتب المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٨/٦١٧/١٥٠٠)
